

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم

خلفاء الرسول

(بين الكتاب و السنة و سائر الكتب السماوية)

(ج ٧)

پیشگفتار

بسم اللّٰه الرّحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيد النبيين محمد صلى الله عليه وآله وعلى آله الطاهرين المعصومين.

وبعد فهذا الكراس يبيّن لك شطراً من كيانات خلفاء الرسول صلى الله عليه وآله بين الكتاب والسنة.

متناً على اضواء الكتاب وهاشأ بالسنة القدسية الرسولية والرسالية واشارات او تصريحات من كتابات الوحي العتيق والجديد، ولا ينبئك مثل خبير ...

صحيح أن القرآن لم يسجل اسماءهم، وانما يصرح او يشير الى سماتهم، وذكر الاسماء لا يغني عن السمات والميزات، ولكن السمات تفتش عن اصحابها كما في السنة القدسية الاسلامية، وقد يعني عدم ذكر الاسماء - اضافة الى ذلك - رعاية الوحدة الاسلامية، لان الاسلام باصوله وفروعه مصدق بين المسلمين اجمع، ولكنه في خلافته المعصومة مختلف فيه، وعلى اية حال فالقرآن والسنة متوافقان على تحقق الخلافة المعصومة بعد الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله طول التاريخ الاسلامي.

وهذا الكراس مفتوح لكل نقد صالح، او رد صالح بكل رحابة صدر وعلى الله قصد السبيل ومنها جائز

قم المقدسة - محمد الصادقي الطهراني

اولياء الامور

بعد الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَطِيعُوا قَرِيبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ»^١

وإنما حذروا عن طاعة فريقٍ منهم وطاعة غير المؤمن محظور أياً كان؟

لأن أهل الكتاب فرق ثلاث، منهم الصادون عن سبيل الله وهم الذين حُذِرَ عن طاعتهم، ومنهم المؤمنون بهذا الرسول وكتابه وهم آهلون للطاعة في سبيل الله وهم قادة الإيمان بسند الكتاب، ومنهم عوان لأنهم «أميون لا يعلمون الكتاب إلّا أمانياً» لا يدعون إلى شيءٍ حتى يطاعوا وهم حائرون في أمرهم أنفسهم، مهما افترقوا إلى متحرّجٍ عن الحق لاتباعه، ومُهْمِلٍ يعيش حائراً مائراً، والجامع بينهما الأُدور لهما في دعوة حتى يأتي دور الطاعة سلباً وإيجاباً، ثم ولما ذا يطاع أهل الكتاب؟ ألكي يهدوكم سبيل الرشاد؟ وأنتم راشدون بكتاب الله ورسوله! :

ذلك وكما قال رسول الله صلى الله عليه وآله حينما دس يهودي بين الأوس والخزرج فأخذوا يتقاتلان : «يا معشر المسلمين الله الله أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ هداكم الله إلى الإسلام وأكرمكم به وقطع عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر وألف به بينكم ترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان وكيدٌ من عدوهم فألقوا السلاح وبكوا وعانق الرجال بعضهم بعضاً ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله سامعين مطيعين قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله...»^٢

١ . ٣ : ١٠٠

٢ . الدر المنثور ٢ : ٥٧ - اخرج ابن اسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابو الشيخ عن زيد ابن اسلم قال : مرّ شاس بن قيس وكان شيخاً قد عسا في الجاهلية عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم على نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه فغاظه ما رأى من ألفتهم وجماعتهم وصلاح ذات بينهم على الاسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية فقال : قد اجتمع ملأ بني قبيلة بهذه البلاد والله مالنا معهم إذا اجتمع ملوهم بها من قرار فأمر فتيّ شاباً معه من يهود فقال : اعمد اليهم فاجلس معهم ثم ذكرهم يوم بعثت وما كان قبله وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الاشعار وكان يوم بعثت اقتلت في الأوس والخزرج وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج ففعل فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى توابت رجلن من الحيين على الركب

«وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمَ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»^١.

«كيف تكفرون» بعد إيمانكم - بطاعتهم ثم كفركم - مهما دخلت فيكم الدعايات الكتابية الكافرة وأنتم أقوى منهم حجة، «وأنتم تتلى عليكم آيات الله» خالصة عن كل دس وتجديف، آيات هي دلالات ذات بعدين على الحق، إذ تدل بنفسها على انها من الله، ثم تدل على حظائر القدس، وهي أتقن الآيات الرسالية على مدار الزمن الرسالي.

ثم «وفيكم رسوله» وليس فيهم رسولهم، فأنتم مزودون بالحجتين البالغتين الإلهيتين وهم خواء عنهما، لا يعيشون إلا خليطاً من وحي السماء بوحي الأرض ف «كيف تكفرون»؟!.

ثم «ومن يعتصم بالله» بالله كأصل في كافة الحالات ولا سيما في أجواء التضليل والتجديل، ويكتاب الله ورسوله دلالة صادقة معصومة على الله لأنه اعتصام بالله، حيث يذكر بعد «آيات الله ورسوله» بل هو الأصل والسييل الوحيد في الاعتصام بالله، ثم زيادة الهدى من الله تتبناه: «والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم».

فمن يزعم أنه معتصم بالله، تاركاً لكتاب الله ورسوله، فقد ضل ضلالاً مبيهاً، ف «إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله...».

أجل هناك اعتصام بالله دون وسيط وهو أن تدعوا الله أن يهديك ويغفر لك ذنوبك، ولكنه لا يفيد ما لم تعتصم بالله بوسيط كتابه ورسوله وهما العاصمان بالله عن ورطات الجهل والطغوى إلى درجات العلم والتقوى «١» ف «من جعل الهموم همماً واحداً كفاه الله ما أهمه من أمر الدنيا والآخرة ومن تشعبت به الهموم لم يبال الله في أي أودية هلك» «٢»

و «أما عبد أقبل قبل ما يحب الله عز وجل أقبل الله قبل ما يحب ومن اعتصم بالله عصمه الله ومن أقبل الله قبله وعصمه لم يبال لو سقطت السماء على الأرض...» «٣»

و «المعصوم هو الممتنع بالله من جميع محارم الله» «٤»

أوس بن قيطى احد بني حارثة من الأوس وجبار بن صخر احد بني سلمة من الخزرج فتقاولا ثم قال احدهما لصاحبه ان شئتم والله رددناها الآن جذعة وغضب الفريقان جميعاً وقالوا قد فعلنا السلاح السلاح موعدكم الظاهرة والظاهرة الحرة فخرجوا اليها وانضمت الأوس بعضها إلى بعض والخزرج بعضها إلى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين من اصحابه حتى جاءهم فقال : ..

فمثلث الاعتصام بالله ينجي أهل الله عن ثالث الصد عن سبيل الله «فقد هدي إلى صراط مستقيم» «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلّا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم. ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد. وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم» «٥» «... فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم» «٦».

وهنا «تلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله» مما ثبت أن الكتاب والسنة يكفيان في التدليل على الحق المطلق في أجواء التضليلات فضلاً عما سواها، فما دام الرسول فينا فهو الذي يهدينا إلى ما خفي عنا من دلالات الكتاب وتأويلاته وإذا ارتحل عنا فسنته الثابتة المعروفة بموافقة الكتاب هي الحجة بعد الكتاب، ثم لا حجة بعدهما لأي سلب أو إيجاب، في أي قليل أو جليل.

-
- (١) الدر المنثور ٢ : ٥٩ - اخرج تمام في فوائده عن كعب بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أوحى الله الى داود يا داود مامن عبد يعتصم بي دون خلقي أعرف ذلك من نيته فتكديه السماوات بمن فيها إلّا جعلت له من بين ذلك مخرجاً وما من عبد يعتصم بمخلوق دوني أعرف منه نيته إلا قطعت أسباب السماء من بين يديه وأسخت الهواء من تحت قدميه
- (٢) المصدر اخرج الحاكم وصححه عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ..
- (٣) نور الثقلين ١ : ٢٧٦ عن اصول الكافي بسند متصل عن ابي عبدالله عليه السلام قال : ..
- (٤) المصدر عن معاني الأخبار باسناده الى حسين الأشقر قال قلت لهاشم بن الحكم ما معنى قولكم ان الامام لا يكون الا معصوماً ؟ فقال : سألت ابا عبدالله عليه السلام عن ذلك فقال : ..
- (٥) ٢٢ : ٥٤
- (٦) ٢ : ٢١٣

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١١

ولأن العترة الطاهرة المعصومة هم حملة السنة الصالحة نسمع الرسول صلى الله عليه وآله يقول فيما تواتر عنه : «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي» فمهما صدقنا ما يروى عنه :

«وسنتي» بدلاً عن «عترتي» ما كنا نصدق حاملاً للسنة إلا الأئمة المعصومين وهم عترته.

ف «سنتي» لأنها سنتي، ثم «عترتي» لأنهم المأمونون على سنتي، كما وهم الذين يفسرون الكتاب حقه كما أنا الرسول.

ولو أن هناك غير الكتاب والسنة هادياً إلى الصراط المستقيم - من إجماعات وشبهات ونظرات واجتهادات بقياسات واستحسانات واستصلاحات وأشباهاها من غير الكتاب والسنة - لجاء ذكره - وإن مرة يتيمة أو إشارة - في الذكر الحكيم.

فإنما هو الإعتصام بالله في خِصْمِ الضلالات والتضليلات مهما قويت فإن الله أقوى والمضلون هم أضعف وأغوى.

وماذا بعد المهدي إلى صراط مستقيم، فالمؤمن كالجبل الراسخ لا تحركه العواصف ولا تزيله القواصف .. وهنا اعتصام فردي للحفاظ على الإيمان الفردي، دفعاً لمكائد الصادين عن سبيل الله، ثم اعتصام جمعي جماهيري للمؤمنين بالله يعصمهم عن المكائد الجماهيرية الكافرة، ويحافظ على دولة الإيمان عالية خفاقة، تبين الآيات التالية شروطاً متأصلة لذلك الإعتصام.

هذه الآيات تبين لنا الشروط الإيجابية الأربعة والسلبية الثلاث والنتائج المنتوجة على ضوء تطبيقها ومنها «لن يضرركم إلا أذى ...» :

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» (١).

ركيزة أولى بعد الإيمان تقوم عليها الجماعة المسلمة تحقيقاً لكيانها وتأدية لدورها، صموداً في وجه أعداءها الألداء، هي تقوى الله حق تقاته والموت مسلماً، فبدون هذه الركيزة تكون الأمة فالتة في تجمُّع جاهل قاحل مهما ملكت من إدعآت وحملت من

(١). ٣ : ١٠٢

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٢

أسماء براءة مشرقة ك «المؤمنون».

«اتقوا الله» ولكن كيف وكم وإلى أين؟ «اتقوا الله حق تقاته» كماً وكيفاً «ولا تموتنَّ إلَّا وأنتم مسلمون» مدىً وغاية، أن تصبح حياة الإيمان تقوى حقة حقيقة بجذافيرها في كل صغيرة وكبيرة. وليس ل «حق تقاته» حدٌ يتصور، فلكما أوغل القلب في هذه السبيل تكشفت له آفاق وجدت له أشواق، في تيقظ من شوقه إلى درجات فوق ما ارتقى.

وقد يروى عن أحق الأتقياء في «حق تقاته» - «ان يطاع فلا يُعصى ويذكر فلا يُنسى» (١) و «لا يتقي الله بعد حق تقاته حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه». (٢)

؟ و «لا يكلف الله نفساً إلا وسعها» (٢)

و «إلا ما آتاها» (٣)

! فكيف يكلفهم بغير ما يستطيعون، وما لم يؤتهم من الطاقة حتى يتقوا «حق تقاته»؟.

فرواية النسخ «٤» منسوخة- لأن فيها نسخاً للمحال بالممكن- أو مأولة بمعنى التخصيص، أنها خصت بآية الاستطاعة بقدر المستطاع فحق تقاته من الرعيل الأعلى، غير المستطاع من دونهم، أنه لا يكلف به من لا يستطيعه، فل «حق تقاته» درجات، لا يكلف منها أحد إلا قدر استطاعته، فقد تخلّق «حق تقاته» على كل مدارج «تقاته» حسب المستطاع، و «ما استطعتم» بيان ل «حق تقاته» أنه ليس الحق الاول للسابقين في «تقاته» فأين النسخ أو التخصيص اللهم إلا التفسير والتوضيح.

ذلك، فل «حق تقاته» درجة مستحيلة على الكل وهي كما يحق لساحته تعالى، وأخرى مستطاعة للرعيل الأعلى غير مستطاعة لمن دونهم، وثالثة مستطاعة لمن دونهم، ولا تعني «حق تقاته» إلا الاخيرين كلياً في درجته حسب المستطاع.

فلا يعني «حق تقاته» إلا الحق المطلوب منهم، المستطاع لهم، كل على قدره وقدره، فكما الإيمان درجات كذلك تقوى الإيمان درجات من أعلاها كما لأول العابدين إلى أدناها كما لآخر العابدين وبينهما عوان من المتقين.

وعلى الخطاب هنا في أعلاه موجه إلى المعصومين عليهم السلام كما في «وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم ... ملة أبيكم إبراهيم» (٥).

(١). ١٦ : ٦٤

(٢). ٣٠ ، ٢٨٦

(٣). ٧ : ٦٥

(٤) الدر المنثور ٢ : ٥٩- اخرج ابن ابي حاتم عن سعيد بن جبير قال : لما نزلت هذه الآية اشتد على القوم فقاموا حتى وردت عراقبيهم وتقرحت جباهم فأنزل الله تخفيفاً على المسلمين، «فاتقوا الله ما استطعتم» وفيه عن ابن عباس قال : لم تنسخ ولكن حق تقاته ان يجاهدوا في الله حق جهاده ولا تأخذهم في الله لومة لائم ويقوموا لله بالقسط ولو على انفسهم وآباءهم وامهاتهم

(٥). ٢٢ : ٧٨

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٤

ثم المستحيل على العباد هو معرفة الله حق معرفته وعبادته حق عبادته، وأما تقواه حق تقاته فكما قال الرسول صلى الله عليه وآله «أن يُطاع فلا يُعصى وأن يُذكر فلا يُنسى» وهذا يطم في خضمه كل مراتب التقوى الحققة حسب مختلف القابليات والفاعليات، شاملة لحق العدالة والعصمة، ثم العاصي المقصر خارج عن نطاق الآية، والمعصومون هم في قمتها العالية. ولا يعني «يذكر فلا ينسى» أن المؤمن مأخوذ بذكره تعالى أبداً فإنه غير مستطاع إلا للمعصومين، حيث الغفلات المتأهية تحلله، والشهوات المباحة تتوسطه، والنوم والإغماء والتقوية والمرض تحول دونه.

فإنما أمروا أن يتقوا الله حق تقاته كما يستطيعون، وليهابوا بلوغ أدنى حدود المعصية، ويقفوا عن أولى مراتب السيئة، فلا يقتربوها كيلا يقترفوها، فالمعاصي حمى الله ومن حام حوم الحمى أو شك أن يوقع فيها، فاجعل بينك وبين الحرام حاجزاً من الحلال، فإنك متى استوفيت جميع الحلال تاقت نفسك إلى فعل الحرام، وكلما كثرت الزواجر كانت على المعاصي أردع، وإلى فعل الطاعات أحوش وأجذب.

ذلك - فمن جانب جميع ما نهاه الله عنه دون مقارفة ولا مقاربد، وأتى بجميع ما أمره الله به، وكل ذلك قدر المستطاع دون إهمال ولا تقصير، فقد اتقى الله حق تقاته.

وترى بعدد كيف «ولا تموتن إلّا وأنتم مسلمون» والموت مسير لا مخير؟ وكما «إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون» (١).

هنا النهي موجه إلى الموت دون إسلام، ناظراً إلى عاقبة الأمر لمن اتقى الله حق تقاته، فلا تكفي هذه التقوى الحققة لفترة من حياة التكليف، بل والإستمرار فيها تكليف فوق تكليف، ومهما كان الموت مسيراً، فالموت حالة الإسلام مخير، أن يتسمر التقى في تقواه، أو تكون كل لاحقة منه خيراً من أولاه، تقدماً على طول خط الحياة في تقوى الله، دون تنازل عن حدها المستطاعة ولا وقفة عليه. وفي صيغة أخرى إن الإنسان مكتوم عنه أجله أي كان لما في كتمانته من مصلحة

(١). ٢ : ١٣٢

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٥

تربوية، فلا يعرف متى تكون منيته، وعلى أي جنب صرعه، فحين ينهاه الله أن يموت إلا مسلماً فقد ألزمه في كل حال على ذلك الإسلام، إذ لا يأمن على أية حال أن يموت غيبة أو هرمًا. ذلك، ومن جملة كمال إسلام المؤمن التوبة واستدراك الذنوب الفارطة، فقد ألزمه سبحانه بما أمره ونهاه- مع التمسك بفرائض الأوقات وطاعاتها واجتناب محارمه ومقبحاته- أن يتدرك ماضيه بتوبته لكيلا يموت إلا وهو مقطوع بإسلامه السليم.

ثم هنا خطاب المؤمنين أن يتقوا الله حق تقاته مما يشي بأن التقوى أخص من الإيمان، ومن ثم «إلا وأنتم مسلمون» غاية لتقوى المؤمنين مما يوضع أنه الإسلام بعد الإيمان بوسيط التقوى، فليس هو الإسلام قبل الإيمان ولا مع الإيمان وتقواه، بل هو الإسلام لله خالصاً مخلصاً نتيجة لتقوى الإيمان، إذ فالإسلام الأول وهو الإقرار بذريعة الإيمان والإيمان ذريعة التقوى والتقوى ذريعة للإسلام الثاني فهو ذروة الإيمان والتقوى ونتيجة لهما.

«واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وأذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون» (١).

إن ذلك الإيمان والتقوى والإسلام لا تصح إلا أن تتبني اعتصاماً بحبل الله جميعاً، فبدونه ليست هي عاصمة لحاملها ولا معصومة عن الأخطاء الموجهة إليها، الهاجمة عليها. والحبل حبلان مادي ومعنوي، سمي به لأن المتعلق به ينجو مما يخافه كالمشبث بالحبل إذا وقع في غمرة أو ارتكس في هوة، وكذلك الحبل العهد وثيقاً حيث يُستانس بها من المخاوف، والحبال يستنقذ بها من المتالف، وهذا هو التشابه بينهما.

فكلما كان صاحب الحبل أعلم وأقوى فحبله أعصم وأنجى، فحبل الله ينجي المتمسك

(١). ٣: ١٠٣

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص: ١٦

به من كل عَطْب وهوة ويعصمه عن كل خوفاً.

لقد أمر الله المؤمنين - ككل - أن يتقوا الله حق تقاته ولا يموتن ألا وهم مسلمون، فلا بد - إذًا - من حبل رباني يعتصمون به في حق تقاته، فالتقوى دون حبل هي قد تكون طغوى، فإن الله يحب أن يُعبد كما يحب.

والإعتصام هو طلب العصمة وهي درجات ثلاث، عصمة بشرية دون حبل الله، وعصمة غير المعصومين بحبل الله، وعصمة المعصومين بحبل الله.

فلأن العصمة البشرية بالفطرة والعقلية والفكرة لا تكفي لها هدياً إلى صراط مستقيم، ثم العصمة المطلقة خاصة بالمعصومين، لذلك يؤمر المؤمنون أن يعتصموا بحبل الله جميعاً حتى يحصلوا على عصمة دون الطليقة، فكما المعصومون يُعصمون علمياً بحبل الله، كذلك من دونهم، كلٌّ على قدره. الإعتصام بحبل الله جميعاً يعصم المتعصمين فطرياً وعقلياً وفكرياً، علمياً وعقيدياً وخُلُقياً، سياسياً وحرابياً واقتصادياً وسلطوياً، فهذه العشرة الكاملة من العصمة فردية وجماعية مضمونة للمعتصمين بحبل الله على أقدارهم «وإن ليس للإنسان إلا ما سعى».

وذلك الإعتصام يعتمد على أركان : المعتصم - المعتصم به - المعتصم عنه - المعتصم لأجله. فالمعتصم هم المؤمنون على درجاتهم من أعلى الايمان كما المحمديون عليهم السلام، وإلى أدناه وبينهما متوسطون في الإيمان، حيث الكل مأمورون بتقوى الله حق تقاته، ومن حقها التقوى الجماعية بعد الفردية.

والمعتصم به هو حبل الله، وهو وحي الله الأصيل غير الدخيل.

والمعتصم عنه هو كافة المزالق في الحياة الفردية والجماعية.

والمعتصم لأجله الحصول على كامل مرضات الله في معرفته وطاعته وعبادته.

وعلى هذه الأركان الأربع يتبنى عرش الإيمان الصالح الصامد.

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٧

وللإعتصام بحبل الله شروط ثلاثة هي الإعتصام جميعاً - للمعتصمين جميعاً - بحبل الله جميعاً، فإن «جميعاً» تتعلق بهذه الثلاث جميعاً.

و «حبل الله» على وحدته تعم الحبل الرسولي إلى الحبل الرسالي، وحدة ثنوية وثنوية وحدوية، فإن محمداً هو القرآن والقرآن هو محمد، طالما كان القرآن بنفسه أطول وأدوم وأكمل وأعظم من محمد صلى الله عليه وآله فهما وحدة متماسكة متجاوبة في كافة الحقول دونما أي أفول إلاً شخص الرسول

صلى الله عليه وآله ولكن سنته باقية كما القرآن، مهما لم تتبين إلا بالقرآن كما القرآن يتبين بها تفسيراً باطنياً وتأويلاً.

وكما المعصوم بالروح القدسي والعصمة الربانية يُعْتَصَم علمياً بالقرآن، كذلك سائر المعتصمين بالقرآن يُعْتَصَمون به على درجاتهم في العصمة البشرية وفرقان من الله «ان تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً».

فلأن القرآن هو طليق النور من نور السماوات والارض، فالاستنارة به للمعتصمين به تعصمهم على أقدار أنوارهم البهية المرضية.

ليس القرآن كتاب العلوم الرسمية التي تفتح أبوابها لكل شارذ ومارد، إنما «أنزل بعلم الله» فلا تفتح ابوابه المعنية في عناية الله إلا لأهل الله.

وخير المخارج عن المضايق هي مخارج الآيات و «من يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب .. قد جعل الله لكل شيء قدراً» (١).

فإتقان اللغة والأدب وإتقان التدبر والتفكير في استفسار الآيات بعضها ببعض، إن ذلك كله راحلة لسفر القرآن والزاد هو التقوى التي بها توصل إلى مرادات الله جل وعلا.

ثم وجميعاً في جمعية الإعتصام نفسه تعني جميع الطاقات والإمكانات التي تصلح لذلك الإعتصام حيث تُصلحها.

فعلى كل مؤمن بالرسالة الإسلامية تجميع كل طاقاته في مهام أوقاته وأحسنها وأنضرها وأنظرها، تكريساً لها كلها للإعتصام بحبل الله، تقديماً له على سائر الحبال وكما

(١). ٦٥ : ٢

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٨

قال : «وان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله».

ذلك والى تدبر واسع حول آية الاعتصام بحول الله الملك العلام.

ولنعرف «حبل الله» جيداً جاداً لكي نتمكن من الإعتصام به جميعاً ولا نتفرق عنه أو فيه ؟ «حبل

الله» لا تحمله إلا هذه الآية اليتيمة، اللهم إلا «بحبل من الله وحبل من الناس» (١)

وقد تعني «حبل من الله» حبل الله هنا مهما اختلفا محتداً في شريعتي القرآن والتوراة.

فقد ينجيل إلى البسطاء انه غير مفسر في القرآن، والقرآن هو ككل جبل الله، إذ لا وسيط - منذ بزوع الاسلام حتى القيامة الكبرى- بين الله وبين المرسل اليهم إلا القرآن كأصل ثابت لا عوج له ولا جول عنه ولا أفول لشمسه، ومن ثم الرسول وذووه المعصومون عليهم السلام تفسيراً له وتأويلاً، وجبل القرآن أتم وأدوم وأكمل وأعظم، والجبل الظاهر الدائم هو المحور الأصيل لواجب الإعتصام على مدار زمن التكليف، كما أنه الجبل للرسول والائمة من آل الرسول عليهم السلام.

فهو الصراط المستقيم والنور المبين وحجة الله على الخلق اجمعين والشهيد لرب العالمين، فمواصفات القرآن في نفسه بأسماءه وفي آيات منه تؤكد لنا أنه جبل الله المتين وسببه الأمين لا يعوج فيقام ولا يزيغ فيستعجب، وكما يروى عن ثاني الحبلين رسول القرآن صلى الله عليه وآله قوله: «كتاب الله هو جبل الله الممدود من السماء الى الارض» «٢» و «ان هذا القرآن سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به فانكم لن تضلوا ولن تضلوا بعده أبداً» «٣» و «إني تارك فيكم كتاب الله هو جبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على الضلالة». «٤»

(١)

١١٢ : ٣٠.

((٢)). الدر المنثور ٢ : ٦٠ - اخرج ابن أبي شيبة وابن جرير عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ..

((٣)). المصدر اخرج ابن أبي شيبة عن أبي شريح الخزاعي قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

...

وفي معاني الأخبار عن السجاد عليه السلام في حديث : وجبل الله هو القرآن ((٤)). المصدر اخرج ابن أبي شيبة والطبراني عن زيد بن ارقم قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله و آله فقال : ابي ..

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٩

ذلك جبل الله الاصيل، ومن ثم الرسول البديل الدليل على الله الجليل، ثم الذين يحملون ذلك الروح الرسالي المعصوم، الذين يقال عنهم : «اولنا محمد- اوسطنا محمد- آخرنا محمد وكلنا محمد

اللّه صلى الله عليه وآله إني فرط لكم وانكم اردون علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين
قيل وما الثقلان يا رسول الله صلى الله عليه وآله قال : الأكبر كتاب الله عز وجل سبب طرفه بيد
الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به ولا تضلوا والأصغر عترتي وانهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض
وسألت لهما ذاك ربي فلا تقدموهما لتهلكوا ولا تعلموهما فانهما اعلم منكم، وفيه مثله أخرجه ابن
سعد وأحمد والطبراني عن أبي سعيد الخدري عنه صلى الله عليه وآله.

وفي جامع احاديث الشيعة لاستاذنا الأقدم الا علم المغفور له آية الله العظمى السيد البروجردي نقلًا
عن العقبات انه روى حديث الثقلين نفر كبير من الصحابة ثم ذكر اسماء كل واحد منهم من المائة
الأولي إلى الثالثة عشر، في كل مائة نحواً من عشرين الى ثلاثين رجلاً من كبار أخبار الحديث واليكم
نماذج من اسمائهم : منهم علي بن أبي طالب عليه السلام اخرجه عنه خمسة من الأعاضم مثل الطبري
والسيوطي، ومهم الحسن بن علي عليهما السلام وسلمان وأبو ذر رواه عنهم ثمانية، ومنهم ابن
عباس وأبو سعيد الخدري رواه عنهما تسعة وأربعون رجلاً، ومنهم جابر بن عبدالله الأنصاري رواه
عنه ثلاثون رجلاً، ومنهم ابو الهيثم بن التيهان رواه عنه خمسة وأبو رافع مولى رسول الله صلى الله
عليه وآله وحذيفة بن اليمان وحذيفة بن السيد اخرجه عنه إحدى وعشرون رجلاً وخزيمة بن ثابت
ذو الشهادتين روى عنه خمسة وزيد بن ثابت روى عنه ستة وعشرون رجلاً، وأبو هريرة روى عنه ستة
وعبدالله بن حنظب ثلاثة، وجبير بن مطعم ثلاثة، وبراء بن عازب وانس بن مالك وطلحة بن
عبيدالله التميمي وعبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعمرو بن العاص وسهل بن سعد
الأنصاري خمسة، وعدي بن حاتم وعقبة بن عامر وأبو ايوب الأنصاري وأبو شريح الخزاعي وابو
قدامة الأنصاري وضميرة الاسلمي، روى حديثهم الاجله والاكابر من اخبار الحديث من اخواننا
السنة وعامر بن ليلي بن حمزة تسعة، ومن هؤلاء الرواة صحابيات مثل الصديقة الطاهرة سلام الله
عليها وام سلمة رواه عنهما ستة وام هاني اخت الامام علي عليه السلام رواه عنها اربعة.

اقول : وقد ذكر المرجع الديني السيد شهاب الدين المرعشي النجفي في سفره العظيم «ملحقات
احقاق الحق» أسماء ممن اخرج عن هؤلاء في ج ٩ ص ٣٠٩ - ٢٧٦ ونختصرهم كالتالي :

١ - حديث ابو سعيد الخدري : روى عنه جماعة منهم ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢ : ١٩٤)
واحمد بن حنبل في المناقب والطبراني في المعجم الصغير (٧٢) والمعجم الكبير (١٢٧) وابن المغازلي في
المناقب والنيسابوري في الرسالة القوامية في مناقب الصحابة (مخطوط) وموفق بن احمد في مقتل

الحسين (١٠٤) ومحب الدين الطبري في ذخائر العقبى (١٥) والحموي في فرائد السمطين (المخطوط) والزرندي في نظم درر السمطين (٢٣٢) والمهتمي في مجمع الزوائد (٩ : ١٦٢) والسيوطي في احياء الميت المطبوع بهامش الاتحاف (١١١) وفي الدر المنثور - كما نقلناه - والمتقي الهندي في كنز العمال (١ : ٣٤٢) والعسقلاني في المواهب اللدنية (٧ : ٧) والبدخشي في مفتاح النجا (المخطوط) ومحمد الصبان في اسعاف الراغبين المطبوع بهامش نور الأبصار (١٢٢) والقندوزي في ينابيع المودة (٢١) وزيني دحلان في السيرة النبوية المطبوع بهامش السيرة الحلبية (٣ : ٢٢٠) والنقشبندى في راموز الأحاديث (١٤٤) والأمرتسرى في ارجح المطالب (٢٢٦) والنبهاني في الأنوار الحمدي (٤٢٥).

٢- حديث زيد بن ارقم رواه عنه جماعة منهم الدارمي في سننه (٢ : ٤٣١) ومسلم في صحيحه (٧ : ١٢٢) والبيهقي في الاعتقاد (١٦٤) والترمذي في صحيحه (١٣ : ٢٠٠) والنيشابورى في مستدركه (٣ : ١٤٨) واحمد بن حنبل في مناقبه (مخطوط) والطبراني في المعجم الكبير (١٢٧) والبيهقي في السنن الكبرى (١٠ : ١١٢) وابن المغازلي في مناقبه (مخطوط) والاندلسي في الجمع بين الصحيحين (المخطوط) والبغوي في مصابيح السنة (٢٠٥) والصغاني في مشارق الأنوار والجزري في جامع الأصول (١ : ١٨٧) وابن الأثير في اسد الغابة (٢ : ١٢) ومحب الدين الطبري في ذخائر العقبى (١٥) وابن حبان بن المقتيس في احوال الاندلس (١٦٧) والحموي في فرائد السمطين (المخطوط) وابن مسعود الشافعي في المنتقى في سيرة المصطفى (١٩٨) والخازن في تفسيره (١ : ٤) وابن تيمية في منهاج السنة (٤ : ١٠٤) والسيد خواجه الهندي : درر في علم الكتاب (٢٥٤) والزرزى في نظم درر السمطين (٢٣١) والذهبي في تلخيص المستدرک (٣ : ١٤٨) وعبدالقادر في منتخب تاريخ ابن عساکر (٥ : ٤٢٦) والأزدي في تفسير التبيان (١٧٧) وابن كثير في تفسيره المطبوع بهامش فتح البيان (٩ : ١١٤) والخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح (٥٦٨) والميدي في شرح ديوان امير المؤمنين (١٨٨) المخطوط) والسيوطي في احياء الميت المطبوع بهامش الاتحاف (١١٠) وفي الخصائص الكبرى (٢ : ٢٦٦) والدر المنثور (٢ : ٦٠) والجامع الصغير (١١٢) والأكلیل (١٩٠) ومحمد بن طولون في الشذورات الذهبية (٦٦) والكركي في نفحات اللاهوت (٥٥) وابن حجر في الصواعق المحرقة (٢٢٦) والشيباني في تيسير الوصول (١ : ١٦) والمتقي الهندي في كنز العمال (١ : ١٥٢) وفي منتخب كنز العمال المطبوع بهامش المسند (٥ : ٩٥) والشيخ سعدي الأبى الشافعي في ارجوزته (٢٠٧) والمفسر البغوى في معالم التنزيل (٥ : ١٠١) والكشفي في المناقب المرتضوية (٩٧) والشيخ منصور بن

علي المصري في التاج الجامع للأصول (٢ : ٣٠٨) وابن حمزة الحنفي في البيات والتعريف (١ : ١٦٤) والبدخشي في مفتاح النجا (٨) والنبلسي في ذخائر المواريث (١ : ٢١٥) والشبراوي المصري في الاتحاف بحب الأشراف (٦) وشاه ولي الله الحنفي في ازالة الخفاء (٢ : ٤٤٥) والصبان في اسعاف الراغبين المطبوع بهامش نور الأبصار (١٢١) والسهودي المصري في جواهر العقدين على ما في ينابيع المودة (٢٦) والبلخي في ينابيع المودة (٣٠ و ٢٥ و ١٩١) والقُدوسي الحنفي في سنن الهدى (٥٦٥) والدهلوي في تجهيز الجيش (المخطوط ١٤١ و ٣٠٤) وزيني دحلان الشافعي في السيرة النبوية المطبوع بهامش السيرة الحلبية (٣ : ٢٢٠) والبهبولي في حسن الأسوة (٢٩٢) والإدرسي في رفع اللبس والشبهات (٥٢) والنبهاني في الفتح الكبير (١ : ٢٥٢) وفي الأنوار الحمديدية (٤٢٥) وفي الشرف المؤبد (١٧) وفي جواهر البحار في فضائل النبي المختار (١ : ٢٦١) والحضرمي في رشفة الصادي (٧٠) والحداد في القول الفصل (٤٦٢) والأمرتسري في ارجح الطالب (٢٢٥) والقلمندر في الروض الأزهر (٢٥٨) والفهري القاسي في رياض الجنة (١ : ٢) والتونسي في السيف اليماني (١٠).

٣- حديث حذيفة- ذكر ثمانية من المؤلفين أخرج عنه.

٤- حديث زيد بن ثابت- عن عشرة منهم.

٥- حديث جابر عن عشرين منهم.

٦- حديث علي عليه السلام عن سبعة منهم.

٧- حديث فاطمة عليها السلام ومن اخرجه عنها القندوزي في ينابيع المودة (٤٠).

٨- حديث ابن عباس ومن اخرجه عنه ابن المغازلي في المناقب (١٥) والقندوزي في ينابيع المودة.

٩- حديث الحسن بن علي عليهما السلام ومن اخرجه عنه القندوزي في ينابيع المودة (٢٠).

١٠- حديث انس، اخرجه عنه في الينابيع (١٩١).

١١- حديث ابو رافع ومن اخرجه عنه الامرتسري في ارجح الطالب (٢٢٧).

١٢- حديث ابن أبي الدنيا، ومن اخرجه عنه ابن المغازلي في مناقب امير المؤمنين عليه السلام.

١٣- حديث جبير بن مطعم ومن اخرجه عنه القندوزي في الينابيع (٣١ و ٢٤٦).

١٤- حديث عبدالله بن حنطب ومن اخرجه عنه ابن الأثير في اسد الغابة (٣ : ١٤٧) والسيوطي في

إجماع الميت وابن أبي بكر في مجمع الزوائد (٥ : ١٩٥).

١٥- حديث حمزة الأسلمي وممن اخرج عنه القندوزي في ينايعة (٢٨) والامرتسري في ارجح المطالب (٥٦٢).

١٦- حديث عبد بن حميد وممن اخرج عنه القندوزي.

١٧- حديث ابي ذر وممن اخرج عنه الامرتسري في ارجح المطالب (٢٢٧).

١٨- حديث ابي هريرة وممن اخرج عنه علي بن ابي بكر في مجمع الزوائد (٩ : ١٦٢) والسيوطي في احياء الميت المطبوع بهامش الاتحاف (١٢٢) والقندوزي في يناييع المودة (٢٩) والامرتسري في ارجح المطالب (٢٢٧).

١٩- حديث ام هاني وممن اخرج عنها القندوزي في يناييع (٤٠) والامرتسري في الأرجح (٢٢٧).

٢٠- حديث ام سلمة وممن اخرج عنه الامرتسري في الأرجح (٢٢٨).

٢١- حديث محمد بن فلاد ... (٢٤١).

والى عشرات ممن اخرجوه عن اصحاب الرسول صلى الله عليه وآله بمختلف الألفاظ والمذكور في الجميع الثقلين كتاب الله وعترتي، وفي أكثرها أحدهما أكبر أو أطول أو أعظم أو أتم وهو كتاب الله.

ومما اخرجوه في تفسير حبل الله بالعترة ما ذكره الثعلبي كما في العمدة لأبن بطريق (١٥٠) بسند متصل عن جعفر بن محمد عليهما السلام قال : نحن حبل الله الذي قال الله تعالى : «واعتصموا بحبل الله».

واخرج مثله الهيثمي في الصواعق المحرقة (١٤٩) والحضرمي في رشفة الصادي (١٥) والثعالبي وقال الإمام الشافعي :

ولما رأيت الناس قد ذهب بهم	مذاهبهم في اجر الغي والجهل
ركبت على اسم الله في سفن النجا	وهم اهل بيت المصطفى خاتم الرسل
وامسكت حبل الله وهو ولاءهم	كما قد امرنا بالتمسك بالحبل

وقد يروى ان الخليفة عمر سأل الرسول صلى الله عليه وآله بعد ما يقول كتاب الله وعترتي - أما كتاب الله فقد عرفناه فمن عترتك يا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : عترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض. « ١ »

ولا ريب أن أهل بيته هم المعنيون معه في آية التطهير والمباهلة وأولي الأمر وأشباهاها، فهم الأئمة الإثني عشر المعصومون والصديقة الطاهرة سلام الله عليهم أجمعين.

وعدم افتراقهم عن كتاب الله يعني أنهم ليسوا حجة مضادة مفترقة عن كتاب الله فإنهم صادرون عنه، فما يروى عنهم من خلاف للكتاب نصاً أو ظاهراً مستقراً ليس ليصدق عليهم.

وعدم افتراق كتاب الله عنهم عام في تأويله، خاص في تفسيره، فانهم معلموا الكتاب بعد الله ورسوله.

والثقل الأصغر حسب ما يروى عن والدهم الأكبر علي أمير المؤمنين عليه السلام «هم الدعاة وهم النجاة، وهم أركان الأرض، وهم النجوم بهم يستضاء، من شجرة طاب فرعها وزيتونة طاب أصلها، نبتت من حرم وسقيت من كرم، من خير مستقر إلى خير مستودع،

(١). رواه عنه ابن بابويه في كتاب النصوص على الأئمة الاثني عشر

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٣

من مبارك إلى مبارك، صفت من الأقدار والأدناس، ومن قبيح ما يأتيه شرار الناس، لها فروع لا تُنال، حصرت عن صفاتها الألسن، وقصرت عن بلوغها الأعناق، وهم الدعاة وهم النجاة، وبالناس إليهم الحاجة، فأخلفوا رسول الله صلى الله عليه وآله فيهم بأحسن الخلافة فقد أخبركم أيها الثقلان أنهما لن يفترقا هم والقرآن حتى يردا علي الحوض فالزموهم تهتدوا وترشدوا ولا تفرقوا عنهم ولا تتركوهم ففرقوا أو تمرقوا». « ١ »

وإذا كان الثقل الأصغر هكذا فالأكبر - اذاً - أنبل وأعلى، والرسول صلى الله عليه وآله هو رأس الزاوية في الثقل الأصغر وهم خليفته في تعليم الثقل الأكبر وتطبيقه.

ولأن الإعتصام لا بد وان يكون بمعتصم حاضر على مدار الزمن فهو القرآن أولاً وأخيراً وليس الثقل الأصغر له دور إلا دور البيان المعصوم والتطبيق المعصوم، ولا سبيل للوصول اليهم بعدما قضوا نحبهم إلا أحاديثهم المروية عنهم، ولا سبيل للتأكد من صدورها عنهم إلا موافقتها للثقل الأكبر.

ثم الإعتصام- وهو طلب العصمة- بحبل الله طليق في كافة الحقول الحيوية الإيمانية والتقوى، والإسلامية فردية وجماعية، فطرية- عقلية- فكرية- ثقافية- عقيدية- خُلُقِيَّة- عملية- سياسية- حربية واقتصادية.

فلا تكفي العقلية الإنسانية أن تعصم الإنسان حتى في نفسها فضلاً عن سائر الحقول العشرة العشرة للإنسان في حياته الفردية والجماعية.

(١). شرف النبي لأبي اليقظان ابي الحسن الكازروني ص ٢٢٨ قال : بلغنا عن امير المؤمنين عليه السلام في وصية للمسلمين الذين حضروا حين ثقل من الضربه ومن جملة ما قال : وفيكم من تخلف من بينكم صلى الله عليه وآله ما تمسكتم به لن تضلوا، هم الدعاة ...
ومن ملحقات احقاق الحق (١٤ : ٥٢١ - ٥٢٢) عن الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل (١ : ١٢٠) بسند متصل عن علي عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من احب ان يركب سفينة النجاة ويستمسك بالعروة الوثقى ويعتصم بحبل الله المتين فليوال علياً ولياً ثم بالهداة من ولده. وفي لفظ آخر روى عن جعفر بن محمد عليهما السلام قال : نحن حبل الله قال الله : «واعتصموا بحبل الله جميعاً...» فالمستمسك بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام المستمسك بالبر فمن تمسك به كان مؤمناً ومن تركه كان خاجاً عن الايمان.

وروى عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي جبرئيل : قال الله تعالى : ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي
التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٤

والعصمة الطليقة لا تحصل إلا بعصمة المعصوم بالحبل المعصوم، ثم دونها بعصمة معصومة بالشورى مع تفكير صالح وتطبيق صالح لمرادات الله تعالى.

فلا عصمة في مثلث الإيمان التقوى الإسلام إلّا بالإعتصام بحبل الله، وليس فحسب اعتصاماً شخصياً، أن يتقَّع كلُّ في زاويته الخاصة في اعتصامه بالقرآن، بل «جميعاً» في كل حقوله فإن «أمرهم شورى بينهم».

صحيح أن حبل الله- في بُعديه- معصوم، والإعتصام بالمعصوم عاصم، ولكن الأخطاء العارضة في ذلك الإعتصام لا تجبر في الأكثر إلا بشورى الإعتصام، فهناك العصمة الكاملة الكافلة لحياة

إسلامية سامية، اللهم إلا أخطاء قليلة لا محيد عنها للمعتصمين غير المعصومين، مهما جبرت الشورى الصالحة فيه قسماً عظيماً من تلکم الأخطاء.

وذلك دواء لأواء الفتن المقبلة علينا وكما في خطبة للرسول صلى الله عليه وآله «إذا أقبلت عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فإنه حبل الله المتين وسببه الأمين لا يعوج فيقام ولا يزيغ فيستتب» «واعتصموا .. ولا تفرقوا» في ثالثه المنحوس : تفرقاً عن حبل الله، تفرقاً فيه، وتفرقاً فيما بينكم في ذلك الاعتصام عن حبل الله أو فيه.

فالمتفرقون عن كتاب الله إلى روايات أو نظرات أو اجماعات وشهرات، أو قياسات واستحسانات أو استصلاحات أمآذا من مصادر، هم متفرقون عن شرعة الله المتمثلة ككل في حبل الله.

كما المتفرقون عن الحبل الثاني زعماً منهم أنه حسينا كتاب الله- والسنة المباركة لزامه تبييناً وتفسيراً وتأويلاً- هم- كذلك- متفرقون عن شرعة الله.

فلاعتصام الوجودي بالحبلين هو العاصم، فترك أحد الحبلين إلى الآخر تفرق عنهما جميعاً فانهما لا يتفرقان و «حسنا كتاب الله» هي كلمة حق أريد بها الباطل، حق كما قال الله «أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم» (١)

وباطل حين يراد بها تنحية

(١). ٢٩ : ٥١

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج٤، ص : ٢٥

السنة الرسالية عن الكتاب، حيث الكتاب الذي هو حسينا يامرنا باتباع الرسول، فالتارك لسنة الرسول صلى الله عليه وآله الآخذ بكتاب الله، كما التارك له الآخذ بسنة الرسول صلى الله عليه وآله هما من المقتسمين «الذين جعلوا القرآن عضين» بفارق أن الآخذ بالسنة أضل سبيلاً فإنها لا تُعرف إلا بكتاب الله، مهما لم يعرف تأويل الكتاب إلأ بالسنة.

فالذي يصدق بالمتن، هو- بطبيعة الحال- يصدق بالهامش الذي كتبه الماتن نفسه، وليست السنة الإسلامية إلأ هامشاً بيانياً من الماتن نفسه.

وإن اختلاف الهوامش عن المتون في الكتابات غير الآلهية، هو قضية اختلاف الماتن والمحشي في النظرات العلمية، وأما متن الوحي وهامشه فلا فرق بينهما إلأ جملة وتفصيلاً.

لذلك ليست السنة لتخالف الكتاب أو تنسخه، كما التبصرة القانونية لا تنسخ القانون، وإنما تشرحه وتوضّحه، مهما كان من غير المقنن، فضلاً عن السنة الإسلامية التي هي عبارة ثانية شارحة للمقنن!.
ذلك وكما المتفرقون عن حبل الله اعتصاماً لطائفة وتركاً له لأخرى، والمتفرقون في حبل الله بشطحات الآراء في تفاسير شاردة ماردة، والمتفرقون فيما بينهم في مادة الإعتصام وكمه وكيفه، كل أولئك شرع سواء في تركهم الإعتصام بحبل الله جميعاً دون طليق التفرق عنه وفيه وبين، مهما اختلفت دركاته.

فكما الله واحد في كافة شئون الربوبية وكل تفرق بشأنه مارد عن توحيده، كذلك كتابه الكريم واحد في كافة الشئون التربوية، فكل إلحاد فيه أو إشراك به أو تفرق فيه أو عنه، كل ذلك مارد شارداً.
فالذلة هي لزام المتفرقين في حقل ذلك الحبل «إلا بحبل من الله وحبل من الناس» فربانية الإعتصام هي التمسك الصالح بكتاب الله، ثم «وحبل من الناس» هو ذو بعدين :
الثقل الاصغر «١» وهم الناس المعلمون لكتاب الله، والكتلة المؤمنة ككل وهم الناس

(١). تفسير البرهان ١ : ٢٠٥ محمد بن ابراهيم النعماني المعروف بابن زينب بسند متصل عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال وفد على رسول الله صلى الله عليه وآله اهل اليمن فقال النبي صلى الله عليه وآله جاءكم اهل اليمن ببسوس بيسيئاً فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وآله قال قوم رقيقة لهم راسخ ايمانهم منهم المنصور يخرج في سبعين ألفاً ينصر خلفي وخلف وصيبي حمائل سيوفهم المسك فقالوا يا رسول الله صلى الله عليه وآله ومن وصيك؟ فقال : هو الذي امركم الله بالاعتصام به فقال عز وجل «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا» فقالوا يا رسول الله صلى الله عليه وآله بين لنا ما هذا الحبل؟ فقال هو قول الله «الا بحبل من الله وحبل من الناس» فالحبل من الله كتابه والحبل من الناس وصيبي فقالوا يا رسول الله صلى الله عليه وآله ومن وصيك؟ فقال : هو الذي انزل الله فيه : «ان تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله» فقالوا يا رسول الله وما جنب الله هذا؟ فقال : هو الذي يقول الله فيه «ويوم يعرض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً» هو وصيبي والسبيل إلي من بعدي ..

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٦

المتعلمون من الحبلين بجمعية المحاولات والشورآت في ذلك الإعتصام.

فالعصمة الاسلامية عن كل بأس وبؤس فردي وجاهيري مكفولة على ضوء الاعتصام بجبل الله جميعاً دون تفرق، حيث الحبل في بعده معصوم، وجمعية الاعتصام بجبل الله عاصمة، مهما لم تبلغ هذه العصمة مبلغ العصمة المطلقة للمعصومين ولكنها تبلغ إلى أشرافها حيث تقل الأخطاء في ذلك الاعتصام المشرف.

ذلك «واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً» و «نعمد الله» هنا الوحيدة غير الوهيدة هي الوحدة الإيمانية بألفة القلوب، فقد تألف العقول والعلوم، والقلوب شتى، والنص القرآني هنا يعمد إلى مكنن المشاعر- الأصيل- وهو القلب، تصويراً للقلوب كحزمة مؤلفة متألفة.

فقد كانوا أعداءً متناحرين لا يأمنون لحياة فألف الله بين قلوبهم بنعمة الوحدة الإيمانية المترابطة «هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين. وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم» «١».

وعامل التأليف بين قلوبهم بالله هو جبل الله : قرآن محمد ومحمد القرآن، فإنهما يؤلفان بالله بين القلوب الداعية لذكر الله، الداعية إلى الله، «فأصبحتم بنعمته إخواناً» في الله، تاركين كافة المفارقات والمنازعات. «٢»

(١). ٨ : ٦٣

(٢). المصدر في كتاب كمال الدين وتمام النعمة بسند متصل عن علي عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وأمه أمنا الهداة أم غيرنا؟ قال : بل منا الهداة الى الله إلى يوم القيامة، بنا استنقذهم الله عز وجل من ضلالة الشرك، وبنا استنقذهم الله من ضلالة الفتنة، وبنا يصبحون إخواناً بعد ضلالة الفتنة كما بنا أصبحوا إخواناً بعد ضلالة الشرك وبنا يجتم الله كما بنا يفتح الله

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٧

فكل وحدة وهيدة زهيدة إلا ما كانت بين القلوب في اعتصام جماهيري بجبل الله، فلا تنقسم بأي فاصم، ولا تنقسم او تنقسم بأي قاصم او قاسم.

«واذكروا .. إذ كنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ..» وشفا حفرة هو أشرافها، فإن شفى الشيء حرفه وطرفه المائل إليه وقد كانوا على شفا حفر النيران، في جهالات وشهوات ولهوات وكل

رذالات الحياة، فليست هذه النار- إذأ- نار الدنيا، بل هي الأخرى «١»، فشفهاها هي الحياة الدنيا الكافرة، و «حفرة من النار» هي النار البرزخية ومن وراءها الأخرى، وليس بين شفاها وحفرتها إلا فاصل الموت، وقد شبه هنا المشفي- بسوء عمله- على دخول النار، بالمشفي- لزللة قدمه- على الوقوع في النار، استعارة لطيفة ما الطفها : «أفمن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم» «٢»

وضمير التأنيث في «منها» راجع إلى ثالث : شفا- حفرة- من النار- إذ نجّاهم الله منها كلها، أو أن «حفرة من النار» نعم النارين، فالأولى هي العقبات السوء إلى الأسوء فالأسوء، حيث المجتمع المبني على شتات القلوب والأهواء ليس- على أية حال- إلا في نار هي شفا حفرة من نار هي أحرر وأشجى، حتى يسقطوا في هوات النار الأخرى.

فالحياة اللإيمانية، بل والإيمانية غير المعتمصة جميعاً بحبل الله، إنها حياة رذيلة على أشراف سقطات في حفر النيران، اللهم إلا اعتصاماً بحبل الله جميعاً «بحبل من الله وحبل من الناس» و «كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون».

«فيا لها نعمة ما اعظمها إن يخرجوا منها إلى غيرها ويا لها من مصيبة إن لم يؤمنوا بها فيرغبوا عنها» «٣»، ولقد أنقذنا الله تعالى من نار الدنيا والآخرة بحبله المتين القرآن المبين والرسول الأمين، ولعمر محمد صلى الله عليه وآله لم تنزل «محمد» في لفظ التنزيل «٤» مهما كان وارداً في

(١). نور الثقلين ١ : ٢٧٩ في كتاب ثواب الأعمال عن رجل عن ابي عبدالله عليه السلام قال قال امير المؤمنين عليه السلام : أصبح عدونا على شفا حفرة من النار قد انهارت به نار جهنم فتعسأ لأهل النار مشواهم

(٢). ٩ : ١٠٩

(٣). المصدر عن كشف المهجة لأبن طاوس عن امير المؤمنين عليه السلام حديث طويل يقول فيه : وأما الآية التي عم بها العرب فيها قوله : واذكروا نعمة الله عليكم ... فيا لها ..

(٤). المصدر في روضة الكافي بسند متصل عن ابي عبدالله عليه السلام في الآية ... فانقذكم منها محمد هكذا والله نزل بهاجريئيل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وآله!

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج٤، ص : ٢٨

واقع التأويل.

فحياة التكليف غير المعتصمة بجبل الله جميعاً هي «شفا حفرة من النار» و «شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم» في شطري البرزخ والقيامة.

قول فصل حول حديث الثقلين :

أولية الثقل الأكبر وكونه أفضل وأكبر وأعظم من الثقل الأصغر هي في الكيان، وأطوليته في الزمان، والأخيرة باهرة حيث لا أقول للقرآن والثقل الأصغر ميتون ف «إنك ميت وإنهم ميتون». وأما التفاضل في الكيان فقد يُعنى منه معنيان :

١- محمد صلى الله عليه وآله وهو رأس الزاوية في الثقل الأصغر، هو قبل هذه العصمة الإلهية عَصِمَ بعصمة بشرية، مزودة بهدي رباني من روح القدس، ثم عصم بعصمة ربانية قمة متصلة بقلبه ومنفصلة بجامل الوحي، ومن ثم بعصمة وحي القرآن والسنة، ووحى القرآن دون ريب هو أثقل من كل العَصَم التي تزود بها فإنها كمقدمات وتهيآت والعصمة القرآنية هي الغاية القصوى. إذاً فالقرآن هو الثقل الأكبر ومحمد صلى الله عليه وآله الأصغر، طالما الرسول صلى الله عليه وآله بما حوى قلبه القرآن بكل حلقاته وحقوقه، هو أكبر من احد الثقلين، إلّا أن حديث الثقلين يعني المقارنة بين الكيانين.

٢- ان العصمة الإلهية هي أثقل من العصمة البشرية في كل دور من أدوارها، فضلاً عن مثلثها، فهي- إذأ- أكبر منها على أية حال، ومهما كان مجمع الثقلين أفضل من كل منهما ولكن الثقل الأكبر لا ريب أنه أطول وأدوم.

فلا ملجأ زمن غيبة الثقل الأصغر إلّا الثقل الأكبر، ثم الأصغر يعرف بموافقة الأكبر، «وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض».

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج٤، ص : ٢٩

فالأصغر لن يفترق عن الأكبر فإن عصمته العلمية ليست إلا بالأكبر، وبلاغه الرسالي ليس- في الأصل- إلا عن الأكبر، وسناده في كل قليل وجليل ليس إلا إلى الأكبر، وهو يعيش الثقل الأكبر في النشآت الثلاث.

والأكبر لن يفترق عن الأصغر حيث يأمر بالرجوع إلى الأصغر «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم» وإنه لا يعرف تأويلات وما أخذ أحكامه إلا الأصغر، ولا يحكم به عاصماً معصوماً إلا الأصغر، ولا ينذر به ويذكر كأكمل ما يرام إلا الأصغر.

فليس يعني عدم افتراق الأكبر عن الأصغر أنه - ككل - لا يفهم إلا بتفسير الأصغر، لانه بيان للناس، فإنما الأليق لتبينه وتطبيقه والحكم به، واللائق لتأويله هو الأصغر، وحين لا يكون الثقل الأصغر ثقلاً لو افترق عن الأكبر فماذا تكون أحوال سائر الأمة المفترقة عن الثقل الأكبر.

إن افتراق الحوزات الإسلامية عن الثقل الأكبر ملموس محسوس ككل، ثم المدعوون اتصاهم بالثقل الأصغر خاؤون فإنه لا يعرف إلا بالعرض على الأكبر، إذا فهم تاركوا الحبلين، حبل من الله : القرآن، وحبل من الناس هم أهل بيت القرآن.

و «ما ان تمسكنم بهما لن تضلوا أبداً» تحكم بضلالنا إذ تركنا التمسك بهما إلى مستمسكات أخرى هي ويلات على الأمة الإسلامية السامية.

و «لن يفترقا» ليست لتعني افتراقاً في السلطة الروحية الزمنية حيث ينتقض بزمن الغيبة، إنما هو افتراق وحي الكتاب عن وحي السنة، فالسنة لا تفترق عن الكتاب فإنها الوحي الفرع الهامش المفسر والمأول للوحي الأصل، وهي مستفادة من القرآن، فلا تنسخه أو تحالفه.

والكتاب لا يفترق عن السنة لأنه الذي يأمر باتباع السنة، وأن الرسول صلى الله عليه وآله هو المذكّر بالقرآن «فذكر بالقرآن من يخاف وعيد».

لقد كان الرسول صلى الله عليه وآله صاحب الحبلين، فخلف عن الأصغر - وهو نفسه - عترته، وخلف عن الأكبر وهو القرآن نفسه، إذ لا بديل عنه، وإنما البديل في غير الأصيل الذي

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٣٠

يعرضه الموت، دون القرآن الذي يجري كجري الشمس.

وإن الذلة مضروبة على كل أمة رسالية «إلا بحبل من الله وحبل من الناس» فالحبل الأوّل هو الحبل الرسالي الذي يحمله وحي الله، والثاني هو الرسولي الذي يحمله رسول الله صلى الله عليه وآله ومن ثم عترته، ثم المؤمنون بالرسالة حيث كان «أمرهم شورى بينهم».

فلا حياة صالحة إيمانية إلا بالاعتصام بالحبلين الربانيين، ونحن تركناهما إلى حبال متفرقة متشتتة!

فالإعتصام بغير المعصوم مأثوم، والإعتصام بالمعصوم بقسمة العُضين مأثوم، والإعتصام بأحد الثقلين دون الآخر مأثوم، والإعتصام بالثقلين دون جمعية فيه وفي الجماعة المسلمة كما في جمعية حبل الله، مأثوم، فإنما الإعتصام العاصم المعصوم هو الإعتصام بحبل الله جميعاً دون أي تفرق عنه أو فيه أو بين المعتصمين، فإن حبل الله يجمع المعتصمين به ولا يفرق، إذا اعتصموا به كما يحق، تحريماً عن مرادات الله، دون تحميل ولا تدجيل.

لقد روى حديث الثقلين عن الرسول صلى الله عليه وآله في ستة مواضع : يوم عرفه على ناقته القصوى وفي مسجد خيف وفي خطبة يوم الغدير في حجة الوداع ويوم قبض في خطبته على المنبر وفي بيته عند وفاته، وعند رجوعه عن سفر له، ويا لها من مواضع هامة عامة تضم الغفير من المسلمين!. « ١ »

(١). كما في المناقب في كتاب سليم بن قيس قال علي عليه السلام ان الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوم عرفه على ناقته القصوى وفي مسجد خيف وفي خطبة يوم الغدير ويوم قبض في خطبته على المنبر ايها الناس اني تركت فيكم الثقلين ان تضلوا ما تمسكتم بهما الأكبر منهما كتاب الله والأصغر عترتي اهل بيتي وان اللطيف الخبير عهد الي انهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض كهاتين وأشار بالسبابتين ... وفي ملحقات احقاق ٢٥٤ ومن الفاظ الثقلين، رواه زيد بن ارقم قال : اقبل رسول الله صلى الله عليه وآله يوم حجة الوداع فقال : اني فرطكم على الحوض وانكم تبعي وانكم توشكون ان تردوا علي الحوض فأسألکم عن ثقلتي كيف خلفتموني فيها فقام رجل من المهاجرين فقال : ما الثقلان؟ قال : الأكبر منهما كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به، والأصغر عترتي فمن استقبل قبلي واجاب دعوتي فليستوص لهم خيراً او كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله «فلا تقتلوهم ولا تقهروهم ولا تقصروا عنهم واني سألت لهم اللطيف الخبير فأعطاني ان يردوا علي الحوض كهاتين وأشار بالسبحتين، ناصرهما الي ناصر وخاذلها الي خاذل ووليها الي والي عدوها الي عدو» (ملحقات ٩ : ٣٢٧).

واخرج الطبراني عن زيد بن ارقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله اني لكم فرط وانكم واردون علي الحوض فانظروا كيف تحلفوني في الثقلين قيل : وما الثقلان يا رسول الله صلى الله عليه وآله قال : الأكبر كتاب الله عز وجل طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به لن تزالوا ولا

تضلوا والأصغر عترتي وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض وسألت لهما ذلك ربي فلا تقدموهما
لتهلكوا ولا تعلموهما فانهما اعلم منكم.

وفي حديث جابر قال اخذ النبي صلى الله عليه وآله بيد علي والفضل بن عباس في مرض وفاته
فاعتمد عليها حتى جلس على المنبر فقال : ايها الناس قد تركت فيكم ما ان تمسكنم به لن تضلوا
كتاب الله

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٣١

ومن الفاظه «عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : إني أوشك أن أدمى
فأجيب وإي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض
وعترتي أهل بيتي وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف
تحلفوني فيهما».

ومنها ما رواه عنه صلى الله عليه وآله قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه
الذي توفي فيه ونحن في صلاة الغداة فقال : اني تركت فيكم كتاب الله عز وجل وسنتي فاستنطقوا
القرآن بسنتي فإنه لن تعم أبصاركم ولن تنزل أقدامكم ولن تقصر أيديكم ما أخذتم بهما ثم قال :
أوصيكم بهذين خيراً.

ولقد بلغت الأهمية الكبرى الرسالية في حديث الثقلين لحد يكرره الرسول صلى الله عليه وآله في
تلكم الجماع الستة، أخيرتها في خطبته يوم وفاته ثم في بيته، ونحن نعلم أنه لم يكتب في شيءٍ من مهام
الدين إلا بعض كتاباته إلى الأمراء والملوك دعوة إلى الإسلام، ثم نراه يطلب أن يكتب عند وفاته كما
تواتر عنه صلى الله عليه وآله : «لما حضر رسول الله صلى الله عليه وآله الوفاة وفي البيت
رجال فيهم عمر بن الخطاب قال النبي صلى الله عليه وآله : هلم أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده
فقال عمر : إن النبي قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت
فاختصموا منهم من يقول : قربوا يكتب لكم النبي صلى الله عليه وآله كتاباً لا تضلوا بعده، ومنهم
من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي صلى الله عليه وآله قال لهم رسول
الله صلى الله عليه وآله : «قوموا» (١).

(١). اخرج البخاري في باب قول المريض : قوموا عني ، كتاب المرضى (٤ : ٥) وفي كتاب العلم (١ : ٢٢) وبعض الاجزاء الاخر من صحيحة واخرجه مسلم في آخر الوصايا من صحيحه ورواه احمد من حديث ابن عباس في مسنده وكذلك سائر اصحاب السنن وسند البخاري هكذا : الى عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس ، وروى البخاري في باب جوائز الوفد من كتاب الجهاد والسير من صحيحه (٢ : ٧) قال حدثنا قبيضة ابن عيينة عن سلمان الاحول عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال : «يوم الخميس وما يوم الخميس ثم بكى حتى خضب دمه الخصباء فقال : اشتد برسول الله صلى الله عليه وآله وجعه يوم الخميس فقال : ائتوني بكتاب اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده ابداً فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا : هجر رسول الله صلى الله عليه وآله قال صلى الله عليه وآله فدعوني فالتذي انا فيه خير مما تدعوني اليه

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج٤، ص : ٣٢

«ومن حديث امير المؤمنين عليه السلام قال : لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه والبيت غاص بمن فيه قال : ادعوا لي الحسن والحسين فجاءوا فجعل يلثمهما حتى أغمي عليه فجعل علي عليه السلام يرفعهما عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله ففتح عينيه وقال : دعهما يتمتا مني وأتمتع منهما فستصيبهما بعدي أثره ثم قال : أيها الناس قد خلفت فيكم كتاب الله وسنتي وعترتي أهل بيتي فالمضيع لكتاب الله تعالى كالمضيع لسنتي والمضيع لعترتي أما إن ذلك لن يفترق حتى اللقاء على الحوض» (١).

«ومن حديث فاطمة الزهراء عليها السلام قالت سمعت أبي صلى الله عليه وآله في مرضه الذي قبض فيه يقول : - وقد امتلأت الحجرة من أصحابه - أيها الناس يوشك أن أقبض قبضاً سريعاً وقد قدمت إليكم القول معذرة إليكم ألا إني خلفت فيكم كتاب ربي عز وجل وعترتي أهل بيتي ثم أخذ بيد علي فقال : هذا علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا علي الحوض فأسألكم ما تخلفوني فيهما» (٢).

ومن حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله رجع من سفر له وهو متغير اللون فخطبة بليغة وهو يبكي ثم قال : أيها الناس قد خلفت فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي وأرومتي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض ألا وإني أنتظرهما ألا وإني أسألكم يوم القيامة في ذلك عند الحوض ألا وإنه سترد علي يوم القيامة ثلاث رايات من هذه الأمة راية سوداء فأقول :

من أنتم فينسون ذكرى فيقولون نحن أهل التوحيد من العرب فأقول : أنا محمد نبي العرب والعجم فيقولون : نحن من أمتك فأقول : كيف خلفتموني في عترتي وكتاب ربي فيقولون : أما الكتاب فضيعنا وأما عترتك فحرصنا على أن نبيدهم فأولّي عنهم فيصدون عطاشاً قد اسودت وجوههم، ثم ترد راية أخرى أشد سواداً من الأولى فأقول لهم : من أنتم؟ فيقولون

(١). المصدر ٣٥٢

(٢). المصدر ٣٥٤

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٣٣

كالقول الأوّل نحن من أهل التوحيد فإذا ذكرت إسمي قالوا : نحن من أمت فاقول : كيف خلفتموني في الثقلين كتاب الله وعترتي؟ فيقولون : أما الكتاب فخالفناه، وأما العترة فخذلناهم ومزقناهم كل ممزق فأقول لهم : إليكم عني فيصدرون عطاشاً مسودة وجوههم، ثم ترد راية أخرى تلمع نوراً فأقول : من أنتم؟ فيقولون : نحن أهل كلمة التوحيد والتقوى نحن أمة محمد صلى الله عليه وآله ونحن بقية أهل الحق حملنا كتاب ربنا وأحللنا حلاله وحرمانا حرامه وأحببنا ذرية محمد صلى الله عليه وآله فنصرناهم من كل ما نصرنا به انفسنا وقاتلنا معهم وقتلنا من ناوهم فأقول لهم : أبشروا فأنا نبيكم محمد صلى الله عليه وآله لو كنتم كما وصفتم ثم أسقيهم من حوض فيصدرون رواءً ألا وإن جبرئيل أخبرني بأن أمتي تقتل ولدي الحسين بأرض كرب وبلاء ألا ولعنة الله على ما قالت وخاذله أبد الدهر.

«ومن حديث الحسن بن علي عليهما السلام في خطبة له قال خطب جدي صلى الله عليه وآله يوماً فقال بعد ما حمد الله وأثنى عليه، معاشر الناس إني أدعى فأجيب، وإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي إن تمسكنم بهما لن تضلوا وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فتعلموا منهم ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم ولا تخلوا الأرض منهم ولو خلت لانساخت بأهلها ثم قال : اللهم إنك لا تحلي الأرض من حجة على خلقك لئلا تبطل حجتك ولا تضل أولياءك بعد إذ هديتم أولئك الأقلون عدداً والأعظمون قدراً عند الله عز وجل ولقد دعوت الله تبارك وتعالى أن يجعل العلم والحكمة في عقبي وعقب عقي وفي زرع عي وفي زرع عي إلى يوم القيامة فاستجيب لي.» (١)

ولأن الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة من آل الرسول هم مجمع الثقلين فهم- إذأ- أفضل من أحدهما وكما يروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله : «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعلي بن أبي طالب عليه السلام أفضل لكم من كتاب الله لأنه مترجم لكم عن كتاب الله». «٢» ذلك ولكن الرسول وعترته دون القرآن هم دون القرآن كما القرآن دونهم هو فوقهم. هذا الثقلان هما الثقلان المعتصمين بهما جميعاً عن كل خفة واستخفاف فكما

(١). المصدر ٣٥٧

(٢). تفسير البرهان ١ : ٢٨

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٣٤

«المؤمن كالجبل الراسخ لا تحركه العواصف ولا تزيله القواصف» كذلك- وبأحرى- الأمة المعتصمة بجبل الله جميعاً، وهو الثقلان، لا يستخفها مستخف. وكلما كان الإعتصام أقوم كان ثقل الأمة أعصم، وإلى القمة العليا في زمن القائم المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف. فإنه من الثقلين، يحكم الثقل الأكبر وهو من الأصغر، فلا تبقى- إذأ- أرض إلّا نودي فيها بالتوحيد والرسالة الإسلامية.

إن آية الإعتصام هي القمة في محاور الأمر المؤكد في هذه الآيات التي تتبنى قوة المؤمنين، فتقوى الله حق تقاته غير ميسورة إلّا بذلك الإعتصام، وحين تنفلت أفراد من المؤمنين أو جماعات عن ذلك الإعتصام فهنا أمر وقائي للحفاظ على ذلك الإعتصام الذي يحتضن حق تقاة الله، وقد تكفلته هنا آيتان فرضاً لمثلث الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بفصل آيات خمس فيها تنديدات شديدة بالمسودة وجوههم المتخلفين عن جبل الله.

«ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنر وأولئك هم المفلحون» «١». «منكم أمة» في تكوين هذه الأمة دليل الكفائية في ذلك الفرض الجماهيري وقاية للامة ككل عن كل تشرد وتخلف، وحماية لتحقيق الواجبات الفردية والجماعية، حيث التخلف هو طبيعة الحال في أية أمة من الأمم، فواجب الوقاية لهم يفرض عليهم تكوين أمة داعية إلى الخير أمرة بالمعروف ناهية عن المنكر «وأولئك» الأركام داعين ومدعوين «هم المفلحون».

وخطاب «ولتكن» هو موجه إلى كافة المؤمنين، دون خصوص الداعين لمكان «منكم» فعلى المؤمنين ككل تكوين هذه الأمة من أنفسهم، انتخاباً لنخبة صالحة إن كانت كائنة، ام تكويناً لها۔ ان لم تكن۔ قدر الكفاية لواجب الدعوة والامر والنهي.

(١). سورة آل عمران، الآية : ١٠٤

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج٤، ص : ٣٥

وقد تعني «من» هنا التبيين إلى جانب التبعض، تبعيضاً بالنسبة للمسلمين انفسهم، وتبييناً بالنسبة لكافة المكلفين، ان يكون المؤمنون انفسهم ككل دعاة الناس إلى الخير ثم أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر.

فواجب الدعوة والأمر والنهي في الوسط الإسلامي كفاي، وفي الوسط العالمي عيني إذ لا كفاية في دعوة البعض، ولا أقل من أن يكونوا دعاة الناس بغير ألسنتهم، وأمثولات الحق بأقوالهم وأفعالهم وأحوالهم.

وواجب التكوين ذو بعدين اثنين ان يصنع كل نفسه لصالح الدعوة ويصنع آخرين لها أو يدعوهم لذلك الصالح الجماهيري، تواصياً بينهم بذلك الحق الحقيقي بالتواصي كرأس الزاوية في التواصي الإيماني السامي.

و «الخير» المدعو إليه هنا هو خير الايمان والتقوى والاسلام المتبينة خير الإعتصام بحبل الله جميعاً دون تفرق، والجامع لها على حد قول الرسول صلى الله عليه وآله «إتباع القرآن وسنتي» «١» الذي يتوحد في الإعتصام بحبل الله جميعاً دون تفرق، فكما أن حبل الله واحد في اصله، كذلك الخير، فأصل الخير هو حبل الله كما ان حبل الله هو الخير.

ثم الخير هنا مبتدئ بالسلب وهو ترك ما يناحر الإعتصام بحبل الله، ومختتم بالإيجاب وهو نفس الإعتصام، وهكذا يكون كل خير كما ومبدء كل خير هو المركب من السلب والإيجاب : «لا إله إلا الله».

إذاً ف «الخير» تعم خيراً ثقافياً۔ عقدياً۔ خلقياً وعملياً، إيجاباً للواجبات وسلباً للمحرمات، وهذا هو رأس الزاوية في «الحافظين لحدود الله» ثم يأتي دور الأمر والنهي بشروطهما المسرودة في الكتاب

والسنة، فلا أمر ولا نهي قبل الدعوة الصالحة إلى الخير، ف «أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين» (٢).

(١)

(. الدر المنثور ٢ : ٦٢ - اخرج ابن مردويه عن ابي جعفر الباقر عليه السلام قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله «ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ..» ثم قال : الخير اتباع القرآن وسنتي (٢). ٢٥ : ١٦.

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٣٦

وأيم الله إن «هذه لآل محمد صلى الله عليه وآله ومن تابعهم يدعون إلى الخير ويأمرون وينهون عن المنكر» (١) «دون هؤلاء الذين يجب ان يُدعوا الى الخير ويؤمروا ويُنهوا. ولقد أمضينا القول الفصل حول هذين العمادين الإسلاميين على ضوء قوله تعالى «أتأمرون الناس بالبر» و «لم تقولون ما لا تفعلون» واضراهما فلا نعيد (٢).

والجدير بالذكر هنا ضرورة الطاقة القوية الصامدة في هذه الأمة الداعية الآمرة الناهية، ولا سيما الآخرين، حيث إن القضية الطبيعية للأمر والنهي هي السلطة الصالحة لتنفيذها قدر المقذور. لا أقول إنها هي السلطة الزمنية، فقليل هؤلاء المرسلون والذين معهم هم تلك السلطة، وواجب الدعوة والأمر والنهي كان عليهم لزاماً أولاً.

إنما أقول، هي الطاقة النفسية والثقافية أماهيه من طاقات تسمح لتلك الدعوة الصارمة والامر والنهي من وراءها.

فهذه الزوايا الثلاث الحمّلة على تلك الأمة ليست باليسيرة الهينة، حيث تصطدم بطبيعة الحال لشهوات الناس ونزواتهم ومصالحياتهم، بغرورهم وكبرياتهم ونخوتهم، وفيهم جبارون غاشمون، وهابطون الكارهون لكل صعود روعي او عملي، وفيهم المسترخي المهمل الكاره لكل جدٍ واشتداد، فلتتزد تلك الأمة بكل قوة وسداد، وهزم واجتهاد واستعداد لمواجهة المكاره المضنية والمعارك الدموية «وأولئك هم المفلحون».

وتعقيبية الآية هذه الواصفة لهذه الامة الداعية بالإفلاح، هي من عساكر الدلائل على اشتراط المعرفة بالخير وفعل المعروف وترك المنكر للداعي الأمر النهائي، فان فاقدها أم فاقد أحدها ليس من المفلحين، بل هو من الفالحين المفلحين!.
«ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذابٌ عظيم» (٣).

(١). نور الثقلين في تفسير علي بن ابراهيم في رواية ابي الجارود عن ابي جعفر عليهما السلام في الآية : فهذه ..

(٢). الفرقان ١ : ٣٧٣ - ٣٨٥ و ٢٨ : ٢٩٨ - ٣٠١

(٣). سورة آل عمران، الآية : ١٠٥

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج٤، ص : ٣٧

«لا تكونوا كالذين تفرقوا» عن حبل الله، وعن الاجتماع في الاعتصام به «واختلفوا» فيما بينهم عن جمعية الاعتصام، اعتصاماً بحبل وتركاً لآخر، ام تبعيضاً في كل حبل كتاباً وسنة، وذلك السقوط الجارف الخارف «من بعد ما جاءهم البينات» الداعية إلى الوحدة الإيمانية الجماهيرية، وأية بيّنة أبين من بينه الوحي الصارم وهو حبل الله المعتصم به لمن أراد الاعتصام.

«وأولئك» الحماقى البعاد «لهم عذاب عظيم» في الأولى والأخرى، إذ يعيشون شفا حفرة من النار ... أجل وإن الإختلاف في المذاهب هو نتيجة طبيعية للتفرق عن حبل الله، أن يتخذ كل لنفسه وذويه مذهباً يعتبره كأنه الإسلام كله وما سواه كفر، وكما ابتليت الأمة الإسلامية كالذين من قبلهم بذلك فاختلفوا بعد ما تفرقوا أيادي سبا، وفصلت بينهم شتى المذاهب واستعبدتهم السلطات الإستعمارية، فأصبحت الأمة الإسلامية على سعتها وسيادتها شذر مذر أيادي سبا.

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج٤، ص : ٣٨

(١) خلفاء الرسول صلى الله عليه وآله هم الأئمة الوسط بينه وبين الله

«وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا...» (١).

آية وحيدة تحمل صيغة الأمة الوسط، لا تشبها إلا آية الحج إلا في لفظ الوسط :

«وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس ..» (٢).

فهذه وإن لم تحمل صيغة الوسط، ولكنها توصفه تفسيراً له أنهم هم الوسط بين الرسول والناس، «وكذلك» التحويل للقبلة الأصلية الى قبلة يهودية، خروجاً عن العنصرية والطائفية فيها، كذلك البعيد المدى، الواسع المدى، البليغ المدى من صبغة الإسلام وإسلام الصبغة «وجعلناكم أمة وسطاً ...» فما هو الوسط لهذه الأمة، ومن هم المعنيون بـ «كم أمة؟» أهم الوسط بين إفراط الحياة الجسدانية وتفريط الحياة الروحية، حيث الوسط بينهما جامع لهما كانت الحياة الروحية هي الأصلية بينهما؟.

وهذا مهما كان صحيحاً في نفسه، ولكنه لا يناسب خليفته الصريحة هنا: «لتكونوا شهداء على الناس» فإن هذه الوسطية تتطلب مرجعية الأمة الوسط لطرفي الإفراط والتفريط، لا أن تكون شهيدة عليهم، إلا بمعنى الرقابة على أعمالهم كشهادة خاصة! أم شاهدة عليهم في حقل الاعتدال، نبراساً لهم في ترك الانانية والإينية الطائفية، وتحللاً في شرعة الله عن الإنحيازات غير الشرعية، إتباعاً لأمر الله كيفما كان وإن في ترك المجد القبلي والقبلي، كما وأن الوسط اليهودي والنصراني لا يمت بصلة لهذه الوسطية الإسلامية

(١). سورة البقرة، ٢ : ١٤٣

(٢). سورة الحج، الآية : ٧٨

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٣٩

لأنهما من أهل الكتب السماوية وهي كلها تحمل الشرعة المعتدلة الوسط، اللهم إلا بالنسبة لإفراط اليهود في الإتجاهات المادية، وتفريط النصارى فيها مبدئياً كنسياً. مهما تورطوا في الماديات وأكثر من اليهود، ولكن «جعلناكم» يختص الوسط بجعل رباني وليس الإفراط والتفريط يهودياً ونصرانياً من جعل الله! أم هم الوسط بين الرسول والناس، كما ينادي به الإنقسامات الثلاث : شهداء على الناس - الرسول الشهيد على الشهداء، وناس، فطبيعة الحال قاضية هنا باختصاص للشهداء على الناس بهذا الرسول الشهيد عليهم.

فهل هم- بعدئ- كل الأمة الإسلامية؟ وفيهم بغات وفساق طغات! أم وعدول لا يصلحون للشهادة على الناس! «١» اللهم إنا شهادة على حق الوسط الإعتدال.
إن نفس الشهادة على الناس كوسط بين الرسول والناس، يحدّ موقف الأمة الوسط، فهناك شهادة متعدية بنفسها: شهده، وهنا «شهد على» أم شهادة له لصالحه كدعاية ذاتية، أم تمثيلاً للكيان الرسولي؟ وهنا «شهد على».
ف «شهده» تتطلب حضوراً عند العمل أيّاً كان، حضوراً ذاتياً أم علمياً، ولا يتيسّر إنا للرسول عليه السلام والمعصومين من عترته عليهم السلام!
و «شهد له» محصورة في بعديها بالعدول الصالحين من الأمة المسلمة.
ثم و «شهد عليه» هنا في الدعاوي، تتطلب العدالة، وليست الأمة- ككل- عادلة، ولا أن الآية تختص الشهادة بالدعاوي.

(١). نور الثقلين ١ : ١٣٥ عن تفسير العياشي عن أبي عمرو الزبيري عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال الله: «وكذلك جعلناكم أمة وسطاً...» فان ظننت ان الله عنى بهذه الآية جميع اهل القبلة من الموحدين، أفترى أن من لا تجوز شهادته في الدنيا على صاع من تمر يطلب الله شهادته يوم القيامة ويقبلها منه بحضرة جميع الأمم الماضية؟ كلاً! لم يلعن الله مثل هذا من خلقه، يعني الأمة التي وجبت لها دعوة ابراهيم «كنتم أمة اخرجت للناس» وهم الأمة الوسطى وهم خير أمة اخرجت للناس.

اقول: فكما الرسول شهيد على الأمة الوسط كذلك الأمة الوسط شهيدة على الناس، وقد تعني الشهادة هنا كل مراحلها ولكنها محصورة في الشهادة على، من شهادة الاعمال لكي تكون وسطاً، وشهادة عليها القاء لها يوم يقوم الاشهاد فلا بد اولاً من تلقيها

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج٤، ص: ٤٠

و «شهد عليه» هنا في لأعمال، تختص بالصالحين الداعين إلى الخير الأمرين بالمعروف الناهين عن المنكر، دون كل الأمة ولا كل العدول، وتلك الدعوة- على شروطها- لا تختص بالأمة الإسلامية. و «شهد عليه»- إلقاء للشهادة على الأعمال يوم يقوم الأشهاد- يتطلب تلقياً لها هنا حضوراً ذاتياً أو

علمياً بما يعلمهم الله، وذلك مخصوص بالمعصومين! ثم ولا تختص تلك الشهادة بخصوص المعصومين من هذه الأمة!.

وعلى كل فلا تعني الآية كلَّ الأمة الإسلامية دون ريب، فقد تعني عدول الأمة حيث يمثلون الرسول صلى الله عليه وآله على قدر عدلهم بين الناس : مسلمين وسواهم، ثم وبأحرى العدول الدعاة من الأمة، الأمانة الناهية : «والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم» (١) «٢»

، فهي مهما عمت كل المؤمنين، إلا أن مؤمني هذه الأمة أعلى محتداً من سواهم. ثم في القمة، الأئمة الأثني عشر المعصومون عليهم السلام، فانهم القمة العليا بعد الرسول صلى الله عليه وآله من الشهداء بكل معاني الشهادة ومغازيها ومراميتها ولا سيما الشهادة على الأعمال والأحوال، فالوسط في الأمة هي العدل على مراتبه ومراتبهم «٣» فلأن العدل في هذه الأمة أعدل منه في غيرها وأفضل، فكأن العدول منهم هم الشهداء - فحسب - على الناس، سواء ناس المسلمين او الكتابيين او المشركين والملحدين، إلا أن لكل شهادة أهلها بخصوص دونها فوضى جزاف.

(١)

(٢). ٥٧ : ١٩

(٢). نور الثقلين ١ : ١٣٣ عن الكافي باسناده الى ابي جعفر الباقر عليهما السلام حديث طويل وفيه يقول : ولقد قضى الأمر أن لا يكون بين المؤمنين اختلاف ولذلك جعلهم شهداء على الناس محمد صلى الله عليه وآله علينا ولنشهد على شيعتنا وليشهد شيعتنا على الناس (٣). الدر المنثور ١ : ١٤٤ - اخرج جماعات عدة عن ابي سعيد الخدري وابي هريرة وابن عباس وجماعة آخرين عن النبي صلى الله عليه وآله ان «وسطاً» في الآية تعني «عدلاً» والعدل درجات كما بيناه في درجات الشهادات.

وفي نور الثقلين ١ : ١٣٥ عن كتاب المناقب وفي رواية حمزان بن اعين عنه عليه السلام انما انزل الله «وكذلك جعلناكم ائمة وسطاً» يعني : عدولاً - لتكونوا ... ولا يكون شهداء على الناس إلا الأئمة والرسول عليهم السلام، فاما الأمة فانه غير جائز ان يستشهدها الله وفيهم من لا تجوز شهادته في الدنيا على حزمة بقل

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٤١

فمؤمنوا هذه الأمة شهداء على الناس رقابة على أعمالهم وأحوالهم، ودعوة لترقيتهم عن نقائصهم
ممثلين للرسول صلى الله عليه وآله في كل دعواتهم الصالحة.

والائمة المعصومون منهم- إضافة الى هذه وتلك- هم شهداء على أعمالهم وأحوالهم، بل وعلى
كافة المكلفين على مدار الزمن الرسالي دون إبقاء. «١»

فأعلى الوسط بين الرسول صلى الله عليه وآله وبين الناس هم هؤلاء الأكارم، تمثيلاً للرسول صلى
الله عليه وآله كما هو، وتبييناً لشريعة الحق كما هي «إلينا يرجع الغالي وينا يلحق المقصر». «٢»
كما وأن الشريعة الإسلامية هي الوسط المعتدل بين كل إفراط وتفريط مختلفين في كتابات السماء،
فنفس تحوّل القبلة الى القدس ردحاً من الزمن وسطية واعتدال حيث تزال به العصية القومية في
القبلة، رغم ان القبلة الإسلامية هي الكعبة المباركة، بل هي القبلة في كل الشرائع الإلهية، فرغم كل
ذلك يُؤمر المسلمون قضاءً على الإنحيازية القبلية والقبليّة ان يتجهوا الى القدس شرطاً من العهد
المدني، حال ان أهل الكتابيين ليسوا تابعين قبلة بعضهم البعض رغم وحدة الشريعة التوراتية بينهم،
فقد تعني «وسطاً» كلّ هذه الأوساط، متمحورة الوسط المعصوم الرسالي المتمثل في الائمة الإثني
عشر عليهم السلام أجمعين.

ثم ذلك الجعل يعم حقلي التكوين والتشريع، فكينونة هذه الأمة الأئمة ومنّ دونهم من العدول، هي
مجمولة بجعل رباني بما سعوا، كما وشرعتهم بما طبقوها فيما سعوا : «وأن ليس للإنسان إلّا ما سعى»
تمثلاً بالحقلين، جمعاً بين الجعلين، فكما «جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس» بكلا الجعلين ثم
جعل القدس قبلة مؤقتة ابتلاء للمسلمين

(١). نور الثقلين ١ : ١٣٤ في تفسير العياشي عن ابي بصير قال سمعت ابا جعفر عليهما السلام
يقول : نحن نمط الحجاز، فقلت : وما نمط الحجاز؟ قال : أوسط الأقطاب، ان الله يقول : «وكذلك
جعلناكم أمة وسطاً» وثم قال : الينا ..

(٢). نور الثقلين ١ : ١٣٤ عن اصول الكافي عن ابي عبدالله عليه السلام في الآية قال : نحن الامة
الوسطى ونحن شهداء الله على خلقه وحججه في ارضه، ورواه مثله بريد العجلي عن الباقر عليه
السلام. وفيه عن المجمع روى الحاكم ابو القاسم الحسكاني في كتاب شواهد التنزيل لقواعد التفضيل

باسناده عن سليم بن قيس الهلالي عن علي عليه السلام : ان الله تعالى إيانا فاعنى بقوله : لتكونوا شهداء على الناس «فرسول الله صلى الله عليه وآله شاهد علينا ونحن شهداء الله على خلقه وحججه في أرضه ونحن الذين قال الله تعالى : «وكذلك جعلناكم أمة وسطاً»

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٤٢

وإزالة للفوارق الطائفية «وكذلك جعلناكم ..» أهل القبلة الواجبة لهم دعوة إبراهيم عليه السلام.

ووسط الرأي في الأمة الوسط، بعيداً عن كل الإنحيازات إلّا في حوزة الوسط وحيازتها، إنها هي الوسط بكل معاني الوسط مهما اختلفت درجاتها وصلاتها :

«أمة وسطاً» كمجوعة إلهية- في التصور والعقيدة، بعيداً عن غلو التجرد الروحي، وحمأة الركسة المادية، معطية لكل من الروح والجسد حقه دون أي إفراط أو تفريط.

ووسطاً في المشاعر والإدراكات، دون تجمّد على حاضرها لتغلق عليها كل منافذ المعرفة تجريبياً أمامية، ولا أتباع أعمى لكل ناعق، بل هي منطلقة على ضوء الهدى القرآني والسنة المحمدية، قابلة كل ما يوافق هديها المعصوم وعقلها المقسوم وصراتها المرسوم.

«أمة وسطاً» في تنسيق الحياة، فلا تطلقها- فقط- للضمائر والمشاعر، ولا تدعمها- فقط- للتشريع والتأديب، وإنما ترفع ضمائرنا بالتوجيه والتهديب، فلا تكل الناس الى سوط السلطان ولا- فقط- الى وحي الوجدان.

«أمة وسطاً» في العلاقات الحيوية، لا تؤصل الفرد المجتمع كهامش له خادم، ولا تلغي شخصية الفرد تأصيلاً للمجتمع، بل هما عندها اصلان، كلٌّ يخدم الآخر، ترجيحاً لكفة ميزان المجتمع لأنه مجموعة أفراد.

«أمة وسطاً» في كل وسط وفي جميع الأوساط، خارجة عن حدي الإفراط والتفريط، فوسطاً في النهاية تتمحورها كل الأمم حيث تسدد البشرية بسلطتها المهدوية في آخر الزمن.

فلا تعني وسطاً وسطاً بين الأمم في الواقع الزمني للأمم، حتى يتعلق به متعلق ممن ينكر خاتمية الأمة الإسلامية، انها الوسط بين الأمم، فقد تأتي أمم رسالية بعدها.

فان «كذلك» وكذلك «لتكونوا شهداء ..» تنفيان ذلك، حيث الوسطية بين الرسول والناس هي غير الوسطية بين الأمم، فتلك الوسطية تقتضي الخاتمية لهذه الأمة، حيث الوسطية الزمنية ليست فخراً ولا مستلزماً لكونهم وسطاً بين الرسول والناس، فإنما يعني

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٤٣

من «وسطاً» هنا ما يناسب تحويل القبلة كشرعة معتدلة، أو يناسب الشهادة على الناس وسطاً بين الرسول وبين الناس.

فما من شرعة حولت فيها القبلة كما حولت في شرعة الإسلام، ولا أمة وسط بين الرسول والناس، هم شهداء على الناس كما الرسول شهيد عليهم، اللهم إلاً شرعة الإسلام بأمتهها. فتلك الشرعة البعيدة عن كافة الإنحيازات والإمتهيازات القبلية والعنصرية، هي الوحيدة بين كل شرائع الدين.

كما أن تلك الأمة الشهيدة على الناس هي الوحيدة بين كل الأمم الرسالية على مدار الزمن الرسالي، والنظر إلى الآيات السابقة يوسع تلك الوسطية، فإنها تلتزم بصيغة الله دون الصيغة اليهودية او النصرانية، وتلتزم بهدى الله تصديقاً بكل رسالات الله وكل ما أنزل الله دون التجمد على طائفية كتابية : «وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين» (١). وكما هو وسط في القبلة، لا خصوص الكعبة ولا خصوص القدس، بل هما معاً مهما كانت الكعبة هي الأصلية الدائبة، وكما كانت قبلة لكافة الموحدين أحياءً وأمواتاً طول الزمن الرسالي.

(١). ٢ : ١٣٥

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٤٤

(٢) خلفاء الرسول عليهم السلام هم الامة الوسط بينه وبين الامة وهم

المجاهدون المسلمون على لسان ابراهيم

«وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ» (١).

ترى من هم المراجع للضمائر الجامعة الاحدى عشر؟ أهم كل «الذين آمنوا» المأمورون في سابقة الآية؟ وليس حق الجهاد إلا لأحق المجاهدين! ولا يشمل الإجتباء كل المؤمنين! ولا أنهم كلهم من

ولد ابراهيم! وما هم مسمّين ككلّ مسلمين من قبل مهما سُمّوا في هذه مسلمين! ولا انهم شهداء على الناس ككل بمن فيهم من غير العدول!

وعلى هذه الخمس تكفي دليلاً باهراً ان المخاطبين في هذه الاحدى عشر هم جماعة خصوص من المؤمنين، تناسبهم هذه المواصفات وكما في آية البقرة: «وكذلك جعلناكم امة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً...» «٢».

١- «وجاهدوا في الله حق جهاده» الجهاد هو بذل المجهود واستفراغ الوسع في دفع العدو، وهو في الله عبارة عن دفع ما سوى الله الذي يمانع عن سبيل الله ويصد عنها، وهو كل شيطان مريد، انفسى كالنفس الامارة بالسوء والهوى وآفاقي ككل شياطين الجن والانس فهكذا «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا» «٣»

وذلك هو تقوى الله حقاً:

«واتقوا الله حق تقاته» «٤»

الجهاد القمّة الطليقة والتقوى القمّة المطلقة.

(١). سورة الحج، الآية: ٧٨

(٢). ٢: ١٤٣

(٣). ٢٩: ٦٩

(٤). ٣: ١٢٤

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص: ٤٥

وعلى حد المروي عن الرسول صلى الله عليه وآله «المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله» «١» وكما سماه الجهاد الأكبر حين سمي القتال في سبيل الله الجهاد الاصغر، فلا يخص القتال وهي اصغر الجهاد، مهما كان اظهر مظاهر جهاد النفس ان يبذل نفسه في الله فان رأس النبعة هنا هو جهاد النفس لحدّ يفتدي المجاهد بها في سبيل الله. «٢»

وكما المجاهدون في الله درجات كذلك الجهاد في الله درجات اعلاها حق الجهاد، وهي للمؤمنين القمّة كالرسول صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام ومن نحى منحاهم وحذى محذاهم.

٢- «هو اجبتاكم» والجبابة هي الجمع فالاجتباء هو الجمع على طريق الإصطفاء، وهو هنا جمع الطاقات اصطفاءً في الله، دون تبعثر فيها ولا تفرق، فهو- اذاً- تجنيد كل الطاقات في الله، دون ان يكون لغير الله منها نصيب، وتلك هي العصمة أمّا يقاربها، كما ولم يأت في القرآن فيما اتى لغير المعصومين «٣» وكيف يعم الاجتباء كل الأمة وقليل منهم عدول فضلاً عن العصمة الخاصة بالرسول صلى الله عليه وآله والأئمة من آل الرسول «٤».

٣- «وما جعل عليكم في الدين من حرج» والحرج هو الذي ليس له مخرج من

(١). الدر المنثور ٤ : ٣٧١- اخرج ابن مردويه عن فضالة بن عبيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله

(٢). نور الثقلين ٣ : ٥٢٣ عن الخصال عن فضيل بن عياض عن ابي عبد الله عليه السلام قال سألته عن الجهاد اسنة هو ام فريضة قال : الجهاد على اربعة اوجه، فجهادان فرض وجهاد سنة لا يقام الا مع فرض وجهاد سنة فاما احد الفرضين فمجاهدة الرجل نفسه عن معاصي الله وهو من اعظم الجهاد ومجاهدة الذين يلونكم من الكفار فرض واما الجهاد الذي هو سنة لا يقام الا مع فرض فان مجاهدة العدو فرض على جميع الامة ولو ترمكوا الجهاد لأتاهم العذاب وهذا هو من عذاب الامة وهو سنة على الامام ان يأتي العدو مع الامة فيجاهدهم واما الجهاد الذي هو سنة فكل سنة اقامها الرجل وجاهد في اقامتها وبلوغها واحياءها فالعمل والسعي فيها من افضل الاعمال لانه احياء سنة قال النبي صلى الله عليه وآله من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها من غير ان ينقص من أجورهم شيء

(٣). «شاكراً لانعمه اجتباها وهداه الى صراط مستقيم» (١٦ : ١٢١) «ثم اجتباها ربه فتاب عليه وهدى» (٢٠ : ١٢٢) «فاجتباها ربه فجعله من الصالحين» (٦٨ : ٥٠) «ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء» (٣ : ١٧٩) «واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم» (٦ : ٨٧) «والله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب» (٤٢ : ١٣) «وكذلك يجتبيك ربك» (١٢ : ٦) «ومن ذرية ابراهيم واسرائيل ومن هدينا واجتبينا» (١٩ : ٥٨).

فترى كل هؤلاء المجتبيين هم من المرسلين دونما استثناء، افلا يكفي هذه شهود صدق على ان «اجتباكم» هنا لا تعم كل الامة

(٤). نور الثقلين ٣ : ٥٢١ في اصول الكافي عن بريد العجلي قال قلت لأبي جعفر عليه السلام «جاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم» قال : «ايانا عنى ونحن المجتوبون ...»

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٤٦

الحرجة الشجرة التي ليس لها مخرج فهو «اخف من الضيق» (١) والعسر، وقد وصف الضيق بالخرج «ويجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد الى السماء» (٢)

فليس - اذاً - مطلق الضيق، والرواية المفسرة (٣) له بالضيق تؤول رداً على الآية.

«وما جعل» يعم الجعل البدوي، جعلاً لأحكام محرجة، والاستمراري، ان يتطلب تطبيق حكم غير مخرج حرجاً في خاصة الظروف، فكل حرج أما يستلزم الحرج سواء أكان حكماً ام سلباً الحكم، كل ذلك منفي عن هذا الدين.

فلو ان زوجاً يؤذي زوجته ناشزاً عما يتوجب عليه فلا يقيم صلبها، ولا يقوم بواجب الزوجية معها، فيذرها كالمعلقة لا ذات زوج ولا أيم، ثم ولا يطلقها مضارة ايها، نظراً اخذ مال منها أمّا ذا، جاعلاً ايها في حياة محرجة، فان بقيت هكذا كان حرجاً عليها، فليس - اذاً - بقاءها كما هي مفروضاً عليها بحكم الشرعة، فللحاكم الشرعي تطليقها دون اشتراط اذن من زوجها وهو على حالة المضارة دون تنازل عن احراجه ايها.

فضابطة اللأخرج محلقة على كافة الظروف، نافية للحكم المخرج او العمل المخرج، او الترك المخرج، فلا إحراج في الدين اطلاقاً من ناحيته، اللهم الا من أخرج نفسه فانه ليس من الدين في شيء. فالواجب المخرج، والمحرم المخرج، لا يبقى على وجوبه او حرمة، فضلاً عما يخرج ولا يعرف حكمه كطلاق المحرجة في زواجها، ف «ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم ولعلكم تشكرون» (٤).

(١)

(٤). الدر المنثور ٤ : ٣٧١ - اخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر من طريق سعيد بن جبير ان ابن عباس سئل عن الحرج فقال : ادعو لي رجلاً من هذيل فجاءه فقال ما الحرج فقال : الحرجة .. فقال ابن عباس هذا الحرج الذي ليس له مخرج، وفي نور الثقلين ٣ : ٥٢١ في اصول الكافي عن الباقر عليه السلام في حديث حول الآية : فالخرج اشد من الضيق

(٢). ٦ : ١٢٥

(٣). المصدر- اخرج ابن جرير وابن مردويه والحاكم وصححه عن عائشة انها سألت النبي صلى الله عليه وآله عن هذه الآية «وما جعل عليكم في الدين من حرج» قال : من ضيق وفي قرب الاسناد للحميري باسناده الى ابي عبدالله عليه السلام عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وآله قال : مما أعطى الله امي وفضلهم به على سائر الامم ... «وما جعل عليكم في الدين من حرج» يقول : من ضيق

(٤). ٥ : ٦

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٤٧

فهذا الدين كله، باحكامه العبادية والسياسية والاقتصادية والحقوقية أما هيء، ملحوظة فيه فطرة الانسان وطاقته، قد لوحظ فيه تلبية الفطرة الطليقة والاتجاه الى البناء والاستعلاء فلا تبقى حبيسة كالبخار المحتبس، ولا تنطلق الانطلاق الحيوان الغشم.

لذلك ترى الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة من آل الرسول يستندون في نفي الاحراج بهذه الآية، ويرجعون الامة اليها كضابطة عامة لا تستثنى (١).

واذا كان العسر والضيق منفيين في شرعة الاسلام فأحرى للخرج يُنفي، على هامشهما و «في الدين» دون «الشرع» مما يلمح كتصريحه ان الحرج منفي عن كافة الشرائع من الدين، فلا حرج في دين الله اطلاقاً، في اية شرعة من الدين دونما استثناء، مهما كان في بعض الشرائع عسر كشرعة التورات، كما ويعم الدين أصله الى فرعه والاصل أحرى، فلا حرج في اصول الدين كما في فروعه.

٤- «ملة ابيكم ابراهيم» ألزموا ملة ابيكم ابراهيم، والجهاد في الله حق جهاده، وعدم جعل الحرج في الدين، هما يعنيان «ملة ابيكم ابراهيم».

أترى «كم» هنا تعم الامة الاسلامية؟ وليس هو أباهم، اللهم الا قليلاً منهم هم من ذرية ابراهيم واسماعيل! وليست هذه الأبوة هي الروحية فانها تأويل دون دليل، ثم واحرى بهذا النبي صلى الله عليه وآله ان يكون اباً للامة الاسلامية روحياً كما هو أب لكافة المرسلين ف «النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم» (٢)

!

فإنما الأبوة هنا هي النسبية مضافةً إلى الروحية، ف «كم» ليسوا هم إلا الرسول صلى الله عليه وآله والائمة من آل الرسول عليهم السلام (٣) دون الأمة ككل، ولا ذرية ابراهيم المسلمين ككل إذ لا

(١). نور الثقلين ٣ : ٥٢٤ عن تهذيب الاحكام في صحيحة عبد الاعلى مولى آل سام قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام عثرت فانقطع ظفري فجعلت على اصبعي مرارة كيف اصنع بالوضوء؟ قال : يعرف هذا واشابه من كتاب الله عز وجل قال الله : «ما جعل عليكم في الدين من حرج». امسح عليه، وفيه عن الكافي في الصحيح عن ابن مسكان قال حدثني ميسر قال سألت ابا عبد الله عليه السلام عن الرجل الجنب ينتهي إلى الماء القليل في الطريق ويريد ان يغتسل منه وليس معه اثناء يغرف به ويداه قذرتان؟ قال : يضع يده ثم يتوضأ ثم يغتسل هذا مما قال الله عز وجل «ما جعل عليكم في الدين من حرج»

(٢). ٣٣ : ٦

(٣). المصدر في كتاب كمال الدين وتمام النعمة باسناده الى سليم بن قيس الهلالي عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال في جمع من المهاجرين والانصار بالمسجد ايام خلافة عثمان : انشدكم الله اتعلمون ان الله عز وجل انزل في سورة الحج «يا ايها الذين آمنوا ... افعلوا الخير» الى آخر السورة فقام سلمان فقال يا رسول الله صلى الله عليه وآله من هؤلاء الذين انت عليهم شهيد وهم شهداء على الناس الذين اجتباهم الله ولم يجعل عليهم في الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم؟ فقال : عنى بذلك ثلاثة عشر رجلاً خاصة دون هذه الامة قال سلمان : بينهم لنا يا رسول الله صلى الله عليه وآله قال : انا واخي واحد عشر من ولدي، قالوا اللهم نعم وفيه عن بريد العجلي قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام قال الله عز وجل : ملة ابيكم ابراهيم؟ قال : ايانا عنى خاصة.

اقول : وفي تفسير البرهان ٣ : ١٠٦ في رواية قيس «اسباطاً» بدل «رجلاً» وهو اليق تناسباً لدعاء ابراهيم، وبدل «من ولدي» من ولد علي

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٤٨

يصدق عليهم حق الجهاد ولا الاجتباء مهما شملتهم الابوة الابراهيمية نَسَباً، فهذا هي الابوة الروحية الى جانب النسبية وكما في دعاءه عليه السلام لهم «ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك».

٥- «هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا» وترى من «هو» أهو ابراهيم اذ سماهم مسلمين في دعاءه من قبل عندما دعى : «ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك» (١)

فكيف سماهم «في هذا» الدين؟ فهل هي تسميتهم من قبل؟ ف «في هذا» زائد، ام سماهم بعد القبل وليس هو معهم في هذا!.

فحقاً إنه هو الله «٢» إذ سماهم المسلمين من قبل «في الكتب التي مضت» «٣» منذ صحف ابراهيم إلى تورات موسى وإلى الانجيل «وفي هذا» الدين المتين حيث السمة البارزة المتميزة في القرآن الخاصة المسلمين وعامتهم هي «المسلمين».

ونموذجاً مما في كتابات السماء من هذه التسمية المباركة من التورات حسب الأصل العبراني :
«وَلِشَمْعِيلَ شِمْعَتِيخَا هَيْئَهُ بِرَخْتِي أُوثُو وَهَيْفَرْتِي أُوثُوا وَهَيْرْتِي أُوثُو بُمْتُدُ مَيْدُ شِنِيمَ عَاسَارِ نَسِيئِمُ
يُولَدُ وَيَتَّبِعُ لِعَوَى غَادُلُ» «٤».

«ولاسماعيل سمعته (ابراهيم) ها انا اباركه كثيراً وأتميه كثيراً وأثمره كثيراً وارفع

(١). ٣ : ١٣٨

(٢). نور الثقلين ٣ : ٥٢٢ الكافي عن بريد العجلي قال قلت لأبي جعفر عليه السلام قوله تعالى «هو سماكم المسلمين» الله عزوجل سمانا المسلمين من قبل في الكتب التي مضت وفي هذا القرآن
(٣). المصدر في اصول الكافي عن بريد العجلي قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام «ملة ابيكم ابراهيم» قال : ايانا عنى خاصة «هو سماكم المسلمين من قبل» «في الكتب التي مضت» «وفي هذا» القرآن ..

(٤). تكوين المخلوقات ١٧ : ٢٠

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٤٩

مقامه كثيراً بمحمد صلى الله عليه وآله واثنى عشر إماماً ببلدهم اسماعيل وأجعله أمة كبيرة». (١)
وطالما التورات لا يذكر في هذا النص دعاء ابراهيم الا اشارة، فالقرآن ينص عليه قائلاً : «ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم. ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم» «٢».

ومن الإنجيل ما في لوقا ٣ : ١٤ : «وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجنند السماويين يسبحون الله ويقولون : الحمد لله في الأعالي وعلى الأرض إسلام، وللناس «أحمد».

فالأصل المنقول عنه «إسلام» هو «إيريني» و «أحمد» / «أبودكيا» كلمتان يونيتان وقد ترجموا «إيريني» ب «سلامة- مسالمة- سلام» وهي في السريانية «سلم» وفي العبرانية «شالوم» ومن المعلوم ان لفظة «إسلام» تفيد معاني واسعة كالتسليم والسلام والصلح والمسالمة والأمن والراحة، فالإسلام الذي هتفت به الملائكة هو ذلك الإسلام حيث يضمن كل معاني السلم والسلام. «٣»
وقد يعني «هو»- ضمن المعنى منها- ابراهيم الخليل حيث سماهم المسلمين من قبل، وليس ذلك إلا بوحي من الله وكما أوحى الى نبيين آخرين.

ترى ولماذا اجتباكم مجاهدين في الله حق جهاده دون حرج، وسماكم المسلمين من قبل وفي هذا؟ :
٦- «ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس»- «وكذلك جعلناكم امة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً» «٤»
فهؤلاء المسلمون الأكارم الخصوص المعصومون من ذرية ابراهيم واسماعيل، هم وسط بين الرسول وبين الناس، وهم شهداء على الناس والرسول شهيد عليهم.
فما كل مسلم حتى العدول منهم شهيداً على الناس مهما كانوا كافرين، حيث الشهادة

(١). راجع كتابنا رسول الاسلام في الكتب السماوية ٤٠- ٤٣

(٢). ٢ : ١٢٩

(٣). المصدر ١٧٨ - ١٨٢

(٤). ٢ : ١٤٣

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٥٠

هي على الاحوال والاقوال والاعمال، وهي تتطلب حضوراً لتلقيها، واستحضاراً لإلقاءها، حضوراً دائماً عند ما دق وجل من اعمال الناس، ما كان الشهداء احياءً وامواتاً، وذلك خارج عن قاصر العلم والحضور لكل غائب المسلمين وحاضر، اللهم الا بإشهاد الله، وليس ليُشهد إلا رجالات الوحي والعصمة كما هو مسرود في آيات الشهادة ومن أتمهلها «فكيف إذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً» «١»

فهو إذاً شهيد الشهداء، حيث الامة الوسط شهداء على الناس كافة والرسول صلى الله عليه وآله شهيد عليهم تحليقاً على الشهداء والمشهود لهم وعليهم.

«ويوم نبعث من كل امة شهيداً عليهم من انفسهم وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين» (٢) .

ف «الناس» - في تلكم الشهادة - هم كل الناس ، مسلمين وسواهم ، وهذه الأمة الوسط هم شهداء على كل الناس والرسول شهيد عليهم (٣) وقد تحلّق شهادة الأمة الوسط : الأئمة الاثني عشر، على شهداء كل امة حيث هم داخلون هنا في نطاق الناس .

وهذه قضية ذلك الإجتباء القمة بالجهاد في اللّٰه القمة للرسول صلى الله عليه وآله والأئمة، أن تُحتصر الشهادة المخلقة على الناس كلهم فيهم، فأية الحج والبقرة حاكمتان على ساير آيات الشهادة. وهؤلاء الشهداء هم افضل الشهداء على الاعمال من المرسلين والنبين والملائكة، ومن الجوارح والأجواء ومن الأرض وما عليها، فانها عساكر مجنّدة تتحمل شهادات ثم

(١). ٤ : ٤١

(٢). ١٦ : ٨٩

(٣). نور الثقلين ٣ : ٥٢١ عن الكافي بسند عن الباقر عليه السلام في الآية، فرسول اللّٰه صلى الله عليه وآله الشهيد علينا بما بلغنا عن اللّٰه تبارك وتعالى ونحن الشهداء على الناس يوم القيامة فمن صدق يوم القيامة صدقناه ومن كذب كذبناه وعن بريد العجلي مثله عن الصادق عليه السلام. وفيه عن المناقب في خبر ان قوله تعالى : «هو سماكم المسلمين من قبل» فدعوة ابراهيم واسماعيل لآل محمد عليهم السلام فانه لمن لزم الحرم من قريش حتى جاء النبي صلى الله عليه وآله ثم اتبعه وآمن به واما قوله : «ليكون الرسول عليكم شهيداً» النبي يكون على آل محمد عليهم السلام شهيداً ويكون شهداء على الناس وفيه عبد اللّٰه بن الحسن عن زين العابدين عليه السلام في قوله تعالى : لتكونوا شهداء على الناس قال : نحن هم وفيه عن كمال الدين وتمام النعمة باسناده الى ابراهيم بن ابي محمود عن الرضا عليه السلام حديث طويل وفيه : نحن حجج اللّٰه في خلقه ونحن شهداء اللّٰه واعلامه في بريته

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٥١

تلقاها يوم القيامة، وكما هي مسرودة مشروحة في آيات انعكاسات الاعمال في سجلاتها الأربع.

أترى بعدد ان المخاطبين بهذه الخطابات هم كل الامة الإسلامية بمن فيهم فسقة ومنافقون، فحتى العدول منهم وعلماءهم الربانيون غير المعصومين لا تشملهم هذه الخطابات، اللهم إلا هامشياً، أم في بعضها «وكان زيد والله ممن خوطب بهذه الآية» كما يروى. (١)

«... فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير» (٢).

تلك الأمانة الكبرى تتطلب علاقة دائبة بالله : «فأقيموا الصلاة» وصلة بعباد الله : «وآتوا الزكاة» واعتصاماً بالله على أية حال : «واعتصموا بالله» لكي يعصمكم عن الزلات في هذه السبيل الشائكة، المليئة بالأشلاء والدماء والعرقلات «هو مولاكم» لا سواه «نعم المولى ونعم النصير». ومن لطيف الامر في هذه الآية الاخيرة من السورة، ان واجهات الخطابات فيها تعم المسلمين في ظاهر الحال، وهي خاصة بالقادة المعصومين عند التأمل والتعمل، وذلك لكي يدرس المسلمون في مدارس العصمة والظاهرة هذه الدروس القيمة القمة.

فالصلاة المقامة بشروطها الظاهرية والباطنية هي صلة الفرد الضعيف الفاني بمصدر

(١). نور الثقلين ٣ : ٥٢٢ في عيون الاخبار بأسناده الى ابن ابي عبدون عن ابيه قال لما حمل زيد بن موسى بن جعفر الى المأمون وقد كان خرج بالبصرة واحرق دور ولد العباس وهب المأمون جرمه لأخيه علي بن موسى الرضا عليه السلام وقال له يا ابا الحسن لئن خرج اخوك وفعل ما فعل لقد خرج زيد بن علي عليه السلام فقتل ولولا مكانك مني لقتلته فليس ما اتاه بصغير فقال الرضا عليه السلام يا امير المؤمنين لا تقس اخي زيدا الى زيد بن علي عليه السلام فانه كان من علماء آل محمد، غضب الله تعالى فجاهد اعداءه حتى قتل في سبيله ولقد حدثني ابي موسى بن جعفر عليه السلام انه سمع ابا جعفر بن محمد عليه السلام يقول : رحم الله عمي زيدا انه دعا الى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وآله ولو ظفر لو في بما دعا اليه، ولقد استشارني في خروجه فقلت له : يا عمي ان رضيت ان تكون المصلوب بكناسة فشأنك فلما ولي قال جعفر بن محمد عليهما السلام ويل لما سمع داعيته فلم يجبه، فقال المأمون يا ابا الحسن اليس قد جاء فيمن ادعى الامامة بغير حقها ما جاء؟ فقال الرضا عليه السلام ان زيد بن علي عليه السلام لم يدع ما ليس له بحق وانه كان أتقى لله تعالى من ذلك إنه قال : ادعوكم الى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وآله وانما جاء ما جاء فيمن يدعي ان

اللَّهِ تَعَالَى نَصَّ عَلَيْهِ ثُمَّ يَدْعُو إِلَى غَيْرِ دِينِ اللَّهِ وَيُضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَكَانَ زَيْدٌ وَاللَّهُ مِمَّنْ خَوَّطَبَ
بِهَذِهِ الْآيَةِ «وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ وَهُوَ اجْتِبَاكُمْ»

(٢). سورة الحج، الآية : ٧٨

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٥٢

القوة والزاد، والزكاة هي صلة الجماعة المؤمنة بعضها ببعض والتأمين من الحاجة والفساد،
والاعتصام بالله هو العروة الوثقى التي لا انفصام لها بين المعبود والعباد.
وبهذه العُدَات وما سبقتها تملك الأمة المسلمة بقياداتها الصالحة - معصومة وعادلة - ان تقود البشرية
جمعاء .

موسى الرسول عليه السلام يختار قومه دون وحي وهم يطلبون رؤية الله فهل ان

خبرة الشورى أخبر من خبرة موسى عليه السلام

«وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ
وَإِنِّي أَتَّهَلِكُنَا يَمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا
فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ» (١)

لقد تطلبوا إليه أن يرووا الله جهرة : «وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم
الصاعقة وأنتم تنظرون. ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون» (٢).

وهنا يختار موسى سبعين رجلاً لميقات ربه بعدما سأله الرؤية جهرة ولكن خيرته لم تكن خيرة إذ لم
تكن بإختيار الله، إذا فكيف يكون أمر خيرة الأمة الإمر في انتخاب صاحب الأمر بعد الرسول صلى
الله عليه وآله؟ كما يروى عن صاحب الأمر عجل الله تعالى فرجه الشريف (٣).

(١). سورة الاعراف، الآية : ١٥٥

(٢). (٢) : ٥٦

(٣). نور الثقلين ٢ : ٧٦ في كتاب كمال الدين وتمام النعمة باسناده إلى سعد بن عبد الله القمي عن
الحجة القائم عليه السلام حديث طويل وفيه : قلت : فأخبرني يا بن مولاي عن العدة التي تمنع القوم
من اختيار الامام لأنفسهم؟ قال : مصلح أو مفسد؟ قلت : مصلح، قال : فهل يجوز أن تقع خيرتهم

على المفسد بعد أن لا يعلم أحد ما يخطر ببال غيره من صلاح أو فساد؟ قلت : بلى، قال : فهي العلة وأوردها لك ببرهان يتقاد لك عقلك، ثم قال : أخبرني عن الرسل الذين اصطفاهم الله عزَّ وجلَّ وأنزل عليهم الكتب وأيدهم بالوحي والعصمة وهم أعلام الأمم وأهدى إلى الاختيار منهم مثل موسى عليهما السلام هل يجوز مع وفور عقلمهما وكمال علمهما إذ هما بالإختيار أن تقع خيرتهما على المنافق وهما يظنان أنه مؤمن؟ قلت : لا، قال : هذا موسى كليم الله مع وفور عقله وكمال علمه ونزول الوحي عليه اختار من أعيان قومه ووجوه عسكره لميقات ربه عزَّ وجلَّ سبعين رجلاً ممن لا يشك في إيمانهم وإخلاصهم فوقع خيرته على المنافقين قال الله عزَّ وجلَّ : «واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا» إلى قوله «لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم» فلما وجدنا إختيار من قد اصطفاه الله عزَّ وجلَّ للنبوة واقعاً على الأفسد دون الأصلح وهو يظن أنه الأصلح دون الأفسد علمنا أن الإختيار لا يجوز إلا لمن يعلم ما تخفي الصدور وما تكن وما تكن الضمائر ويتصرف عليه السرائر وان لا خطر لاختيار المهاجرين والأنصار بعد وقوع خيرة الأنبياء على ذوي الفساد لما أرادوا الصلاح

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٥٣

وهنا الرجفة ليست إلّا لما اختاره هؤلاء المختارون من إقتراح هارف جارف هو سؤال الرؤية كما في آية البقرة، واللّائح من آية النساء أنه كان قبل إتخاذهم العجل :

«فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعدما جاءتهم البيئات» «١»
وهذه المجاهرة في «أرنا الله جهرة» بعد «لن نؤمن لك» كما في البقرة، كانت قريبة الصلة بأمر الوحي المكاملة، أن لن نؤمن لك، أن الله هو الذي كلمك، إلّا أن نرى الله جهرة.
فقد يكون السبعون المختارون المصعقون من ضمن هؤلاء الذين اتخذوا العجل، وكأنه بديل عن رؤية الله جهرة!.

«فلما أخذتهم الرجفة» المهلكة إياهم «قال» موسى رب «لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي» كيلا يحتج عليّ الباكون أنك أهلكتهم بديلاً عن إجابتهم في سؤالهم «أهلكنا بما فعل السفهاء منا» «٢».
وترى السبعين المصعقين لم يكونوا من السفهاء لئلا يستحقوا الإهلاك؟ وهم السائلون : «أرنا الله جهرة!» أم تعني السفاهة هنا عبادة العجل؟ وقد تأخرت عنها حسب

(١). سورة النساء، الآية : ١٥٣

(٢). بحار الأنوار ١٣ : ٢١٧ - ١٠ في أسئلة الزنديق عن الصادق عليه السلام قال : إن الله أمات قوماً خرجوا مع موسى عليه السلام حين توجه إلى الله فقالوا : أرنا الله جهرة فأماتهم الله ثم أحياهم.

وفي نور الثقلين ٢ : ٧٦ في كتاب التوحيد في باب مجلس الرضا عليه السلام مع أصحاب المقالات والأديان قال عليه السلام : ... ثم موسى بن عمران عليه السلام وأصحابه السبعون الذين أختارهم وصاروا معه إلى الجبل فقالوا له : إنك قد رأيت الله فأرناه سبحانه كما رأيته فقال لهم : إني لم أره فقالوا : «لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة» واحترقوا عن آخرهم وبقي موسى وحيداً فقال : يا رب اخترت سبعين رجلاً من بني إسرائيل فجئت بهم وأرجع وحدي فكيف يصدقني قومي بما أخبرتهم به ؟ فلو شئت اهلكتهم وإياي اهلكنا بما فعل السفهاء منا ؟

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٥٤

آية النساء!

«منا» هنا تعني من السبعين المختارين وسائر السائلين، مع موسى عليه السلام، و «السفهاء» جمعاً، تدل أن السفاهة هنا حصلت من جمع من الثلاث لا كلهم، فلم يكن سؤال الرؤية إلّا من الجمل دون الكل، إذ «أهلكنا بما فعل السفهاء منا» وارد مورد السائلين منهم الرؤية أن كيف تهلك غير السفهاء معهم بما هم دونهم «من قبل» الميعاد وحاضر السؤال فيه.

وهنا «من قبل» ثم من قبلها «لو» إضافة إلى «منا» هي زوايا ثلاث في هندسة القصة تدل على أن القصد ليس هو الإهلاك الواقع، بل هو المستدعي أن يكون «من قبل» حضور الميعاد، أو «من قبل» سؤال الرؤية فيه بعد ما سأله مرة أولى، وهنا «لو» تحيل هذه المشية، ثم «أهلكنا» متفرع على تلك المشية المستحيلة، ف «بما فعل السفهاء» تعني السفهاء الذين يستحقون الإهلاك وهم الذين سألوا الرؤية، دون سائر السفهاء في ذلك الحقل، من الذين سكتوا عن النهي عن المنكر، والذين سألوها نيابة عن الباقيين السائلين، «أهلكنا» جميعاً الشامل لموسى و «من قوم موسى أمة يهتدون بالحق وبه يعدلون» والذين سكتوا والذين سألوا نيابة «بما فعل السفهاء منا» وهم السائلون الرؤية، أم والقائلون لما نجوا من البحر «يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون» (١).

فلو أن هناك عذاباً من ذي قبل لم يكن على سواء بالنسبة للسفهاء، فضلاً عن أن يشمل غيرهم بمن فيهم موسى نفسه.

وكما في قصة السبت «فأنجينا الذين ينهون عن السوء» فلم ينج التاركون للنهي عن السوء كما الفاعلين للسوء مهما تفارقا في نوعية العذاب، حيث إختص «كونوا قردة خاسئين» بالذين صادوا يوم السبت بإحتيال، وللذين تركوا النهي عنه دون ذلك.

أجل إن هي : «الرجفة» الواقعة- أم والمتوقعة ب «لو»- الشاملة المزمجرة «إلّا فتنتك» إمتحاناً لمن سكت وإمتهاناً لمن سفه، وعبرة لمن غاب، وتذكرة لأولي الألباب.

(١). ٧ : ١٣٨

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٥٥

فسماحه سبحانه لذلك السؤال، وأخذهم جميعاً سائلين وسواهم بالرجفة، هذا وذاك فتنة ربانية «تضل بها من تشاء» إضلاله وهو الذي يشاء الضلال «وتهدي من تشاء» هداه وهو الذي يشاء الهدى، وترى كيف حذفت الباء في تهدي؟ علّه لأن الهداية أعم مورداً من مثل هذه الفتنة الصعبة وسواها، وأما الإضلال فهي بصعاب الفتن كما يستحقها أهلها.

«أنت ولينا» فيما تفتننا «فاغفر لنا» ذنوبنا سؤالاً وسكوتاً، «وارحمنا وأنت خير الراحمين».

ذلك، وقد يتبين هنا أن الساكتين هنا- غير السائلين- ما كانوا من الذين عبدوا العجل بعد ذلك، وذلك بأحرى لمن لا يسأل الرؤية الذي هو أخف من عبادة العجل، ألا يعبدوا العجل، فقد كان بين هؤلاء المختارين من سألوا الرؤية وعبدوا العجل، وسواهم الذين لم يسألوا ولم يعبدوا ولكنهم سكتوا عما حصل فوصلهم- إذأ- ما وصل.

وغرب من هؤلاء المجاهيل المغافيل أن يتخذوا العجل بعد سؤال الرؤية وأخذة الرجفة بالصاعقة، كيف لم ينتبهوا فدخلوا فيما هو أفصح من سؤال الرؤية وهو عبادة العجل، ثالث تصاعدي سجله عليهم تاريخهم المنحوس، إعلاناً بعد التوراة في هذه الإذاعة القرآنية كثالوث النصرى فلقد تشابهت قلوبهم المقلوبة في ذلك الإنحراف الإنجراف السحيق الحقيق!

ذلك، وقد أحياهم الله بعد موتهم بدعاه عليه السلام وكما في آية البقرة : «ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون» (١)

ولكنهم كفروا أكفر مما كفروا بديل أن يشكروا إذ «ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات»
«٢».

وذلك البعث بعد الموت برهان لا مردّ له على البعث يوم القيامة الكبرى، والبعث يوم الرجفة وهي
القيامة الصغرى، والحياة البرزخية وهي القيامة الوسطى.
وفي رجعة أخرى إلى آية الإختيار أدبياً ومعنوياً، ترى كيف اختارت «إختار» مفعولين اثنين وليس
لها إلّا مفعول واحد؟ والحل أن «سبعين» عطف بيان للمفعول وليس

(١). ٢ : ٥٦

(٢). ٤ : ١٥٣

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٥٦

مفعولاً ثانياً أو بدلاً.

ثم ولا يصح أنه ثاني المفعولين اللهم إلا بدل البعض من الكل، أم بدل فإنقضيته أن قومه كانوا-
فقط- سبعين رجلاً، وإنما «اختار قومه» والمختارون منهم سبعون كما هو قضية الإختيار.
ولأن عبادة العجل كانت بغياب موسى عليه السلام حين أعجل عن قومه إلى الميقات، وسؤال الرؤية
كان قبل إتخاذ العجل، إذاً فهما ميقاتان إثنان لأمرين إثنين أولهما هذا الذي أخذتهم فيه الرجفة،
والأخرى ما أعجل موسى فيه عن قومه فعبدوا العجل بعد، وهذا مما يبرر ذكرى كلّ لحاله وعلى
حدة، مهما صح فصل قسم من قصة مناسبة عن قسم آخر تقدماً للمؤخر أو تأخيراً للمقدم، كما
تقتضيه المصلحة البلاغية قضية الملابس المؤتية، وهنا تأخر المقدم وتقدم المؤخر في العرض، لأن
المؤخر كان أخزى وأمرًا!

ثم ترى «أتهلكنا بما فعل السفهاء منا» إعتراض على الله أنه أهلك غير المستحقين له؟
كلّا! وإنما هو إستعلام يبينه «إن هي إلّا فتنك» أن ذلك الإهلاك فتنه لكل من هؤلاء الثلاث :
السائلين الرؤية، والساكين عن النهي، والغائبين عن المسرح المنتظرين للنتيجة، فلقد أجاب موسى
نفسه عن سؤاله بإجمال، إجمالاً عن التفصيل الذي علّه بين له دوننا، والقول أن «فعل» الظاهر في
العمل لا يشمل قول السفهاء، إذاً فهي سفاهة أخرى غير قوله الرؤية، مردود بأن الفعل أعم من

العمل، فهو يشمل مثلث فعل اللسان والقلب والأركان سلباً وإيجاباً، وفعل السفهاء هنا هو قولهم : «أرنا الله جهرة» وترك جمع منهم النهي عن المنكر، ونقل ثالث سؤال الرؤية. ذلك، وقد أضل الله هذه الرجفة والإحياء بعدها جمعاً من هؤلاء وهم الذين أصرروا على الضلال بعد سؤال الرؤية «ثم إتخذوا العجل من بعدما جاءتهم البيئات» (١) وهدى آخرين لم يسألوها أم سألوها وتابوا فلم يتخذوا العجل، أم ونهوا عن ذلك السؤال وما أشبهه، والآخرون هم من المعنيين في «من قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه

(١). ٤ : ١٥٣

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٥٧

يعدلون» (١).

هذا، وفي «لو شئت أهلكتهم وإياي» من أدب السؤال ما لا قبيل له لمكان «لو» المحيلة تلك المشية غير الصالحة، فإن موسى عليه السلام لم يكن يستحق معهم الهلاك، ولكنه قد يترجاه حفاظاً على رسالته من الهلاك بتكذيب رفاق هؤلاء الهلكي، ثم «أتهلكنا» إستبعاد لإهلاكه معهم إذ لم يكن يستحقه أبداً، ثم استعمال لإهلاك غير السائلين، التاركين للنهي عن المنكر، وقد أجاب عنه نفسه «إن هي إلّا فتنتك».

وأخيراً يستسلم في دعاءه لله قائلاً : «أنت ولينا» لا سواك، فأنت تفعل بنا ما تشاء ولا تسأل عما تفعل وهم يسألون، وما ذلك السؤال العضال إلّا إستعلاماً وإسترحاماً، فإذ «أنت ولينا فاغفر لنا» لمن سأل ولمن سكت «وارحمنا» برحمتك «وأنت خير الغافرين» عن الذنوب.

(١) الامامة الهادية انما هي بجعل رباني

«وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ» (٢).

«وجعلنا منهم» بني إسرائيل «أئمة» رسلاً «يهدون بأمرنا» تكويناً وتشريعاً، فإنهم حملة أمر الله، ويهدون دلالة وإيصالاً إلى الهدى بأمر الله «لما صبروا» فالصبر في قضايا الإيمان على رزاياه هو من معدّات الإمامة والهداية بأمر الله كما «وكانوا بآياتنا يوقنون».

فالإيقان بآيات الله، والصبر في مسير الإيقان ومصيره، هما جناحان يطير بهما صاحبه إلى سماء الرحمة الربانية حتى يصير إماماً للناس.

وكلما ازداد الإبتلاء في الله، والنجاح فيه تجاه أمر الله، إتسعت دائرة الإمامة وازدادت قوة و بهوراً وكما في إبراهيم : «وإذا ابتلي إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال إني

(١). ٧ : ١٥٩

(٢). ٣٢ : ٣٤

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٥٨

جاعلك للناس إماماً..» وكذلك من ذرية إبراهيم حسب درجاتهم «وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين» (١).

وأفضل الأئمة في ذريته هو الرسول محمد صلى الله عليه وآله وقد جعله الله إماماً عليه وعلى كافة الأئمة رسلاً ونبين وسواهم من المعصومين (٢).

«جعلناهم .. بأمرنا» دليل صارم لا مرد له أن الإمامة ليست إلّا يجعل الله، كما الهداية من الإمام ليست إلّا بأمر الله «لا بأمر الناس يقدمون أمر الله قبل أمرهم وحكم الله قبل حكمهم» (٣) وتأويل هذه الآية يأتي في ائمة المسلمين بعد الرسول صلى الله عليه وآله بأحرى وأولى لأنهم أعلى منهم وأقوى.

«إن ربك يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون» (٤).

طمأنئة أخرى لقلبه المترجرج الجريح من بأس قومه الألداء، «إن ربك» الذي رباك بهذه التربية الفائقة الرسالية «يفصل بينهم» أولاء المختلفين في الحق الذي آتيناك «يوم القيامة» فضلاً واضحاً ناصعاً لا ريب فيه ولا شك يعتريه، واقعاً لا قبل له، مهما فصل هنا بينهم بآياته البينات، ولكنهم «كانوا فيه يختلفون» وأما هناك ففيه فصل القضاء الحاسم

(١). ٢١ : ٧٣

(٢). نور الثقلين ٤ : ٢٣٢ في أصول الكافي بسند متصل عن حفص بن غياث قال قال أبو عبد الله عليه السلام في حفص أن من صبر صبراً قليلاً وأن من جزع جزعاً قليلاً ثم قال : عليك بالصبر في

جميع أمورك فإن الله عز وجل بعث محمداً صلى الله عليه وآله فأمره بالصبر والرفق - إلى قوله -
فصبر حتى نالوه العظام فضاق صدره فأنزل الله عز وجل «ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون
فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين» ثم كذبوه ورموه فحزن لذلك فأنزل الله عز وجل «قد نعلم
أنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون. ولقد كذبت رسل
من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى اتاهم نصرنا» فألزم النبي صلى الله عليه وآله نفسه
الصبر فتعدوا وذكر الله تبارك وتعالى وكذبوه فقال : قد صبرت في نفسي وأهلي وعرضي ولا صبر
لي على ذكر إلهي فأنزل الله عز وجل : «ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما
مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون» فصبر النبي صلى الله عليه وآله في جميع أحواله ثم بشر في
عترته بالأئمة ووصفوا بالصبر فقال جل ثناءه «وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا
يوقنون» فعند ذلك قال صلى الله عليه وآله : الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد

(٣). نور الثقلين ٤ : ٢٣٣ عن تفسير القمي بسند عن جعفر محمد عن أبيه عن آبائه عليهم السلام
قال : الأئمة في كتاب الله إمامان : قال الله تعالى : «وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا» لا بأمر الناس

..

(٤). سورة السجدة، الآية : ٢٥

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٥٩

حيث يزيل كل الخلافات والإختلافات فيعلمون أن الله هو الحق المبين.

«أو لم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات أفلا
يسمعون» (١).

إذا لم يهد لهم إنذار المنذرين «أو لم يهد لهم» ذلك الواقع المبين : «كم أهلكنا من قبلهم من القرون»
الماضية المكذبة بآياتنا، وهم الآن «يمشون في مساكنهم»

- «فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً» (٢)

حيث «وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال»
(٣).

«إن في ذلك» السير الماشي والمشي السائر المبصر «لآيات» لقوم يبصرون «أفلا يسمعون» إلى هذه
الذكريات :

سمع الإنعاط الإيقاظ؟ أم لا يسمعون إلى أخبار الهلكى في القرون التي مضت؟ وإذا لم يروا إلى الموتى كيف تحيي يوم الأخرى فجولة في الأرض الميتة حين تدب فيها الحياة :
«أو لم يروا أننا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون» (٤).

«الأرض الجرز» هي الخاوية عن الإنبات الخالية عن النبات لعدم الماء، ثم «أنا نسوق الماء» سوقاً جوباً، أم برياً من ظاهر الأرض أم باطنها «إلى الأرض الجرز» فلما اجتمع الماء الميت مع الأرض الميتة «فنخرج به زرعاً» حياً من جمع هذين الميتين «تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون» ذلك الإحياء المتواتر ليل نهار.

فهذه الأرض الميتة الجافة البور، هم يرونها يسوق الله إليها الماء المندي الحي، فإذا هي ممرعة بالزرع ممّعة بالحياة، مما يفتح نوافذ القلب المغلقة لاستجلاء الحياة بعد الممات، وتجيش مشاعر الإنسان تقبل تلك الحياة واستقبالها بعد الممات! :

(١). سورة السجدة، الآية : ٢٦

(٢). ٢٨ : ٥٨

(٣). ١٤ : ٤٥

(٤). سورة السجدة، الآية : ٢٧

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج٤، ص : ٦٠

كذلك الله يسوق ماء الحياة إلى أراض الأبدان البالية الجرز فيحييها ويخرج بذلك زرع الأعمال صالحة وطالحة يوم يقوم الحساب، وهو يوم الفتح للذين آمنوا وإنهزام الذين كفروا.
«ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين» (١).

وما أحققهم حجة لتكذيب يوم الفتح أن يخبرهم المؤمنون به بمناه، بعد ما ثبت اصله ومداه! فهل يصح في قياسهم نكران الولادة للمواليد الذين لا يعلمون متى ولدوا، أم نكران موتهم إذ لا يعلمون متى يموتون؟ وأية صلة بين العلم بمتى يوم الفتح وتصديقه!

(٢) انما الامامة الهادية بجعل الله

«وَنَجِّينَاهُ وُلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ» (٢).

لقد ضرب السياق عن مصير ابراهيم بعد البرد السلام صفحاً، وقضية الحال ان الطاغية لم يسطع ان ينكل به بعد حيث أرغم في اشد نكاله به، «ونجيناه» هنا انجاءً عن نجاته من يد الطاغية «نجيناه» من بابل نمرود «ولوطاً» من سدوم وهي «القربة التي كانت تعمل الخبائث» (٣) نجيناهما «الى الأرض التي باركنا فيها للعالمين» وهي القدس الشريف او الفلستين ككل وهي الشام في اطلاقها العام، الشاملة للأردن ولسوريا ولبنان.
«ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلةً وكلًّا جعلنا صالحين» (٤).

هذه الوهبة المباركة بجمعية الصفات، اللامحة لمجموعة من الرحمات، هي «نافلة» :
زائدة على سائر هباته الموهوبة، هبة منفصلة بعد متصلة، هي استمرارية للكيان الابراهيمى على طول خط الرسالة العظيمة الاسرائيلية التي تضم ألوفاً مؤلفة من النبيين والمرسلين.

(١). سورة السجدة، الآية : ٢٨

(٢). سورة الأنبياء، ٢١ : ٧١

(٣). سورة الأنبياء، الآية : ٧٤

(٤). سورة الأنبياء، الآية : ٧٢

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج٤، ص : ٦١

وقد تعني «نافلة»- فيما عنت- نسبة إلى «اسماعيل» فانه أول وهبة زمنياً ورتبياً :
«فأرادوا به كيداً فجعلناهم الأسفلين. وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين. رب هب لي من الصالحين.
فبشرناه بغلام حليم. فلما بلغ معه السعي ... وبشرناه باسحاق نبياً من الصالحين. وباركنا عليه وعلى اسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين» (١).
إذاً «وكلًّا جعلنا صالحين» تحقيق لسئوله في سؤاله : «رب هب لي من الصالحين» وهم اسماعيل واسحاق ويعقوب ومن في ذريتهم من رسل وائمة ونبيين، فهذه الهبة تحلقت على كافة الرسالات والقيادات المعصومة منذ اسماعيل واسحاق ويعقوب إلى كافة المرسلين الاسماعيليين والاسرائيليين، وهاتان الرسالتان هما كل خطوط الرسالات الالهية منذ ابراهيم الى يوم الدين.

ويأ لها من قبة عظيمة قائمة الأصول، منتشرة الفروع، حيث تشمل كافة الرسالات والإمامات، أصالة في الإسماعيلية المحمدية مهما كانت خاتمها، وفرعاً في الإسحاقية الإسرائيلية، مهما كانت من بدايتها، هكذا :

«وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين» (٢).

و «هم» في ذلك الجعل العظيم : ابراهيم واسماعيل ومحمد والمعصومون من عترته عليه السلام كذلك واسحاق ويعقوب والمرسلون من عترته، مهما اختلفت درجات الإمامة والهداية بأمر الله بينهم، فمنهم أئمة اربعة من اولى العزم من الرسل محمد و ابراهيم وموسى وعيسى، ثم الاثنى عشر المحمديون، وهم في درجته العليا إلأ الوحي، ومن ثم اسماعيل واسحاق والرسل الاسرائيليون. فحين يفسر «هم» بأئمتنا المعصومين «٣» فهو تفسير بالصدق المصاديق واعلاها بعد

(١). ٣٧ : ٩٨ - ١١٧

(٢). سورة الانبياء، الآية : ٣

(٣). نور الثقلين ٣ : ٤٤١ في كتاب المناقب عن النبي صلى الله عليه وآله حديث طويل في فضل علي وفاطمة عليهما السلام وفيه قال صلى الله عليه وآله : وارزقهما ذرية طاهرة طيبة مباركة واجعل في ذريتهما البركة، واجعلهم ائمة يهدون بامرئ الى طاعتك ويامر ان بما يرضيك وفيه في اصول الكافي عن ابي عبد الله عليه السلام قال : ان الأئمة في كتاب الله عز وجل امامان قال الله تبارك وتعالى «وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا» لا بأمر الناس، يقدمون ما امر الله قبل امرهم وحكم الله قبل حكمهم قال : وجعلناهم ائمة يدعون الى النار- يقدمون امرهم قبل امر الله وحكمهم قبل حكم الله ويأخذن باهوائهم خلاف ما في كتاب الله، وفيه وفي العيون عن الرضا عليه السلام في حديث الامامة قال : ثم اكرمه الله عز وجل يعني ابراهيم بان جعلها يعني الامامة في ذريته واهل الصفوة والظاهرة فقال عز وجل : «ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا و اوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين» فلم تزل في ذريته يرثها بعض عن بعض قرناً قرناً حتى ورثها النبي صلى الله عليه وآله فقال الله جل جلاله : «ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المتقين» فكانت خاصة ...

وفي تفسير البرهان ٣ : ٦٥ ابن بابويه بسند متصل عن زيد بن علي قال كنت عند ابي علي بن الحسين عليهما السلام اذا دخل عليه جابر بن عبد الله الانصاري فيبينما هو يحدثه اذ خرج اخي محمد من بعض الحجر فاشخص جابر ببصره نحوه ثم قال يا غلام اقبل فاقبل ثم قال ادبر فادبر فقال شمائل رسول الله صلى الله عليه وآله ما اسمك يا غلام؟ قال : محمد قال : ابن من؟ قال ابن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام قال : اذن انت الباقر عليه السلام فاتكى عليه وقبل رأسه ويديه ثم قال يا محمد ان رسول الله صلى الله عليه وآله يقرئك السلام، قال : وعلى رسول الله صلى الله عليه وآله افضل السلام وعليك يا جابر بما فعلت، ثم عاد الى مصلاة فاقبل يحدث ابي ويقول ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي يوماً يا جابر اذا ادركت ولدي محمداً فاقرأه مني السلام اما انه سمي واشبه الناس بي علمه علمي وحكمه حكمي سبعة من ولده امناء معصومون ابرار السابغ منهم مهديهم الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وآله : وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين.

وفيه محمد بن العباس .. عن ابي جعفر عليه السلام في الآية قال عليه السلام يعني الأئمة من ولد فاطمة عليها السلام يوحى اليهم بالروح في صدورهم ثم ذكر ما اكرمهم الله به فقال : فعل الخيرات

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٦٢

الرسول محمد صلى الله عليه وآله وبعدهم هم كافة الرسل الإبراهيميين.

«وجعلناهم» هؤلاء المصطفين - ككل - من ذكروا هنا ومن يُذكروا «أئمة يهدون بامرنا» فكما «جعلناهم أئمة بامرنا» كذلك هم «يهدون بامرنا» فان «بأمرنا» متعلق بكليهما، فالإمامة المجعولة بأمر الله، هي الهادية بأمر الله، هدى معصومة من امامة معصومة لا قصور فيها ولا تقصير.

فليست الإمامة الهادية بامر الأئمة شورى وسواها، ولا بأمر الإمام معصوماً وسواه، وانما الإمامة بجعل الله، وهدايتها بامر الله لا سواه وحتى رسول الله صلى الله عليه وآله، اذ لا يسمح له ان يجعل إماماً معه أم يخلفه بعده.

و «يهدون» يعم التكوينية وهي الايصال الى الهدى، الى جانب التشريعية وهي الهدى

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٦٣

نفسها، فهم يهدون الناس بشرعة الله بامر الله، ويهدونهم توفيقاً للهدى بامر الله، فلا هم انفسهم يهدون تشريعياً ولا تكوينياً، وانما هم اداة رسالية بياناً لشرعة الله، وايصالاً الى هدى الله : «انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء» (١) « ف «ليس لك من الأمر شيء» (٢).

وكما أن كلتا الهدايتين للأئمة رسلاً وسواهم، هما بوحى الله وأمره، كذلك «فعل الخيرات واقام الصلاة وإيتاء الزكاة» حيث «اوحينا اليهم فعل الخيرات .. لا - فقط - كيف يفعلون؟ فانه وحي الشرعة، بل نفس ما يفعلون، فانها بوحى الله، عصمة وتسديداً من الله، وليس ذلك الوحي فوضى جزاف دوناً صلاحية لهم مسبقة، بل «وكانوا لنا عابدين» قبل مثلث الوحي، حتى استحقوه فاصطفاهم الله له رسالياً أم سواه.

هذه هي الامامة المعصومة لا تجعل إلا بامر الله، كما هدايتهم للناس بامر الله بنص خاص، ولتكن كذلك الإمامة غير المعصومة في أية درجة من درجاتها بامر الله، ان تنطبق على النصوص الواردة في شروط الامامة، حيث القيادة الروحية هي من اختصاصات الربوبية، فلا تصلح لمن سواه إلا بامره. «ولوطاً آتينا حكماً وعلماً ونجينا من القرية التي كانت تعمل الخبائث انهم كانوا قوم سوء فاسقين» (٣).

علّ «حكماً» هو حكم القيادة الروحية «وعلماً» علمها بماذا يقود وكيف يقود وهذه هي الإمامة و «القرية» هي سدوم و «تعمل الخبائث» مؤثراً قضية ادب اللفظ، حيث حلقت خبائث أهلها جوهاً تماماً لحدّ كانها كانت تعمل الخبائث، ثم و «انهم» مذكراً قضية المعنى وهم عاملوا الخبائث «كانوا قوم سوء فاسقين» ... «نجينا من الأرض التي باركنا فيها للعالمين» فكان مع ابراهيم وفي حضن رسالته وامامته، مع انه ايضاً كان اماماً لأمته.

(١)

(٢). ٢٨ : ٥٦

(٣). ٣٠ : ١٢٨

(٣). سورة الأنبياء، الآية : ٧٤

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٦٤

«وادخلناه في رحمتنا إته من الصّالحين» «١».

وهكذا يكون دور كل صالح في ميزان اللّٰه انه يدخله في حرمة قدر صلاحه وصلوحه، رحمة في النشآت الثلاث، والرحمة الأخيرة هي حق الخلاص.

«ونوحاً إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم» «٢».

«ونوحاً» ومن بعده عدة من هؤلاء الأئمة، منصوبين إعراباً لأنهم منصوبون كسائر الأئمة في «جعلناهم أئمة».

«ولقد نادانا نوح فلنعلم المجيبون» «٣»

«نادانا» بقوله «رب اني مغلوب فانتصر. فحملناه على ذات الواح ودر. تجري باعيننا جزاء لمن كان

كفر» «٤»

و «الكرب العظيم» هو الغم الشديد والهم المديد من تماديهم في الطغيان، وهو الطوفان الشامل، كما «واهله» أهل كقرينة على ثاني الكربين، ومنهم من آمن معه في غير اهله «واهلك إلنا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل...» «٥».

«ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوم سوءٍ فاغرقتناهم أجمعين» «٦».

ولأن نوح من اولي العزم من الرسل، فشرعته عالمية تحلّق على كافة المكلفين، إذأ «فاغرقتناهم اجمعين، يستغرق كافة المكذبين به في الكرة الأرضية كلها.

(١). سورة الأنبياء، الآية : ٧٥

(٢). سورة الأنبياء، الآية : ٧٦

(٣). ٣٧ : ٧٥

(٤). ٥٤ : ١٤

(٥). ١١ : ٤٠

(٦). سورة الأنبياء، الآية : ٧٧

«وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ» (١).

«ابراهيم» مذكور في سائر القرآن (٦٩) مرة في (٢٥) سورة وهي لغة سريانية قد تعني أب الجماعة الكثيرة وقد قرأت بأشكال تسعة (٢) «أثبتها وأضبّطها «إبراهيم» حسب متواتر القرآن. ولماذا هنا «ابراهيم ربه» تقديمًا للمفعول وهو مفضول؟ علّه اختصاصاً له بذلك الإبتلاء، أم ولأن «ربه» لا مجال له أدبياً لو لا تأخيره إلّا تحريراً له ك «ابتلى رب ابراهيم اياه» فنقصان في ادب اللفظ، ام «ابتلى رب العالمين- او- الله- ابراهيم» فنقصان في حذب المعنى حيث القصد بيان ربوبية خاصة في ذلك الإبتلاء.

وهنا ابتلاء رباني خاص لابراهيم الخليل يبتليه به ربه في اخريات حياته كما تلمح له «من ذريتي» فقد كانت له ذرية بعد الإياس : «قال أبشرتوني على أن مسني الكبر فبم تبشرون» (٣) فلما وهب له ذريته قال : «الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحق إن ربي لسميع الدعاء» (٤).

ثم ومن أهم الكلمات التي ابتلي بها فأتمها بعد نفس الإمامة هي قصة ذبح اسماعيل

(١). سورة البقرة، الآية : ١٢٤

(٢). والثمانية الأخرى هي : «إبراهيم- إبرهيم- ابراهيم- ابراهم- ابراهم- ابراهم- ابرهوم» والظاهر ان هذه كلها الالفاظ السريانية ام عبرانية، والمعربة الصحيحة هي «إبراهيم»، وقد فسرت بتفاسير عدة ك «أب رحيم» برىء من الاصنام هام الى ربه- التشديد النظر- والاولان بعيدان لانها سريانية لا نفسر بتجزئات عربية، رغم ان ذلك خلاف التجزء ايضاً، فاين إب من أب واين راهيم من رحيم! مهما عنت الاب الرحيم من غير هذا التحليل، وقد يعني الأب العالي كما في قاموس الكتاب المقدس للدكتوربوست، يعني اب الجماعة الكثيرة (التكوين ١٧ : ٤ و ٥) : «أما أنا فهوذا عهدي معك وتكون أياً لجمهور من الأمم ٤- فلا يُدعى إسمك بعدُ ابرام بل يكون اسمك إبراهيم لأني اجعلك أياً لجمهور من الأمم ٥- واثمرك كثيراً جداً واجعلك أمماً». وهنا نعرف ان «إب» في السريانية هو الأب و «راهم» هو جمهور الأمم

(٣). (١٥ : ٥٥)

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٦٦

وهو بكر ذريته : «قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك .. إن هذا هو البلاء المبين» «١» «٢».
 إذأ فقد كان ابتلاءه بكلمات فأتمهن، وكان ذلك في اخريات حياته النيرة، مهما شملت «كلمات» طول
 حياته النيرة التي كانت كلها ابتلاآت بكلمات مهما كانت درجات ف «من ذريتي» تشمل ذريته من
 إسماعيل كما من إسحاق.

والإبتلاء الرباني هو الإمتحان الإختبار ليظهر بإتمامه مكنون اللباقة والياقة، إما للمبتلي والمبتلى أمامه
 كما في الخلق، أم دون الاوّل كما للخالق فانه يعلم السر وأخفى، وقد يكون الإبتلاء من خلفيات
 اعتداء الناس قضية إيمانك او سواه، او من نتائج تخلفك عن شرعة الله.
 ثم وليس الإبتلاء الرباني الايماني إلّا في أمور صعبة ملتوية معقدة، لا يسطع لها إلّا الشهداء الأقوياء،
 ويسقط دونها الضعفاء.

وإذا كان المبتلي هو الرب فالبلية هي الأشد حسب مختلف الأهداف منها بدرجاتها، ولأن الإمامة
 الرسالية هي القمة المرموقة من درجات الكمال، فالإبتلاء الهادف اليها، المحضّر لها، هي أصعب
 البليات وأنسبها لهذه الدرجة العليا.

وهنا «ربه» دون «رب العالمين» أما شابه، مما تلمح صارحة صارحة أن هذه البلية بكلمات هي بلية
 ربانية كما تناسب الساحة الإبراهيمية وسماحتها وكما يسطع لها ويليق به دوناً إطاقه تزيل الطاقة.
 وهي مناسبة لتلك الإمامة الخالصة التي هي فوق الرسالة والنبوة حيث جعلت له بعدهما.
 أترى- إذأ- ما هي الكلمات؟ أهي- فقط- كلمات لفظية حملت عليه ليقولها؟ وليست فيها تكلفات
 وبليات! فكثير هؤلاء الذين يُكثرون من كلمات طائلة- أية كلمات- وليس

(٢). ومن ذلك إبتلاءه بابيه آزر ونمرود وسائر المشركين، ومن أبرز بلاءه هنا القاءه في النار وقول
 جبريل له : الك حاجة وجوابه : أما اليك فلا، وعلّ فوقه بلاءً ابتلاءه بذبح إسماعيله عليهما السلام

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٦٧

لهم فيها ابتلاء، ولا هم آهلون لمعانيتها ومغازيها، ولا أنهم مطبقوها! ثم التلطف بهذه الكلمات ليس
اتماماً لها: «فاتمهن» بل هو «قالهن» أما شابه.

أم هي- فقط- أعمال شاقة لا يسطع لها إلا أقوياء بالإيمان؟ وصحيح التعبير عنها وفصيحه هو
«الأعمال» أو «الصالحات» أما شابه دون «كلمات»!.

علّما هي كلمات الله التشريعية: الآمرة والناهية، الخاصة بموقف الإبتلاء الإبراهيمي، التي يخلّف
إتمامها الإمامة بإذن الله؟ ولكن «فاتمهن» بضمير جمع العاقل قد لا تناسبها!.

أم هي- فقط- تطبيق هذه الكلمات بما فيها تحمل الإمامة وذبح إسماعيل فتحقق ضمير العاقل؟
إضافة الى مواد عاقلة في سائر ابتلاءه فانها من منتوجات كمال العقل واللب.

قد تعني «كلمات» هنا كلا الأمرين الإمرين، فإستماع تلك الكلمات التشريعية ولا سيما شرعة
الإمامة، الحصيلة عن سائر الكلمات، إنه ابتلاء، وتقبّلها دون تعنّت وسؤال إبتلاء، وتطبيقها ابتلاء،
كما وقصة أمره بذبح إسماعيل «إن هذا هو البلاء المبين» تشمل مثلث الإبتلاء، الذي لا يخلد بخلد اي
مبتلى.

فإبراهيم: كلمة الله، توجهت إليه كلمة الله- وهي أمر الله- أن يذبح إسماعيل كلمة الله، وذبحه هو
كلمة الله، الدالة على قمة التسليم لله، كما وتحمل الإمامة من عليا هذه الكلمات، وهنا «فاتمهن»
لائقة بهذه الكلمات، فقد أتم إستماع الأمر، والإيمان به، والتسليم له، ثم وتطبيقه.

ذلك! كما ومن الكلمات كلمات الله العليا الأربعة عشر المحمديون «أتمهن» إلى القائم اثنا عشر إماماً
تسعة من ولد الحسين. «١»

والإتمام في ميزان الله- إن صح التعبير- هو إله الإتمام، الذي ليس فوقه إتمام.

(١). نور الثقلين ١ : ١٢٠ في الخصال عن المفضل بن عمر عن الصادق جعفر بن محمد عليهما
السلام قال : سألته عن الآية ما هذه الكلمات؟ قال : التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه وهو انه قال :
يا رب اسألك بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين الا تبت علي فتاب الله عليه أنه هو التواب
الرحيم، فقلت له يا بن رسول الله فما يعني عز وجل بقوله فاتمهن؟ قال : اتمهن إلى القائم ..

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٦٨

إذاً فكل الإبتلاآت الإبراهيمية طول حياته النيرة تشمله «كلمات» وهي الدالات على العناية القمة التربوية الربانية فيما أمره ربه ونهاه، والدالات على قمة التسليم قلبياً إذ سلم له، والدالات على تمام التسليم وكما له إذ طبقها، و «أتمهن» هنا كما تعني أن الله أتم هذه الكلمات في إبراهيم تأييداً وتسديداً، كذلك تعني أن إبراهيم أتمهن حسب الطاقة البشرية مزودة بعصمة ربانية، ويقابله تركهن، أو انقصهن، لا! بل «أتمهن» كما أراده الله منه، وأتمهن الله تكميلاً لناقص الإرادة البشرية بعصمة إلهية.

«قال إني جاعلك للناس إماماً».

هنا «قال» دون «فقال»: تفريراً للإمامة على إتمام الكلمات، لأن إتمامها ليس إلا ظرفاً صالحاً لجعل الإمامة، لا نتيجة ضرورية مفرعة عليه، أم ولأن من هذه الكلمات هي كلمات جعل الإمامة: «إني جاعلك للناس إماماً» ومنها قوله: ومن ذريتي، ثم جوابه:

«قال لا ينال عهدي الظالمين».

فإن الإمامة ولا سيما هذه الكبرى ابتلاءً عظيم بمسئوليتها الكبرى، ثقيلة على من يُحمّلها، عظيم حملها بحملها، ولكن إبراهيم عليه السلام أتمها وأتى بها كما أريد منه.

ثم «إني جاعلك ..» مما يدل على انحصار جعل الإمامة بالله، وانحصاره عن سواه، و «جاعلك .. إماماً» حيث اسم الفاعل عامل في مفعوليه هنا، دليل انه جعل في الحال، حيث الفاعل الماضي لا يعمل، واما الإستقبال فهو مجاز يحتاج إلى دليل، وصدق المشتق بمادته ليس إلّا بصادق واقعها في الحال.

والإمامة بإطلاقها هي القيادة الحقّة كما هنا أو الباطلة كما «جعلناهم أئمة يدعون الى النار» وليس المعني منها في ذلك الجعل ما دون العصمة من القيادة فان إبراهيم كان معصوماً حينه بأعلى درجات النبوة، وان الله لا يجعل قيادة روحية بانتصاب لمن هو دون العصمة، فانه قد يخطأ أو يقصّر أو يقصّر، فكيف يأتّمه الله على قيادته للناس؟!.

بل وليست هذه الإمامة هنا هي الرسالة أو النبوة، فانهما مجموعتان له ماضيتان، ونفس «إني جاعلك» وحيّاً دليل على حاضر الوحي رسالة ونبوة، فكيف يجعله صاحب وحي

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص: ٦٩

وهو رسول، كما وهو الآن في مختتم عمره وقد آتاه الله الحكمة والنبوة في شبابه: «رب هب لي حكماً وألحقي بالصالحين» (١)

- «واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً. إذ قال لأبيه ..» (٢)

وذلك حين كان فتىً وهو يجارب الآلهة المزيفة وعُبَّادها: «فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلًّا جعلنا نبياً» (٣).

فلأن الإمامة هنا هي بعد كامل العبودية والنبوة والسالة والنبوة والخلقة «٤» حيث تحطُّها إلى القمة مرحلياً كلًّا تلو الأخرى، إذأ فهي الإمامة بين المرسلين دون سائر الناس فحسب، حيث الإمامة الرسالية على الناس كانت له سابقة، فلتكن الإمامة الحاصلة بعد إتمام كلماتها هي الإمامة على المرسلين كما هم على سائر الناس.

فكل رسول- غير اولي العزم الذين دارت عليهم الرحي- هو إمام أمته، وولي العزم فوقه هو إمامه، مهما كان في زمنه أم يأتي بعده، فقد جعل الله كلًّا من اولي العزم إماماً لسائر الرسل والنبیین.

فموسى إمام وكتابه إمام، وطبعاً لكافة الرسل الإسرائيليين إلا المسيح عليه السلام: «أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة ...» (٥).

ثم الرسل الإسرائيليون بين الإمامين: موسى والمسيح، هم كذلك أئمة لمن دونهما:

«ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة وكلًّا جعلنا صالحين. وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكوة وكانوا لنا عابدين» (٦)

«ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مريّة من لقاءه وجعلناه هدى لبني اسرائيل.

(١)

(٢). ٢٦ : ٨٣

(٣). ١٩ : ٤١

(٤). ٤٩

(٤). تفسير البرهان ١ : ١٤٩ عن الكافي بسند متصل عن زيد الشحام قال سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول : ان الله تبارك وتعالى اتخذ ابراهيم عبداً قبل ان يتخذه نبياً وان الله اتخذه نبياً قبل ان يتخذه رسولاً وان يتخذه رسولاً وان الله اتخذه رسولاً قبل ان يتخذه خليلاً وان الله اتخذ خليلاً قبل ان يتخذه رسولاً وان يتخذه رسولاً

يتخذه إماماً، فلما جمع له الأشياء قال: «إني جاعلك للناس إماماً» قال: فمن عظمها في عين إبراهيم
«قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين» قال: لا يكون السفيه إمام التقى.

أقول: «نبياً» هنا تؤول الى النبوءة فبعدها الرسالة ثم لم يذكر النبوة بعدها اكتفاءً بالخلة

(٥). ١١ : ١٧

(٦). ٢١ : ٧٣

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٧٠

وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون» (١).

وهنا مرتبة ثالثة من الإمامة الرسالية تحلّق على ولاية العزم وما دونها من رسالات هي الإمامة المحمدية
السامية، المنقطع النظير بين ملاء العالمين، من الملائكة والجنة والناس أجمعين، كما بيّنها هكذا أمثال
قوله تعالى: «وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما
معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءأقررتم وأخذتم على ذلك إصري قالوا أقرنا قال فاشهدوا وأنا معكم
من الشاهدين».

محمد صلى الله عليه وآله اضافة إلى أنه إمام سائر المكلفين، كذلك هو إمام المرسلين والنبيين، وإمام
على اولي العزم من الرسل نوح وإبراهيم وموسى وعيسى، كما وهو امام على الأئمة الإثني عشر من
عترته المعصومين عليهم السلام، وامام على كافة الكرويين.

ف «إني جاعلك للناس إماماً» تعني الإمامة الوسطى، دون العليا المحمدية، ولا الدنيا الرسالية لغير من
دارت عليه الرحي من الرسل.

اجل! وإنما لا تعني أية إمامة رسالية بدرجاتها، لكي تطرد رسالة آدم عليه السلام إذ ظلم بما أكل من
الشجرة فغوى «ولا ينال عهدي الظالمين» يعني عهد الإمامة الوسطى كما لابراهيم، وباحرى العليا
كما لمحمد صلى الله عليه وآله دون سائر الإمامات في سائر الرسالات وأدناها رسالة آدم وقد «عصى
آدم ربه فغوى. ثم اجتبه ربه فتاب عليه وهدى» (٢).

ف «عهدي» هنا هو ذلك العهد الخاص، دون أي عهد كان، فعهد الفطرة الإنسانية- المعبر عنها
بفطرت الله- يناله كل إنسان، وعهد العقلية الإنسانية يناله كل عاقل، وعهد الشرعة الإلهية يناله كل
مؤمن، وعهد الرسالة الإلهية لا يناله إلا المصطفون مهما سبق لهم ظلمٌ ما كآدم، ثم عهد الإمامة بين
المرسلين لا ينال الظالمين، مهما كان ظلماً سابقاً مغفوراً.

وحتى إذا عنت «عهدي» كل إمامة في مثلثها - شاملة لرسالة آدم - لم تكن «الظالمين» نعم ماضية الحال، بل هي حسب الوضع والإستعمال تعني الحال والاستقبال، فليكن من

(١). ٣٣ : ٢٤

(٢). ٢٠ : ١٢١

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٧١

يُجعل إماماً غير ظالم حال جعله وحتى آخر عمره.
اترى آدم الذي ظلم بما عصى «ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى» هل هو طي هذه المراحل تشمله «الظالمين» وصفاً ماضياً بدّل إلى تمام العدل والإصطفاء؟!
إذاً فلتشمل «المشركون» كل الموحددين الذين كانوا مشركين، ثم آمنوا واصبحوا من المقربين كسلمان أمن شابهه من أفاضل المؤمنين.
وكما «الظالمين» حالاً عند جعل الإمامة خارج عن «عهدي» كذلك «الظالمين» استقبالاً، بمناسبة العهد الخاص الرباني الواجب ذكره على اية حال.
بل وكذلك «الظالمين» ماضياً حين يكون فاحشاً كالشرك، ام ايا كان حين تكون الإمامة المطلقة التي تقتضي الإصطفاء المطلق بين ملائ العالمين.
فكما لا ينال عهد الإمامة الوسطى مثل آدم عليه السلام على عصمته حين اصطفاه بالرسالة، فبأحرى ألا ينال أمثال الخلفاء الثلاث، أن يحملوا الإمامة القمة عن الرسول صلى الله عليه وآله.
فالإمامة التي هي عهد خاص رباني هي القيادة الروحية، مهما حملت - واقعياً كما هو شرعياً - القيادة الزمنية.
فمهما عُثون الخلفاء الثلاث ثم الأئمة الاربع بعنوان الإمام، فهم ليسوا ائمة يحملون شرعة الله بذلك الإنتصاب الخاص بعهد خاص.
ثم «عهدي» هنا - وإن على القدر المتيقن - هو عهد الامامة الإبراهيمية وهي بعد المحمدية فضلاً عنها، و «الظالمين» بعد «فاتمهن» هم المنتقصون الكلمات المبتلى بها، ولان الابتلاء لإبراهيم بتلك الكلمات يخلق على كل حياته، فإتمامها كذلك حذو النعل بالنعل.

فكل من انتقص كلمة من هذه الكلمات طيلة حياته، انتقصاً في عدتها ام عدتها، في مادتها ام هيئتها، فقد يعد من «الظالمين» الذين لا ينالهم «عهدي» هذا. ومن أشر الانتقص هو الإشراف بالله، فكيف يجعل إماماً - بهكذا إمامة أم فوقها وهي الحمديّة - من عبد وثناً رديحاً عظيماً من عمره.

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٧٢

فمهما لم تدل «الظالمين» على الماضي، إلّا الانتقص في تلكم الكلمات المحلقة على مثلث الزمان، يمنع منعاً باتاً عن جعل تلك الامامة الكبرى.

ولم تقل «ينال عهدي العادلون» لأن العدل مهما كان ظرفاً لتأهل الإمامة لم تكن لزامه الإمامة، فقد اكتفى بالشرط السليبي وهو عدم انتقص الكلمات في مثلث ازمنا الحياة، حيث يراد هذه الإمامة الخاصة.

إذاً فكيف يحل الإمامة الحمديّة وهي المطلقة القمة، من عبدو وثناً فيما مضى، لا وحتى آدم الذي عصى ربه فغوى، ولا ذا النون إذ ذهب مغاضباً .. فنأدى في الظلمات «اني كنت من الظالمين» ولا موسى «رب إني ظلمت نفسي»! فضلاً عن الخلفاء الثلاث الذي لا يسوون شجع آدم عليه السلام!.

ثم «لا ينال عهدي الظالمين» لا يستلزم انه يناله غير الظالمين بصورة مطلقة، وانما هو سلب لأهلية هذه الامامة عن الظالمين، لا واثبات للزوم الإمامة لغيرهم، فهم إذاً من هو كإبراهيم ام فوقه، وقد تحققت الامامة فوق الإبراهيمية محمد صلى الله عليه وآله وعترته المعصومين اللهم إلّا لفاطمة عليها السلام حيث اكتفي بعصمتها.

فإنما «أبطلت هذه الآية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة فصارت في الصفوة» «١» وهم المصطفون حين جعل الإمامة حتى الموت، مهما زادت الصفوة العليا صفوة في ماضيها، كما في حالها واستقبالهم بأدلة أخرى.

أجل قد يمنع الظلم الماضي من عهد الإمامة إذا كان من كبائر الإثم والفواحش ومن أكبرها وافحشها الإشراف بالله مهما كان مغفوراً بالايان، ولكنه ليس مغفوراً لمنصب الإمامة، فان الإصطفاء، وقاعدة امكان الأشراف، يمنعان انتصاب من كان مشركاً لمنصب

(١). تفسير البرهان ١ : ١٥٠ عن الكافي بسند متصل عن عبدالعزيز بن مسلم في حديث فضل الامامة قال : كنا مع الرضا عليه السلام بمرو- الى ان قال عليه السلام- ان الامامة اجل قدراً واعظم شأنًا واعلى مكاناً وامنع جانباً وابعد غوراً من ان يبلغها الناس بعقولهم او ينالوها بأرائهم وقيموا اماماً باختيارهم، ان الامامة لله عز وجل خص بها ابراهيم الخليل بعد النبوة والخلقة مرتبة ثالثة وفضيلة شرفه بها وأشاد بها ذكره فقال عز وجل «اني جاعلك للناس اماماً» فقال الخليل مسروراً بها «ومن ذريتي» قال الله تبارك وتعالى «لا ينال عهدي الظالمين» فابطلت هذه الآية ..

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٧٣

الإمامة، مهما أصبح من أعدل العدول، كما والغضاضة الشركية السابقة تمنع المأمومين عن الإلتزام بذلك الإمام، مهما صحت خلفه، وصح قضاءه وشهادته أمّا ذا سوى القيادة الروحية العليا وهي إمامة الأمة. (١)»

ثم «ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً» تنفي عن مثل آدم عهد الإمامة المعني ب «عهدي» فليس يكفي في ذلك العهد حاضر العدالة، بل وماضيها كما في حاضرها، حتى تحل في ظرف ظريف طريف حفيف في مثلث الزمان لكل أبعاد العدالة.

مطلق الإمامة الشامل لإمامة الجماعة وإمامة القضاء وإمامة التقليد، لا يقتضي هذه المرتبة القمة من الإصطفاء، ولا تعني الإمامة في الآية مطلقها الشامل لها، بل هي الإمامة المطلقة لمكان «للناس» دون اختصاص بحقل او ناس خاص، كما وأنها فيها بعد الرسالة والنبوة.

فمن يحمل قيادة الأمة الإسلامية ككل بعد إمامة محمد صلى الله عليه وآله ليس إلا من أصفى الأصفياء كما محمد صلى الله عليه وآله في قمتهم علي الإطلاق، فيكيف يصح أن تشمل هذه الإمامة من عبد صنماً، كما و «إني جاعلك» تختص جعل ذلك العهد بالله، واخلفاء الثلاث بعد الرسول لم يكونوا منتصبين من قبل الله، ولا هم أصفياء الامة ككل، باجماع الامة الإسلامية ككل!. ثم النسبة بين هذه الإمامة والنبوة عموم من وجه، فقد يكون نبياً وليس هكذا، كآدم

(١). روى الشيخ في اماليه بسند متصل عن عبدالله بن مسعود والشافعي ابن المغازلي في المناقب على ما في تفسير اللوامع ١ : ٦٢٩- باسناده يرفعه اليه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وكيف صرت دعوة إبراهيم ابيك؟ قال : اوحى الله عز وجل الى ابراهيم «اني جاعلك للناس اماماً»

فاستخف ابراهيم الفرح فقال يا رب ومن ذريتي مثلي، فاوحى الله عز وجل اليه ان يا ابراهيم اني لا اعطيك عهداً لا أفي لك به، قال: يا رب ما العهد الذي لات تفي به؟ قال: لا اعطيك عهداً الظالم من ذريتك، قال يا رب ومن الظالم من ولدي لا ينال عهدك؟ قال: من سجد لصنم من دوني لا اجعله إماماً ابداً ولا يصلح ان يكون اماماً، قال ابراهيم: واجنبي وبنّي ان نعبد الأصنام رب انهن أضللن كثيراً من الناس، ومن ثم قال النبي صلى الله عليه وآله فانتهدت الدعوة إلي والى اخي علي عليه السلام لم يسجد أحد منا لصنم قط فاتخذني الله نبياً وعلياً وصياً (تفسير البرهان ١ : ١٥١).

ومن أخرجه عن ابن مسعود المير محمد صالح الترمذي الكشفي في مناقب مرتضوي ص ٤١، روى عن الحميدي عن عبدالله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله ما ترجمه انه قال: ان دعوة ابراهيم الإمامة لذريته لا تصل إلّا لمن لم يسجد لصنم قط ومن ثم جعلني الله نبياً وعلياً وصياً لي

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٧٤

ومن فوفه من غير اولي العزم، أم يكون إماماً وليس نبياً ولا رسولاً، كالأئمة الإثني عشر المحمديين، ام هو إمام ونبي كاخمسة أولي العزم، ام هو إمام الانبياء والأئمة ككل وهو محمد صلى الله عليه وآله.

ولان ائمة اهل البيت عليهم السلام يحملون الإمامة فهم أفضل من سائر اولي العزم عليهم السلام وقد تدل على ذلك آية التطهير وما أشبهه.

وترى الخليل تطلب من ربه الإمامة الموعودة له للبعض من ذريته : «ومن ذريتي» ؟
علها هي إمامة مطلقة لا مطلق الإمامة كما وانها قضية الموقف : «اني جاعلك ..» إذأ ف «لا ينال عهدي الظالمين» تجتث كل دركات الظلم، ناحية منحى كل درجات العدل في حياة الإمام كلها، وذلك منطبق على ائمة المرسلين بعده : موسى والمسيح ومحمد عليهم السلام، أمّن حذى حذوهم من ائمة الإسلام المعصومين، فلا تشمل - ولأقل تقدير - مثل آدم، الذي عصى ربه قبل رسالته فغوى، مهما اجتباه ربه - بعده - فتاب عليه وهدى.

ومن مميزات هذه الإمامة أن ليس يختص وحيها بالعلوم والمعارف بل وفعل الخيرات، كما والهداية بأمر الله تكويناً وتشريعياً، فكما هم مهتدون بأمر الله فيهما، كذلك هم هادون بأمر الله فيهما، وهم عاملون الخيرات بوحي الله : «وجعلناهم ائمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين» «١».

وإطلاق القول «وكانوا لنا عابدين» ضارباً الى كل أبعاد الماضي- وهي قبل الإمامة- ذلك الإطلاق يخرج كمثلاً آدم عليه السلام.

وفي رجعة أخرى إلى آية الابتلاء :

«و» اذكر يا إمام أئمة الهدى، الرسول المصطفى، «اذكر» ذكرى إبراهيم الخليل عليه السلام كأفضل مثل من أمثولات الإمامة بالابتلاء، ولكي تكون على أهبة لابتلاء أشد وأقوى لإمامة هي أشمل وأنبأ وأعلى، اذكر «إذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات...» فربك يبتليك بكلمات ويجعلك للناس إماماً على العالمين أجمع- كما جعله-!.

«فاتمهن» إبراهيم و «اتمهن» ربه، وأين إتمام من إتمام، وكذلك الله يتم لك وتممه أنت، وابن كلمات من كلمات.

«قال ابني جاعلك للناس إماماً» وقد جُعِلتَ أنت إماماً على النبيين «وإذ اخذ الله

(١). ٢١ : ٧٣

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٧٥

ميثاق النبيين...».

«قال ومن ذريتي» وكما قال موسى «واجعل لي وزيراً من أهلي» ولكن الله جعل لك من ذريتك أئمة يحملون أمانة امامتك ككل وكما يبدو من آية التطهير، الجاعلة طهارتك القمة لأهل بيت رسالتك القدسية وهم الائمة الإثني عشر عليهم السلام.

وقد تعني «بكلمات» قسماً منها يناسب الإمامة الإبراهيمية، ولحمد صلى الله عليه وآله كل الكلمات لأن إمامته هي كل الإمامات : «فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذين يؤمن بالله وكلماته...» (١)

إيماناً علمياً وعقيدياً وعملياً في كل الحقول المعرفية والعملية، دون ابقاءٍ لكلمة يبتلى بها إلها وأتمها كأتمها حتى نال الإمامة الكبرى.

ولئن نال الخليل مرتبة الإمامة بعد العبودية والرسالة والنبوة والخلقة كما تناسب إمامته، فقد نال الحبيب الإمامة الكبرى بعد أن أصبح أول العابدين : «قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين» ثم

اصبح آخر النبيين ورسولاً إليهم اجمعين : «واذ اخذ الله ميثاق النبيين ...» ثم حياً لرب العالمين لحد
يخلف بعمره ربه «لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون» (٢)
كما ويخلف بنفسه «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ...» (٣).

وترى الخليل - بعد - يتطلب من ربه إمامته للبعض من ذريته دون شرط إلّا أنهم من ذريته؟ وذلك
بعيداً عن مقام الخليل أمام ربه الجليل، وقد ابتلي هو نفسه بكلمات، فكيف يدعو لذريته دون
ابتلاء!

«ومن ذريتي» ليست لتعلق - فقط - ب «إني جاعلك ...» بل وقبلها ب «ابتلي ابراهيم ربه بكلمات»
إذاً فلدعاء بعدان اثنان، أن يتبلي ربه من ذريته - كما هو - بكلمات، ثم يجعله بإتمامه إماماً،
فأضاف ربه اليهما بعداً ثالثاً «قال لا ينال عهدي الظالمين» فلا يصلح الظالم أن يتبلي بكلمات تلك
الإمامة حتى يجعل إماماً.

وترى ابراهيم الخليل عليه السلام هو بعد كأضرايه من النبيين، حكمت عليه رغبة امتداد الإمامة في
ذريته فسألها لهم ربه؟ ولا وراثه فيها، ولا تقدم لها فيهم لانه - فقط - ذرية!
نقول هنا : إضافة إلى أن امتداد الشخصية - زمنية او روحية أما هيه؟ - هو رغبة فطرية،

(١). ٧ : ١٥٨

(٢). ١٥ : ٧٢

(٣). ٤ : ٦٥

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٧٦

أودعها الله في فطرت الإنسان، تنمية للحياة، ومضياً في طريقها المرسوم، وقد قرر الإسلام على
أساسه شرعة الميراث وسائر الإختصاص في حقل التربية مادية ومعنوية :
«وأندر عشيرتك الأقربين» - «قوا أنفسكم وأهليكم ناراً» نقول إضافة إلى ذلك إنه استدعاه بشروط،
دونما فوضى جزاف، ودون سلب لغير ذريته، ومن ثم فدعاه - كسائر فعله - إنما هو باذن ربه
ودعاه، قضية التسليم المطلق لساحة الربوبية وقد عرف وحياً من ربه ان من ذريته من اسماعيل من
يأهل لتلك الإمامة.

وكما في دعاه «ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك ...» (١)

وما البعد الثالث لتحقيق ذلك الدعاء : «لا ينال عهدي الظالمين» إلّا توضيحاً لسائر الأجيال في هذه الإذاعة القرآنية العالمية، وليس تفهيماً لإبراهيم، العارف شروطات تلك الإمامة الكبرى كما لمسها في نفسه.

فظالما يدعو إبراهيم إمامته للبعض من ذريته، ولكنه يشترط شرط إتمام نفس الكلمات، مما لا يحصره في ذريته، اللهم إلّا بما أوحى إليه ربه، إلّا يصلح لشروطاتها إلّا بعض من ذريته كمحمد وعترته المعصومون عليهم السلام أجمعين.

وهنا «من ذريتي» لا تعني إلّا البعض منهم، وهم بين عادل وظالم، فتراه أراد الظالمين منهم فقط ترجيحاً للمفضول على الفاضل! أم عنى الفريقين؟ و «من» تبعض! فهو- لا إذأ يعنى العدول منهم- ولاقل تقدير- حالة الإمامة، و «لا ينال عهدي الظالمين» أخرجت كل ظالم منتقص كلمات الابتلاء، ماضياً او مستقبلاً فضلاً عن الحال، فلم يشمل عهد الامامة كل العدول حال الجعل، بل هم العدول في مثل الزمان لقمة العدالة وهي عدم الانتقاص في الكلمات المبتلى بها هكذا إمام.

(١)

(٢٠ : ١٢٨)

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٧٧

طلبة الدولة الاسلامية هامة الخلافة الاسلامية وتبليغها آية التبليغ وحديث

الغدیر :

«يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَيَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ» (١) :

آية التبليغ هذه هي من معتركات الآراء بين الفريقين المسلمين، هل هي تبليغ ما أنزل إلى الرسول صلى الله عليه وآله ككل؟ أم كبعض مما أنزل إليه ونحن لا نعرفه؟ أم هي تحمل أمر التبليغ لولاية الأمر بعد الرسول صلى الله عليه وآله «٢».

وهذه الآية نفسها، ودون النظر إلى ملابسات نزولها - العدة - تدلنا إلى المعنى منها صارحة صارخة، حين تكون النظرة مجردة عن ملابسات متعمّدة وقضايا مذهبية وزوايا العصبية، فكما الله مستقل بذاته في ألوهيته، كذلك كتابه مستقل في دلالاته في دعوته.

فترى ماذا يعنى هنا من «ما أنزل إليك» وهي من أخريات ما نزلت في المائة وقد نفّض الرسول صلى الله عليه وآله يديه عن تبليغ الرسالة الإسلامية بكل أصولها وفروعها، فلم يبق إلّا أن يرتحل إلى جوار رحمة ربه، نافضاً يديه عن كل ما كان عليه؟ اللهم إلّا ...

عناية كل «ما أنزل إليك» برمتها تحوّل الآية إلى تهديد السلب بالسلب: «وإن لم تبلغ ما أنزل إليك فما بلغت ما أنزل إليك» توضيح فضيح للواضح وضخّ النهار، أن كل تارك لشيء تارك له! ذلك، ولم يسبق لذلك التعبير من نظير لهذا البشير النذير.

ثم وتراه أمر بتبليغ كل ما أنزل إليه دفعة واحدة؟ ولم ينزل إليه دفعة واحدة حتى يبلغها دفعة واحدة! كيف وقد نزل ما نزل إليه نجومًا تدريجية: «وقرآنًا فرقناه لتقرأه على

(١). سورة المائدة، الآية: ٦٧

(٢). ذكر الفخر الرازي وجوهاً عشرة عاشرها الذي لم يرض بها تماماً هو انها نزلت بحق الامام علي عليه السلام رغم أن الوجوه التسعة قبلها لا تناسب دلالة الكتاب والسنة، بل هي وجوه مختصرة لتسد عن الوجه الوجه المنزّل الآية

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص: ٧٨

الناس على مكث ونزلناه تنزيلًا» (١)

- «وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلًا» (٢).
ومن ثم فما هو الحكم النازل عليه منذ بزوغ رسالته حتى الآن لم يبلغه؟ والأحكام القرآنية معروفة، كلما نزلت آية أو آيات كان يقرأها مباشرة ودون مكث، فلم يكن مكثه إلّا حسب مكث نزولها ليس إلّا وكما أمر دون أي تباطؤ.

إذاً فهو بعض ما أنزل إليه، فما هو ذلك البعض الذي لو لم يبلغه لم يبلغ شيئاً من رسالته؟ فإن «رسالته» تعني كلها دون البعض منها وإلّا لكانت العبارة «لم تبلغ ما أنزل إليك» أو «لم تبلغه» والنص «وإن لم تفعل فما بلغت رسالته» ككل، فقد كانت رسالته هذه مربوطة النياط بتبليغ «ما أنزل إليك»

وهو النازل الخاص إليه الذي يضمن في حضنه كل النازل عليه من رسالة الله من حيث المحتد والمنزلة.

فما هو «ما أنزل إليك» الذي «إن لم تفعل فما بلغت رسالته» وهو تعبير منقطع النظير في سائر القرآن يحمل حكماً منقطع النظير يبلغه ذلك البشير النذير تحقيقاً لبلاغ رسالة الله هذه الخالدة إلى يوم الدين؟.

ومن سمات «ما أنزل إليك» هنا المسماة تلويحاً فوق كل تصريح أنه «من ربك» دون «الله» أو «رب العالمين» مما يلمح صارحاً صارحاً أن «ما أنزل إليك» يجمع في حضنه كل الربوبية الربانية الخاصة بهذه الرسالة السامية! فهو في وحدته يحمل كل رسالات الله! ف «إن لم تفعل» تبليغ «ما أنزل إليك من ربك» وأنت في حالة الإرتحال إلى ربك بين آونة وأخرى «فما بلغت رسالته» المتمثلة فيما ربك به ربك رسولية ورسالية.

ذلك، لأن «من ربك» تجمع تلك التربية الرسولية والرسالية القمة المنقطعة النظير عن كل بشير ونذير، وهي الشرعة الخالدة القرآنية بمن ينذر بها ويبشر إلى يوم الدين كما

(١). ١٧ : ١٠٦

(٢). ٢٥ : ٣٢

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٧٩

«وذكر بالقرآن من يخاف وعيد».

أتراها بعدد أنها التوحيد؟ وقد بزغت به الرسالة وحتى النفس الأخير، أم هو من سائر الأصول الإسلامية؟ وكذلك الأمر! فضلاً عن فرع من الفروع أم وسائر الفروع! إضافة إلى أن الفروع غير مترابطة لحد لا يصح بعض دون أخرى وهكذا الأصول.

هنا نتأكد أن «ما أنزل إليك من ربك» ليس لا من هذه الأصول ولا من هذه الفروع، حيث الرسول صلى الله عليه وآله عاش حياته الرسالية بلاغاً لها كلها فور نزول كل منها دونما أي إبطاء، ثم «والله يعصمك من الناس» حيث نجدها هنا ولمرة يتيمة في القرآن كله، هذه لا تناسب أهم الأصول وهو التوحيد وقد أعلنه منذ البداية حتى النهاية إعلاناً وإعلاماً دائماً دونما تحوُّف من جوِّ الإشراك، ولا

الرسالة الجديدة الجادة التي كانت تحاربها الشرعة الكتابية مع سائر الطوائف ملحدين ومشركين، فضلاً عن الفروع الأحكامية المخاطب بها المؤمنون بهذه الرسالة!

وهذه عساكر من البراهين المجتدة لتبيين أن «ما أنزل إليك من ربك» لا تعني الوجوه غير الوجيهة المسرودة في بعض الكتابات التفسيرية المشككة، إنما هي نفس الرسالة المحمدية باستمراريتها إلى يوم الدين، فهي هي خلافة العاصمة لها المعصومة كنفس الرسالة، لأنها استمرارية صالحة لهذه الرسالة السامية، فمهما صرح القرآن بخلوده- في آيات عدة- كقانون، كان مكان التصريح بالقيادة المعصومة الحاكمة بالقرآن خالياً.

وترى «ما أنزل إليك من ربك» هو النازل عليه بلغة القرآن أم بلغة السنة؟ علّه بلغة القرآن وعلى ضوءه السنة في آيات الولاية الرسالية «١» ورواياتها، حيث الأهمية الكبرى

(١). وتلكم الآيات امثال آية : ٥- التطهير ٢- والمباهلة و ٣- آية الولاية «انما وليكم الله» وآية : ٤- الطاعة : «اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم» وآيات ٥- المودة في القربى وآية : ٦- ميراث الكتاب «ثم اورثنا الكتاب» مكية ٧- وأولوا الأرحام، وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل، ٨- وآية «ومن الناس من يشرى...» ٩- ويوم يعرض الظالم ١٠- واني جاعلك للناس إماماً ١١- ويتلوه شاهد منه ١٢- ومن عنده علم الكتاب و ١٣- آية النصب «فإذا فرغت فانصب» وهي بين مكيات ومدنيات تدل بمختلف الدلالات على خلافة العصمة بعد الرسول صلى الله عليه وآله ومن الأحاديث حديث الثقلين والوزارة والباب والأخوة.

والمصرحة من هذه الآيات هي آية الولاية «انما وليكم الله...» النازلة هي نفس المائدة وآية الطاعة وآية الميراث وآية النصب، ثم من بينها آية الولاية تبييناً لمعناها انها الأولوية وكما يظهر من «ألست أولى بكم من أنفسكم...».

فآية التبليغ تحمل واجب البلاغ العام الجماهيري ببيان واضح ناصح عن هذه الخلافة المعصومة حيث الأفضلية الروحية قد لا تكفي سداً لثغر الإغتصاب فقد يقال إن القيادة الزمنية أمر غير القيادة الروحية وهما وإن إجتمعا في شخص الرسول صلى الله عليه وآله ولكنهما بعده قد يقتسمان، ولكن الولاية بمعنى الأولوية الطليقة الشرعية الشاملة للقيادة الزمنية والروحية تكفي بياناً عن هذه المهمة الكبرى، فآية ميراث الكتاب والعض وذا القربى مكيات وبقية الثلاث عشر مدنيات

لمادة ذلك البلاغ تقتضي أن تذكر في القرآن والسنة بصيغ مختلفة، ولكنها لما تبلى بصورة رسمية واضحة لا تقبل التأويل، فللجمع بين نصوص الولاية بتفسير بليغ في ذلك الحشد العام الهائم أهميته المنقطعة النظير لهذا البشر النذير.

ولذلك نرى في خطبة البلاغ تركيزاً بارزاً على هذه الآيات وتلكم الروايات، تبليغاً بليغاً فائق التصور، بالغ التصديق الحقيق، وأهم الآيات في مادة البلاغ هي آية النصب في الانشراح وآية الولاية في نفس المائدة، فإن سائر الآيات إنما تثبت الأفضلية الروحية، وقد يذب عنها بأن القيادة الزمنية قد تنفصل عن الروحية، وبلاغ آية الولاية تبيين لمعناها الأولوية كما الرسول أولى بالمؤمنين من أنفسهم «١».

إذاً ف «بلغ» أمر ببلاغ ما أنزل عليه في العهدين : المكي والمدني كتاباً وسنةً، فمن المكي

(١). وهذا أهم الوجوه التي اعتمد عليها الرازي في تفسيره بين الوجوه العشرة، حيث رفض وجه ولاية الأمر واختار البقية وركز على مخافة أهل الكتاب لاحتراف الآية بآتي التنديد بهم قائلاً : واعلم أن هذه الروايات- التي تعني نزول الآية بشأن الغدير- وإن كثرت إلّا أن الأولى حملها على أنه تعالى آمنه من مكر اليهود والنصارى!

وبقة الوجوه كالتالية : ١- انها نزلت في قصة الرجم والقصاص! وهل كان يخاف اليهود وهم كانوا تحت ذمته؟ ٢- نزلت في عيب اليهود واستهزاءهم بالدين والني سكت عنهم فنزلت! ومتى كان يسكت عن ذلك ولم يكن يسكت عن هزم المشركين في العهد المكي؟ ٣- لما نزلت آية التخير «يا أيها النبي قل لأزواجك» فلم يعرضها عليهن خوفاً من اختيارهن الدنيا فنزلت! ولا خوف عن قراءة آية التخير إذ لم تكن مهمته المقام معهن وهن يردن الحياة الدنيا! ٤- انها نزلت في امر زيد وزينب؟ ولم يكتم الرسول صلى الله عليه وآله كتم شيئاً من الوحي فقد اعظم الفرية على الله والله تعالى يقول : «بلغ ما انزل إليك» ولو كتم رسول الله شيئاً من الوحي لكتم قوله «وتخفي في نفسك ما الله مبديه». ٥- انها نزلت في الجهاد فان المنافقين كانوا يكرهونه فكان يمسك احياناً عن حثهم على الجهاد! وكيف هابهم ولم يكن يهاب المشركين الرسميين أن يقاتلهم؟ ٦- لما نزل قوله تعالى : «ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم» سكت الرسول صلى الله عليه وآله عن

عيب آهتهم فنزلت هذه الآية! وهل نزلت بسبهم وعصمه عن ان يسبوا الله عدواً بغير علم؟ ٧-
نزلت في حقوق المسلمين وذلك لأنه قال في حجة الوداع لما بين الشرايع والمناسك هل بلغت؟
قالوا : نعم قال صلى الله عليه وآله اللهم اشهد! وهلا بينَ الشرائع حتى بينها في حجة الوداع وما
هي الشرائع التي لما بينها؟ ٨- روى انه صلى الله عليه وآله نزلت تحت شجرة في بعض اسفاره
وعلق سيفه عليها فأتاه اعرابي وهو نائم فأخذ سيفه واخرطه وقال يا محمد من يمنعك مني؟ فقال :
الله فرعدت يد الأعرابي وسقط السيف من يده وضرب برأسه الشجرة حتى انتثر دماغه؟ وترى ما
هو الذي أنزل اليه ولم يبلغها حتى حصل ما حصل وهكذا يضطرب مثل الرازي كالأرشية في الطوى
البعيدة ويرجح ما لا يناسب تخوفه عن بلاغ ما انزل إليه، فان هذه الأمور هي كلها ادنى تخوفاً بكثير
من اصل الدعوة التوحيدية في جموع المشركين وهذا القوم اللد!

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٨١

«إذا فرغت فانصب. وإلى ربك فارغب» ومن المدني آية الولاية «إنما وليكم الله...

وكما نسمع الرسول صلى الله عليه وآله في تبليغه الهام يوم الغدير يجمع بين هامتها ما نزل عليه في
العهدين، شارحاً لها كما يجب بشأن الأولوية الزمنية والروحية لأئمة أهل البيت عليهم السلام.
فليس ذلك لأن آيات الولاية ورواياتها لم تكن لتدل على هذه الهامة الرسالية، فقد دلت واضحة
ووضّح النهار! ولكن «بلغ» تعني بُعدي الإيضاح البارع الذي لا يقبل أي تأويل، والإفصاح على
رؤوس الأشهاد في حشد عامٍ هامٍ تمد إليه الأعناق، ويعرف هامة بلاغه خاص وعام، ولا يقدر على
إخفائه أصلاً ودلالة أي مسلم، خلاف النصوص الخاصة من السنة التي قد تخفي، أم آيات قد تؤول،
اللهم إلاً آية الولاية في نفس السورة، وقد أمر بتبليغها تفسيراً لها يوم الغدير.

لذلك نراه صميماً على كتابة الوصية بذلك البلاغ حتى يتم اللفظ إلى الكُتُب، ولكنه حصل ما
حصل!.

فلقد حصص الحق المعني من «ما أنزل إليك» أنها البلاغ الذي لولاه فكأنما لم يكن الرسول مبلغاً
لرسالة الله، فسواء ألم يبلغ رسالة الله بأسرها أم بلغها ولم يبلغ إستمراريتها فيمن يمثلها رسولاً
ورسالة.

فكما أن القانون الصالح دون من يطبّقه صالحاً هو غير صالح، والقانون غير الصالح مع يطبّقه من
الصالحين غير صالح، فلا بدّ لإصلاح المجتمع من صالح القانون وصالح من يطبّقه ويحكم به.

كذلك القرآن حيث يحمل الشريعة الأخيرة الخالدة لا يصلح شريعة أبدية لولا الرسول صلى الله عليه
وآله ومن يجذو محذاه وينحو منحاه بعده دعوةً به وتطبيقاً له.

فدور الرسول صلى الله عليه وآله زمن حياته هو دور الوحي قرآنياً وبسنته كأصل وضابطة، وأما
التفسير الصالح المعصوم لذلك القانون المعصوم، بياناً لكل ما تحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة، فو
بجاجة إلى دور الخلافة المعصومة طوال قرونها الظاهرة حتى تنضم كامل التبصرة إلى كمال القانون،
ومن ثم- في زمن الغيبة- فالنواب العامون من الرعيل الأعلى

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٨٢

من رباني الأمة في شوراآتهم الصالحة، هم مُدراء الشريعة الذين يحق لهم أن يحكموا بالكتاب والسنة،
ثم وفي دولة صاحب الأمر عجلَّ الله تعالى فرجه يرجع دور الحكم إلى مدار العصمة كما كانت زمن
الرسول صلى الله عليه وآله والأحد عشر الأئمة قبله عليهم السلام.

وهذه الأدوار المتتالية التي رسمها يوم الغدير ببلاغ «ما أنزل إليك» هي التي تكمل الدين وتتم النعمة
حيث «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً» وهي التي تؤيس
الذين كفروا من نقض أو انتقاص ذلك الدين المتين.

فلا يعني يوم الغدير- فقط- يو تأمير الأمير عليه السلام فإنما هو كنقطة بداية وانطلاق لتثبيت
الإستمرارية الرسولية والرسالية فيمن يحملها وما يحملها من القرآن المعصوم والقوآد المعصومين
عليهم السلام.

فحقاً يقال دونما مجازفة أو مبالغة «وإن لم تفعل فما بلغت رسالته» فحق الرسالة وحقها كما
استمراريتها بمن يمثل الرسول المعصوم صلى الله عليه وآله دعوةً بالكتاب المعصوم.

وهنا يحق القول «اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم
وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً».

ذلك، وكلما كان الدين والقوانين أتم وأبقى، كانت الخلافة المعصومة للحفاظ عليه أوجب وأحرى،
فكيف يُظن برسولنا الأعظم صلى الله عليه وآله أن يُهمل الأمة بعده بلا راع يرعاها حق رعايتها
رسولياً ورسالياً.

فلقد كان صلى الله عليه وآله إذا يخرج في غزوة أو غيرها يخلف مكانه وبمكانته رجلاً يدير رحي
المجتمع الإسلامي حتى يرجع، كما خلف علياً عليه السلام قائلاً : «إن المدينة لا تصلح إلَّا بي أو بك».

فمن كان هذا دينه وهاتيك قوانينه وسيرته في حياته الرسولية المحدودة فما تظن به يفعل في حياته الرسالية بعده وإلى يوم القيامة؟ فهل تظنه يُهمل الأمة حيارى بعد إرتحاله تعصف بهم عواصف الضلالة دون ممثل له يمثله في قيادتهم الروحية والزمنية، مع أن

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٨٣

الضرورة إلى ذلك أشد والحاجة إليه أكد!

ذلك، وترى العصمة المضمونة للرسول صلى الله عليه وآله حتى يبلغ ما أنزل إليه هي العصمة عن بأس المشركين وقد فتحت عاصمة التوحيد من ذي قبل واستسلمت جموع الإشرار أمامه طوعاً أو كرهاً؟!.

أو ترى أن ضمان العصمة هو- فقط- عن بأس أهل الكتاب؟ وقد أسست دولة الاسلام في المدينة والرسول صلى الله عليه وآله يعيش قمة قوتها وشوكتها وهو في أخريات أيام حياته الرسولية؟! وما احتفاف الآية بعصمتها بآيتي التنديد بأهل الكتاب- ولا سيما في ترتيب التأليف الذي قد يختلف عن ترتيب التنزيل- ليس إحتفاقها هكذا مما يرهن على أنه كان يخاف منهم في ذلك البلاغ، فإن دل ذلك على شيء فإنما هو إنباءهم أن هذه الرسالة خالدة بكتابتها ومن يبشر بها من القمة العليا العاصمة المعصومة ف «اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً».

فمهما لم يكن ترتيب التنزيل قاصداً أحياناً حيث ينزل حسب الحاجات والطلبات غير المترابطة أحياناً، فترتيب التأليف قاصداً دون ريب، وعلينا التدبر للحصول على تلك القصد الربانية في ترتيب التأليف، وهو هنا كما بينا من بين الرباط بينها وبين الآيتين، وما أبلغه رباطاً وأفصحه ترتيباً. ذلك، وكيف يخاف أهل الكتاب في أخريات أيامه وهو في قمة القوة والشوكة التي كان يهابها الملوك والرؤساء، ولم يكن يخاف المشركين الذين هم ألدّ منهم وأخطر منذ بزوغ رسالته. وما ذلك الإحتفاف الخاص بآيتي أهل الكتاب إلّا لأنهم هم الذين كانوا يأملون ختام هذه الرسالة بختام حياة الرسول صلى الله عليه وآله ويعملون لإنهاءها بجيل كتابية أكثر مما يحتاله المشركون.

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٨٤

ذلك، فالعصمة الموعودة هنا ليست إلّا عن هؤلاء الناس الناقمين من ولي الأمر بعده صلى الله عليه وآله مهما شملت عصمته عن كل المخاوف بصورة طليقة ما كانت من ذي قبل كما ورد في أسباب النزول.

إذاً فماذا تراه كان يخافه الرسول صلى الله عليه وآله إن بلغ هاتيك الرسالة ببلاغ «ما أنزل إليك من ربك» إلّا الخلافة المرموقة الممدودة، إليها أعناق جموع نعرفهم.

فليس الناس في «والله يعصمك من الناس» إلّا هؤلاء النسناس الناقمين ممن تحقق له ولاية الأمر والإمرة بعد الرسول صلى الله عليه وآله حيث كان يخاف تهريجهم على أصل الرسالة تكديماً له صلى الله عليه وآله وهو بين ظهرائهم، ولا يعني الكفر هنا إلّا الكفر بذلك البلاغ الرسالي الخاص. أجل، إن الرسول صلى الله عليه وآله ما كان يخاف أن يُقتل في يوم من أيام رسالته، ولا في العهد المكي المرح الحرج، فهل كان يخاف في قمة القوة والسيادة أواخر العهد المدني!

ف «الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلّا الله وكفى بالله حسيباً» (١) تسلب كل مخافة في الدعوة الرسالية عن كل الرسل، فضلاً عن سيد المرسلين وخاتم النبيين وأفضل الخلق اجمعين، وفي قمة الشوكة والسلطة الروحية والزمنية!

وحتى إن كان يخشى الناس أحياناً لم يكن يخشاهم على حياته، بل كان يخشاهم على رسالته أن تهتك أو يفتك بها كما في قصة زواجه بزوجة زيد بعد أن قضى منها وطراً، لأنه خلاف سنة جاهلية عريقة، ولكنه طَبَّقَ أمر الله على خشيته تلك التي هي في الحق خشية على رسالة الله.

وأما هنا فقد استمهل - دون إمهال - أمر ذلك البلاغ نظراً أمر جديد جاداً أو طمأنينة عن بأس الناس حتى نزلت «والله يعصمك من الناس» فقام يوم الغدير بذلك البلاغ، إنه كان يخاف إن بلغ هاتيك الرسالة الهامة المرموقة الممدودة إليها الأعناق أن يكذبه نفر ممن آمن به جهاراً متهمين إياه إستغلاله في بلاغ الخلافة فتنفصم بها عرى دعوته الرسالية فيكفرون ويكفر معهم آخرون، فيتزلزل أركان رسالته العالمية الخالدة بينما هو يغادرهم

(١). ٣٣ : ٣٩

لذلك، ولأن الأمر : «بلغ ما أنزل إليك من ربك» ما كان محددًا بوقت، كان يرى ترجيحاً مؤقتاً لأهم الأمرين أن يبطىء تأجيلاً لذلك البلاغ نظراً لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً لا يكون هكذا إمرأً، ويبدله من بعد عسره يسراً حتى نزلت آية البلاغ مرة ثالثة بهذه التأكيد القيمة الحادة الجادة، مُطمئنة إياه عصمته عن بأس الناس فقد نزلت في الأولى : «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك» وزيد عليها في الثانية «وإن لم تفعل فما بلغت رسالته» ثم في الثالثة «والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين» (١).

ذلك، ولقد اصفقت الأمة الاسلامية بأسرها من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين ومن المفسرين وسائر المؤلفين على نزول هذه الآية بشأن بلاغ الأمر لعلي أمير المؤمنين عليه السلام لحد نسيم ابن مسعود (٢) ينقل قراءتها بزيادة- أن علياً مولى المؤمنين- مما خيل إلى بعض البسطاء أنها كانت في الآية فأسقطت ولم تسقط إلّا عقليته الإسلامية!

(١). ابن القتال الشيرازي في روضة الواعظين عن الامام الباقر في حديث مفصل قال الله لرسوله : فأقم يا محمد صلى الله عليه وآله علياً علماً وخذ عليهم البيعة وجدد عهدي وميثاقي لهم الذي واثقتهم عليه فإني قابضك إلي فخشي رسول الله صلى الله عليه وآله من قومه وأهل النفاق والشقاق ان يفرقوا ويرجعوا إلى الجاهلية لما عرف من عداوتهم ولما ينطوي عليه انفسهم لعلي من العداوة والبغضاء وسئل جبرائيل أن يسأل ربه العصمة من الناس وانتظر أن يأتيه جبرائيل بالعصمة من الناس من الله عز وجل فأخر ذلك إلى أن بلغ مسجد الخيف فأتاه جبرائيل وأمره ان يعهد عهده ويقيم حجته علياً للناس ولم يأت به بالعصمة من الله عز وجل الذي اراد حتى بلغ كراع الغميم بين مكة والمدينة فأتاه جبرائيل وأمره بالذي أمر به من قبل ولم يأت به بالعصمة فقال يا جبرائيل اني لأخشى قومي أن يكذبوني ولا يقبلوا قولي في علي فرحل فلما بلغ غدِير خم قبل الجحفة بثلاث أميال أتاه جبرائيل على خمس ساعات مضت من النهار بالزجر والانتهاز والعصمة من الناس فقال يا محمد : ان الله عز وجل يقرئك السلام ويقول لك : «يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس» فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله عندما جاءته العصمة- وذكر قصة البلاغ يوم الغدير على تفصيله إلى أن قال صلى الله عليه وآله في خطبة الغدير : معاشر الناس ما قصرت عن تبليغ ما أنزله الله تعالى إلي وأنا مبين لكم سبب نزول هذه الآية : ان جبرائيل هبط

إلى مراراً ثلاثة يأمرني عن السلام ربي وهو السلام ان أقوم في هذا المشهد فأعلم كل ابيض واسود ان علي بن ابي طالب اخي ووصيي وخليفتي وهو الامام بعدي الذي مني محل هارون من موسى إلاً أنه لا نبي بعدي، هو وليكم بعد الله ورسوله- إلى آخر الخطبة الطويلة وقد طالت في الرمضا. زهاء ساعتين في ذلك الملا العام من المسلمين

(٢). الحافظ ابن مردويه ص ١٠٨ اخرج باسناده ابن مسعود انه قال : كنا نقرأ على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله : يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك- إن علياً مولى المؤمنين- وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس، وقد رواه في الدر المنثور ٣ : ٢٩٨ والشوكاني في فتح القدير والأربلي في كشف الغمة عنه عن زر عن ابن مسعود

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٨٦

ولقد ورد نزولها فيه عليه السلام بشأن قصة الغدير عن ثلاثين مصدراً من اخواننا «١» ورواته من الصحابة مائة وعشرون صحابياً ومن التابعين اربع وثمانون تابعياً وطبقات رواته من أئمة

(١). يذكرها لمغفور له العلامة الاميني في ١ : ٢١٤ - ٢٢٣ هكذا :

نزلت هذه الآية الشريفة يوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة حجة الوداع (١٠ هـ) لما بلغ النبي صلى الله عليه وآله غدير خم فأتاه جبرائيل بها على خمس ساعات مضت من النهار فقال : يا محمد صلى الله عليه وآله إن الله يقرئك السلام ويقول لك : «يا أيها الرسول بلغ ما انزل إليك من ربك» في علي «وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ..» وكان اوائل القوم- وهم مائة الف أو يزيدون- قريباً من الجحفة فأمره أن يرد من تقدم منهم ويجلس من تأخر عنهم في ذلك المكان وان يقيم علياً عليه السلام علماً للناس ويبلغهم ما انزل الله فيه وأخبره بان الله عز وجل قد عصمه من الناس، وما ذكرناه من المتسالم عليه عند اصحابنا الامامية غير انا نحتج في المقام بأحاديث أهل السنة في ذلك فإليك البيان :

١- الحافظ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في كتاب الولاية عن زيد بن ارقم قال : لما نزل النبي صلى الله عليه وآله بغدير خم في رجوعه عن حجة الوداع وكان في وقت الضحى وحر شديد أمر بالدوحات فقمّت ونادى الصلاة جامعة فاجتمعنا فخطب فخطب بالغة ثم قال : إن الله تعالى انزل إلي : «بلغ ما أنزل إليك من ربك والله يعصمك من الناس» وقد أمرني جبرائيل عن ربي أن أقوم في

هذا المشهد وأعلم كل ابيض وأسود ان علي بن ابي طالب اخي ووصيي وخليفتي والامام بعدي فسألت جبرائيل ان يستعفي لي ربي لعلمي بقله المتقين وكثرة المؤذنين لي واللائمين لكثرة ملازمي لعلي وشدة إقباله عليه حتى سموني أذنًا فقال تعالى : «ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم» ولو شئت ان اسميهم وأدل عليهم لفعلت ولكني يسترهم قد تكلمت فلم يرضى الله إلا بتبليغي فيه فاعلموا معاشر الناس ذلك، فان الله قد نصبه لكم ولياً وإماماً وفرض طاعته على كل احد ماض حكمه جائز قوله، ملعون من خالفه، مرحوم من صدقه، اسمعوا واطيعوا فان الله مولاكم وعلي إمامكم، ثم الإمامة في ولدي من صلبه إلى القيامة لا حلال إلا ما احله الله ورسوله ولا حرام إلا ما حرمه الله ورسوله وهم فما من علم إلا وقد حصاه الله فيّ ونقلته إليه فلا تضلوا عنه ولا تستنكفوا منه فهو الذي يهدي إلى الحق ويعمل به، لن يتوب الله على أحد انكره ولن يغفر له، حتماً على الله ان يفعل ذلك أن يعذبه عذاباً نكراً ابد الآبدين فهو افضل الناس بعدي ما نزل الرزق وبقي الخلق، ملعون من خالفه، قولي عن جبرائيل عن الله فلتنظر نفس ما قدمت لغد.

افهموا محكم القرآن ولا تتبعوا متشابهه، ولن يفسر ذلك لكم إلا من أنا آخذ بيده وشائل بعضده، ومعلمكم : ان من كنت مولا فهذا علي مولا ومولاته من الله عز وجل انها انزلها علي، ألا وقد اديت، ألا وقد بلغت، ألا وقد اسمعت، ألا وقد أوضحت، لا تحل إمرة المؤمنين بعدي لأحد غيره، ثم رفعه إلى السماء حتى صارت رجله مع ركة النبي صلى الله عليه وآله وقال : معاشر الناس! هذا أخي ووصي وواعي علمي وخليفتي على من آمن بي وعلى تفسير كتاب ربي، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه والعن من أنكره واغضب على من جحد حقه، اللهم إنك انزلت عند تبين ذلك في علي : «اليوم اكملت لكم دينكم» بإمامته فمن لم يأت به ومن كان من ولدي من صلبه إلى يوم القيامة فأولئك حبطت اعمالهم وفي النار هم خالدون، ان ابليس أخرج آدم عليه السلام من الجنة مع كونه صفوة الله بالحسد فلا تحسدوا فتحبط أعمالكم وتزل أقدامكم، في علي نزلت سورة «والعصر إن الانسان لفي خسر».

معاشر الناس! آمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزل معه من قبل ان نطمس وجوهاً فنردها على ادبارهم أو نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت، النور من الله فيّ ثم في علي ثم في النسل منه إلى القائم المهدي عليه السلام معاشر الناس سيكون من بعدي ائمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون، وان الله وأنا بريآن منهم، انهم وانصارهم واتباعهم في الدرك الأسفل من النار وسيجعلونها ملكاً

اغتصاباً فعندها يفرغ لكم ايها الثقلان ويرسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران - الحديث،
ثم نقل قصة الغدير هذه عن بقية الثلاثين مصدراً

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٨٧

الحديث وحفاظه مأتان وستون نسمة والمؤلفون فيه من الفريقين ستة وعشرون، مما يجعل نزول هذه الآية بشأن غدير الأمير عليه السلام من قمة المتواترات الإسلامية، فلا محيد عن القول به إلا لمن يكفر بهذه الآية و «إن الله لا يهدي القوم الكافرين» ولقد بلغت من عصمته تعالى رسوله صلى الله عليه و آله من بأس الناس في ذلك البلاغ المبين إلى أن هتأ الإمام علياً عليه السلام في ولايته الشيخان وهما رأس الرؤوس في النعمة من إمرته عليه السلام يذكرها إخواننا عن ستين مصدراً ولا ينبئك مثل خبير إذ قال له : بخ بخ لك يا علي أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة «١».

تهنئة الشيخين علياً بامرة المؤمنين :

بخ بخ لك يا علي! اصحبت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة

(١) لقد روى حديث التهنئة فيمن رواه الحافظ أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة بإسناده عن البراء بن عازب، والامام احمد في مسنده ٢٨١ / ٤ عنه والحافظ أبو العباس الشيباني بالاسناد عنه والحافظ أبو يعلى عنه والحافظ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في تفسيره ٣ : ٤٢٨ بالاسناد عن ابن عباس والبراء بن عازب ومحمد بن علي والحافظ احمد بن عقدة في كتاب الولاية بالاسناد عن سعد بن ابي وقاص والحافظ أبو عبدالله المرزباني عن ابي سعيد الخدري والدارقطني وابن بطه عن البراء بن عازب والباقلاني في التمهيد في اصول الدين ١٧١ والخركوشي النيسابوري في شرف المصطفى عنه وابن مردويه في تفسيره عن ابي سعيد الخدري والثعلبي في تفسيره وابن سمان الرازي عن ابن عازب والبيهقي عنه والخطيب البغدادي بسندين صحيحين عن ابي هريرة ٢٣٢ - ٢٣٣ وابن المغازلي في المناقب والعاصي في زين الفتى والسمعاني في فضائل الصحابة عن ابن عازب والغزالي في سر العالمين ٩ والشهرستاني في الملل والنحل والخوازمي في مناقبه ٩٤ وابن الجوزي عن ابن عازب وفخر الدين الرازي في تفسيره الكبير وإسن الأثير الشيباني في النهاية ٤ : ٢٤٦ والتظنزي في الخصائص العلوية وابن الأثير والكنجي الشافعي في كفاية الطالب ص ١٦ وسبط بن الجوزي وعمر بن محمد الملا في وسيلة المتعبدين والطبري في الرياض النضرة والحموي في فرائد السمطين و ٩

اليسابوري وولي الدين الخطيب في مشكاة المصابيح ٥٥٧ وابن كثير في البداية والنهاية ٥ : ٢٠٩ -
٢١٠ والمقرئزي المصري في الخطط ٣ : ٢٢٣ وابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة والقاضي نجم
الدين الأذري في بديع المعاني ٧٥ والمبيدي في شرح الديوان والسيوطي في جمع الجوامع والسهمودي
في وفاء الوفاء باخبار دار المصطفى ٣ : ١٧٣ والقسطلاني في المواهب اللدنية ٣ : ١٣ في معنى المولى
والبخاري وابن حجر العسقلاني في الصواعق المحرقة ٢٦ والسيد علي بن شهاب الدين الهمداني في
مودة القربى والسيد محمود الشبخاني القادري في الصراط السوي في مناقب آل النبي والمنادي في
فيض القدير ٦ : ٢١٨ وباكثر المكي في وسيلة المآل في عد مناقب الآل والزرقاني المالكي في شرح
المواهب ٧ : ١٣ وحسام الدين بن محمد بايزيد السهاريوري في مرافض الرافض والبدخشاني في
كتابية مفتاح النجا في مناقب آل العباد ونزل الأبرار بما صح في أهل البيت الأطهار والشيخ محمد
صدر العالم في معارج العلى في مناقب المرتضى والعمري الدهلوي والسيد محمد الصنعاني في
الروضة الندية شرح التحفة العلوية والكهنوي في مرآت المؤمنين في مناقب اهل بيت سيد المرسلين
ومحمد محبوب العالم في تفسير شاهي والسيد احمد زيني دحلان في الفتوحات الاسلامية ٣ : ٣٠٦
والشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي المدني في حياة علي بن أبي طالب ٢٨ عن ابن عازب

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٨٨

فما أظلمه من ينكر نزول آية التبليغ بشأن تأمير الأمير عليه السلام يوم الغدير وقد أصفقت الآية
نفسها بمتواتر الرواية بشأن نزولها على ذلك، أوليس نكرانه كقراً بكتاب الله وسنة رسول الله صلى
الله عليه وآله؟! و «إن الله لا يهدي القوم الكافرين».

لقد طالت المحاولات الناقمة من الإمام علي عليه السلام أن تجمد دلالة الآية والولاية المصرح بها في
رواية الغدير عن دلالتها الواضحة على الأولوية الطليقة للإمام علي عليه السلام بإمرة المؤمنين،
ولكنها في حقل البرهان جامدة خامدة لا ترجع إلّا بفضح محاوليها والمختالين فيها.

وكيف ينكر أو يتجاهل ما أصفقت الأمة الإسلامية بنقله من المؤرخين «١» والمحدثين «٢» والمفكرين
«٣» والمتكلمين واللغويين.

ذلك ورواة الغدير من الصحابة مائة وعشر «٤» ومن التابعين أربعة وثمانون «٥» ومن العلماء

(١) فمن المؤرخين البلاذري في أنساب الأشراف وابن قتيبة في المعارف والامامة والسياسة والطبري في كتاب مفرد وابن زلاق الليثي في تأليفه والخطيب البغدادي في تاريخه وابن عبد البر في الاستيعاب والشهرستاني في الملل والنحل وابن عساكر في تاريخه وياقوت الحموي في معجم الأدياء ١٨ : ٨٤ وابن الأثير في أسد الغابة وابن ابي الحديد في شرح النهج وابن خلكان في تاريخه والياضي من مرآت الجنان وابن الشيخ البلوي في ألف باء وابن كثير في البداية والنهاية وابن خلدون في مقدمة تاريخه والذهبي في تذكرة الحفاظ والنويري في نهاية الأرب في فنون الأدب والعسقلاني في الاصابة وتهذيب التهذيب وابن الصباغ في الفصول المهمة والمقرئزي في الخطط والسيوطي في جمع من كتبه والقرماني في أخبار الدول ونور الدين الحلبي في السيرة الحلبية وغيرهم

(٢) ومن المحدثين الكبار الامام الشافعي كما في نهاية ابن الأثير والامام احمد بن حنبل في مسنده ومناقبه وابن ماجه في سننه والترمذي في صحيحه والنسائي في الخصائص وأبو يعلى الموصلي في مسنده والبغوي في السنن والدولابي في الكنى والأسماء والطلحاوي في مشكل الآثار والحاكم في المستدرک وابن المغازلي في المناقب وابن مندة الأصبهاني بعدة طرق في تأليفه والخطيب الخوارزمي في المناقب ومقتل الامام السبط عليه السلام والكنجي في كفاية الطالب ومحج الدين الطبري في الرياض النضرة وذخائر العقبى والحموي في فرائد السمطين والهيثمي في مجمع الزوائد والذهبي في التلخيص والجزري في أسنى المطالب والسقطلاني في المواهب اللدنية والمتقي الهندي في كثر العمال والهروي القاري في المرقاة في شرح المشكاة وتاج الدين المناوي في كنوز الحقائق في حديث خير الخلائق وفيض القدير والشيخاني القادري في الصراط المستقيم في مناقب آل النبي وياكثير المكي في وسيلة المال في مناقب الإل والزرقاني في شرح المواهب وابن حمزة الدمشقي في كتاب البيان والتعريف وغيرهم

(٣). ومن أئمة التفسير الطبري والثعلبي والواحدي في أسباب النزول والقرطبي وأبو السعود والفخر الرازي وابن كثير والنيشابوري وجلال الدين السيوطي والخطيب الشربيني والآلوسي وكثير غيرهم

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٨٩

(٤) وأولئك هم حسب حروف الهجاء : ١- أبو هريرة ٢- أ ليلي الأنصاري ٣- أبو زينب بن عوف الأنصاري ٤- أبوفضالة الأنصاري ٥- أبو قدامة الأنصاري ٦- ابو عمرة بن عمرو بن محسن

الأنصاري ٧- أبو الهيثم بن التيهان ٨- أبو رافع القبطي ٩- أبو ذؤيب خويلد بن خالد بن محرث الهذلي ١٠- أبو بكر بن أبي قحافة ١١- أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي ١٢- أي بن كعب الأنصاري ١٣- أسعد بن زرارة الأنصاري ١٤- أسماء بنت عميس الخثعمية ١٥- أم سلمة ١٦- أم هاني بنت أبي طالب ١٧- أبو حمزة انس بن مالك الأنصاري ١٨- براء بن عازب الأنصاري الأوسي ١٩- بريدة بن الحصيبي أبو سهل الأسلمي ٢٠- أبو سعيد ثابت بن وديعة الأنصاري ٢١- جابر بن سمرة بن جنادة أبو سليمان السوائي ٢٢- جابر بن عبدالله الأنصاري ٢٣- جبلة بن عمرو الأنصاري ٢٤- جبير بن مطعم بن عدي القرشي ٢٥- جرير بن عبدالله بن جابر البجلي ٢٦- أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري ٢٧- أبو جنيدة جندع بن عمرو بن مازن الأنصاري ٢٨- حبة بن جوني أبو قدامة العُرَني ٢٩- حُبش بن جنادة السلولي ٣٠- حبيب بن بديل بن ورقاء الخزاعي ٣١- حذيفة بن أسيد أبو شريحة الغفاري ٣٢- حذيفة بن اليمان ٣٣- حسان بن ثابت ٣٤- الامام الحسن المجتبي عليه السلام ٣٥- الامام الحسين الشهيد عليه السلام ٣٦- أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري ٣٧- أبو سليمان خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي ٣٨- خزيمه بن ثابت الأنصاري ٣٩- أبو شريح خويلد ابن عمر الخزاعي ٤٠- رفاعة بن عبد المنذر الأنصاري ٤١- زبير بن العوام ٤٢- زيد بن أرقم الأنصاري ٤٣- ابو سعيد زيد بن ثابت ٤٤- زيد بن يزيد بن شراحيل الأنصاري ٤٥- زيد بن عبدالله الأنصاري ٤٦- أبو اسحاق سعد بن أبي وقاص ٤٧- سعد بن جنادة العوفي ٤٨- سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي ٤٩- أبو سعيد الخدري ٥٠- سعيد بن زيد القرشي ٥١- سعيد بن سعد بن عبادة الأنصاري ٥٢- أبو عبدالله سلمان الفارسي ٥٣- أبو مسلم سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي ٥٤- أبو سليمان سمرة بن جندب الفزاري حليف الأنصار ٥٥- سهل بن حنيف الأنصاري ٥٦- أبو العباس سهل بن سعد الأنصاري ٥٧- أبو أمامة الأنصاري ٥٨- ضميرة الأسدي ٥٩- طلحة بن عبيدالله التميمي ٦٠- عامر بن عمير النميري ٦١- عامر بن ليلي بن حمزة ٦٢- عامر بن ليلي الغفاري ٦٣- أبو الطفيل عامر بن وائلة الليثي ٦٤- عائشة بنت أبي بكر ٦٥- عباس بن عبدالمطلب ٦٦- عبدالرحمن بن عبد رب الأنصاري ٦٧- أبو محمد عبدالرحمن بن عوف ٦٨- عبدالحرمين بن يعمر الديلمي ٦٩- عبدالله بن ابي عبدالأسد المخزومي ٧٠- عبدالله بن بديل بن ورقاء ٧١ عبدالله بن بشير ٧٢- عبدالله بن ثاب الأنصاري ٧٣- عبدالله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي ٧٤- عبدالله بن حنطب القرشي المخزومي ٧٥- عبدالله بن ربيعة ٧٦- عبدالله بن عباس

٧٧- عبدالله بن ابي اوفى علقمة الأسلمي ٧٨- أبو عبدالله الرحمن عبدالله بن عمر بن الخطاب
العدوي ٧٩- عبدالله بن مسعود ٨٠- عبدالله بن ياميل ٨١- عثمان بن عفان ٨٢- عبيد بن عازب
الأنصاري ٨٣- عدي بن حاتم ٨٤- عطية بن بسر المازني ٨٥- عقبه بن عامر الجهني ٨٦- علي بن
أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام ٨٧- عمار بن ياسر ٨٨- عمارة الخزرجي الأنصاري ٨٩- عمر
بن ابي سلمة بن عبدالأسد ٩٠- عمر بن الخطاب ٩١- عمران بن حصين الخزاعي ٩٢- عمرو بن
الحمق الخزاعي ٩٣- عمرو بن شراحيل ٩٤- عمرو بن العاص ٩٥- عمرو بن مرة الجهني ٩٦-
الصديقة الطاهرة عليها السلام ٩٧- فاطمة بنت حمزة ٩٨- قيس بن ثابت الأنصاري ٩٩- قيس بن
سعد بن عبادة الأنصاري ١٠٠- كعب بن عجرة الأنصاري ١٠١- مالك بن الحويرث الليثي ١٠٢-
المقداد بن عمرو الكندي ١٠٣- ناجية بن عمرو الخزاعي ١٠٤- أبو برزة فضلة بن عتبة الأسلمي
١٠٥- نعمان بن عجلان الأنصاري ١٠٦- هاشم المرقال ابن عتبة بن ابي وقاص الزهري ١٠٧- أبو
وسمة وحشي بن حرب الحبشي الحمصي ١٠٨- وهب بن حمزة ١٠٩- أبو جحيفة وهب بن عبدالله
الموائي ١١٠- أبو مُرازم يعلى بن مرة بن وهب الثقفي. فهؤلاء مائة وعشرة من اعظم الصحابة الذين
وجدنا روايتهم لحديث الغدير ولعل هؤلاء الذين ما وجدناهم اكثر بكثير كما هو قضية جمع الغدير
الكثير الكثير

(٥) التابعون حسب حروف التهجي : ١- أبو راشد الجرائي ٢- أبو سلمة ٣- أبو سليمان المؤذن
٤- أبو صالح السمان وان ٥- أبو عنفوانة المازني ٦- أبو عبدالرحيم الكندي ٧- ابو القاسم اصبع بن
نباتة ٨- أبو ليلي الكندي ٩- ياس بن نُذير ١٠- جميل بن عمارة ١١- حارثة بن نصر ١٢- حبيب
بن ابي ثابت ١٣- الحرث بن مالك ١٤- الحسين بن مالك بن الحويرث ١٥- حكم بن عتيبة الكوفي
١٦- حميد بن عمارة الخزرجي ١٧- حميد الطويل ١٨- خيثمة بن عبدالرحمن الجعفي ١٩- ربيعة
الجرشي ٢٠- أبو المثني رباح بن الحارث النخعي ٢١- أبو عمر زاذان بن عمر الكندي ٢٢- أبو
مريم زرّ بن حبيش ٢٣- زياد بن ابي ٢٤- زيد بن يثيع الهمداني ٢٥- سالم بن عبدالله بن عمر بن
الخطاب ٢٦- سعيد بن جبير الأسدي ٢٧- سعيد بن أبي حدان ٢٨- سعيد بن المسيب ٢٩- سعيد
بن وهب ٣٠- أبو يحيى سلمة بن كهيل ٣١- سليم بن قيس الهلالي ٣٢- سليمان بن مهران ٣٣-
سهم بن الحصين الأسدي ٣٤- شهر بن حوشب ٣٥- الضحك بن مزاحم ٣٦- طاووس بن
كيسان ٣٧- طلحة بن المصرف الأيامي ٣٨- عامر بن سعد بن أبي وصاق ٣٩- عائشة بنت سعد

٤٠- عبد الحميد بن المنذر ٤١- عبد بن خير ٤٢- عبد الرحمن بن أبي ليلي ٤٣- عبد الرحمن بن
 سابط ٤٤- عبد الرحمن بن اسعد بن زرارة ٤٥- عبدالله بن شريك ٤٦- عبدالله بن زياد الأسدي
 ٤٧- عبدالله بن محمد بن عقيل ٤٨- عبدالله بن يعلى بن مرة ٤٩- عدي بن ثابت الأنصاري ٥٠-
 عطية بن سعد بن خبادة ٥١- علي بن زيد بن جدعان ٥٢- عمارة بن جوين العبدي ٥٣- عمر بن
 عبدالعزيز الخليفة الأموي ٥٤- عمر بن عبد الغفار ٥٥- عمر بن علي امير المؤمنين عليه السلام
 ٥٦- عمرو بن جعدة بن هبيرة ٥٧- عمرو بن مرة الكوفي ٥٨- عمرو بن عبدالله السبيعي ٥٩-
 عمرو بن ميمون ٦٠- عميرة بن سعد ٦١- عميرة بنت سعد بن مالك ٦٢- عيسى بن طلحة ٦٣-
 فطر بن خليفة المخزومي ٦٤- قبيصة بن ذئيب ٦٥- أبو مريم قيس الثقفي ٦٦- محمد بن عمر بن
 علي أمير المؤمنين عليه السلام ٦٧- مسلم بن صبيح ٦٨- مسلم الملائي ٦٩- مصعب بن سعد بن
 أبي وقاص ٧٠- مطلب بن عبدالله القرشي المخزومي ٧١- مطرق الدراق ٧٢- معروف بن خربوذ
 ٧٣- منصور بن ربيعي ٧٤- موسى بن أكتل ٧٥- مهاجر بن مسمار ٧٦- ميمون البصري ٧٧- نذير
 الضبي ٧٨- هاني بن هاني ٧٩- أبو بلج يحيى بن مسلم الفزاري ٨٠- يحيى بن جعدة ٨١- يزيد بن
 أبي زياد ٨٢- يزيد بن حيان التيمي ٨٣- يزيد بن عبدالرحمن بن الأودي ٨٤- أبو نجيح يسار
 الثقفي، نذكرهم حسب ترتيب وفياتهم

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٩٠

الروايات عن الصحابة والتابعين من القرن الثاني إلى القرن الرابع عشر (٣٦٠) شخصاً «١»

(١) فمن القرن الثاني : ١- عمر بن دينار (١١٥) ٢- محمد بن مسلم بن عبيدالله القرشي الزهري
 (١٢٤) ٣- عبدالرحمن التيمي (١٢٦) ٤- بكر بن سودة (١٢٨) ٥- عبدالله بن ابي نجيح (١٣١) ٦-
 مغيرة بن مقسم (١٣٣) ٧- خالد بن زيد الجمحي (١٣٩) ٨- الحسن بن الحكم النخعي (١٤٠) ٩-
 ادريس بن زيد الأودي لا ١٠- يحيى بن سعيد بن حيان التيمي (١٤٥) ١١- عبد الملك بن أبي
 سليمان العزمي (١٤٥) ١٢- أوف بن أبي جميلة العبدي (١٤٦) ١٣- عبيدالله بن عمر بن حفص
 (١٤٧) ١٤- نعيم بن الحكيم (١٤٨) ١٥- طلحة بن يحيى (١٤٨) ١٦- كثير بن زيد (١٥٠) ١٧-
 محمد بن اسحاق (١٥١) ١٨- معمر بن راشد (١٥٣) ١٩- مسعر بن كدام (١٥٣) ٢٠- الحكم بن
 ابان (١٥٤) ٢١- عبدالله بن شوذب (١٥٧) ٢٢- شعبة بن الحجاج (١٦٠) ٢٣- كامل بن العلا

(١٦٠) ٢٤ - سفيان بن سعيد الثوري (١٦١) ٢٥ - اسماعيل بن يونس (١٦٢) ٢٦ - جعفر بن زياد (١٦٥) ٢٧ - مسلم بن سالم النهدي ٢٨ - قيس بن الربيع (١٦٥) ٢٩ - حماد بن سلمة (١٦٧) ٣٠ - عبدالله بن لهيعة (١٧٤) ٣١ - الواضح بن عبدالله (١٧٥) ٣٢ - شريك بن عبدالله (١٧٧) ٣٣ - عبيدالله بن عبدالرحمن ٣٤ - نوح بن قيس الحدّاني ٣٥ - المطلب بن زياد (١٨٥) ٣٦ - حسان بن ابراهيم الغزي (١٨٦) ٣٧ - جرير بن عبد الحميد (١٨٨) ٣٨ - الفضل بن موسى (١٩٢) ٣٩ - محمد بن جعفر المدني (١٩٣) ٤٠ - اسماعيل بن عليّة (١٩٣) ٤١ - محمد بن ابراهيم السلمى (١٩٤) ٤٢ - محمد بن خازم العزيز (١٩٥) ٤٣ - محمد بن فضيل (١٩٥) ٤٤ - الوكيع بن الجراح (١٩٤) ٤٥ - سفيان بن عيينة (١٩٨) ٤٦ - عبدالله بن نمير (١٩٩) ٤٧ - خنث بن الحرث ٤٨ - موسى بن يعقوب ٤٩ - العلاء بن سالم العطار ٥٠ - الأزرق بن علي بن مسلم ٥١ - هاني بن أيوب ٥٢ - فضيل بن مرزوق الأغر (١٦٠) ٥٣ - سعد بن عُبَيْدة ٥٤ - موسى بن

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٩١

مسلم الخزامي ٥٥ - يعقوب بن جعفر بن ابي كثير الأنصاري ٥٦ - عثمان بن سعد. من القرن الثالث : ٥٧ - ضمرة بن ربيعة (٢٠٢) ٥٨ - محمد بن عبدالله الزبيري (٢٠٣) ٥٩ - مصعب بن المقدم (٢٠٣) ٦٠ - يحيى بن آدم (٢٠٣) ٦١ - زيد بن الحباب الخراساني (٢٠٣) ٦٢ - محمد بن ادريس الشافعي (٢٠٤) ٦٣ - أبو عمرو شباة بن سوار الفزاري (٢٠٦) ٦٤ - محمد بن خالد الحنفي ٦٥ - خلف بن تميم الكوفي (٣٠٦) ٦٦ - أسود بن عامر شاذان (٢٠٨) ٦٧ - حسين بن الحسن الأشقر الفزاري (٢٠٨) ٦٨ - حفص بن عبدالله بن راشد (٢٠٩) ٦٩ - عبد الرزاق بن همام الصنعاني (٢١١) ٧٠ - الحسن بن عطية (٢١٣) ٧١ - عبيدالله بن موسى العبسي (٣١٣) ٧٢ - حسين بن محمد بن بهرام (٢١٣) ٧٣ - عبيدالله بن موسى العبسي (٣١٢) ٧٤ - علي بن قادم الخزاعي (٢١٣) ٧٥ - محمد بن سليمان الخرائي (٢١٣) ٧٦ - عبدالله بن داود (٢١٣) ٧٧ - أبو عبدالرحمن بن دينار العبدي (٢١٥) ٧٨ - يحيى بن حماد الشيباني (٢١٥) ٧٩ - حجاج بن منهال السلمى (٢١٧) ٨٠ - الفضل بن دكين (٢١٨) ٨١ - عفان بن مسلم (٢١٩) ٨٢ - علي بن عياش الأهلاني (٢١٩) ٨٣ - مالك بن اسماعيل بن درهم النهدي (٢١٩) ٨٤ - قاسم بن سلام الهروي (٢٢٣) ٨٥ - محمد بن

كثير (٢٢٣) ٨٦- موسى بن اسماعيل المنقري (٢٢٣) ٨٧- قيس بن حفص بن القعقاع (٢٢٧) ٨٨-
سعید بن منصور (٢٢٧) ٨٩- يحيى بن عبد الحميد الحماني (٢٢٨) ٩٠- ابراهيم بن الحجاج السامي
(٢٣١) ٩١- علي بن حكيم بن ذبيان (٢٣١) ٩٢- خلف بن سالم المهلب (٢٣١) ٩٣- علي بن
محمد الطنافسي (٢٣٣) ٩٤- هذبة بن خالد القيسي (٢٣٥) ٩٥- عبدالله بن محمد العبيسي (٢٣٥)
٩٦- عبيدالله بن عمر الجشمي (٢٣٥) ٩٧- احمد بن عمر بن حفص الجلاب (٢٣٥) ٩٨- ابراهيم
بن المنذر الخزامي (٢٣٦) ٩٩- يحيى بن سليمان الكوفي (٢٣٧) ١٠٠- ابن راهويه الخنظلي (٢٣٧)
١٠١- عثمان بن محمد العبيسي (٢٣٩) ١٠٢- الحسن بن حماد سجادة (٢٤١) ١٠٦- هارون بن
عبدالله (٢٤٣) ١٠٧- حسين بن حريث المروزي (٢٤٤) ١٠٨- هلال بن بشر الأحدث (٣٤٦)
١٠٩- أبو الجوزاء احمد بن عثمان (٢٤٦) ١١٠- محمد بن العلاء (٢٤٨) ١١٥- يوسف بن عيسى
بن دينار المروزي (٢٤٩) ١١٢- نصر بن علي بن نصر الجهضمي (٢٥١) ١١٣- محمد بن بشار
الشهير ب (بندار) (٢٥٢) ١١٤- محمد بن المثنى العنزي (٢٥٢) ١١٥- يوسف بن موسى القطان
(٢٥٣) ١١٦- محمد بن عبدالرحيم صاعقة (٢٥٥) ١١٧- محمد بن عبدالله العدوي المقرئ (٢٥٦)
١١٨- محمد بن اسماعيل البخاري (٢٥٦) صاحب الصحيح ١١٩- الحسن بن عرفة (٣٥٧) ١٢-
عبدالله بن سعيد الكندي (٢٥٧) ١٢١- محمد بن يحيى النيسابوري الدهلي (٢٥٨) ١٢٢- حجاج
بن يوسف الثقفي (٢٥٩) ١٢٣- عثمان بن حكيم الأودي (٣٦١) ١٢٤- عمر بن شبة (٣٦٢)
١٢٥- حمدان احمد بن يوسف السلمي (٣٦٤) ١٢٦- عبيدالله بن عبدالكريم المخزومي (٣٦٤)
١٢٧- احمد بن منصور بن سيار أبو بكر البغدادي صاحب المسند (٢٦٥) ١٢٨- اسماعيل بن عبدالله
بن مسعود العبدي (٢٦٧) ١٢٩- الحسن بن علي بن عفان (٢٧٠) ١٣٠- حمد بن عوف الطائق
الحمصي (٢٧٢) ١٣١- سليمان بن سيف الطائي الحراني ١٣٢- محمد بن يزيد القزويني (٢٧٣)
١٣٣- عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢٧٦) ١٣٤- عبدالملك بن محمد ابو قلابة الرقاشي
(٢٧٦) ١٣٥- احمد بن حازم الغفاري (٢٧٦) ١٣٦- محمد بن عيسى الترمذي (٢٧٩) ١٣٧- احمد
بن يحيى البلاذري (٢٧٩) ١٣٨- ابراهيم بن الحسن الكسائي (٢٨٠) ١٣٩- احمد بن عمرو ابو بكر
الشيباني (٢٨٧) ١٤٠- زكريا بن يحيى السجزي (٢٨٩) ١٤١- عبدالله بن احمد بن حنبل (٢٩٠)
١٤٢- احمد بن عمرو ابو بكر البزار (٢٩٢) ١٤٣- ابراهيم بن عبدالله الكجي صاحب السنن
(٢٩٢) ١٤٤- صالح بن محمد جرزة (٢٩٣) ١٤٥- احمد بن عثمان العبيسي (٢٩٧) ١٤٦- القاضي

علي بن محمد المصيصي (٢٩٣) ١٤٧ - ابراهيم بن يونس المؤدب حرمي ١٤٨ - أبو هريرة محمد بن
ايوب الواسطي. القرن الرابع : ١٤٩ - عبدالله بن الصفر السكري (٣٠٢) ١٥٠ - احمد بن شعيب
النسائي صاحب السنن (٣٠٣) ١٥١ - بن الحسن بن سفيان النسوي البالوزي صاحب المسند الكبير
(٣٠٣) ١٥٢ - احمد بن علي الموصلي صاحب المسند الكبير

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج٤، ص : ٩٢

(٣٠٧) ١٥٣ - احمد بن جرير الطبري صاحب التفسير والتاريخ (٣١٠) ١٥٤ - احمد بن محمد
الضبي الأحول (٣١١) ١٥٥ - محمد بن جمعة القهستاني صاحب المسند الكبير (٣١٣) ١٥٦ -
عبدالله بن محمد البغوي (٣١٧) ١٥٧ - محمد بن احمد الدولابي (٣٢٠) ١٥٨ - احمد بن عبدالله
المعروف بابن النيري (٣٢٠) ١٥٩ - أبو جعفر احمد بن محمد الازدي الطحاوي (٣٢١) ١٦٠ -
ابراهيم بن عبدالصمد الهامشي (٣٢٥) ١٦١ - محمد بن علي الترمذي ١٦٣ - احمد بن عبد ربه
القرطبي (٣٢٨) ١٦٤ - الفقيه أبو عبدالله الحسين بن اسماعيل المحاملي (٣٣٠) ١٦٥ - حبشون بن
موسى الخلال (٣٣١) ١٦٦ - أبو العباس أحمد بن عقدة (٣٣٣) ١٦٧ - محمد بن علي بن خلف
العطار ١٦٨ - الهيثم بن كليب ابو سعيد الشاشي (٣٣٥) ١٦٩ - محمد بن صالح بن هاني الوراق
النيسابوري (٣٤٠) ١٧٠ - محمد بن يعقوب (٣٤٤) ١٧١ - يحيى بن محمد الغبري البغياتي (٣٤٤)
١٧٢ - المسعودي علي بن الحسين البغدادي (٣٦٤) ١٧٣ - محمد بن احمد بن تميم الخياط القنطري
(٣٤٠) ١٧٤ - جعفر بن محمد بن نصير (٣٤٧) ١٧٥ - محمد بن علي الشيباني ١٧٦ - دعلج بن احمد
السجستاني (٣٤١) ١٧٧ - محمد بن الحسن بن محمد النقاش المفسر الموصلي (٣٥١) ١٧٨ - محمد بن
عبدالله الشافعي البزاز (٣٥٤) ١٧٩ - محمد بن حبان التيمي البستي (٣٥٤) ١٨٠ - سليمان بن احمد
بن ايوب اللخمي الطبراني (٣٦٠) ١٨١ - احمد بن حنبل صاحب المسند الكبير (٣٦٥) ١٨٢ - احمد
بن جعفر القطيعي (٣٦٧) ١٨٣ - الزبير بن عبدالله التوزي (٣٧٠) ١٨٤ - محمد بن احمد بن بالويه
النيسابوري (٣٧٤) ١٨٥ - علي بن عمر بن أحمد الدارقطني (٣٨٥) ١٨٦ - الحسن بن ابراهيم بن
رولاق (٣٨٧) ١٨٨ - محمد بن عبدالرحمن الذهبي (٣٨٨) ١٨٩ - احمد بن سهل الفقيه البخاري
(١٩٠) النسائي ١٩١ - يحيى بن محمد الأخباري. القرن الخامس : ١٩٢ - أبو بكر الباقلائي (٤٠٣)

١٩٣- محمد بن عبد الله ابن الشيخ النيسابوري (٤٠٥) ١٩٤- احمد بن محمد بن موسى (٤٠٥)
١٩٥- الخركوشي (٤٠٧) ١٩٦- احمد بن عبدالرحمن الشيرازي (٤٠٧) ١٩٧- محمد بن احمد بن
محمد (٤١٢) ١٩٨- ابن مردويه الأصبهاني (٤١٦) ١٩٩- احمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (٤٢١)
٢٠٠- القاضي احمد بن الحسين ابن السماك (٤٢٤) ٢٠١- الثعلبي النيسابوري المفسر الشهير (٤٢٧)
٢٠٢- عبدالله بن علي بن محمد بن بشران (٤٢٩) ٢٠٣- الثعالبي النيسابوري (٤٢٩) ٢٠٤- أبو
نعيم الأصبهاني (٤٣٠) ٢٠٥- الحسن بن علي بن محمد التيمي ابن المذهب (٤٤٤) ٢٠٦- ابن
السمان (٤٤٥) ٢٠٧- البيهقي (٤٥٨) ٢٠٨- القرطبي (٤٦٣) صاحب الاستيعاب ٢٠٩- الخطيب
البغدادي (٤٦٣) ٢١٠- الواحدي النيسابوري (٤٦٨) ٢١١- مسعود بن ناصر بن عبدالله السجزي
(٤٧٧) ٢١٢- ابن المغازلي (٤٨٣) ٢٣١- علي بن الحسن القاضي الخلعي (٤٩٢) ٢١٤- ابن الحداد
الحسكاني (٤٩٠) ٢١٥- احمد بن محمد بن علي العاصمي. القرن السادس : ٢١٦- حجة الاسلام
الغزالي (٥٠٥) ٢١٧- محمد بن علي الكوفي الرسبي (٥١٠) ٢١٨- ابن منده (٥١٢) ٢١٩- البغوي
(٥١٦) ٢٢٠- عبدالواحد الشيباني (٥٢٥) ٢٢١- علي بن عبدالله بن نصر بن السري الزاغوني
(٥٢٧) ٢٢٢- رزين بن معاوية العبدي الأندلسي (٥٣٥) ٢٢٣- جار الله محمود بن عمر الزنجشري
(٥٣٨) ٢٢٤- القاضي عياض اليحصبي السبتي (٥٤٤) ٢٢٥- الشهرستاني الشافعي (٥٤٨) ٢٢٦-
النظري ٢٢٧- السمعاني الشافعي (٥٦٢) ٢٢٨- يحيى بن سعدون بن تمام الأزدي القرطبي (٥٦٧)
صاحب التفسير الكبير ٢٢٩- موفق بن احمد ابن المؤيد اخطب الخطباء الخوارزمي (٥٦٨) ٢٣٠-
الأربلي المعروف بملأ ٢٣١- علي بن الحسن بن هبة الله أبو القاسم الدمشقي ثقة الدين الشهير بابن
عساكر (٥٧١) صاحب التاريخ الكبير ٢٣٢- محمد بن أبي بكر عمر بن ابي عيسى الاصبهاني (٥٨١)
٢٣٣- أبو بكر الحازمي (٥٨٤) ٢٣٤- ابن الجوزي البكري (٥٩٧) ٢٣٥- الفقيه اسعد بن ابي
الفضائل محمود بن خلف العجلي أبو الفتوح (٦٠٠)

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٩٣

. القرن السابع : ٢٣٦- فخر الدين الرازي (٦٠٦) صاحب التفسير الكبير ٢٣٧- ابن الأثير الشيباني
الجزري (٦٠٦) ٢٣٨- أبو الحجاج يوسف بن محمد البلوي المالكي الشهير بابن الشيخ (٦٠٥)

٢٣٩- تاج الدين زيد بن الحسن بن زيد الكندي (٦١٣) ٢٤٠- الشيخ علي بن حميه القرشي (٦٢١)
٢٤١- أبو عبدالله ياقوت الحموي (٦٢٦) ٢٤٢- علي بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير
الجزري (٦٣٠) صاحب التاريخ الكامل واسد الغابة ٢٤٣- حنبل بن عبدالله بن الفرغ البغدادي
الرصافي (٦٤٠) ٢٤٤- ضياء الدين محمد بن عبدالواحد المقدسي (٦٤٣) ٢٤٥- محمد بن طلحة
القرشي النصيبي ٢٤٦- أبو المظفر يوسف الأمير حسام الدين قزاً وجلي (٦٥٤) ٢٤٧- ابن أبي
الحديد المعتزلي (٦٥٥) ٢٤٨- الكنجي الشافعي (٦٥٨) صاحب كفاية الطالب ٢٤٩- عبدالرزاق بن
عبدالله بن ابي بكر عزالدين الرسغي (٦٦١) ٢٥٠- فضل الله بن ابي سعيد الحسن الشافعي
النوربشتي ٢٥١- يحيى الدين يحيى بن شرف النووي (٦٧٦) ٢٥٢- الشيخ مجدالدين عبدالله بن
محمود بن مورود الحنفي الموصلبي (٦٨٣) ٢٥٣- القاضي ناصر الدين عبدالله عمر ابو الخير
البيضاوي (٦٨٥) صاحب الطواع والمصباح في أصول الدين ومختصر الكشاف في التفسير وتأليفات
اخرى ٢٥٤- احمد بن عبدالله فقيه الحرم محب الدين أبو العباس الطبري (٦٩٤) ٢٥٥- ابراهيم بن
عبدالله الرصابي اليمني ٢٥٦- محمد بن احمد الرغاني (٧٠٠).

القرن الثامن : ٢٥٧- شيخ الاسلام ابو اسحاق ابراهيم بن سعد الدين محمد بن المؤيد الحمويه
(٧٢٢) ٢٥٨- علاء الدين احمد بن محمد بن احمد السمناني (٧٣٦) ٢٥٩- يوسف بن عبدالرحمن
الدمشقي المزني ٢٦٠- شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي الشافعي (٧٤٨) ٢٦١- نظام
الدين النيسابوري صاحب التفسير الكبير ٢٦٢- ولي الدين محمد بن عبدالله الخطيب العمري
التبريزي صاحب مشكاة المصابيح ٢٦٣- ابو محمد القيس الحنفي النحوي (٧٤٩) ٢٦٤- ابن
الوردي (٧٤٩) ٣٦٥- جمال الدين محمد بن يوسف بن الحسن بن محمد الزرندي (٧٥٠) ٢٦٦-
القاضي عبدالرحمن بن احمد الأبيجي (٧٥٦) ٢٦٧- الكازروني (٧٥٨) ٢٦٨- أبو السعادات عبدالله
بن اسعد بن علي اليافعي الشافعي (٧٦٨) ٢٦٩- عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير القيسي
(٧٧٤) ٢٧٠- عمر بن حسن بن مزيد بن أميله المراغي (٧٧٨) ٢٧١- شمس الدين أبو عبدالله محمد
بن احمد بن علي الهواري ابن جابر الأندلسي (٧٨٠) ٢٧٢- السيد علي شهاب بن محمد الهمداني
(٧٨٦) ٢٧٣- المقدسي المعروف بالصامت (٧٨٩) ٢٧٤- سعد الدين مسعود بن عمر بن عبدالله
الهروي (٧٩١). القرن التاسع : ٣٧٥- علي بن أبي بكر بن سليمان بن أبو الحسن الهيثمي (٨٠٧)
٢٧٦- ابن خلدون الحضرمي الأشبيلي المالكي (٨٠٨) ٢٧٧- السيد الشيف الجرجاني (٦١٨)

٢٧٨ - خواجه پارسا (٨٢٢) ٢٧٩ - محمد بن خليفة الوشتاني المالكي (٨٢٧) ٢٨٠ - محمد بن محمد
 بن محمد ابو الخير الدمشقي المقرئ المعروف بابن الجوزي (٨٣٣) ٢٨١ - المقرئ الحنفي (٨٤٥)
 ٢٨٢ - الدولت آبادي (٨٤٩) ٢٨٣ - العسقلاني (٨٢٥) ٢٨٤ - ابن الصباغ المالكي (٨٥٥) ٢٨٥ -
 العيني الحنفي (٨٨٥) ٢٨٦ - ابن عجلون (٨٧٦) ٢٨٧ - القوشجي صاحب شرح التجريد ٢٨٨ -
 الأبي الشافعي ٢٨٩ - السنوسي التلمساني (٨٩٥) ٢٩٠ - ابن روزبهان الشيرازي خواجه ملاً.
 القرن العاشر : ٢٩١ - الميدي شارح الديوان المنسوب الى امير المؤمنين عليه السلام (٨٧٠) ٢٩٢ -
 السيوطي (٩١١) ٢٩٣ - السهودي الشافعي (٩١١) ٢٩٤ - القسطلاني المصري (٩٢٦) ٢٩٥ - السيد
 عبدالوهاب بن محمد رفيع الدين احمد الحسي البخاري (٩٣٢) ٢٩٦ - ابن الدبيع الشيباني (٩٤٤)
 ٢٩٧ - ابن حجر الهيتمي (٩٧٤) ٢٩٨ - المتقي الهندي (٩٧٥) ٢٩٩ - الشريبي القاهري (٩٧٧)
 ٣٠٠ - ضياء الدين أبو محمد احمد بن محمد الوتري (٩٨٠) ٣٠١ - ملك المحدثين الهندي الفتني
 (٩٨٦) ٣٠٢ - ميرزا مخدوم بن عبد الباقي (٩٩٥) ٣٠٣ - الصفوري الشافعي مؤلف نزهة المجالس
 ٣٠٤ - الشيرازي صاحب الأربعين (١٠٠٠).
 القرن الحادي عشر : ٣٠٥ - الهروي المعروف بالقاري الحنفي (١٠١٤) ٣٠٦ - ابن سان القرماني
 (١٠١٩) ٣٠٧ - المناوي القاهري (١٠٣١) ٣٠٨ - الفقيه شيخ عبد الله العيدروس الحسيني (١٠٤١)
 ٣٠٩ - الشيخاني القادري ٣١٠ - علي بن ابراهيم صاحب السيرة النبوية (١٠٤٤) ٣١١ - ابن باكثير
 المكي (١٠٤٧) ٣١٢ - الحسين بن الامام المنصور بالله القاسم بن محمد بن علي اليميني (١٠٥٠)
 ٣١٣ - شهاب الدين الخفاجي (١٠٦٩) ٣١٤ - عبدالحق بن سيف الدين الدهلوي البخاري (١٠٥٢)
 ٣١٥ - محمد بن محمد المصري ٣١٦ - محمد بن محبوب صاحب تفسير الشاهي.
 القرن الثاني عشر : ٣١٧ - البزرجي الشافعي (١١٠٣) ٣١٨ - الشيرخيتي المصري (١١٠٦) ٣١٩ -
 الصنعاني (١١٠٨) ٣٢٠ - ابن حمزة الحراني (١١٢٠) ٣٢١ - الزرقاني المصري (١١٢٢) ٣٢٢ -
 السهارينوري صاحب مرافض الروافض ٣٢٣ - ميرزا محمد بن معتمد خان البدخشي ٣٢٤ - محمد
 صدر العالم ٣٢٥ - العمادي (١١٧١) ٣٢٦ - العمري الدهلوي (١١٧٦) ٣٢٧ - محمد بن سالم بن
 احمد المصري الحنفي (١١٨١) ٣٢٨ - الصنعاني الحسيني (١١٨٢) ٣٢٩ - شهاب الدين احمد بن عبد
 القادر الحفطي احد شعراء الغدير. القرن الثالث عشر : ٣٣٠ - الزبيدي الحنفي (١٢٠٥) مؤلف تاج
 العروس ٣٣١ - الشيخ محمد بن علي الصبّان الشافعي (١٢٠٦) ٣٣٢ - رشيد الدين خان الدهلوي

٣٣٣- المولوي محمد مبین اللکهنودي ٣٣٤- المولوي محمد سالم البخاري الدهولي ٣٣٥- المولوي ولي الله الکهنودي ٣٣٦- المولوي حيدر علي الفيض آبادي ٣٣٧- الشوكاني الصنعاني (١٢٥٠) ٣٣٨- الآلوسي (١٢٧٠) ٣٣٩- الشيخ محمد بن درويش الحوت البيروتي (١٢٧٦) ٣٤٠- خواجه کلان (١٢٩٣) ٣٤١- السيد احمد بن مصطفى القادين خاني. القرن الرابع عشر : ٣٤٢- السيد احمد زيني دحلان (١٣٠٤) ٣٤٣- الشيخ يوسف بن اسماعيل النبهاني مؤلف منتخب الصحيحين من كلام سيد الكونين ٣٤٤- السيد مؤمن ابن حسن مؤمن الشبلنجي ٣٤٥- الشيخ محمد عبده (١٣٢٣) مفتي الديار المصرية ٣٤٦- السيد عبدالحميد بن السيد محمود الآلوسي الضرير (١٣٢٤) ٣٤٧- الشيخ محمد حبيب الله بن عبدالله اليوسفي ٣٤٨- القاضي بهلول بهجت قاضي رنكة زور ٣٤٩- الكاتب الشهير عبدالمسيح الأنطاكي ٥٣٠- الدكتور احمد فريد رفاعي ٣٥١- الأستاذ احمد زكي العدوي ٣٥٢- الأستاذ احمد نسيم المصري ٣٥٣- الأستاذ حسين علي الأعظمي البغدادي ٣٥٤- السيد علي جلال الدين الحسيني المصري ٣٥٥- الأستاذ محمد محمود الرفاعي المصري ٣٥٦- الأستاذ محمد شاکر الخياط النابلسي الأزهري المصري ٣٥٧- الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود المصري ٣٥٨- الأستاذ الشيخ محمد سعيد دحدوح ٣٥٩- الأستاذ صفا خلوص ٣٦٠- العالم المجتهد ناصر السنة شهاب الدين أبي الفيض احمد بن محمد بن الصديق. كل هؤلاء نقلنا اسماءهم عن «الغدير» للمغفور له العلامة الأمين ج ١ : ٧٣- ١٥١ بصورة مختصرة والتفصيل راجع إليه

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج٤، ص : ٩٤

والمؤلفون حول الغدير (٣٦) من الأعظم «١» وصدق صحته وتواتره القاطع ثلاثة وأربعون

(١). وهم : ١- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري الآملي ٢- أبو العباس احمد بن محمد المعروف بابن عقدة ٣- الواسطي ٤- الجعابي (٣٥٥) ٥- ابو غالب الرازي (٣٦٨) ٦- محمد بن عبدالله الشيباني (٣٧٢) ٧- علي بن عمر الدارقطني (٣٨٥) ٨- الشيخ محسن بن الحسين النيسابوري ٩- علي بن عبدالرحمن القناتي (٤١٣) ١٠- الحسين بن عبيدالله الغضائري (٤١١) ١١- ابو سعيد مسعود بن ناصر السجستاني (٤٧٧) ١٢- أبو الفتح الكراجكي (٤٤٩) ١٣- علي بن بلال ١٤- الشيخ منصور اللائي الرازي ١٥- الشيخ علي بن الحسن الطاطري ١٦- عبيدالله بن عبدالله الحسكاني ١٧- محمد بن احمد الذهبي (٧٤٨) ١٨- محمد بن محمد الجرزي (٨٣٣) ١٩- عبدالله بن

شاه منصور القزويني ٢٠ - السيد سبط الحسن الجايسي ٢١ - السيد مير حامد حسين (١٣٠٦) صاحب العقبات ٢٢ - السيد مهدي بن السيد علي الغريفي (١٣٤٣) ٢٣ - الحاج الشيخ عباس القمي (١٣٥٩) ٢٤ - السيد مرتضى حسين الخطيب فتحوري الهندي ٢٥ - الشيخ محمد رضا بن الشيخ طاهر آل فرج الله النجفي ٢٦ - الحاج السيد مرتضى الخسروشاهي التبريزي المعاصر التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٩٥

من العلماء.

وكما أن آية التبليغ بالغة الدلالة على قصة الغدير، كذلك حديث الغدير «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» حيث فرّعه الرسول صلى الله عليه وآله على «ألست أولى من أنفسكم قالوا بلى، قال : فمن كنت مولاه ...» فالولاية العلوية المتفرعة على الأولوية المحمدية صلى الله عليه وآله لا شك وأنها هيه دون مجرد المحبة التي هي الولاية بين المؤمنين حيث «المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض». ولقد ناشد الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام بحديث الغدير مناوئين لإمرته «١» كما ناشد آخرون، منهم فاطمة الصديقة الطاهرة عليها السلام في حديث الفواطم عنها «٢» والإمام الحسن عليه السلام «٣» والإمام الحسين عليه السلام «٤» وغيرهم عليهم السلام «٥» ومنهم الخليفة عمر بن عبدالعزيز «٦» والخليفة مأمون

(١) منها مناشدته يوم الشورى سنة ٢٣ هـ كما عن ابي الطفيل وأيام عثمان ويوم الرحبة ويوم الجمل وفي حديث الركبان ويوم صفين، اخرجها عنه عليه السلام جماعة من الكبار (٢). كما اخرج شمس الدين أبو الخير الجزري في كتابه اسنى المطالب في مناقب علي بن ابي طالب عليه السلام من قوله عليه السلام : أنسيتم قول رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خم : من كنت مولاه فعلي مولاه؟ وهكذا أخرجه الحافظ الكبير أبو موسى المدايني في كتابه المسلسل بالأسماء وقال : هذا الحديث مسلسل من وجه وهو ان كل واحدة من الفواطم تروي عن عمه لها فهو رواية خمس بنات اخ كل واحدة منهن عن عمته هكذا في اخراج شمس الدين حدثنا به شيخنا ... الى قوله - حدثنا بكر بن احمد القعري حدثنا فاطمة وزينب وأم كلثوم بنات موسى بن جعفر قلن حدثتنا فاطمة بنت جعفر بن محمد العملاق حدثني فاطمة بنت محمد بن علي حدثني فاطمة بنت علي بن

الحسين حدثني فاطمة وسكينة ابنتا الحسين بن علي عن ام كلثوم بنت فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وآله عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله قالت : انسيتم ..

(٣). كما أخرجه الحافظ ابن عقدة ان الحسن بن علي عليهما السلام لما اجتمع على صلح معاوية قام خطيباً واحتج لخلافة علي عليه السلام بحجج منها : «وقد رأوه وسمعوه حين اخذ بيد ابي بغدير خم وقال لهم : من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ثم امرهم ان يبلغ الشاهد الغائب»

(٤). كما أخرجه سليم بن قيس الهلالي في كتابه جملاً ضافية ان الامام الحسين عليه السلام حج مع جماعه واجتمع عليه بمنى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله والتابعين اكثر من سبعمائة فقام فيهم فحمد الله واثنى عليه وقال فيما قال : أما بعد فان هذا الطاغية- يعني معاوية وهو قبل سنتين من موته- قد صنع بنا وبشيعتنا ما علمتم ورأيتم وشهدتم وبلغكم واني اريد أن أسألكم عن شي فإن صدقت فصدقوني وإن كذبت فكذبوني واسمعوا مقالتي واكتبوا قولي ثم ارجعوا إلى امصاركم وقبائلكم ومن ائتمتموه من الناس ووثقتم به فادعوه إلى ما تعلمون من حقنا فاننا نخاف أن يدرس هذا الحق ويذهب ويُغلب والله متم نوره ولو كره الكافرون وما ترك شيئاً مما انزل الله في القرآن فيهم إلّا تلاه وفسره ولا شيئاً مما قال رسول الله صلى الله عليه وآله في أبيه وأمه ونفسه وأهل بيته إلّا رواه وكل ذلك يقولون اللهم نعم قد سمعنا وشهدنا ويقول التابعون اللهم نعم قد حدثني به من أصدقه وأتضمنه من الصحابة- إلى أن قال- قال : انشدكم الله اتعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وآله نصح يوم غدير خم فنأدى له بالولاية وقال : ليبلغ الشاهد الغائب؟ قالوا : اللهم نعم- وفيه طرف مما تواترت اسانيده من فضائل امير المؤمنين عليه السلام فراجع

(٥). منها احتجاج عبدالله بن جعفر على معاوية واحتجاج عمرو بن العاص على معاوية واحتجاج برد على عمرو واحتجاج عمار بن ياسر يوم صفين على عمرو بن العاص واحتجاج اصبع بن نباتة في مجلس معاوية ومناشدة شاب ابا هريرة بحديث الغدير بمسجد الكوفة واحتجاج قيس بن سعد على معاوية واحتجاج دارمية الحجونية عليه واحتجاج عمرو الأودي على مناوئي أمير المؤمنين عليه السلام

(٦). ومن احتجاج عمر بن عبدالعزيز ما رواه الحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء ٥ : ٣٦٤ عن ابي بكر محمد التستري عن يعقوب وعن عمرو بن محمد السري عن ابن ابي داود قالوا حدثنا عمر بن

شبهه عن عيسى عن يزيد بن عمر بن مورك قال : كنت بالشام وعمر بن عبدالعزيز يعطي الناس فتقدمت اليه فقال لي : ممن أنت؟ قلت : من قريش، قال : من أي قريش؟ قلت : من بني هاشم، قال : فسكت فقال : من أي بني هاشم؟ قلت : مولى علي، قال : من علي؟ فسكتُ قال : فوضع يده على صدره فقال : وأنا والله مولى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ثم قال : حدثني عدة انهم سمعوا النبي صلى الله عليه وآله يقول : من كنت مولاه فعلي مولاه ثم قال : يا مزاحم كم تعطي امثاله؟ قال : مائة أو مأتي درهم، قال : اعطه خمسين ديناراً وقال ابن ابي داود ستين ديناراً لولايته علي بن ابي طالب ثم قال : الحق ببلدك فسيأتيك مثل ما يأتي نظراءك، واخرجه أبو الفرج في الأغاني وابن عساکر في تاريخه والحموي في فرائد السمطين والزرندي في نظم در السمطين والسهمودي في جواهر العقدين

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٩٦

الرشيد «١».

(١) روى ابو عمر ابن عبد ربه في العقد الفريد ٣ : ٤٢ عن إسحاق بن إبراهيم بن اسماعيل بن حماد بن زيد قال بعث إلى يحيى ابن أكثم وإلى عدة من اصحابي وهو يومئذ قاضي القضاة فقال ان امير المؤمنين أمرني ان أحضر معي غداً مع الفجر اربعين رجلاً كلهم فقيه يفقه ما يقال له ويحسن الجواب فسموا من تظنونه يصلح لما يطلب امير المؤمنين فسمينا له عدة وذكر هو عدة حتى تم العدد الذي اراد وكتب تسمية القوم وأمر بالكور في السحر وبعث من يحضر فأمره بذلك فغدونا عليه قبل طلوع الفجر فوجدناه قد لبس ثيابه وهو جالس ينتظرنا فركب وركبنا معه حتى صرنا الى الباب فإذا بخادم واقف فلما نظر البنا قال يا أبا محمد؟ أمير المؤمنين ينتظر فأدخلنا فأمرنا بالصلاة فأخذنا فيها فلم نستتمها حتى خرج الرسول فقال : ادخلوا فدخلنا فإذا امير المؤمنين جالس على فراشه - الى أن قال - : ثم قال : إني لم أبعث فيكم لهذا ولكنني أحببت ان ابسطكم ان امير المؤمنين أراد مناظرتم في مذهبه الذي هو عليه والذي يدين الله به. قلنا فليفعل امير المؤمنين وفقه الله فقال : ان امير المؤمنين يدين الله على ان علي بن ابي طالب خير خلق الله بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وأولى الناس بالخلافة له، قال إسحاق فقلت يا امير المؤمنين إن فينا من لا يعرف فاذا ذكر امير المؤمنين في علي وقد دعانا امير المؤمنين للمناظرة فقال يا إسحاق اختر إن شئت سألتك أسأل وإن شئت ان تسأل فقل،

قال إسحاق : فاغتنمتها منه فقلت بل أسألك يا أمير المؤمنين ، قال : سل ، قلت : من أين قال أمير المؤمنين ان علي ابي طالب افضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله واحقهم بالخلافة بعده ؟ قال : يا إسحاق خبرني عن الناس بم يتفاضلون حتى يقال : فلان افضل من فلان ؟ قلت : بالأعمال الصالحة قال : صدقت ، قال : فأخبرني عن فضل صاحبه على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ثم ان المفضل ان عمل بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله بأفضل من عمل الفاضل على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله أيلحق به ؟ قال : فأطرقت فقال لي : يا إسحاق ؟ لا تقل : نعم ، فانك إن قلت نعم اوجدتك في دهرنا هذا من هو اكثر منه جهاداً وحجاً وصياماً وصلاةً وصدقةً ، فقلت : أجل يا أمير المؤمنين لا يلحق المفضل على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله الفاضل أبداً ، قال : يا إسحاق ! هل تروي حديث الولاية ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : اروه ، ففعلت ، قال يا إسحاق أرأيت هذا الحديث هل اوجب على ابي بكر وعمر ما لم يوجب لهما عليه ؟ قلت : إن الناس ذكروا ان الحديث هل اوجب على ابي بكر وعمر ما لم يوجب لهما عليه ؟ قلت : إن الناس ذكروا ان الحديث انما كان بسبب زيد بن حارثة لشيء جرى بينه وبين علي وانكر ولاية علي فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، قال : في أي موضع قال هذا ؟ أليس بعد منصرفه من حجة الوداع ؟ قلت : اجل ، قال : فان قتل زيد بن حارثة قبل الغدير كيف رضيت لنفسك بهذا ، اخبرني لو رأيت ابناً لك قد اتت عليه خمسة عشر سنة يقول : مولاي مولى ابن عمي ايها الناس فاعلموا ذلك ، اكنت منكراً ذلك عليه تعريفه للناس ما لا ينكرون ولا يجهلون ؟ فقلت : اللهم نعم ، قال : يا إسحاق أفتتزه ابنك عما لا تنزه عنه رسول الله صلى الله عليه وآله ويجكم لا تجعلوا فقهاءكم اربابكم ان الله جل ذكره قال في كتابه : اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله ، ولم يصلوا لهم ولا صاموا ولا زعموا لهم ارباب ولكن امرهم فأطاعوا امرهم

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ، ج ٤ ، ص : ٩٧

ذلك هو الغدير في الكتاب والسند وقد غرق فيه عالم كثير ونجى الكثير ممن وفي لرعاية الحق حيث ركبوا سفينة نجاه الولاية الكبرى المحمدية صلى الله عليه وآله لعلي أمير المؤمنين عليه صلوات المصلين .

وما النقاش في المعني من ولايته إلا كتنقش على الماء والهواء فإنه هباءً وخواءً والله منه براء .

فتلكما آيتا الغدير من التبليغ وتكميل الدين، وهاتيك روايات الغدير، فتراهما تعينان ذلك الحشد الكبير في بلاغ منقطع النظير ما تشترك فيه كافة المؤمنين أم جماعة منهم خصوصاً؟ وليس في الدور إلّا علي أمير المؤمنين وولده المعصومين عليهم السلام؟.

فلا دور- إذأ- للبحث اللغوي حول المولى تشكيكاً في المعني منها، فحتى لو لم نعرف معنى المولى، فأمر المولى نبيه هكذا، وسؤال النبي «ألست أولى بكم من أنفسكم» تقرران معنى الأولى للمولى دونما ريب.

فهما كان للمولى معاني عدة «١» كل يُعنى حسب ما يُعنى بقرائنها، فهنا القرائن القاطعة متصلة ومنفصلة «٢» دالة على الأولوية الرسالية التي كانت للرسول نفسه صلى الله عليه وآله وكل معاني

(١). وهي حسب موارد استعمالها سبعة وعشرون : الرب- العم- ابن العم- الابن- ابن الأخت- المعتق- المعتق- العبد- المالك- التابع- المنعم عليه- الشريك- الخليف- الصاحب- الجار- النزيل- الصهر- القريب- المنعم- الفقير- الولي- الأولى بالشيء- السيد غير المالك والمعتق- المحب- الناصر- المتصرف في الأمر- المتولي في الأمر- وعناية هذه المعاني إلّا الأولى هنا في المولى بين كفر وكذب وغلط وتوضيح واضح

(٢). هنا بعد القرينة الأولى تفريعاً ل «هذا علي مولا» على «ألست أولى بكم من أنفسكم» قرائن أخرى حالية كحشد الغدير وتأكيدي آية البلاغ، ومقالية كالتالية : ١- قول الشيخين في تهنيتهما له عليه السلام بخ بخ لك أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة. ٢- قوله صلى الله عليه وآله عقيب لفظ الحديث : الله أكبر على أكمال الدين وإتمام النعمة ورضى الرب برسالي والولاية لعلي بن أبي طالب عليه السلام. ٣- قوله صلى الله عليه وآله بعد بيان الولاية لعلي عليه السلام هنتوني هنتوني ان الله تعالى خصني بالنبوة وخص اهل بيتي بالامامة. ٤- قوله صلى الله عليه وآله بعد ذلك «فليبلغ الشاهد الغائب». ٥- قوله صلى الله عليه وآله ان الله أرسلني برسالة ضاق بها صدري وظننت أن الناس مكذبني فأوعدني لأبلغها أو ليعذبني، وتراه ولاية الحب والنصرة فقط وهي عامة للمؤمنين كلهم! ٦- في لفظ عمر بن الخطاب : نصب رسول الله صلى الله عليه وآله علياً علماً، وفي لفظ علي عليه السلام : أمر الله نبيه ان ينصبني للناس، و : نصبني علماً، وفي لفظ الامام الحسن عليه السلام : أتعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وآله نصبه يوم غدير خم وامثالها. ٧- احتجاجات

مضت بحديث الغدير لولا المولى فيها هو الأولى لما صحت هذه الاحتجاجات وقوبلت بالاعتراض أو التشكيك وإلى غير هذه من قرائن متصلة ومنفصلة

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٩٨

المولى مختصرة مختصرة في ثلاثة هي الحب والنصرة والأولوية فاعلة ومفعولة.

ذلك، وهذا المقطع من خطبة الغدير ينقله أربع وستون من علماء الفريقين : «ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا : بلى، قال : فمن كنت مولاه فعلي مولاه» «١» مما يختص المولى بالأولى كما الرسول صلى الله عليه وآله دون ريب.

ونكران معنى الأولى للمولى نكران لرأس الزاوية من معانيها اللغوية الثلاثة، وإستنكار لإستعمالها فيها في القرآن كراراً عدة «٢» نعمة لاغية من اللغة، بغية النعمة من صاحب الولاية الكبرى بعد الرسول صلى الله عليه وآله مهما اقتضت لاغية القول من الله ومن الرسول صلى الله عليه وآله!.

(١)

(. وهم احمد بن حنبل- ابن ماجة- النسائي- الشيباني- أبو يعلى- الطبري- الترمذي- الطحاوي- ابن عقدة- العنبري- أبو حاتم- الطبراني- القطيعي- ابن بطه- الدارقطني- الذهبي- الحاكم- الثعلبي- أبو نعيم- ابن السمان- البيهقي- الخطيب- السجستاني- ابن المغازلي- الحسكاني- العاصمي- الخلعي- السمعاني- الخوارزمي- البيضاوي- الملاء- ابن عساكر- أبو موسى- أبو الفرج- ابن الأثير- ضياء الدين- قزاوغلي- الكنجي- التفتازاني- محب الدين- الرصايي- الحموي- الإيجي- ولي الدين- الزرندي- ابن كثير- الشريف- شهاب الدين- الجزري- المقرزي- ابن الصباغ- الهيثمي- المييدي- ابن حجر- اصيل الدين- السهمودي- كمال الدين- البدخشي- الشيخاني- السيوطي- الحلبي- ابن باكثير- السهاريوري- ابن حجر المكي

(٢). جاء لفظ الولي والمولى في آيات عدة بمعنى الأولى منها قوله تعالى : «فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا ماؤاكم النار هي مولاكم وبئس المصير» (٥ : ٥٥) حيث المولى هنا لا تتحمل الحب والمحجوب- أو الناصر والمنصور، انما هي الأولى بهم وكما نص عليه من المفسرين والأدباء جمع غفير، فسبعة وعشرون منهم حصر معناها هنا بالأولى، وخمسة عشر منهم جعلها المعنى الأولى، ومنها «انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم

راكعون» حيث الحصر دليل حصر الولاية في الأولوية لأن الحب والنصر غير محصورين في شخص أو اشخاص خصوص، ومنها «وإذا تولَّى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل» (٣ : ٢٠٥) فانها دون ريب تولى القيادة الزمنية، ومنها «فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الأرض» (٤٧ : ٢٢) ومنها «اللَّهُ ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور» (٢ : ٢٥٧) حيث الاخراج هنا هو إخراج السلطة الربانية، ومنها «قل اغير الله اتخذ ولياً فاطر السماوات والأرض» (٦ : ١٤) ومنها «أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا» (٧ : ١٥٥) ومنها «أو لا يستطيع ان يمل فليملل وليه بالعدل» (٢ : ٢٨٢). ذلك وهكذا لفظة المولى مثل «يدعوا لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير» (٢٢ : ١٣) و «اعتصموا باللَّه هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير» (٢٢ : ٧٨) و «بل اللّٰه مولاكم وهو خير الناصرين» (٣ : ١٥٠) «احدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولا» (١٦ : ٧٦)

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٩٩

هذه عساكر القرائن القطعية متصلة ومنفصلة، وإليكم تفسير النبي صلى الله عليه وآله نفسه لمعنى المولى حين سئل عن معنى قوله : «من كنت مولاة فعلي مولاة» قال : اللّٰه مولاي أولى بي من نفسي لا أمر لي معه وأنا مولى المؤمنين أولى بهم من أنفسهم لا أمر لهم معي ومن كنت أولى به من نفسه لا أمر له معي فعلى مولاة أولى به من نفسه لا أمر له معه «١» : «ولاء كولائي» «٢» «من كان اللّٰه وأنا مولاة فهذا علي مولاة يأمركم وينهاكم مالكم عليه من أمر ولا نهي» «٣» ولقد صدق هذه الأولوية المعنية من المولى هنا صراحةً جمع كثير منهم أربعة عشر من الأعلام «٤».

(١)

(. اخرج القرشي علي بن حميد في شمس الأخبار ص (٣٨) نقلًا عن سلوة العارفين للموفق باللّٰه الحسين بن اسماعيل الجرجاني باسناده عن النبي صلى الله عليه وآله ... وفي حديث احتجاج عبداللّٰه بن جعفر على معاوية قوله : يا معاوية اني سمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله يقول على المنبر وأنا بين يديه وعمر بن ابي سلمة واسلمة بن زيد وسعد بن ابي وقاص وسلمان الفارسي وأبو ذر والمقداد والزبير بن العوام وهو يقول : الست اولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ فقلنا : بلى يا رسول اللّٰه؟ قال : اليس ازواجي امهاتكم؟ قلنا : بلى يا رسول اللّٰه؟ قال : من كنت مولاة فعلي مولاة أولى به من نفسه

وضرب بيده على منكب علي فقال : اللهم وال من والاه وعاد من عاداه أيها الناس انا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ليس لهم معي امر وعلي من بعدي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ليس لهم معي امر .
(٢). وفي احتجاج امير المؤمنين عليه السلام أيام عثمان كما أخرجه شيخ الإسلام الحموي قوله :
ثم خطب رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : أيها الناس اتعلمون ان الله عز وجل مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله صلى الله عليه وآله قال : قم يا علي فقمتم فقال : من كنت مولاه فعلي مولاه ... فقال سلمان يا رسول الله ولأء كماذا ؟ قال : ولا كولائي من كنت أولى به من نفسه فعلي أولى به من نفسه وهكذا في مناشدته عليه السلام يوم صفين «ولاء كولائي» وروى الحافظ العاصمي في زين الفتى قال سئل علي عليه السلام عن قول النبي صلى الله عليه وآله «من كنت مولاه فعلي مولاه» فقال : نصبني علماً إذ أنا قمت فمن خالفني فهو ضال
(٣). وروى السيد الهمداني في مودة القرى : فقال رسول الله صلى الله عليه وآله معاشر الناس ليس الله أولى بي من نفسي يأمرني وينهايني مالي على الله أمر ولا نهي ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ؟ قال : من كان الله وأنا مولاه فهذا علي مولاه يأمركم وينهاكم ما لكم عليه من امر ولا نهي
(٤). هم : ١ - ابن زولاق الحسن بن ابراهيم ابو محمد المصري (٣٨٧) في تاريخ مصر ان رسول الله صلى الله عليه وآله عهد الى امير المؤمنين علي بن ابي طالب فيه واستخلفه «وحكاه عنه المقرئ في الخطط ٣ : ٢٢٢ .

٢ - الإمام أبو الحسن الواحدي (٤٦٨) بعد ذكر حديث الغدير ٣ - حجة الاسلام أبو حامد الغزالي (٥٠٥) في سر العالمين بعد ذكر الخلاف في معنى المولى ... لكن اسفرت الحجة وجهها واجمع الجماهير على متن الحديث من خطبته يوم الغدير باتفاق الجميع وهو يقول «من كنت مولاه فعلي مولاه» فقال عمر : يخ يخ يا أبا الحسن ؟ لقد اصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، فهذا تسليم ورضى وتحكيم، ثم بعد هذا غلب الهوى لحب الرياسة وحمل عمود الخلافة وعقود البنود وخفقان الهوى في قعقة الرايات واشتباك ازدهام الخيول وفتح الأمصار سقاهاهم كأس الهوى فعادوا الى الخلاف الأول فبنذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون» ٤ - قال شمس الدين سبط ابن الجوزي (٦٥٤) والمراد من الحديث الطاعة المحضة وهو الأولى ومعناه : من كنت أولى به من نفسه فعلي أولى به وقد صرح بهذا المعنى الحافظ يحيى بن سعد الثقفي في مرج البحرين ٥ - وقال كمال الدين ابن طلحة الشافعي (٦٥٤) في مطالب السؤل ص ١٦ ... وهذا صريح في تخصيصه لعلي

عليه السلام بهذه المنقبة العلمية وجعل لغيره كنفسه بالنسبة الى من دخلت عليهم كلمة «من» التي هي للعموم بما لا يجعله لغيره وليعلم أن هذا الحديث هو من اسرار قوله تعالى في آية المباهلة .. والمراد نفس علي ٦- وقال صدر الحفاظ الكنجي في كفاية الطالب حديث غدير خم دليل على التولية وهي الاستخلاف ٧- وقال سعيد الدين الفرغاني ... كان هذا البيان بالتأويل بالعلم الحاصل بالوصية من جملة الفضائل التي لا تخصي خصه بها رسول الله صلى الله عليه وآله ٨- وقال علاء الدين أبو المكارم السمعاني (٧٣٦) في العروة الوثقى : ... فصار- علي عليه السلام- سيد الأولياء وكان قلبه على قلب محمد صلى الله عليه وآله ٩- وقال الطيبي حسن بن محمد (٧٤٣) في الكاشف ... ولذا هنا عمر بقوله : يا بن ابي طالب اصحبت وأمسييت مولى كل مؤمن ومؤمنة ١٠- وقال شهاب الدين دولت آبادي (١٠٤٩) في هداية السدراء مثله ١١- ابو شكور السالمي ١٢- ابن باكثير المكي ١٣- السيد الامير محمد اليمني (١١٨٢) ١٤- الشيخ احمد العجيلي في ذخيرة المال.

أقول : كل هذه المسانيد نقلناها عن كتاب الغدير للمغفور له العلامة الأميني ج ١ بكامله

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٠٠

تتويج الأمير يوم الغدير بتاج إمرة المؤمنين :

من ألقاب الرسول صلى الله عليه وآله «صاحب التاج» وهو تاج الرسالة الكبرى بين كافة المرسلين وكما في «نبوءت هيلد» باللغة الأنقلوسية وهي العبرانية الرمزية «محمد كايا إعا باياد ديطمع هو يا ويهي كليليا» : محمد هو كبير قدير، الشجرة الرفيعة الطيبة، مأمول لإفناء ما كان وإطفاء النائرة وهو الكل والتاج «١».

لذلك، وأن العمائم تيجان العرب «٢»، لقد عمم الرسول صلى الله عليه وآله الأمير عليه السلام يوم الغدير بعمامة خاصة تعرب عن العظمة والجلال، وتوجه بيده الكريمة بعمامته (السحاب) في ذلك الحشد العظيم تديلاً على أن المتوج بها يومذاك مقيض بإمرة المؤمنين كما أمرته صلى الله عليه وآله فهو يبلغ المسلمين بخطبته تلك الهامة ويتوجه بمثل عمته تلك السحاب، وكما قال عليه السلام : عمي رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خم بعمامة فسد لها خلفي، وأن الله أمدني يوم بدر وحين بملائكة يعتمون هذه العممة «٣» ولما عممه صلى الله عليه وآله قال له : يا علي العمائم تيجان العرب «٤».

(١). ذلك وحي الطفل لحمان حطوفاه نزل عليه قبل مبعث الرسول صلى الله عليه وآله بسبعين سنة أوردناه في كتابنا رسول الاسلام في الكتب السماوية، وعده الشنبلجي في نور الأبصار ٢٥ من القابه صلى الله عليه وآله

(٢). رواه القضاعي والديلمي وصححه السيوطي في الجامع الصغير ٣ : ١٥٥ وأورده ابن الأثير في النهاية عنه صلى الله عليه وآله

(٣). رواه الحافظ عبدالله ابن ابي شيبة وأبو داود الطيالسي وابن منيع البغوي وأبو بكر البيهقي في كنز العمال ٨ : ٦٠ عنه عليه السلام ورواه من طريق السيوطي عن الاعلام الأربعة السيد احمد القشاشي في السمط المجيد وفي كنز العمال عن مسند عبدالله بن الشنحير عن عبدالرحمن بن عدي البحراني عن اخيه عبد الأعلى ان رسول الله صلى الله عليه وآله دعا علي بن ابي طالب فعممه وأرخى عذبة العمامة من خلفه

(٤). رواه الحافظ الديلمي عن ابن عباس قال : لما عمم رسول الله صلى الله عليه وآله علياً بالسحاب.

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٠١

أجل، فقد عممه عليه السلام عمته السحاب حيث وهبها لعلي عليه السلام فرمما طلع علي فيها فيقول صلى الله عليه وآله : «أتاكم علي في السحاب» «١».

وهكذا يتوجه الرسول صلى الله عليه وآله بتوجه السحاب ليسحب أمته من بعده إليه كما كانوا مسحوبين إليه صلى الله عليه وآله تكملة لبيان الخلافة الكبرى بعده فلا يرتاب أحد إلا الذين هم حاقدون فاقدون للإيمان.

فتلك مصارح للأولوية الطليقة في إمرة المؤمنين لعلي أمير المؤمنين عليه السلام في مسارح من خطبة الغدير، وهذا تاج الإمرة في ختامها، وهاتيك القرائن العشرون أو تزيد متصلة ومنفصلة، كتاباً وسنة في عناية الأولوية من المولى، ورواة الغدير المائة وعشرة عن الرسول صلى الله عليه وآله، والمؤلفون حولها الستة والعشرون والتابعون الأربعة وثمانون، والعلماء طيلة القرون الاسلامية الراوون إياه عن الصحابة والتابعين الثلاثمائة والستون، والمصدقون لقاطع تواتره الثلاثة والأربعون، والمناشدون به من علي وفاطمة والحسنان عليهم السلام ومعهم كثيرون، والمهنتون بإمرته عليه السلام ومنهم الشيخان وكثير سواهما!!

ذلك وقد أورد قصة الغدير كل المؤرخين عن بكرتهم، ومن كبراءهم خمسة وعشرون مؤرخاً «٢». تلك قصة الغدير، فهل ترى أصرح منها في تأمير الأمير، فما لها من نكير إلّا نكير عقله أو إيمانه ولا ينبئك مثل خبير.

ولئن سئنا : فلماذا لم يجر ذكر الإمام علي عليه السلام في القرآن ولا مرة يتيمة حين يكون

(١). قال الغزالي في البحر الزخار ١ : ٢٥١ كانت له عمامة تسمى السحاب فوهبها ... وقال الحلبي في السيرة ٣ : ٣٦٩ كان له صلى الله عليه وآله عمامة تسمى السحاب كساها علي بن ابي طالب كرم الله وجهه فكان ربما طلع عليه علي كرم الله وجهه فيقول صلى الله عليه وآله : أتاكم علي في السحاب يعني عمامته التي وهبها له

(٢). كالبلاذري وابن قتيبة والطبري وابن زولاق والخطيب البغدادي وابن عبد البر والشهرستاني وابن عساكر وياقوت الحموي وابن الأثير وابن أبي الحديد وابن خلكان والياضي وابن الشيخ البلوي وابن كثير وابن خلدون وشمس الدين الدبسي والنويري وابن حجر العسقلاني وابن الصباغ والمقريزي والسيوطي والقرماني ونور الدين الحلبي وغيرهم (الغدير ١ : ٦)

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٠٢

أمر إمرته بهذه الأهمية الكبرى؟

فالجواب أن القصد من ذكر الاسم ليس إلّا تسجيل المكانة لصاحبه وقد سجل هكذا، وقد يتطرق إلى صراح الاسم تأويلات أن يسمى سواء باسمه، ولكنه ليس من الممكن أن يتسمى باسمته وولده المعصومين سواء وسواهم، حيث الحقيقة لا تقبل التأويل والإختلاق مهما تحملها الأسماء. فحتى إذا كانت صراحة الاسم لحد لا يقبل أي تأويل، فقد كان يخلق هزازات ونكرانات للأكثرية الطليقة من هؤلاء المسلمين والنتيجة هي الحكم بخروجهم عن الإسلام جهاراً بذلك الإنكار لجلي النص من القرآن، فترجع المشكلة الشائكة التي كان يخافها الرسول صلى الله عليه وآله على رسالته من ذلك البلاغ.

فالجمع بين الحفاظ على ظاهر الإسلام لكل من يدعيه، وواقع الحججة البالغة لمن يريد صالح الإيمان، فحق العقاب على نكريها مهما تظاهر بالإيمان وتمجج في دلالة آيات الولاية وأحاديثها. ذلك الجمع يقتضي نفس الواقع الذي نعيشه بين الكتاب والسنة من قصة الخلافة.

وترى- بعدئ- أن عدم التصريح بإسم ولاية الأمر بعد الرسول صلى الله عليه وآله ينتقص أو ينتقض من دلالة الكتابات الكتابية التي هي أبلغ من التصريح، ومن التصريحات الوفيرة في السنة وهناك كثير من الأحكام الثابتة بالسنة القطعية ولا دليل لها من الكتاب إلّا عمومات أو إطلاقات.

ولما يصدق الخليفة عمر في صراح القول ولاية الإمام بأولويته الطليقة فما بال أتباع له ينكرونها ويتشككون فيها، ومن الفاظه، لما قيل له : إنك تصنع بعلي- أي من التعظيم- شيئاً لا تصنع مع أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله فقال : إنه مولاي «(١)».

(١). أخرجه الطبراني، وفي الفتوحات الإسلامية ٣ : ٣٠٧ حكم عليّ مرة على أعرابي بحكم فلم يرض بحكمه فتلبه عمر بن الخطاب وقال له : ويلك انه مولاك ومولى كل مؤمن ومؤمنة، وأخرج الحافظ ابن السمان كما في الرياض النضرة ٣ : ١٧٠ وفي ذخائر العقبى للمحب الطبري ٦٨ ووسيلة المال للشيخ احمد بن باكثير المكي ومناقب الخوارزمي ٩٧ والصواعق ١٠٧ عن الحافظ الدارقطني عن عمر وقد جاءه اعرابيان يختصمان فقال لعلي عليه السلام اقض بينهما، فقال احدهما : هذا يقضي بيننا؟ فوثب اليه عمر وأخذ بتلبه وقال : ويحك ما تدري من هذا؟ هذا مولاي ومولى كل مؤمن ومن لم يكن مولاه فليس بمؤمن، وعنه وقد نازعه رجل في مسألة فقال : بيني وبينك هذا الجالس- وأشار إلى علي بن ابي طالب عليه السلام- فقال الرجل : هذا الأبطن؟ فنهض عمر عن مجلسه وأخذ بتلبه حتى شاله من الأرض ثم قال : أتدري من صغرت؟ هذا مولاي ومولى كل مسلم

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٠٣

وختاماً للكلام حول آية التبليغ تعالوا معنا نسمع الامام عليه السلام ماذا يقول عن رباطه بالرسول صلى الله عليه وآله ما يثبت جدارته القمة بإمره المؤمنين :

«أنا وضعت في الصغر بكلاكل العرب، وكسرت نواجم قرون ربيعة ومُضَر، وقد علمتم موضعني من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة والمنزلة الخبيصة، وضعني في حجره وأنا وليد، يضمني إلى صدره، ويكئفني في فراشه، ويُمسني جسده، ويُسمني عرقه، وكان يمضغ الشيء ثم يلغمنيه، وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل-

ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن أن كان فطيماً أعظم ملكٍ من ملائكته، يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره، ولقد كنت أتبعه إتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في

كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالافتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بجراه فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيتاً واحداً يومئذٍ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة وأشم ريح النبوة-

ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله فقلت يا رسول الله صلى الله عليه وآله ما هذه الرنة؟ فقال: هذا الشيطان قد أيس من عبادته، إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لست بنبيٍّ ولكنك وزير، وانك لعلي خير «(١)».

«كنت أيام رسول الله صلى الله عليه وآله كجزءٍ من رسول الله صلى الله عليه وآله ينظر إلى الناس كما يُنظر إلى الكواكب في أفق السماء، ثم غضَّ الدهر مني ففُقرن بي فلان وفلان، ثم قرنت بخمسة أفضلهم عثمان فقلت واذفراه، ثم لم يرضَ الدهرُ لي بذلك حتى اردلني فجعلني نظيراً لابن هند وابن النابغة، لقد استنتت الفصال حتى القرعى» «(٢)».

(١). نهج البلاغة الخطبة ١٩٠ / ٤ / ٣٧٣

(٢). شرح النهج لابن أبي الحديد ٧٣٣

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص: ١٠٤

«أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحي، ينحدر عني السبيل ولا يرقى إليَّ الطير... فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى، أرى تراثي نهياً.. حتى إذا مضى الأول لسبيله جعلها في جماعة زعم أنني أحدهم، فيالله وللشورى، متى اعترض الريب فيَّ مع الأول منهم حتى صرت أقر إلى هذه النظائر» «(١)».

فوالله ما زلت مدفوعاً عن حقي، مستأثراً عليّ، منذ قبض الله نبيه صلى الله عليه وآله حتى يوم الناس هذا» «(٢)».

«لقد علمتم أنني أحق الناس بها من غيري، ووالله لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن فيها جور إلا عليّ خاصة، إلتماساً لأجر ذلك وفضله، وزهداً فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه» «(٣)».

«فوالله إني لأولى الناس بالناس، لم تكن بيعتكم إياي فلتة، وليس أمري وأمركم واحداً، إني أريدكم الله وأنتم تريدونني لأنفسكم» «(٤)».

«اللهم إني أستعديك على قريش ومن أعانهم، فانهم قد قطعوا رحمي، وأكفؤوا إنائي، وأجمعوا على منازعتي حقاً كنت أولى به من غيري ..» «٥» - «فلما مضى صلى الله عليه وآله تنازع المسلمون الأمر من بعده، فوالله ما كان يلقي في روعي، ولا يخطر ببالي، أن العرب تزعج هذا الأمر من بعده صلى الله عليه وآله عن أهل بيته، ولا أنهم منحوه عني من بعده، فما راعني إلّا انتيال الناس على فلان يبايعونه، فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجع عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمد صلى الله عليه وآله فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه تُلماً أو هدماً تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولا يتكم التي إنما هي متاع أيام قلائل، يزول

(١). خطبة الشقشقية ٤٧/٤

(٢). (الخطبة ٦/٤٩)

(٣). ١٢٩/٧٢

(٤). ٢٤٧/١٣٤

(٥). ٤١٣/٢١٥

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص: ١٠٥

منها ما كان كما يزول السراب، أو كما يتشعّح السحاب، فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل، فإن أعطيناه وإلّا ركبنا أعجاز الإبل وإن طال السرى» «١».

هامة الغدير ذكرى تكميل الدين : من كنت مولاه فهذا علي مولاه ...

«الْيَوْمَ يَيْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَحْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمِهِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» «٢».

«أليوم» وما أدراك ما ذلك اليوم، فقد اختلفت الأمة الإسلامية في «ما هو ذلك اليوم» فعلىنا البحث والتنقيب في ظلال الآية نفسها- وبضمنها الروايات- حتى نعرف بيقين وإتقان يوم السلب والإيجاب، سلباً لأطماع الذين كفروا من دينكم، وإيجاباً هو إكمال الدين وإتمام النعمة لكم.

«اليوم» هنا حسب الظاهر وقية وحدة الصيغة هو يوم واحد حصلت فيه أربعة أمور هامة لم تكن تحصل من ذي قبل، مهما أعدت معداته :

١- «يئس الذين كفروا من دينكم ..» ٢- «أكملت لكم دينكم» ٣- «واتممت عليكم نعمتي» ٤- «ورضيت لكم الإسلام ديناً».

فهنا بين الأركان الأربعة يتقدم جانب السلب : «يئس ..» على مثلث الإيجاب في هندسة عمارة الدولة الإسلامية السامية بقيادتها الروحية والزمنية.

فما لم ييأس الذين كفروا من دينكم ليس له كمال ولا لنعمته تمام ولا لأصله رضياً، إذاً فهذه الأضلاع ترسم «لا إله إلا الله» في حاكمية «الله» منذ ذلك اليوم كما يرضاه الله.

إن قضية إكمال الدين وإتمام النعمة بعد يأس الذين كفروا من دينكم، أن يكون ذلك اليوم من أخريات أيام الرسول صلى الله عليه وآله أحياناً كان يودع المسلمين وينفض يديه من بلاغ الإسلام، إذاً فالآية هي من أخريات الآيات الرسالية النازعة عليه، يوم لم يبق له من أصل

(١). (٢١ / ح / ٥٦٨)

(٢). ٥ : ٣

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٠٦

الدين بوصله وفصله أية هامة «١».

فهل يعني - بعد - يوم ابتعاث الرسول صلى الله عليه وآله؟ ولم يكن يومئذ لهم دين حتى يُكمل به إلا الشرك، ولم ييأس «الذين كفروا من دينكم» - لو كان لهم دين - منذ بزوغه، بل كانت لهم أطماع شاسعة متوسعة لاستئصاله، لا سيما وأن الرسول صلى الله عليه وآله لم يكن له ولد من الذكران، أو أنه فتح مكة المكرمة كما وعده الله له : «إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً. ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً. وينصرك الله نصراً عزيزاً» فهناك إتمام النعمة وإكمال الدين ب «يتم نعمته عليك ويهديك» كما فيه «يئس الذين كفروا من دينكم» ب «وينصرك الله نصراً عزيزاً».

فقد رجعت بذلك الفتح المبين عاصمةً التوحيد ومهبط الوحي الأمين إلى الرسول الأمين صلى الله عليه وآله، ولكن ليس ذلك الفتح بمجرد ما يؤيس الذين كفروا- ككل- من دينكم، كما وأنه بينه وبين رحلته صلى الله عليه وآله سنتين وقد نزلت فيها آيات تحمل أحكاماً أخرى وتوجيهات، كما و «ليتم وينصر» بشارة للمستقبل وليس فتح مكة إلا تقديماً له وذريعة، وبذلك يعرف- وبأحرى- أنه ليس- كذلك- يوم عرفة، ولا يوم نزول البراءة وما أشبه فإن يوماً من هذه لم يكن ليؤيس الذين كفروا من دينكم حتى يكمل ويتم النعمة تماماً وكماًلاً.

أو ترى أنه يوم إكمال الدين بأصوله؟ وقد ابتدأ بها صاحب الرسالة لزاماً وعاشها طول حياته مكرراً إياها مؤكداً لها! ولم تكن- كذلك- تؤيس الذين كفروا.

أو أنه يوم ختام القرآن؟ ولم يختم إلا عند ختام عمره الشريف إذ لم ينقطع عنه الوحي

(١). عن المناقب الفاخرة للسيد الرضي رحمه الله عن محمد بن إسحاق عن أبي جعفر عن أبيه عن جده عليهم السلام قال: لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله من حجة الوداع نزل أرضاً يقال له: ضوجان فنزلت هذه الآية «يا أيها الرسول بلغ...» فلما نزلت عصمته من الناس نادى الصلاة جامعة فاجتمع الناس إليه وقال: من أولى منكم بأنفسكم؟ فضجوا بأجمعهم فقالوا: الله ورسوله، فأخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأنصر من نصره وأخذل من خذله لأنه مني وأنا منه وهو مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي وكانت آخر فريضة فرضها الله تعالى على أمة محمد صلى الله عليه وآله ثم أنزل الله تعالى على نبيه «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً»

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص: ١٠٧

المنيّف، ثم وليس ختام الوحي بالذي يؤيس الذين كفروا من دينكم، بل قد يُطمئنهم لإبطاله لانقضاء وحيه!، فإن مستمر الوحي أرجى، وهو بإيأس الذين كفروا أجدى.

أم ترى أنه يوم إكماله بفروعه، يوم نزلت الآية نفسها؟ فكذلك الأمر!

إضافة إلى أن تحريم ما حرم هنا له سوابق سوابغ، فلم تكن نازلة جديدة، أو جادة تؤيس الذين كفروا، ثم أتت أحكام آخر وتوجيهات لم تأت من ذي قبل!. إنه يوم بلاغ إستمرارية ذلك الدين

المتين بقيادته الروحية والزمنية فيمن يمثلون الرسول الأمين، كما وأن ذلك البلاغ في آية البلاغ يقرر له هامة الحفاظ «١» على استمرارية هذا الدين : و «إن لم تفعل فما بلغت رسالته...».

إذاً فذلك اليوم هو يوم بلاغ لما يؤيد الرسالة ببلاغها بعد إكمال الدين وإتمام النعمة في الشريعة بأصولها وفروعها، وما هو الإبلاغ إستمرارية الحكم الرسالي القرآني بمن ينذر به وهو يمثل الرسول صلى الله عليه وآله فيما كان يفعل أو يقول على طول خط الرسالة إلى يوم الدين.

وهنا نجد إصفاً شاملاً في روايات الفريقين على نزول هذه الآية يوم الغدير بعد إصهار النبي صلى الله عليه وآله بولاية الأمر- كنموذج أول بعده- لعلي أمير المؤمنين.

ذلك وكما هو مأثور عن أصحاب الآثار أنه لما نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وآله لم يعمر بعدها إلا أحداً وثمانين يوماً أو إثنين وثمانين «٢».

فالدين وهو النعمة الربانية- ولا سيما ذلك الأخير- ليس ليتم إلا بقرار حاسم جاسم في نفسه لاستمراريته في قيادته الروحية والزمنية، فليست الأصول والفروع بنفسها والتي تستمر لولا من يطبقها على ضوء الدولة الربانية الحاكمة الحكيمة بين المكلفين، كما

(١). في الخصائص عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام قالوا : لما نزلت هذه الآية (آية التبليغ) يوم الغدير وفيه نزلت : اليوم أكملت ... قال وقال الصادق عليه السلام : أي : اليوم أكملت لكم دينكم بإقامة حافظه وأتممت عليكم نعمتي أي : بولايتنا، ورضيت لكم الإسلام ديناً أي : تسليم النفس لأمرنا

(٢). في التفسير الكبير للرازي ٣ : ٥٢٩ عن أصحاب الآثار ... وعينه أبو السعود في تفسيره بهامش تفسير الرازي ٣ : ٥٢٥، وذكر المؤرخون منهم- كما في تاريخ الكامل ٣ : ١٣٤ وأمتاع المقرئ ٥٤٨ وتاريخ ابن كثير ٦ : ٣٣٢ وعده مشهوراً والسيرة الحلبية ٣ : ٣٨٢- أن وفاته صلى الله عليه وآله في الثاني عشر من ربيع الأول، مهما كان فيه تسامح بزيادة يوم على الإثنين والثمانين

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج٤، ص : ١٠٨

ولا تنفيذ الدولة والنظام لولا تمام الإنتظام لشرعة الله، فقد تجاوز الأمران يوم الغدير، حين لم يبق من الدين أمر إلا وقد بين، اللهم إلا استمراريته المفروضة يوم الغدير صراحاً جمعياً لم يحصل من ذي قبل مهما كانت له لمحات في فترات.

ولا يعني يوم الغدير- فقط- تأمير الأمير عليه السلام، فإنما هو كنقطة إنطلاق لتلك الخلافة القدسية المعصومة الناهية إلى صاحب الأمر الحجة بن الحسن المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف الذي به يملاء الله الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً، فقد صدق قول الرسول صلى الله عليه و آله : «يوم غدیر خم أفضل أعياد أمتي».

وإمرة صاحب الأمر لها النصيب الأوفر من ذلك المربع لهندسة الإسلام، لأن الأئمة الإحدى عشر قبله لم تتح لهم فُرص الإمرة بما اغتصبت حقوقهم. وقد «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من يعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً» (١) «ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون. إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين. وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» (٢).

ذلك وقد تصافت روايات الفريقين أن الآية نزلت يوم الغدير حيث بلغ الرسول صلى الله عليه وآله إمرة الأمير بعدما نزلت آية التبليغ، وممن رواه بعد إجماع أئمة أهل البيت عليهم السلام في روايته- أبو سعيد الخدري (٣) وابن عباس (٤) وجابر (٥) وأبو هريرة (٦) وسعيد بن سعد بن مالك الخدري

(١). ٢٤ : ٥٥

(٢). ٢١ : ١٠٧

(٣). مما روي عن أبي سعيد الخدري ما رواه الحافظ ابن مردويه من طريق أبي هارون العبدى عن أبي سعيد الخدري أنها نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدیر خم حين قال لعلي : من كنت مولاه فهذا علي مولاه ثم رواه عن أبي هريرة أنه اليوم الثامن عشر من ذي الحجة يعني مرجعه صلى الله عليه وآله من حجة الوداع (تفسير ابن كثير ٣ : ١٤) والسيوطي في الدر المنثور ٣ : ٢٥٩ أخرج ابن مردويه وابن عساكر عن أبي سعيد الخدري قال : لما نصب رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام يوم غدیر خم فنادى له بالولاية هبط جبرئيل عليه بهذه الآية «اليوم أكملت...». وفيه أخرج ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري مثله وفي آخره : فنزلت «اليوم أكلت...» فقال النبي : «الله أكبر...» ونقله بهذا اللفظ الأربيلي في كشف الغمة (٩٥)

(٤). الثعلبي في تفسيره عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس روى قصة الغدير
(٥). أبو الفتح النطنزي في كتابه الخصائص العلوية عن الخدري وجابر الأنصاري أنهما قالا : لما
نزلت : اليوم أكملت .. قال النبي صلى الله عليه وآله : اللّٰه أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة
ورضى الرب برسالي وولاية علي بن أبي طالب عليه السلام، وأبو حامد سعد الدين الصالحاني قال
شهاب الدين أحد في توضيح الدلائل على ترجيح الفضائل - : وبالإسناد المذكور عن مجاهد قال
لما نزلت هذه الآية بغدير خم فقال رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وذكر مثله
(٦). وما روي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : من صام يوم ثمان عشر من ذي
الحجة كتب له صيام ستين شهراً وهو يوم غدير خم لما أخذ النبي صلى الله عليه وآله بيد علي بن
أبي طالب عليه السلام فقال : أأست أولى بالمؤمنين ؟ قالوا : بلى يا رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله
قال : من كنت مولاه فعلي مولاه فقال عمر بن الخطاب : بخ بخ يا بن أبي طالب أصبحت مولاي
ومولى كل مسلم فأنزل اللّٰه الآية ..

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٠٩

والبراء بن عازب «١» وزيد بن أرقم «٢» أخرجه ورواه عنهم عدد كثير من التابعين وتابعي التابعين
والمصنفين والمفسرين.

وحق لرسول الهدى صلى الله عليه وآله أن يقول قوله حين نزول الآية : «اللّٰه أكبر على إكمال
الدين وإتمام النعمة ورضى الرب برسالي والولاية لعلي بن أبي طالب».
وترى أن «اليوم ينس .. اليوم أكملت ... إلى - ديناً» هل هي آية مستقلة تنزيلاً ثم توسط هذه الآية
تأليفاً؟ أم هي هيه تنزيلاً وتأليفاً؟ فما هي الصلة بينها وبين ما احتفت بها من قبل ومن بعد؟!
إن الأصل المعني من القرآن هو تأليفه، فإنه هو الأليف الصائب بوحى اللّٰه تعالى حيث يراه انسب ما
يصح ويمكن من تأليف الوحي النازل نجوماً منفصلة لفظياً ومعنوياً.

فقد تناسب مناسبة حقة حقيقية ناصية السورة «أوفوا بالعقود» فإن عقد الولاية المستمرة المحمدية في
أهل بيته عليهم السلام هو من أهل العقود. فلقد توسطت آية إكمال الدين وإتمام النعمة كخطر آية
هنا، جمعاً بين العقود العقيدية والسياسية الصالحة والعقود العملية، فإن عقود الشرعة الربانية هي كلُّ
لا تتجزأ، كلُّ متكامل متجاوب كلبنات بناية واحدة مهما اختلفت تشكيلات.
فهنا سواء في واجب الوفاء بالعقود ما يختص بالتصور والعقيدة والعقلية الإيمانية.

(١). الثعلبي في تفسيره عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال لما اقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله في حجة الوداع كنا بغدير خم فنأدى أن الصلاة جامعة ... وروى قصة الغدير

(٢). ومن أخرجه عنه الثعلبي في تفسيره ونقل جملة من قصة الغدير ومنها فلقه عمر فقال : هنيئاً لك يا بن أبي طالب أصحبت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج٤، ص : ١١٠

شعوراً، وما يختص بالعبادات شعاراً وغير شعار، أو يختص بالحلال والحرام بين شعور وشعار، وما يختص بالتنظيمات الاجتماعية كعقد الولاية الرسالية بعد الرسول صلى الله عليه وآله، جمعاً بين الواجبات النفسية والبدنية، رعاية لجمع الإنسانية : النفس والبدن.

ثم كما الإضطراب في مخصصة بدنية وهي الجوع القارح يسمح لأكل ما حرم من الميتة وما أشبه قدر الضرورة المبقية لحياة.

كذلك الإضطراب في مخصصة نفسية يسمح في القعود عن تحقيق لإقامة القيادة الروحية والزمنية - مستمرة - بعد النبي صلى الله عليه وآله.

وترى المسلمين إضطروا في مخصصة في تنحيهم عن تطبيق واجب الخلافة الإسلامية في علي وولده المعصومين عليهم السلام؟!.

أولم يتجانفوا لإثم في مأثمة غضب الخلافة الحقبة التي هي رمز ليأس لذين كفروا من دينكم وإكمال الدين وإتمام النعمة ورضى الرب بإسلامنا؟.

فهل إن إسلام الإستسلام أمام السلطات الجائرة زمن المعصومين عليهم السلام وبعدهم، ذلك إسلام مرضي لرب العالمين، فالذين كفروا يائسون من القضاء عليه وإضعافه واستضعاف المسلمين العائشين تحت أنيابه؟! وهل إن ذلك من إكمال الدين وإتمام النعمة أن يعيش المسلمون تحت وطأة الإستعمار الإستثمار الإستعمار الإستكبار الإستبداد الإستخفاف الإستضعاف؟!.

يعيشون بين هذه الأبواب الجهنمية يمينية ويسارية متخلفة عن الشجرة الزيتون المحمدية التي هي لا شرقية ولا غربية؟!.

«اليوم» يوم الغدير، الذي بلغ فيه البشر النذير، إستمرارية القيادة الإسلامية السامية في الصالحين من أمته، معصومين زمنهم، والربانيين من علماء الأمة زمن الغيبة.

«اليوم» هو اليوم الذي فيه «يئس الذين كفروا من دينكم» يئسوا من زواله واضمحلاله، حيث اجتمع إلى كماله في نفسه وإتمام النعمة فيه، ما بالإمكان أن يدير رحي المجتمعات البشرية مهما طالت وكثرت.

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١١١

اجتمع إلى ذلك بقاء واستمرار قيادته الروحية والزمنية، فإن رمز استمراره وتحليقه - يوماً ما - على ربوع الإنسانية جمعاء، فدور الخلافة المعصومة يجمع في نفسه تبين القرآن والسنة ما لم يكن ليبيّن زمن الرسول صلى الله عليه وآله إلا لأبواب مدينة علمه كعلي وفاطمة عليهما السلام وولدهما الأحد عشر (ع)، إضافة إلى القيادة الرسالية التي كان يحملها الرسول صلى الله عليه وآله ومن ثم دور الغيبة الكبرى المتوسطة بين عصر الحضور حيث يقوده العلماء الربانيون على ضوء الكتاب والسنة.

فدور التبيين مكمل لدور التشريع في بعدين اثنين، فلم يكن الدين مكتملاً، والنعمة متممة، والإسلام مرضياً، إلّا بهذه الاستمرارية السامية.

صحيح أن الرسول صلى الله عليه وآله كان يبيّن الخلافة المعصومة أحياناً كثيرة، ولكنها لم تكن تعدو أجواء خاصة ولأشخاص خصوص، فأين هي وأين البلاغ في جو الغدير بتلك الصورة الوضاعة الهامة التي جلبت أنظار الحاضرين الذين كانوا هم خاصة المسلمين في عصر النبي صلى الله عليه وآله وكلاسة عن جمعهم أجمعين.

ذلك هو إكمال الدين وإتمام النعمة ورضى الرب لنا إسلامنا - لو حلق في إستمراره على كل التاريخ الإسلامي المجيد-!

والقول إن التارك لما هو إكمال الدين وإتمام النعمة ورضى الرب - وهو أهم من أصل الدين - أخرى أن يسمى كافراً أو مرتداً ممن ترك فرعاً من الدين، مردوداً بأن التارك واقعياً ليس كافراً ولا إرتداداً، إنما هو الرد على الله ورسوله عقيدياً اظهاراً باللسان أو أياً كان فالمنافق ما لم يظهر تكذيباً للدين يعتبر مسلماً، والمؤمن إذا أظهر تكذيباً كان مرتداً، فالذين تركوا تحقيق الولاية قاصرين أو مقصرين هم أولاء مسلمون كسائر المسلمين، اللهم إلّا من صرح بتكذيب الرسول فيما كان يفعل أو يقول، فأما المأول لقوله قاصراً أو مقصراً تبريراً لواقع اتجاهه فلا يعد مرتداً أو كافراً، وإلا لم يبق من المسلمين إلّا نزر قليل.

فالشرعة التي تزول وتذبل بموت حاملها الأول لا يخشى منها مهما كانت كاملة، فكل نظام قانوني صالح بحاجة لاستمراره إلى صالح التطبيق الجماهيري الذي لا يصلح إلا

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١١٢

تحت رعاية حاكمية قديرة حكيمة، ففساد كل من القانون والحاكم به يموت أو يضعف القانون، فضلاً عن فسادهما مع بعض.

وكما أن «حبل من الله» ضمان للعزة كذلك «حبل من الناس» كما «ضربت عليهم الذلة إلّا بحبل من الله وحبل من الناس» وهكذا نؤمر في «واعتصموا بحبل الله جميعاً» أن تؤسس جمعية الإعتصام الصالح بحبل الله حتى تُعتصم من بأس الكافرين.

ف «الذين كفروا» ككل، أيأ كانوا وأيان لا يياسون من ديننا ان يزول بنفسه أو يُزال إلّا بانضمام إستمرارية القيادة الصالحة إلى صالح القانون وهو القرآن، فما دامت الحاكمية الطليقة للقرآن بالحكام الصالحين على ضوءه فالذين كفروا هم في إياس مطلق مطّبق، وكما يثسوا في الدولة الأولى الإسلامية التي أسسها الرسول صلى الله عليه وآله مهما اختلفت الدرجات، ومن ثم لما نقضوا عهد الخلافة الصالحة إلى الخلافة الطالحة طمع الذين كفروا في ديننا حتى آل أمرنا إلى ما آل.

ذلك! ومن ملامح الضرورة القيادية الصالحة لتطبيق القرآن أننا لا نجد «يئس الذين كفروا» بصورة مطلقة مطبقة إلّا «اليوم» وهو يوم قرار الإستمرار للدولة المحمدية صلى الله عليه وآله، المبين فيه الكتاب والسنة بصورة عاصمة معصومة.

صحيح أن الذين كفروا لا يستطيعون على أية حال أن ينقضوا ديننا أو أن ينقصوا منه ببرهان، ولكنهم يحاولون في إبعاد المسلمين عن القرآن، وزعزعة إيمانهم وإيقانهم بهذا الدين المتين لولا السلطة الروحية والزمنية القرآنية على طول الخط.

فالدعايات المضللة من الذين كفروا وسائر المحاولات الشريرة ودوائر السوء المختلفة، المتربصة بالذين آمنوا، لا تزال مستمرة حتى يجعلوا الدين في عزلة بعيدة عن أهله، رغم نصوع براهينه وسطوع مضامينه.

كما وأن الهجمات الحربية المتواصلة منهم تحتل أراضينا وأنفسنا «إلّا بحبل من الله وحبل من الناس». ف «لن يضروكم إلّا أذىً وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون» لا تخاطب

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١١٣

إلَّا المعتصمين بحبل الله المطبقين شرعة الله، المجاهدين في سبيل الله، المضحين في الحفاظ على حرمة الله، كما سبقت هذه الشروط في «لن يضروكم».

فليس صالح الدين بنفسه مما يؤيس الكافرين تمام الإيأس وزوال الإبلاس من ديننا، إنما هو صالح تطبيقه بالقيادات الصالحة الروحية والزمنية، وكما في حديث الصادقين عليهما السلام تفسيراً للآية، أي أكملت لكم دينكم بإقامة حافظة .. «١».

فالحافظ القيادي للدين دوره كالحافظ الأصلي لمادة الدين، فبكمال القيادة الروحية والزمنية التطبيقية للدين ييأس الذين كفروا من زواله أو إزالته، وبضعفها كضعفه نفسه يأمل الذين كفروا زواله أو إزالته من الدور الجماعي.

و «اليوم يئس الذين كفروا» هو يوم قرار القيادة المعصومة، استمرارية للقيادة العليا الرسولية التي تحملها الرسالة، معصومين وهم الاثنى عشر، ومن يتلو تلوهم كالعلماء الربانيين زمن الغيبة الكبرى لآخريهم المنتظر المأمول.

إذاً «فلا تخشوهم» أن يزيلوا هذا الدين ما دامت قواعده سليمة «واخشون» أن تتخلفوا عن قيادته الروحية والزمنية العليا تأسيساً لها واتباعاً إياها وتحقيقاً للدين بكل أبعاده، فإبعاده لكل العراقل الكافرة الشاغرة.

لذلك لم ييأس الذي كفروا من ديننا في أي يوم من أيام هذه الرسالة السامية يأساً شاملاً إلا يوم إذاعة الاستمرارية لها بالخلافة المعصومة العاصمة لها، مهما اغتصبت لردح بعيد من الزمن، ولكن بنية الرسالة المستمرة على مر الزمن بذلك القرار الحاسم، إنها تؤيس الذين كفروا من زوالها أو إزالتها.

وعلى الذين آمنوا طول الزمن الرسالي تقبل القيادة المعصومة، ثم في زمن غياب العصمة انتخاب النخبة العليا من العلماء الربانيين ليقودوا الأمة الإسلامية سالمة سليمة.

ذلك، فالإثم في تأخر المسلمين عن تأسيس دولتهم الإسلامية الموحدة السامية إنما هو على المتجانفين لتركه، المتكاسلين عن محاولته، المستسلمين- دوماً- للأمر الواقع

(١). الخصائص عن الصادقين عليه السلام

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١١٤

كما وأن قسماً منهم خيّل إليهم أن القيام لتأسيس دولة الإسلام وطرد الظلم إنما هو على عاتق صاحب الأمر عليه السلام وأما نحن مدى غيابه عليه السلام فعليتنا أن نتقاعد مكتوفي الأيدي، رغم الأوامر المؤكدة المشددة القرآنية المشدودة لإقامة الدين، وقصم شوكة المعتدين المغتصبين، وبسط المعروف وإزالة المنكر قدر المستطاع، مهما كان تأسيس الدولة العالمية الإسلامية في أصلها على عاتق صاحب الأمر عجل الله تعالى فرجه وسهل مخرجه.

وإذا «اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تحشوهم» على دينكم وعلى أنفسكم، بل في التخلف عن إقامة ما يؤسس الذين كفروا فاستضعافاً للدينين واستخفافاً بالدين ومواصلة بكل المحاولات في سحقهم ومحققهم، وترى «رضيت لكم الإسلام ديناً» يعني - فقط - هذه الشرعة بطقوسها؟ وكثيرون هؤلاء الذين يطبقون طقوسها وهم غير مرضيين لله! ...

«الإسلام» هو إسلام الوجه لله، ومنه الإسلام لما حصل يوم إكمال الدين وإتمام النعمة وهو تأمير الأمير بإمرة المؤمنين عليه السلام وتقبُّل استمرارها إلى يوم الدين.

ف «ديناً» تعني طاعة طليقة لله، والإسلام السليم هو الطاعة المرضية لله لا سواه، فالإسلام الخاوي عن القيادة المستمرة السليمة إسلام غير مرضي، وقد يصبح كالكفر أو أنحس منه، فمثلث إكمال الدين وإتمام النعمة والرضى عن الإسلام بعد «يئس الذين كفروا» يشكّل القواعد الأربع لعز الإسلام وسيادته، فليس اليأس إلّا لهذه الثلاث.

ولأن آيتي التبليغ والإكمال مرتبطتان مع بعض حيث تحمّلان أمر الإمرة الإسلامية بعد الرسول صلى الله عليه وآله، إذ فروايات الغدير البالغة إلى مئات تعتبر من روايات مؤيدة لنزول آية الإكمال بشأن الغدير «١».

(١). روايات الغدير من الصحابة - حسب ما في الغدير - مائة وعشرة، شخصاً، ومن التابعين أربع وثمانون، وطبقات الرواة العلماء (٣٦٠) شخصاً في القرون الإسلامية، والمؤلفون (٢٦) شخصاً والمناشدات به والإحتجاجات إثنان وعشرون (الغدير للعلامة الأميني ١ : ١٤ - ٢١٣)

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١١٥

ذلك، وليأس الذين كفروا من دينكم مراحل أخرها بتأم اليأس وطأمه الجمع بين إكمال الدين وإتمام النعمة بمثلث عمارة الإسلام العامرة : ١ - كمال قوانينه الصالحة الإنطباق في كل عصر ومصر، ٢ -

كمال الزعامة الدينية روحية وزمنية، ٣- وكمال المؤمنين به إتماماً بأئمة الإسلام، وتطبيقاً عميقاً للإسلام، وكل ذلك في الوسط القرآني العظيم، فإنه المحور الأصيل لهذه الزوايا الثلاث. ذلك اليأس يخلق على الذين كفروا في الطول التاريخي والعرض الجغرافي، ولذلك يحاولون في هدم مثلته، مركزين على تنحية القرآن عن الوسط الإسلامي. ومهما يكن من شيء فقد تكفي بالمآل إمرة صاحب الأمر لتحقيق ذلك اليأس بأعماقه. وترى الإضرار في مخمصة الذي يسمح بإرتكاب محرّم أكلاً أم إيكالاً، أو محرم في سياسة الشرعة الإلهية، ما هو حده ومدّه؟.

«مخمصة»- وهي حالة الضرورة- محدّوة هنا ب «غير متجانف لإثم» فالمقصر في ذلك الإضرار هو متجانف لإثم، فأكل المحرم- كالكسوت أمام السلطة الجائرة- محرّم عليه حالة الإضرار، رغم وجوبه عليه- خوف الموت- حفاظاً على نفسه.

وتجانب الإثم هو التجاوب معه مهما كان بتقصير في حصول مقدماته ومهيأته- فإنه التمايل المتخلف كما الحنف هو الميل المتألف- كمن يسافر دون ضرورة- إلى بلدة يضطر فيها إلى أكل الحرام أو فعل الحرام، فإن سفره هذا تجانب لإثم، مهما لم يعتمد أكل الحرام حين اضطراره إلّا إضراراً.

فهنا «غفور رحيم» ليست لتشمل إلّا المضطر غير المتجانف لإثم، وقد جاء في أخرى «... غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه» (١)

وفي ثالثة ورابعة: «فإن الله- فإن ربك- غفور رحيم» (٢).

إذا فتالوث «تجانف لإثم- عاد- باغ» تحرّم على المضطر حتى حين تهدر نفسه، مهما

(١). ٢ : ١٧٣

(٢). ٦ : ١٤٥ و ١٦ : ١١٥

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١١٦

كان واجباً في هدرها حفاظاً على نفسه، وهنا «غير متجانف» دون «غير باغ ولا عاد» حيث الموضوع أعم مما في هذه الثلاث الأخرى وأهم، إذ يجع إلى مخمصة الجوع مخمصة الروح حرجاً وتضييقاً.

ولا يختص الإضرار هنا بخوف التلف إلا بالنسبة للمتجانف العادي الباغي، فقد يجوز لغيرهم أكل هذه المحرمات قدر الضرورة للحفاظ على قوة حياة مهما لا يخاف الموت، حيث الإضرار لا يختص باضرار لأصل الحياة، بل والإضرار الحيوي يسمح ويفرض إقرار المحرم للحفاظ على النفس مهما حرم من جهة التقصير في حصول الإضرار.

وقد يعني الاضرار بصورة عامة تكلف الضرر نفسياً أو صحياً أو مالياً أو عرضياً أو دينياً، في نفسه أمّن هو كنفسه من ولده وأهليه، ما صدق الإضرار عليه عرفاً.

ففي حالة إضرار غير المقصر ولا باغ ولا عاد ولا متجانف لإثم يجوز تناول المحرم أياً كان قدر الضرورة، اللهم إلا أن تكون حرمة المحرم أغلظ من حرمة الإضرار، ففي إضرار الموت يحل كل حرام اللهم إلا ما هو أشد محظوراً منه، ثم في سائر الإضرار لا بد من النظر إلى طرفيه، ولا يختص الإضرار المحلل للحرام بالحفاظ على النفس بل والحفاظ على سائر النواميس الخمسة لنفسه أمن هو محسوب عليه.

ثم المضطر باختياره، أو الباغي والعادي أو المتجانف لإثم، هؤلاء هم عصات في إقرار المحرم المضطر فيه مهما كان واجباً، فهو محذور تقصيراً، ومحبور حفاظاً على الواجب حفظه من نفس وصحة أمّاهيه.

والغفر الطليق يختص بغير المقصر، وأما المقصر على دركاته فلا يغفر له حيث يعدّب بتقصيره، مهما عذب أيضاً إذا لم يتناول المحرم حالة إضراره، وليس مورد الإضرار بالإختيار وما أشبه من موارد ترجيح الأهم على المهم سلباً لحكم المهم، أو تساوي الحكيمين فتساقطهما ثم الحكم بإباحة الطرفين، فإن حكم المهم يزول عند الاضرار العاذر وفي سواه يبقى الحكم على حاله كالمضطر الباغي أو العادي أو المتجانف لإثم

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١١٧

بنص الإستثناء الخاص، والعنوان الثانوي إنما يزيل حكم العنوان الاولي في حالة العذر دون تقصير. فهنا الضابطة «الضرورات تبيح المحظورات» تخصص بالضرورات غير المختارة، أم «تبيح» إباحة مطلقة في غير المقصرة أصلاً وفرعاً، وإباحة جانبية في المقصرة بمعنى بقاء حكم الوجوب والحرمة معاً. فالقول إن واجب الحفاظ على النفس ومحرم إقرار المحرم حالة الإضرار المقصر هو الجمع بين الواجب والمحرم وأنه مستحيل أم يرجح أرجح الأمرين.

إنه مردودٌ بأن الوجوب والحرمة متواردان على وجهين، ثم لا تزول الحرمة المعارضة بأهم منها إلّا إذا كانت غير مقصرة، فالمضطرّ الباغي أو العادي أو المتجانف لإثم أو الذي إضطرّ باختياره معاقب على أيّ الحالين، فيعاقب على اقتراح الحرام حفاظاً على نفسه، كما يعاقب على هدر نفسه تركاً لذلك المحرم لمكان تقصيره في ذلك التضييق والخرج و «ما جعل عليكم في الدين من حرج» تختص بالجعل التشريعي وأما الذي يخرج نفسه بنفسه فهو الذي جعل على نفسه الحرج تخلفاً عن شرعة الله.

دور إكمال الدين وإتمام النعمة بصورة عامة :

هنا إكمال الدين وليس إكمال الشرعة من الدين، فالقصد من «دينكم» هو الدين كله حيث «شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه...» (١).

فكل شريعة من الدين طرف منه يختص بزمن خاص، فيها سؤال المكلفين به، ولكن هذه الشرعة الأخيرة تحمل كل ما تحمله الشرايع الأربع وزيادة هي سر الخلود إلى يوم الدين، فلا تختص ببيئة خاصة وزمن خاص وناس خصوص كسائر الشرائع المؤقتة.

بل إن هذه الرسالة الأخيرة تخاطب الإنسان من وراء كل الظروف والبيئات، وتتناول حياة المكلفين إلى يوم الدين من جميع أطرافها، محلقة على كل سؤال دون إبقاء، واضعة

(١). ٤٢ : ١٣

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١١٨

لها المبادئ الكلية والضوابط الشاملة فيما يتطور فيها ويتحوّر بتغير الزمان والمكان، وكذلك الأحكام التفصيلية والقوانين الجزئية فيما لا يتطور ولا يتحوّر بتغير الزمان والمكان وتحوّرها.

فقد أعلن «يوم الغدير» بواسطة ذلك البشير النذير إكمال الدين بكل أصوله وفروعه، وسر استمراره، ومستسر قوته وقراره.

إذاً فالمخاطبون ب «لكم دينكم ..» هم كل المكلفين في الطول التاريخي والعرض الجغرافي منذ بزوغ الإسلام إلى يوم الدين.

وهكذا «أتممت عليكم نعمتي» في إكمال دينكم، النعمة الخاصة الربانية الرحيمية التي قضيتها إرسال الرسل وإنزال الكتب، فقد أتممت تلك النعمة الناعمة القائمة بأسرها، فلم تبق عندي نعمة بالإمكان إنزالها على المكلفين إلّا وقد أنزلتها في هذه الشرعة من الدين التي هي الدين كله بكماله وتمامه. إذاً فماذا بعد إكمال الدين- فيما يجاوله مختلفوا شرعة بعده- إلا انتقاص، وماذا بعد إتمام النعمة إلا نقمة وإفلاس.

أجل، ولكنه لا يدرك حقيقة نعمة الله في هذا الدين ولا يقدر قدرها إلا من يعرف الجاهلية ويذوق وبالها وويلاتها، ثم ومن يعرف شرايع الدين قبله بتحرّفاتا عن جهات أشراعها، وأنها في نفس الوقت وقتية مؤقتة، وكأنها- أو أنها- تقديّمات وتعبيدات طريق لهذه الشرعة الأخيرة. فلقد انشأ الإسلام من البشرية أمة تطل من القمة السامقة على كافة المكلفين كلهم في السفح، في كل جانب من جوانب الحياة.

ذلك الدين المتين- بكل أعباءه وقضاياه- هو الذي رضيّه الله لنا ديناً، مما يُحرضنا على الإستقامة قدر جهدنا لإقامته، وإلا فما أنكدو ما أحق من يُهمّل أو يرفض ما رضيّه الله له ليختار لنفسه غير ما اختاره الله، أو يغير معاملة الأصيلة إلى طقوس وأذكار خاوية، وتلك- إذاً- جرعة نكدة ليست لتذهب دون جزاء.

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١١٩

ذلك، و «من» في «من دينكم» تعني- فقط- التعدية إذ لو عنت معها معنى آخر كالتبويض فقد عنت «ينس الذين كفروا من بعض دينكم» فهو «من من دينكم». و «دينكم» له مرحلتان، أصله، وكونه معكم، واليأس يشملهما، فقد يتسوا من زواله أو إزالته من أصله أو عنكم حيث قرر فيكم استمراريته قيادة وقانوناً مضموناً في عصمتها.

رزية يوم الخميس!

إن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله لم يكتف من تصاريح اخلافة هذه الذكريات في علي امير المؤمنين التي ملأت صرختها أسماع العالمين، مع أن حديث الولادة والاحوة والوزارة والولاية، إنه لذكرى كافية لمن ألقى السمع وهو شهيد.

لكنه قضيةٌ لعظيم اهتمامه بهذا البلاغ الهام يختم حياته الشريفة بذكره وكتابته ليكون حجة مكتوبة، مضافة إلى تصريحاته الجليلة في ذلك، مع أنه لم يكتب طوال حياته ورسالته في شيءٍ من مهام الدين كما نعلمه منه صلى الله عليه وآله إلا شذراً «١» فقصده للكتابة حينذاك تعبير عن اهتمامه الهام بذلك الأمر كما شهد له من قبل قصة الغدير :

اخرج اصحاب الصحاح وسائر اهل السنن وأهل السير والأخبار كافة رزية الخميس كما يلي :
لما حضر رسول الله صلى الله عليه وآله الوفاة وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال النبي صلى الله عليه وآله : هلم أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، فقال عمر : إن النبي قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت فاخصموا، منهم من يقول : قربوا يكتب لكم النبي صلى الله عليه وآله كتاباً لا تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي صلى الله عليه وآله قال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله قوموا «٢».

(١). كما يروى من كتبه الى الامراء والسلاطين يدعوهم فيها الى الاسلام ولا تنافيه الاية : وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تحطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون لانها تختص عدم التلاوة والكتابة بما قبل الرسالة ولا تنفيهما عنه صلى الله عليه وآله اطلاقاً

(٢). اخرجه البخاري في باب قول المريض : قوموا عني، كتاب المرضى ص ٥ ج ٤ وفي كتاب العلم ج ١ ص ٢٢ وبعض الاجزاء الاخر من صحيحه واخرجه مسلم في آخر الوصايا من صحيحه ورواه احمد من حديث ابن عباس في مسنده وكذا سائر اصحاب السنن، وسند البخاري هكذا : الى عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٢٠

هذا ولكن تقول ابن الخطاب وجراته على الرسول صلى الله عليه وآله حينذاك لم يكن كما هنا «ان النبي قد غلب عليه الوجع» وإنما فسر ارباب الحديث بالمعنى حفظاً لكرامته، وإنما لفظه الثابت :
دعوه فانه ليهجر!!؟

ويشهد له قول ابن عباس : إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغظهم، حيث قال عمر كلمة معناها : إن الوجع قد غلب على رسول الله صلى الله عليه وآله «١».

ولقد نقل التصريح بنسبة الهجر الى الرسول صلى الله عليه وآله من دون ذكر قائله ايضاً، عن ابن عباس انه قال :

يوم الخميس وما يوم الخميس! ثم بكى حتى خضب دمه الخصباء فقال : اشتد برسول الله صلى الله عليه وآله وجعه يوم الخميس فقال : إئتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبداً، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا : هجر رسول الله صلى الله عليه وآله : قال صلى الله عليه وآله، دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه «٢».

لماذا لم يكتب الرسول ما أراداه؟!!

إن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله حينما يجترى عليه بهذه الكلمة القارصة الفاتكة وهو في قبضة الموت، يمك عن أن يكتب ما كان يهمه حينذاك مخافة أن يكذبه سناداً الى قول عمر، كما وكان يبغى عن تبليغ رسالته الهامة يوم الغدير مخافة التكذيب.

إلا أن المنافقين لم يظهروا هناك شيئاً رجاء تأويله بعد ارتحال الرسول إلى جوار

(١). اخرجه ابو بكر احمد بن عبدالعزيز الجوهري في كتاب السقيفة كما في (ص ١٠ ج ٢ من

شرح النهج للعلامة المعتزلي) بالاسناد الى ابن عباس

(٢). رواه البخاري في باب جوائز الوفد من كتاب الجهاد والسير من صحيحه ص ٧ ج ٢ قال :

حدثنا قبيصة حدثنا ابن عيينة عن سلمان الاحول عن سعيد بن جبير عن ابن عباس

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٢١

رحمة ربه، ولكنهم ماذا يصنعون بنص خطه صلى الله عليه وآله إذا كتب ما بلغه.

لذلك نرى الخليفة عمر- الذي يهنيء الأمير بولاية الامر يوم الغدير قائلاً : «بخ بخ لك يا علي! فقد اصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة»- نراه لا يرضى أن يكتب الرسول صلى الله عليه وآله حين ارتحاله شيئاً في ذلك، فيجرب عليه بلفظة فحش ما أفحشه!

أجل إنه يجرب على الرسول صلى الله عليه وآله بخناء أدمى قلوب المسلمين وجرح عيونهم وفتت أكبادهم!، فهل إن الرسول صلى الله عليه وآله لهيجر وقد صدقه الله تعالى في جميع اقواله بقوله تعالى وتقدس : «وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحى يوحى».

وهل إن نسبة الهجر إلى الرسول صلى الله عليه وآله حينذاك إلا نسبته الى الله تعالى في وحيه؟

وهل توجد فرصة هامة للوصية أهم من حين الموت للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله؟ أفهل يجدر لعمر أن ينسب من لا ينطق عن الهوى- إلى الهجر؟
هنالك يحق لكل مسلم أن يبكي دماً ويقول: إن رزية الخميس رزيتان: أهمهما وأفجعهما ذلك الخناء والجرئة على الرسول صلى الله عليه وآله، ثم ارتحاله في ذلك اليوم، إذ إن الرزية الأولى إمارة لشخصية الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وليست الثانية إلا فقدان شخصه الكريم، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله يرسل علياً عليه السلام لأخذ آيات من البراءة من ابى بكر لنفسه عليه السلام

«سورة التوبة» والبراءة: براءة بباذعة البراءة فيها «من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين» وتوبة أمراً لهم ولأضربهم بها، وتقبُّلاً- بشرطها- لها، ولأن البراءة قد تبوء إلى التوبة، دون التوبة الصالحة حيث لا تبوء إلى براءة، فقد سميت بالتوبة تغليبا لها على البراءة، مهما بزغت تأليباً بالبراءة، ولذلك نراها تبدء دون بسملة، فإنها لكل أمر ذي بال ولا بال للبراءة إلا إذا آلت إلى توبة، وقضية الأمر بين أمرين ترك البسملة وأن تسمى

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص: ١٢٢

بالتوبة وقد فُعل.

نزلت تاسعة الهجرة بعد الفتح وبعدهما رجع النبي صلى الله عليه وآله من غزوة تبوك إنذاراً للمشركين حتى يحسبوا كل حساباتهم بعد طائل هذه الهجرة الهاجرة وبعد عمرة الجعرانة. والتشكيك في أنها والأنفال سورتان أم واحدة لا مجال له، وقد جاءت فذة بعد الأنفال في كافة القرائن «١»، إضافة إلى العديد الجديد للآيات، وهو دليل سديد على استقلالها عن الأنفال، وهكذا تواتر الروايات عن الرسول صلى الله عليه وآله وأئمة أهل بيته عليهم السلام بصيغة «سورة التوبة» أو «البراءة» «٢» وقد لا تسمى شطر سورة سورة.

وقد أصفق الفريقان «٣» دون إختلاف على نقل وتصديق رواية البراءة حيث يبعث

(١). في الدر المنثور ٣ : ٢٠٨ عن عسعس بن سلامة قال قلت لعثمان يا أمير المؤمنين ما بال الأنفال وبراءة ليس بينهما «بسم الله الرحمن الرحيم» قال : كانت تنزل السور فلا تزال تكتب حتى تنزل «بسم الله الرحمن الرحيم» فإذا جاءت «بسم الله الرحمن الرحيم» كتب سورة أخرى فنزلت التوبة ولم تكتب «بسم الله الرحمن الرحيم» وفيه عن أبي عطية الهمداني قال كتب عمر بن الخطاب تعلموا سورة براءة وعلّموا نساءكم سورة النور

(٢). المصدر أخرج الطبراني في الأوسط عن علي عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه و آله : المنافق لا يحفظ سور هود والبراءة ويس والدخان وعم يتساءلون

(٣). قد أخرج حديث البراءة فيمن أخرج - أن عليا عليه السلام هو المبعوث بأذان البراءة - ثلاث وسبعون من أئمة الحديث وحفاظه بعدة طرق ذكرهم العلامة الاميني في الغدير كما يلي : ثم وآخرون ذكرهم في ملحقات إحقاق الحق (٥ : ٣٦٨ - ٤٦٨) و (١٦ : ٢٢١ - ٢٣٦ و ٢ : ٦٢ و ٣ : ٤٢٧ و ١٤ : ٦٤٤) مما يبلغهم إلى نيف ومائة :

- ١- أبو محمد إسماعيل السدي الكوفي المتوفى (١٢٨) ٢- ابن هشام البصري (٢١٨) ٣- محمد بن سعد الزهري (٢٣٠) ٤- الحافظ أبو بكر ابن أبي شيبة العبسي الكوفي (٢٣٥) ٥- الحافظ أبو الحسن ابن أبي شيبة العبسي (٢٣٩) ٦- الإمام أحمد بن حنبل (٢٤١) ٧- الدارمي صاحب السنن (٢٥٥) ٨- ابن ماجة صاحب السنن (٢٧٣) ٩- الترمذي صاحب الصحيح (٢٧٩) ١٠- ابن أبي عاصم الشيباني (٢٨٧) ١١- النسائي صاحب السنن (٣٠٣) ١٢- محمد بن جرير الطبري (٣١٠) ١٣- ابن خزيمة النيسابوري (٣١١) ١٤- النيسابوري صاحب المسند (٣١٦) ١٥- البغوي صاحب المصابيح (٣١٧) ١٦- أبي حاتم التميمي (٣٢٧) ١٧- ابن حبان التميمي (٣٥٤) ١٨- الطبراني (٣٦٠) ١٩- أبو الشيخ (٣٦٩) ٢٠- الدارقطني (٣٨٥) ٢١- الحاكم النيسابوري صاحب المستدرک (٤٠٥) ٢٢- ابن مردويه (٤١٦) ٢٣- أبو نعيم الإصبهاني (٤٣٠) ٢٤- البيهقي صاحب السنن (٤٥٨) ٢٥- ابن المغازلي (٤٨٣) ٢٦- البغوي (٥١٦) ٢٧- النسفي السمرقندي (٥٣٧) ٢٨- جار الله الزمخشري (٥٣٨) ٢٩- القرطبي صاحب التفسير (٥٦٧) ٣٠- موفق بن أحمد الخوارزمي (٥٦٨) ٣١- ابن عساكر (٥٧١) ٣٢- الأندلسي (٥٨١) ٣٣- الإمام الرازي (٦٠٦) ٣٤- أبو السعادات ابن الأثير الشيباني (٦٠٦) ٣٥- أبو الحسن ابن الأثير الشيباني (٦٣٠) ٣٦- ضياء الدين المقدسي (٦٤٣) ٣٧- النصيبي (٦٥٢) ٣٨- ابن الجوزي (٦٥٤) ٣٩- ابن أبي الحديد (٦٥٥) ٤٠- الكنجي (٦٥٨) ٤١-

البيضاوي (٦٨٥) ٤٢ - محب الدين الطبري (٦٩٤) ٤٣ - إبراهيم الحموي (٧٢٢) ٤٤ - التبريزي صاحب مشكاة المصابيح (٧٣٧) ٤٥ - علي بن محمد الخازن صاحب تفسير الخازن (٧٤١) ٤٦ - أبو حيان الأندلسي صاحب التفسير (٧٤٥) ٤٧ - الذهبي (٧٤٨) ٤٨ - النيسابوري صاحب التفسير (٧٤٨) ٤٩ - ابن كثير الدمشقي (٧٧٤) ٥٠ - الهيثمي (٨٠٧) ٥١ - المقرئ (٨٤٥) ٥٢ - العسقلاني (٨٥٢) ٥٣ - الصباغ المكي (٨٥٥) ٥٤ - العيني (٨٥٥) ٥٥ - السخاوي (٩٠٢) ٥٦ - جلال الدين السيوطي (٩١١) ٥٧ - القسطلاني (٩٢٣) ٥٨ - الشيباني (٩٤٤) ٥٩ - الديار بكري صاحب تاريخ الخميس (٩٦٦) ٦٠ - ابن حجر الهيثمي (٩٧٤) ٦١ - القرشي الهندي (٩٧٥) ٦٢ - المناوي (١٠٣١) ٦٣ - العيدروس الحسيني (١٠٤١) ٦٤ - القرش الهندي (٩٧٥) ٦٢ - المناوي (١٠٣١) ٦٣ - العيدروس الحسيني (١٠٤١) ٦٤ - أبا كثير المكي (١٠٤٧) ٦٥ - الزرقاني (١١٢٢) ٦٦ - البدخشي (١١٢٢) ٦٧ - الصنعاني (١١٨٢) ٦٨ - محمد بن الصبان (١٢٠٦) ٦٩ - الشوكاني (١٢٥٠) ٧٠ - الآلوسي صاحب التفسير (١٢٧٠) ٧١ - القندوزي (١٢٩٣) ٧٢ - أحمد زيني دحلان (١٣٠٤) ٧٣ - السيد مومن الشبلنجي صاحب نور الأبصار (١٣٠٤)

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج٤، ص: ١٢٣

رسول الله صلى الله عليه وآله بالعشر الأولى من آي البراءة مع أبي بكر أذناً من الله تعالى ومنه صلى الله عليه وآله إلى أهل مكة مع أبي بكر أذناً من الله تعالى ومنه صلى الله عليه وآله إلى أهل مكة بما فيها من الأحكام المحددة إياهم، المهتدة لهم، ألا يقرب المسجد الحرام مشرك بعد عامهم هذا، فلما غادر أبو بكر المدينة إلى مكة دعى صلى الله عليه وآله علياً فقال: أدرك أبا بكر فحيثما لقيته فخذ الكتاب منه ورجع أبو بكر فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وآله نزل في شيء؟ قال: لا، ولكن جبرئيل جاءني فقال:

لن يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك «١»-

أجل- فلما غادر أبو بكر المدينة إلى مكة جاء جبرائيل الأمين إلى الرسول الأمين صلى الله عليه وآله و آله قائلاً: إن العلي الأعلى يقرءك السلام ويقول لك يا محمد! لا يؤدي عنه إلا أنت أو رجل منك- فابعث علياً عليه السلام ليتناول الآيات فيكون هو الذي يقرء الآيات، يا محمد! ما أمرك ربك بدفعها إلى علي ونزعها من أبي بكر سهواً ولا شكاً ولا إستدراكاً على نفسه غلطاً، ولكن أراد أن

يبين لضعفاء المسلمين : أن المقام الذي يقومه أخوك علي لن يقومه غيره سواك يا محمد، وإن جلت في عيون هؤلاء الضعفاء مرتبته من أمتك .. «٢».

«فلما رجع أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وآله جزع- يبكي- «٣» وقال يا رسول الله صلى الله عليه وآله : إنك أهلتني

(١). المصدر أخرج عبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائد المسند وأبو الشيخ وابن مردويه عن علي عليه السلام قال : لما نزلت عشر آيات من براءة علي النبي صلى الله عليه وآله دعى أبا بكر ليقراها علي أهل مكة ثم دعاني فقال لي أدرك أبا بكر ... ورواه أنس وسعد بن أبي وقاص وأبو هريرة وابن عمر وأبو سعيد الخدري وأبو رافع وابن عباس وجابر وعروة

(٢). التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام البحار ٣٥ : ٢٩٧ ح ٢١ ولقد أخرج حديث البراءة (٧٣) من الحفاظ وأئمة الحديث كما في الغدير (٦ : ٣٣٨ - ٣٣٥) (٣). أخرجه ابن عساكر بإسناده عن الحرث بن مالك

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٢٤

لأمر طالت الأعناق فيه فلما توجهت رددتني عنه؟ فقال صلى الله عليه وآله : الأمين هبط إلي عن الله عز وجل أنه «لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك وعلي مني ولا يؤدي عني إلا علي» «١». وجملة المروي عن الرسول صلى الله عليه وآله في سبب عزله أبا بكر عن هذه المهمة التي تمد إليها الأعناق جواباً عن سؤاله : هل نزل في شيء؟ أنه : «لن تؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك» «٢».

«ولكني أمرت أن أبلغها أنا أو رجل من أهل بيتي» «٣».

«إنه لا يبلغه إلا أن أو رجل مني» «٤».

«إنه لا ينبغي أن يبلغ عني إلا رجل من أهلي» «٥» «من أهل بيتي» «٦».

«إنه لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل مني» «٧».

«إنه لا يؤدي عني إلا أنا أو علي» «٨».

(١). رواه الطبري والبلاذري والترمذي والواقدي والشعبي والسدي والثعلبي والواحدي والقرظي والقشيري والسمعاني وأحمد بن حنبل وابن بطة ومحمد بن إسحاق وأبو يعلي الموصلي والأعمش

وسماك بن حرب في كتبهم عن عروة بن الزبير وأبي هريرة وأنس بن أبي رافع وزيد بن نقيع وابن عمر وابن عباس

(٢). أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند والحافظ أبو الشيخ وابن مردويه والسيوطي في الدر المنثور ٣ : ٢٠٩ وكنز العمال ١ : ٢٤٧ والشوكاني في تفسيره ٢ : ٣١٩ والرياض النضرة ٢ : ١٤٧ وذخائر العقبى ٦٩ وتاريخ ابن كثير ٥ : ٣٨ ومناقب الخوارزمي ٩٩ وفرائد السمطين للحموي ومجمع الزوائد ٧ : ٢٩ وشرح صحيح البخاري للعيني ٨ : ٦٣٧ ووسيلة المال لابن كثير وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ٣ : ٩١ وتفسير المنار ١٠ : ١٥٧ - أخرجه عن علي عليه السلام عن طريق زيد بن يشيع

(٣). تفسير الطبري ١٠ : ٤٦ وتفسير ابن كثير ٢ : ٣٣٣ وخصائص النسائي ٢ والأموال لأبي عبيد ١٦٥

(٤). مسند أحمد ١ : ٣ وابن خزيمة وابن عوانة والدراقطني في الأفراس في كنز العمال ١ : ٢٤٦ والكنجي في الكفاية ١٢٥ نقلًا عن أحمد وأبي نعيم وابن عساكر وابن كثير في تاريخه ٧ : ٣٥٧ (٥). الترمذي في جامعه ٢ : ١٣٥ والبيهقي في سننه ٩ : ٢٢٤ والخوارزمي في مناقبه ٩٩ وابن طلحة في مطالب السؤل ١٧ والشوكاني في تفسيره ٢ : ٣١٩ وابن أبي حاتم والحكم وابن مردويه والبيهقي، وابن حجر في فتح الباري ٨ : ٢٥٦

(٦). رواه أحمد بن محمد بن إسحاق الدينوري بسند متصل عن أنس عنه صلى الله عليه وآله وأحمد بن حنبل من طرق جماعة منها عن أنس عنه صلى الله عليه وآله وأبو الشيخ وابن مردويه عن علي عليه السلام وجماعة آخرين

(٧). رواه محمد بن جرير الطبري بسند متصل إلى حارث بن مالك وأبو الصباح الكناني عن الصادق عليه السلام والحارث بن مغيرة النضري عنه وحريز عنه عليه السلام وأحمد بن حنبل في مسنده مرفوعاً إلى أبي بكر عن النبي صلى الله عليه وآله والثعلبي في تفسيره وابن مردويه عن أبي رافع عنه صلى الله عليه وآله وابن أبي حاتم عن حكيم بن حميد عن علي بن الحسين عليهما السلام وابن مردويه وابن حبان عن أبي سعيد الخدري صلى الله عليه وآله

(٨). لقد تواتر النقل فيما يؤدي هذا المعنى أخرجه أرباب الصحاح والسنن، راجع (محمد وعلي وبنوه الأوصياء) لنجم الدين الشريف العسكري رحمه الله

«لا يذهب بها إلا رجل هو مني وأنا منه» (١) - «علي مني وأنا من علي ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي» (٢).

ذلك، وفي حوار بينه وبين الرسول صلى الله عليه وآله في سبب عزله وانتصاب علي عليه السلام يقول صلى الله عليه وآله :

«كيف تؤذيها وأنت صاحبي في الغار» (٣) لا! أنت صاحبي في الغار ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي، مما يبحث على التساءل كيف أخره صحبته مع الرسول صلى الله عليه وآله في الغار! وأصحابه ينادونه «صاحب الغار» كفضيلة كبرى وإفتخار.

فهناك يختص الرسول صلى الله عليه وآله جدارة هذه الرسالة بنفسه أو علي لأنه منه، وهنا يقتسم صحبة بين الغار وبين أمثال هذه الرسالة التي لا يحملها إلا الرسول نفسه أمن هو منه، أفلا يدل ذلك على خلافته الرسالية بعده صلى الله عليه وآله بعدما هو خليفته معه؟!.

ذلك الأمر المؤكد لعلي عليه السلام أن يركب ناقته الغضباء ويلحق أبا بكر بسرعة فيجده في العرج أو في ذي الحليفة أو ضجنان أو جحفة، وحين يرجع أبو بكر غضبان أسفاً يسمع الجواب كلمة واحدة : «لا يؤدي عني إلا أنا أو علي» وما أشبه، وأخرى «كيف تؤدي عني وأنت صاحبي في الغار» ثم وحين يعزل أبو بكر عن هذه الرسالة فمن هو أبو هريرة في روايته اليتيمة حتى يبلغ ذلك البلاغ؟!.

هذه وتلك مع هذه الملابس الهامة هي ذات الدلالة العامة على محتد الإمام علي عليه السلام من الرسول صلى الله عليه وآله أنه هو - فقط - المبلغ عنه بعده في حياته، أفلا يكون مبلغاً عنه - إذاً - بعد مماته؟!.

وترى ما هو القصد من قوله صلى الله عليه وآله «كيف تؤدي عني وأنت صاحبي في الغار» الآن

(١). رواه ابن عباس وأخرجه كثير من أئمة الحديث وحفاظه في المسانيد باسناد صحيح رجاله

كلهم ثقات

(٢). مطالب السؤل ١٨

(٣). رواه حسن بن اشناس في كتابه بسند متصل عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام (البحار ٣٥ : ٢٨٧) وأخرجه الطبري كما في فتح الباري للعسقلاني ٨ : ٢٥٦ ويدل عليه من الروايات المتواترة ما ورد في حديث البراءة من قول الرسول صلى الله عليه وآله : أنت صاحبي في الغار، ورواه أكثر من روى حديث البراءة ونص الحديث هكذا، يا رسول الله صلى الله عليه وآله ما كنت ترى أنني مؤدٍ عنك هذه الرسالة؟ أبا الله أن يؤديها إلا علي بن أبي طالب، كيف ذلك يا رسول الله صلى الله عليه وآله؟ كيف تؤديها وأنت صاحبي في الغار؟

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٢٦

صحبتة في الغار إفتخار؟ فليؤد عنه لذلك! أم إنه عار؟ فلا يؤدي عنه.

وهل الجمع بين المنصين محذور عدلاً في التقسيم؟ فكيف جمع لعلي عليه السلام رسالة الأداء عنه إلى مقامه ليلة المبيت مقامه صلى الله عليه وآله وهو أعلى محتدماً لصحبة الغار وكما يقول الله :

«ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رئوف بالعباد» (١)

فالذي يضحى بنفسه إياه صلى الله عليه وآله دونما تخوف، هو أحرى أن يؤدي عنه من صاحبه في الغار فراراً أم أنساً للغار على تخوفه، ولا سيما في هذه الهامة العظيمة التي هي بحاجة إلى قوة في القلب وقمة في الإيمان، فصاحب المبيت لم يخف عن الخطر الهاجم، وصاحب الغار خاف عن الخطر الناجم، وهو يرى كيف سدل ستار العنكبوت على باب الغار، وقد نهاه النبي صلى الله عليه وآله عن حزنه : «لا تحزن» ثم «أنزل سكينته عليه» لا عليهما! وصاحبه كان أحوج إلى السكينة، وقد «أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين» (٢) «ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين» (٣)

أو لم يكن صاحبه في الغار مؤمناً فتشمله السكينة النازلة على الرسول صلى الله عليه وآله «إذ هما في الغار»؟ أم لم يكن بتلك الدرجة من الإيمان حتى يقرن بالرسول صلى الله عليه وآله في تلقي السكينة، إذاً فليفرد بسكينة بعد الرسول كما قد أفرد المؤمنون بعدما جُمعوا معه «هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً» (٤)

- «فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً» (٥).

إذاً ف «كيف تؤدي عنه وأنت صاحبي في الغار»؟ «إنما يؤدي عني أنا أو رجل مني»- «رجل هو مني وأنا منه» وكما تواتر عنه صلى الله عليه وآله : «علي مني وأنا منه» (٦).

(١)

٢٠٧ : ٢٠٠

(٢) . ٤٨ : ٢٦

(٣) . ٩ : ٢٦

(٤) . ٤٨ : ٤

(٥) . ٤٨ : ١٨

(٦) . لقد تواتر عن النبي صلى الله عليه وآله هذا الحديث بألفاظ عدة منها : «علي مني وأنا منه ولا يؤدي عني إلا أنا وعلي» رواه حبشي بن جنادة وأخرجه عنه تسعة وثلاثون من أعظم المحدثين.
والثاني حديث جابر رواه عنه جماعة من الأعظم، والثالث حديث أبي رافع عن عشرة ونصه قال : لما قتل عليّ أصحاب الألوية يوم أحد قال جبرئيل يا رسول الله صلى الله عليه وآله إن هذه لهي المواساة فقال له النبي صلى الله عليه وآله : إنه مني وأنا منه فقال جبرئيل : وأنا منكما يا رسول الله - أخرجه أحمد في المناقب، والرابع حديث بريدة رواه عنه خمسة عشر من الأعظم، قال فيه صلى الله عليه وآله : لا تقع في علي فانه مني وأنا منه وهو وليكم بعدي، والخامس حديث عمران بن حصين عن إحدى وأربعين وفيه «ما لهم ولعلي إن علياً مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي، والسادس حديث زيد عن ستة وفيه قال صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام : أما أنت يا علي فختني وأبو ولدي وأنا منك وأنت مني، والسابع حديث هبيرة بن برزيم عن علي عليه السلام عن ثمانية وفيه : وأما أنت يا علي فمني وأنا منك والثامن حديث حسن بن علي عن ثلاثة وفيه : أما أنت يا علي فمني وأنا منك وأنت ولي كل مؤمن بعدي، والتاسع حديث عمر بن الخطاب عن ثلاثة وفيه قال النبي صلى الله عليه وآله وعليه وآله لعلي عليه السلام : أنت مني وأنا منك، وقال عمر : توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وهو عنه راض، والعاشر حديث البراء عن تسعة وعشرين، ثم وحديث أبي ذر وأم سلمة وابن عباس وغيرهم رواه عنهم جماعة.

ذلك وقد تواتر أيضاً هذا الحديث ضمن حديث الأداء ومنه حديث حبشي بن جنادة والبراء بن عازب وعمران بن حصين وأسامة بن زيد وأبي رافع وبريدة وعلي عليه السلام وجابر وأنس ورافع بن أبي خديج ويتحد الكل في معنى (علي مني وأنا من علي ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي، أم باسقاط

ذيله، والقسم الأول ذكره المرجع الديني السيد شهاب الدين المرعشي في ملحقات إحقاق الحق ٥ :
٢٧- ٣١٧، والقسم الثاني ذكره في ١٦ : ١٣٧- ١٦٧، والمجموع ٧٣ صفحة فيها أسماء المخرجين
والروايات والكتب ومتون الحديث المتقاربة المعني

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٢٧

ولا يعني «رجل مني» فقط نسبة النسب أو السبب، فإن مكانة الرسالة الربانية لا تعرف نسباً ولا سبباً
ولا حسباً وما أشبهه، وإنما «مني» هو من عقيلتي الرسالية حتى يؤدي عني ما أنا مؤديه كرسول، ومما
يشهد له «وأنا منه» وصحبة الغار- ولا سيما مع ذلك الغار- ليست لتصحب معها الأداء عنه صلى
الله عليه وآله، فمجرد «لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل مني- أو علي- فإنه مني» يكفي في أفضليته
على أبي بكر ومن سواه، فأما «كيف تؤدي عني وأنت صاحبي في الغار» فعلى كافة الإحتمالات تدل
على عدم جدارته لذلك البلاغ «١».

(١). فهنا احتمالات تالية : ١- ألا يحق الجمع بين منصبتين اثنتين لصحابي واحد؟ والإمام جمع هنا
بين هذا الاداء وأفضل من صحبة في الغار! ٢- أن صحبة في الغار هي أفضل من هذا الأداء؟ و «لا
يؤدي عني إلا أنا أو رجل من أهلي» يفضل ذلك الأداء على كل المناصب، ٢- إن هذه الصحبة
وهذا الاداء سيان؟ فلماذا يحرم بعد نصبه عن منصب هو مثل صحبته في الغار! ٤- فلم يبق أن هذه
الصحبة سلبت عنه تلك الجدارة، أو ليس الأجدر بالرسول في مثل تلك الرسالة في حياته أجدر به
باستمرارية رسالته بعد مماته؟!.

أقول : ولا يعبأ باختلاف الروايات في أن المؤدي- بالأخير- كان هو أبا بكر أم وأبو هريرة بأمره، أم
وحتى علي عليه السلام كان يؤدي تحت قيادته، حيث المتواتر الذي لا شك فيه عزل أبي بكر،
فكيف يأمر المعزول أبا هريرة أم علياً الذي هو المأمور بأخذ البراءة عنه؟.

ولقد تشوشت الروايات قصداً أم إهمالاً حتى يضل الحق في هذا البين، ففي عدد الآيات المبعوثة بين
تسع وعشر وست عشرة وثلاثين وثلاثاً وثلاثين وسبعاً وثلاثين وأربعين وتمام البراءة، اختلافاً سداسياً
فيها في عدد الآيات المبعوثة ثم في قصة بعث البراءة منها المتواترة أنه عزل واسترجع أبا بكر وبعث
علياً مكانه فتساءل لماذا عزلتني فقال : «لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل مني- أو علي- كيف تؤدي عني

وأنت صاحبي في النار»، ومنها اليتيمة الدالة على أن أبا بكر ذهب لوجهه أميراً على الحاج، فأمر علياً وأبا هريرة أن يأذنا بما أرسل! خلافاً للتواتر الأول!.

أجل، وكيف يُبعث أبو بكر في هذه المهمة وهو صاحب الغار حيث هو المختار له في الأخطار، وكما تظافر النقل أن أبا بكر وعمر فرّاً من بعض الغزوات كما عن تسعة من فطاحل العامة، فقد روي أن النبي صلى الله عليه وآله إختار أبا بكر وأعطاه الراية يوم خيبر فرجع منهزماً، وفي أخرى أنه صلى الله عليه وآله بعد فراره إختار عمر وهو إختار الفرار على القرار حتى فتح الله على يد الحيدر الكرار، وقد صرح بمثل ذلك جماعة من الأعلام مثل «أبو داود الطيالسي في مسنده» (٨ : ٢٦٤) ينقل فرار عمر وعثمان، والطبري في تفسيره (٢ : ١٩٩) ينقل فرار عمر في غزوة أحد والهيثمي في مجمع الزوائد (٩ : ١٢٣) ينقل فرار أبي بكر وعمر وان عمر كان يجين أصحابه، وشارع المواقف (٢ : ٤٧٥) ينقل فرارهما في غزوة حنين، وابن قتيبة في كتاب المعارف (٥٤) والكاشفي في المعارج الركن الرابع (٣٧٠) والترمذي في المناقب المرتضوية (٤١٠) والمتقي الهندي في منتخب كنز العمال المطبوع بهامش مسند أحمد بن حنبل (٤٤) ينقل فرارهما في غزوة خندق، والطبري يـحكي فرار عثمان في تفسيره (٢ : ٢٠٣) وفرار عمر في غزوة خندق (٢ : ٣٠٠)

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٢٨

وجواباً عن السؤال : كيف بعث أبا بكر أولاً ثم عزله بعلي وهو «لا ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى»؟ نقول : كان بعثه إياه وعزله كلاهما بوحي من الله، تدليلاً على أنه لا يصلح مؤدياً عنه بعد مماته حين لا يصلح أن يؤدي عنه في حياته، تذكيراً للغافلين الذين سوف يرتأون خلافته لكونه صاحبه في الغار أم لكبر سنه وما أشبه من حجج داحضة.

وقيلة البعض من المتعصبين لأبي بكر أن عادة العرب جارية في مثل هذه المواقف أن يبعثوا من أهليهم دون الغرباء، هي غيلة على الرسول صلى الله عليه وآله انه ترك أولاً هذه العادة ثم عاد يحققها، وفيه تزييف لموقف الرسول وأبي بكر معاً، تحطئة للرسول كيف بدأ بالغريب، ولأبي بكر كيف عزله بعد نصبه، ثم ولم تكن للعادات الجاهلية موقف في هذه الرسالة السامية حتى يوقف رسالة أبي بكر لها عن قصة البراءة، وقد كان ينسخ يومياً العادات الجاهلية وكما قال يوم فتح مكة عند الكعبة المباركة : «ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سداثة البيت وسقاية الحاج» ثم ولو كانت هي عادة عربية صالحة الإتياع في هذه الرسالة فلماذا تنساها ثم ذكرها وفيه

فضح أبي بكر على رؤوس الأشهاد، ولما يتساءل النبي صلى الله عليه وآله لا يسمع جواباً امثال هذه المختلقات المتعصبة، بل هو كلمة واحدة «لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل مني».

ذلك، ولأن المخرجين قصة حديث البراءة هم فوق التواتر طول القرون الإسلامية،

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٢٩

والمخرج عنهم منهم علي عليه السلام وأبو بكر وابن عباس وجابر بن عبد الله الأنصاري «١» وأنس بن مالك وأبو سعد الخدري وأبو رافع وسعد بن أبي وقاص وأبو هريرة وعبد الله بن عمر وحبشي بن جنادة وعمران بن حصين وأبو ذر الغفاري، في المسانيد، وعشرات أضعافهم في المراسيل، فلا محيد-
إذاً- عن تصديقه وتقبُّل معناه ومغزاه ولو كره الفاسقون.

ولقد ناشد الإمام علي عليه السلام- فيما ناشد- القوم حجاجاً لأمرته بحديث البراءة دون نكير، وفي حديث ابن عباس «٢» وأضرابه تصديقه، وكما تواتر- أيضاً عن أئمة أهل البيت عليهم السلام حديث المناشدة يوم الشورى وسواه، فذلك إطباق من أئمة الإسلام ومعظم الرواة والمصنفين والمفسرين على قصة حديث البراءة، فهم براء كلهم ممن تبرء من مضمونه.

وذلك كله دليل على الهامة المتميزة لرسالة البراءة إلى المشركين، فما كانت هي رسالة يصح أو يسمح لحملها غير الرسول صلى الله عليه وآله أو من هو منه، فمادة رسالة البراءة كانت أحكاماً جديدة جادة لما تبلى إلى من يجب تبليغها إليه، وهذه تختلف عن الدعوة العامة إلى الإسلام، أو الكتابات المرسلة إلى الملوك والرؤساء، فالفارق بينهم أن رسالة البراءة رسالة أصيلة غير مسبوقه بإعلام فهي من اختصاصات الرسول أو من هو منه، وتلك وما أشبه هي رسالات عامة يحملها كل من يصلح لحمل الرسالات العامة المسبوقه بالإعلام، ولقد كفت «لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل مني» دلالة على ميزة رسالة البراءة هذه، ولا ينكرها إلا نكير عقله وضميره.

(١)

(٢) عن جابر بن عبد الله الأنصاري أن النبي صلى الله عليه وآله حين رجع من عمرة الجعرانة بعث أبا بكر على الحج فأقبلنا معه حتى إذا كنا بالعرج ثوب بالصبح فلما استوى للتكبير سمع الرغوة خلف ظهره فوقف عن التكبير فقال : هذه رغوة ناقة رسول الله الجداء لقد بدا لرسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله الحج فلعله أن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله فنصلي معه فإذا علي عليه السلام فقال له

أبو بكر : أمير أم رسول؟ قال : لا بل رسول ارسلني رسول الله صلى الله عليه وآله براءة أقرأها على الناس في مواقف الحج ... أخرجه جماعة ذكرناهم فيما سبق من الهوامش (٢).
أخرج ابن عساکر باسناده من طريق الحافظ عبد الرزاق عن ابن عباس قال : مشيت وعمر بن الخطاب في بعض أزقة المدينة فقال : يا ابن عباس أظن القوم استصغروا صاحبكم إذ لم يولد له أموركم، فقلت : والله ما استصغره رسول الله صلى الله عليه وآله إذ اختاره لسورة براءة يقرأها على أهل مكة، فقال لي : الصواب تقول والله لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي بن أبي طالب : من أحبك أحب الله ومن أحب الله أدخله الجنة مدلاً (كنز العمال ٦ : ٣٩١ وشرح ابن أبي الحديد ٣ : ١٠٥)

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج٤، ص : ١٣٠

على أية حال لقد أدى الإمام علي عليه السلام هذه الرسالة الهامة يوم الحج الأكبر، بازغاب «براءة من الله ورسوله ..» أذان من الله ورسوله يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله مهدداً يباهم بالقتل بعد الأشهر الحرم «فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ..». ومن ذا الذي يجريء على أداء هذه الرسالة في وسط من الإشراف - مهما فتحت مكة - دوغما تخوف ومجارات إلّا الذي بات على فراش الرسول صلى الله عليه وآله في وسط المشركين المهاجمين، دون الذي صاحبه في الغار عدة للفرار وهو مع ذلك خائف لحد يستحق النهي!

تنزل هذه السورة قبل المائدة وبعد الفتح، معدة للمشركين أن يستعدوا للإسلام أو الإستسلام، بما تتضمن أحكاماً نهائية في صلات وعلاقات بين كتلتين الإيمان والكفر، كما تضمنت تصنيف كل من الضفتين.

فالسورة - إذأ - ذات أهمية في بيان المنهج الحركي للإسلام، والتكتيكي لارتجاع عاصمة الإسلام كاملة بعدما فتحت وبعد تأسيس دولته بعيداً عن العاصمة، وذلك بكل حسم ومرونة، حسماً في مجاله ومرونة في مجالته.

وهذه السورة بطبيعة حالها بعد الكل وقبل الأخيرة، هي في عرض الأحكام بين مرحلية ونهائية، مرحلية هي نهائية للمرحليات السابقة، وبدائية طليقة للمائدة.

نجد مقاطع ستة للسورة في دراسة عنها خاطفة، هي في الحق عرض لأخطر المواقف للدولة الإسلامية أمام أهلها بمختلف مَن فيها وما فيها من أوساط حرجة مرجحة لتخلخل جموع من مختلف الطوائف في هذا الدين الجديد، جادّين أم منافقين أم عوان بينهما.

في المقطع الأول- وهو ثمانية وعشرون من آيها- عرض لتحديد العلاقات النهائية والوقائية بين المعسكر الإسلامي وجموع المشركين، فإنها قوية التحضيض والتأليب على قتالهم، لما في المرونة معهم عرونة للهيكلة الإسلامي السامي.

والمقطع الثاني يضمن تحديداً وتجديداً للعلاقات النهائية بين المسلمين وأهل

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٣١

الكتاب بصورة عامة، من «قاتلوا الذين.... إلى- فذوقوا ما كنتم تكفرون» (٣٥).

فهي في مواجهة أهل الكتاب لما كان في نفوس مؤمنة من تهيب وتردد، ولا سيما الروم بما فيه من بأس وبؤس وسمعة تاريخية عريقة بين أهل الجزيرة.

وفي المقطع الثالث وهو من الآية (٣٦) إلى آية الغار (٤٠) والنفر (٤١) يبدأ بالتنديد بالمتشاكليين المتكاسلين في الغزو، المتعاضلين عن واجب الدفاع والنضال ببقية على الحوزة الإسلامية.

وفي المقطع الرابع- وهي أطوع مقاطعها- المستغرق زهاء نصفها، إلى «وتزهق أنفسهم وهم كافرون» عرض عريض لفضح المنافقين المتغلغلين في الصف الإسلامي بمختلف محاولاتهم وحيلهم المنافقة، تعريضاً عريضاً عليهم وتحريضاً للمؤمنين أن يأخذوا حذرهم منهم، صوتاً عن تلاشي الهيكل الإسلامي بعد الفتح حيث عاد النفاق بعده بصورة أخرى متلفقة متلاحقة للأولى، فأصبح ركماً خطراً على الجماعة المسلمة.

وفي المقطع الخامس تصنيف للجماعة المسلمة إلى درجاتها، مؤمنة مخلص، إلى بسيطة، وإلى مسلمة غير مؤمنة مفلسة وإلى منافقة كالسنة، وذلك إلى آية الضرار والتقوى (١٠٨).

والمقطع السادس والأخير يقرر طبيعة البيعة الإسلامية جهاداً في سبيل الله، وواجب إتباع رسول الله صلى الله عليه وآله، قائداً رسولياً للقوات المسلحة، وواجب المفاصلة مع المشركين والمنافقين.

ذلك، والأحكام التي وردت في هذه السورة لحقل الجهاد والسياسة الإسلامية تجاه الأعداء، هي- بوصفها آخر ما نزل من هذه الأحكام- تمثل قمة الخط الحركي للمنهج الإسلامي.

فللحركة القرآنية ككل سماتٌ وبصماتٌ، ١- كالواقعية الجديدة في منهجها، ٢- والواقعية الحركية ذات المرحلة حسب مؤاتية الظروف والملايسات، ٣- وأن هذه الحركة ذات البركة الدائبة، بوسائلها ومسائلها المتجددة الجادة، ليست لتخرج هذه

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج٤، ص: ١٣٢

الشرعة عن قواعدها الأساسية المحددة لها، وعن أهدافها المستمرة الثابتة المرسومة المرسولة فيها، ٤- ومن ثم الضبط التشريعي الدقيق لكل العلاقات في مختلف الحقول بين الكتلة المسلمة وسائر الكتل. فهذه قواعد أربع لصرح الإسلام، صارحة صارخة في كافة الميادين، وثابتة لا تتزعزع. ذلك، وفي مقدمة ذلك الأذان البراءة إلى المشركين بعد الفتح وقبل حجة الوداع تعبيد لسبيل طهارة البلد الأمين عن هؤلاء المشركين، لكيلا يراهم المسلمون يؤدون المناسك الدخيلة الجاهلية مع المناسك الأصيلة الإسلامية، تخليصاً لمناسك الإسلام بأصحابه، وتقليصاً لمناسك الكفر وأصحابه، وكما يروى عنه صلى الله عليه وآله قوله: «إنه يحضر البيت مشركون يطوفون عراة فلا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك» (١).

«براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين» (٢).

هذه «براءة» صارخة أيها المؤمنون «من الله» إخباراً ومن «رسوله» إخباراً إلى إنشاء يعني أنها براءة مفروضة على الرسول، حاصلة بفرضها عليه قضية العصمة الرسالية، «إلى الذين عاهدتم من المشركين» أم «براءة» مبتدئة موصوفة ب «من الله ورسوله» وخبرها «إلى الذين عاهدتم» وتنوين التنكير تهويل في هذه البراءة «براءة» حيث نقضوا عهودهم وظاهروا عليكم، فليست البراءة هذه فوضى ومن دون مبرر، إنما هي لنقضهم فنقضوا إذاً من أصل المعاهدة «إلّا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقضوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين» (٣)

وقد روي أن النبي صلى الله عليه وآله لما خرج إلى غزوة تبوك وتخلّف المنافقون وأرجفوا بالأراجيف جعل المشركون ينقضون العهد فنبد رسول الله صلى الله عليه وآله العهد إليهم» (٤).

ذلك، وهذه البراءة التي من قضاياها ملاحقتهم وقتالهم أينما كانوا وأيان، ليست إلا

(٢). سورة التوبة، الآية : ١

(٣). الدر المنثور ٣ : ٢١١ عن الزهري في الآية قال : نزلت في شوال فهي الأربعة أشهر شوال وذو

القعدة وذو الحجة والحرم

(٤). تفسير الفخر الرازي ١٦ : ٢١٧

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٣٣

بعد أربعة أشهر.

«فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وان الله مخزي الكافرين» (١).

سمح بعد البراءة أن يأخذوا حريتهم في مكة المكرمة وسواها خلال أربعة أشهر - فقط - وعلاها «الأشهر الحرم»، شوال، ذو القعدة، ذو الحجة - محرم، فإنها الأربعة الحرم المعروفة الثابتة، مما قد يدل على أن هذه الآيات نزلت قبل شوال.

ولأن ذلك الأذان كان «يوم الحج الأكبر» فقد تكون هذه الأربعة بادئة من يوم الحج الأكبر : الأضحى أم عرفة فعشرون من ذي الحجة، وتمام الحرم وصفر وربيع الأول وعشرة من ربيع الثاني، فهذه أربعة أشهر ؟ «٢»

(١). سورة التوبة، الآية : ٢

(٢). نور الثقلين ٢ : ١٨٢ عن تفسير القمي حدثني أبي عن محمد بن الفضل عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله أمرني عن الله أن لا يطوف بالبيت عريان ولا يقرب المسجد الحرام مشرك بعد هذا العام وقرأ عليهم «براءة ..» فاجل الله المشركين الذين حجوا تلك السنة أربعة أشهر حتى يرجعوا إلى مأمهم ثم يقتلون حيث وجدوا، وفيه روى عاصم بن حميد عن أبي بصير عن أبي جعفر عليهما السلام قال : خطب علي عليه السلام واخترط سيفه فقال : لا يطوفن بالبيت عريان ولا يحجن البيت مشرك ومن كانت له مدة فهو إلى مدته ومن لم تكن له مدة فمدته أربعة أشهر وكان خطيب يوم النحر فكان عشرون من ذي الحجة ومحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشر من ربيع الآخر، وفيه عن العياشي عن زرارة وجران ومحمد بن مسلم عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام مثله، وعن أبي عبد الله عليه السلام قال : نزلت هذه الآية بعدما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله من غزوة تبوك في سنة تسع من الهجرة، قال : وكان

رسول الله صلى الله عليه وآله لما فتح مكة لم يمنع المشركين الحج في تلك السنة وكانت سنة من العرب في الحج أنه من دخل مكة وطاف بالبيت في ثيابه لم يجلب له إمساكها وكانوا يتصدقون بها ولا يلبسونها بعد الطواف فكان من وافى مكة يستعير ثوباً ويطوف فيه ثم يرده ومن لم يجده عارية ولا كرى ولم يكن له إلا ثوب واحد طاف بالبيت عرباناً، فجاءت امرأة من العرب وسيمة جميلة فطلبت ثوباً عارية أو كرى فلم تجده فقالوا لها : إن طففت في ثيابك احتجت أن تتصديقي بها فقال : كيف أتصدق وليس لي غيرها ؟ فطافت بالبيت عربانه وأشرف لها الناس فوضعت إحدى يديها على قبلها والأخرى على دبرها وقال شعراً :

اليوم يبدو بعضه أو كله فما بدا منه فلا أحله

وكانت سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله قبل نزول سورة براءة أن لا يقاتل إلا من قد قاتله ولا يجارب إلا من حاربه وأراده وقد كان أنزل عليه في ذلك «فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً» فكان رسول الله صلى الله عليه وآله لا يقاتل أحداً قد تنحى عنه ومن لم يعتزله إلا الذين قد عاهدتهم رسول الله صلى الله عليه وآله يوم فتح مكة إلى مدة منهم صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو فقال الله عز وجل : «براءة .. أربعة أشهر» ثم يقتلون حيثما وجدوا بعد هذه أشهر السياحة عشرين من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشراً من ربيع الآخر، فلما نزلت الآيات من سورة براءة دفعها رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أبي بكر وأمره أن يخرج إلى مكة ويقراها على الناس بمضى يوم النحر فلما خرج أبو بكر نزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : يا محمد لا يؤدي عنك إلا رجل منك.

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٣٤

إلا أن الأشهر الحرم المعروفة علها هي المعنية بطبيعة الحال، ثم ولا يعبر عن أضغاث أيام من أشهر بأشهر! وليس «أذان من الله» هو بداية الإعلان، إنما هو استمرارية البيان على رؤوس الأشهاد حتى لا تبقى أية حجة.

فقد يجوز أن آية «أربعة أشهر» المحددة سيحهم المهتدة إياهم قرأت عليهم قبل شوال أم أوله ليأخذوا عدتهم إما إيماناً فأماناً أم سواه فسواه.

ثم قرأت آية الأذان يوم الحج الأكبر وهو على الأظهر يوم الأضحى أو عرفة.

وقد تقتضي قضية الحال في ذلك الإعلام والأذان العام أن يكون يوم الحج الأكبر، حيث يجتمع فيه المشركون مع المسلمين من كل أنحاء الجزيرة- أم وسواها- دون أول رجب أم قبله، ولتتم الحجة على المشركين، فهذه الأربعة الحرم- إذاً- هي غير الأربعة الشهيرة حيث يحرم فيها القتال، وقد يؤيده «أربعة أشهر» أولاً منكرة، ثم وظهرها التابع ولا تتابع بين الأربعة الشهيرة، وإن لحقتها «إذا انسلخ الأشهر الحرم» حيث تعنيها منذ يوم الحج الأكبر.

ولأن «الشهر» هي حسب المتعود ثلاثون يوماً، فالأربعة الحرم هنا مائة وعشرون يوماً منذ عرفة أو الأضحى إلى العاشرة أو الحادية عشر من ربيع الثاني.

ثم الأربعة الحرم المعروفة لها حكمهما على طول الخط لكافة المكلفين، دون هذه الأربعة الخاصة بذلك الموقف المخصوص بذلك الأذان.

إذاً فالأرجح- على الأشبه- هو الأربعة الحرم الباءة- هنا- من يوم الحج الأكبر، دون الحرم العامة وهي «رجب- شوال- ذو القعدة- ذو الحجة».

ف «رجب» خاصة لخاصة العمرة والثلاثة الباقية للحج، أم «الحرم» بديلاً عن «شوال» ولكل رواية وعلى أية حال ف «تلك أربعة حرم» ظاهرة في المتواصلة وهي الأربعة الأخيرة.

فهذه الأربعة الحرم، أمان على طول الخط، اللهم إلا «الحرم» بديلاً عن «شوال» ولكل رواية وعلى أية حال ف «تلك أربعة حرم» ظاهرة في المتواصلة وهي الأربعة

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٣٥

الأخيرة.

فهذه الأربعة الحرم، أمان على طول الخط، اللهم إلا للذين حاربوا فيها فواجب الدفاع قدره، وتلك أمان مؤقت لتلك الأربعة في تلك السنة الخاصة.

«فسيحوا» أيها المشركون الناقضون للمعاهدة «في الأرض»: العاصمة وسواها حرماً وسواها «أربعة أشهر» ثم «واعلموا أنكم غير معجزى الله» فيها أم في سواها «وأن الله مخزي الكافرين» حيث لا يفلت عنه فالت ولا يفوت عنه فانت.

«واذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتهم فاعلموا أنكم غير معجزى الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم» (١).

تلك البراءة كانت موجهة- فقط- إلى المشركين الناقضين، وهذا الأذان إعلام عام «إلى الناس»
موحدين ومشركين لكي يعرف كلُّ واجبه ويحسب حسابه.

فما هو «يوم الحج الأكبر»؟ «الحج الأكبر» علّه هو الذي بعد العمرة احتساباً لها بالحج الأصغر،
وكما يروى عن النبي صلى الله عليه وآله قوله : العمرة الحج الصغرى «٢»، أم ولأن في ذلك الحج
اشترك لمرة أخيرة المسلمون والمشركون معاً «٣»، ثم اختص الحج بالمسلمين على طول الخط.
ولأن الحج لم يسمَّ بالأكبر إلّا هنا، ثم هو «الحج» مع العمرة في «أتموا الحج والعمرة» «٤»
مهما كان «حج البيت» «٥»

وما أشبه حيث تأتي دون عمرة تشملها معه.

إذاً فالحج الأكبر قد يعني ذلك الحج المشترك بما فيه من موقف خاص وملابس هامة قد تنجر إلى
حرب بين الفريقين، ويومه- ككل- يوم عرفة أو الأضحى «٦» ولكن من

(١). سورة التوبة، الآية : ٣

(٢). آيات الأحكام للجصاص ٣ : ٩٩

(٣). نور الثقلين ٢ : ١٨٥ في العلل عن أبي عبد الله عليه السلام في الآية قال قال أمير المؤمنين
عليه السلام كنت أنا الأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر .. وإنما سمي الأكبر لأنها كانت
سنة حج فيها المسلمون والمشركون ولم يجح المشركون بعد تلك السنة

(٤). ٢ : ١٩٦

(٥). ٣ : ٩٧

(٦). المصدر (١٨٥) عن معاني الأخبار عن أبي عبد الله عليه السلام يقول : الحج الأكبر يوم النحر.
وفي مفتاح كنوز السنة عنه صلى الله عليه وآله نقلًا عن بخ- ك ٥٨ ب ١٦، مس- ك ١٥ ح
٤٣٥، بد- ك ١١ ب ٦، تر- ك ٧ ب ١١٠، ك ٤٤ سورة ٩ ح ٣ و ٤، عد- ج ٢ ق ١ ص
١٣٢، حم- ثالث ص ٤٧٣.

وفي تفسير الفخر الرازي ١٥ : ٢٢١ يوم الحج الأكبر يوم عرفة وهو قول الشعبي والنخعي والسدي
وإحدى الروايتين عن علي وقول المغيرة بن شعبة وسعيد بن جبير، وعن علي عليه السلام أن رجلاً
أخذ بلجام دابته فقال ما الحج الأكبر، قال : يومك هذا وعن ابن عمران رسول الله صلى الله عليه و

آله وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال : هذا يوم الحج الأكبر، وعن المسور بن
مخرمة عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وآله عشية
عرفة فقال : أما بعد فإن هذا يوم الحج الأكبر.

وفي ملحقات إحقاق الحق ٤٢٧ - ٤٣٩ - أخرج حديث الاذان لعلي عليه السلام عن ستة وأربعين
من إخواننا السنة فراجعهم

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٣٦

البعيد جداً أن يوصف الحج بالأكبر لمشاركة المشركين فيه، إذ ففي منعهم بعد عامهم هذا يصبح
الحج هو الأصغر، فالحج الأكبر هو الذي يقابل العمرة، ويومه البارز هو بين عرفة ويوم النحر، ولأن
«الحج عرفة» ومن فاتته فقد فاتته الحج دون يوم النحر، فالأشبه أن «يوم الحج الأكبر» هو عرفة.
هذا وقد سمي الإمام علي عليه السلام - بين أسماءه - بالأذان لأنه كان حامل ذلك الأذان كما في
روايات عدة.

«فإن تبتم» عن الإشراف بالله توحيداً لله «فهو خير لكم» يقابل شراً لكم «وإن توليتم» عن التوبة
«فاعلموا أنكم غير معجزى الله» بإشراككم «وبشر الذين كفروا» إشراكاً وسواه «بعذاب أليم» في
الدنيا والآخرة، وإذا كانت هذه بشارة لهم فما هو - إذأ - إنذارهم؟.

وترى لماذا «رسوله» رفعاً وهو معطوف على «الله» المنصوب ب «أن»؟.

لأن «رسوله» جائز الوجهين أدبياً عطفاً على المحل فرفعاً أو اللفظ فنصباً، والرفع أولى معنوياً رفعاً
لساحة الربوبية في تلك البراءة، وجعلاً لبراءة «رسوله» على الهامش وكما فصل «رسوله» عن الله
باخبر وظرفه، لذلك فالأرجح هنا كما هو رفع «رسوله».

فلا بد - من الاستكفاء بالقرآن :

و «من استكفى بالله من القرآن من المشرق إلى المغرب كُفي إذا كان بيقين»

ذلك، وحين يُسأل رسول الله صلى الله عليه وآله : حديثنا بما لنا فيه نفع، يقول : «إن أردتم عيش
السعداء، وموت الشهداء، والنجاة يوم الحشر، والظل يوم الحرور، والهدى يوم الضلالة

(١). مشكلات الأخبار (٢ : ٢٦٠) عن أبي إبراهيم عليه السلام

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص: ١٣٧

فادرسوا القرآن، فإنه كلام الرحمن، وحرز من الشيطان، ورجحان في الميزان «١». و «.. يقول القرآن- يوم القيامة لأهله- : أنا الذي أسهرتَ ليلك وأنصبت عيشك، سمعت الأذى ورُجمت بالقول فيّ، ألا وإن كل تاجر قد استوفى تجارته وأنا وراءك اليوم ..» «٢». و «حملة القرآن، المخصوصون برحمة الله، الملبسون نور الله، المعلمون كلام الله، المقربون عند الله، من والاهم فقد والى الله، ومن عاداهم فقد عادى الله ..» «٣». و «إن أهل القرآن في أعلى درجة من الآدميين ما خلا النبيين والمرسلين، فلا تستضعفوا أهل القرآن حقوقهم بأن لهم من الله مكاناً علياً» «٤» و «فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه» «٥».

و «آيات القرآن خزائن العلم فكلما فتحت خزانة ينبغي لك أن تنظر ما فيها» «٦». ذلك هو القرآن الذي نؤمر باتباعه على مدار الزمن، وما أظلمه وأجهله من يفترى عليه التحريف والتجديف، وإليك رواية عن عالمين علمين ينقلان قصة رثّة مزرعة عمّن ألف كتاباً حول تحريف القرآن وعوداً منه ومن أضرابه بالله ما أجهلهم وأغفلهم عن ناموس الإسلام وعصمته «٧».

-
- (١). المصدر (٩) عن معاذ بن جبل قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله في سفر فقلت : حدثنا ..
- (٢). المصدر (١٠) عن الكافي ٢ : ٤٣٦ عن أبي جعفر عليهما السلام قال : تعلموا القرآن فإن القرآن يأتي يوم القيامة في أحسن صورة نظر إليها الخلق والناس صفوف عشرون ومائة ألف صف، ثمانون ألف صف أمة محمد صلى الله عليه وآله وأربعون ألف صف من سائر الأمم ..
- (٣). المصدر (٢٥) الوسائل ٤ : ٨٣١- الإمام الحسن العسكري عليهما السلام في تفسيره عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله : ..
- (٤). المصدر (٢٥) عن الكافي ٢ : ٤٤١ عن أبي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ..
- (٥). المصدر (٢٧) المستدرک ١ : ٢٨٨ عن شهر بن حوشب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ..

(٦). المصدر (٦٤) عن الكافي ٢ : ٤٤٦ عن حفص بن غياث عن الزهري قال سمعت علي بن الحسين عليهما السلام يقول : ...

وفيه (٦٦) عن الشهيد الثاني في أسرار الصلاة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لابن مسعود :
«اقرأ علي، ففتحت سورة النساء فلما بلغت : «فكيف إذا جننا من كل أمة بشهيد وجننا بك علي هؤلاء شهيداً» رأيت عيناه تذرفان من الدمع فقال لي : حسبك الآن وقال صلى الله عليه وآله :
«اقرأوا القرآن ما اتلقت عليه قلوبكم ولانت عليه جلودكم فإذا اختلفتم فليستم تقرأونه»

(٧). أحدهما المرجع الديني السيد شهاب الدين المرعشي النجفي دام ظله، قال لي : إن المرحوم حيدر قلي خان المعروف ب «سردار كابلبي» وهو من أعظم العلماء الجامعين بين الدراسات الإسلامية والعصرية، طلب منه المغفور له المرجع الأعظم السيد البروجردي أن يأتي إلى قم ليستفاد منه في الحوزة حول العلوم العصرية والكتب السماوية وما أشبه فأجابه، وفي يوم من أيامه الأولى أتى إلى بيتي، ولأنه كان من تلامذة الحاج ميرزا حسين النوري صاحب مستدرك الوسائل، بهذه المناسبة سألته، ماذا حمل أستاذكم على تأليف كتابه : «فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرياب» الذي هو مزرة مخجلة بالكتاب العزيز، وذريعة للنقد والتهجم عليه من قبل المعاندين ؟ فمكث هنيئة يبكي، فقلت له : هل أسأت الأدب في سؤالي هذا ؟ قال : لا، ولكن خطر ببالي خاطرة خطيرة مزعجة عن سبب تأليف هذا الكتاب، وهي أنني كنت ممن يساعد الشيخ في جمع المسانيد كتابه : مستدرك الوسائل، فإذا حضر سيد معمم هندي وسلم عليه وقال : أيها الشيخ الجليل هل كان إسم إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام في القرآن ؟ قال : نعم ولكنهم حذفوه عنه، قال : أفهكذا يُظلم إمامنا وأنتم ساكتون ؟ أترجى منكم بكل إصرار أن تكتبوا لي كل يوم صفحة مما جرى على ضوء رواياتنا حول ما نقص عن القرآن حتى تتلج صدورنا بما كان فيه من فضائله عليه السلام ونزداد له حباً، فأجابه الشيخ وكان يأتيه كل يوم ويأخذ صفحة مما كان يجمع الشيخ من موارد التحريف ويستنسخها ويرد الأصل إليه حتى تم الكتاب باسم «فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرياب» ثم غاب ولم يرجع، واتفق لي أنني راجعت السفارة البريطانية في بغداد لأخذ تأشيرة السفر إذ كانت العراق يومذاك تحت السلطة البريطانية، فرأيت واحداً من أعضاء السفارة ينظر إلى نظرة قاصدة متكررة، فأصبحت أنظر إليه وتلمّحت أنني رأيت من ذي قبل، فسلم علي وقال لي : أتعرفني ؟ قلت : لا، قال : أنا السيد الهندي الذي كنت آتي بيت الشيخ وأخذ منه يوماً صفحة من كتاب «فصل الخطاب»

قلت : كيف غيرت زيّك وملابسك، قال : أنا بريطاني أشتغل في السفارة البريطانية كما تراني وقد كنت مأموراً بما حصلت عليه من الشيخ فحصل المقصود تماماً.

يقول السردار كابلي : ولما أنتشر خبر هذا الكتاب- وقد أخذه الشيخ رضا المكتبي المسجد شاهي في سفرته إلى النجف ليطبعه- أخذت الهجمات تتوارد على الشيخ بكل تشنيع وتقييح من علماء العراق وإيران، وقد طبع الكتاب وقتئذٍ، فاضطر الشيخ أن يطلب من رئيس الوزارة الإيرانية وقتذاك «أتابك» أن يمنع عن نشره وفور وصول الخبر أمر أتابك أن تحبس نسخ الكتاب في غرفة وتسكّر حتى ينفيها عن آخرها، فصادف بعد أيام أن قُتل أتابك ثم اغتتم الشيخ رضا الكتبي الفرصة ففتح الغرفة بحيل ورُشاً فنشرها، حرصاً على متعة الحياة الدنيا.

وثانيهما المغفور له صاحب «الذريعة إلى تصانيف الشيعة» الشيخ آغا بزرك الطهراني وهو من أكابر العلماء المحدثين، سألته يوماً ما- حيث كنت أراجع في بيته لاستعارة كتب حول التفسير وغيره عندما نزلت النجف الأشرف بعدما تخلصت عن السجن المكي عام ١٣٤١- فقلت ماذا حمل أستاذكم على تأليف كتاب «فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرياب» وكان مما استعرت منه نفس الكتاب بخط الشيخ النوري؟ قال : وأنا من سألته عن ذلك فأجاب : رأيت روايات أهل البيت عليهم السلام منتشرة في مختلف الكتب فأحببت أن أجمعها في مؤلف واحد رغم أنني لا أتأكد تحريف الكتاب، قلت : كيف يجمع الشيخ ما لا يتأكد من صحته، فهل كان يسمح للشيخ لنفسه أن لو أنتشرت بين الناس فرية على زوجته أن يجمعها في مؤلف يُطبع وهو لا يتأكد، بل ويتأكد من أن هذه لفرية؟! ثم قلت : أنه كرس شطراً من عمره في جمع هذه الأحاديث من مثل بستان المذاهب وسواه من المختلفات الزور، واجتهد في نقل متونها باسانيدها والكتب المنقولة هي عنها، ولكنه لما يستدل بأية الذكر رداً على من يستدل بها بصيانة القرآن عن التحريف يكتبها هكذا «إنا أنزلنا الذكر وإنا له حافظون» ثم يقول : من الذكر المنزل الرسول لقوله تعالى : «قد أنزل الله إليكم ذكراً رسولاً» رغم أن الآية هي «إن نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» تأكيدات عشرة حول الحفاظ على الذكر المنزل- لا المنزل- إذ إن «نزلنا» تعني تدريجية النزول فلا تعني الرسول صلى الله عليه وآله نفسه بل هو القرآن حيث تدرج نزوله عليه؟ قال : نعم، ولكنه لم تكن له فرصة تتيح له أن يراجع القرآن، قلت : أجل كانت

فُرصة متاحة لجمع هذه الأساطير نقضاً لعصمة القرآن، فلم تبق له فرصة لمراجعة القرآن حتى ينقل الآية التي يعني نقض دلالتها على صيانة القرآن، كما هي في القرآن!!!.

قال صاحب الذريعة فهو على أية حال ما كان قائلاً بتحريف القرآن وقد كتب كُتُباً حول صيانة القرآن عن التحريف وذكر فيه انني ما أَرْضَى أن يطالع «فصل الخطاب» قبل إلا أن يطالع رده، فقلت له : وافضحتاه من اعدار الشيخ وأفاعيله!

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٣٩

«إلَّا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقضوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين» (١).

تلکم البراءة الربانية والرسولية خاصة بالذين نقضوا عهدهم من المشركين، أما القائمون بعهدهم إلى مدتهم، غير الناقضين له ولا المظاهرين عليكم عدواً «فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين» ومن التقوى أن يُتقى نقض عهد غير منقوض مع المشركين فضلاً عن سواهم!.

إذاً فمن الطغوى نقض العهد أو نقضه، فالعهد الصالح أياً كان لا يُنقض ولا يُنقص من قبل المؤمنين مهما بلغ الأمر فيه، ما لا ينقضه أو ينقصه المعاهد : «فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم» فمن الخيال الخاوي والأستهواء الواهي سماح نقض العهد منّا مع المسلمين لصالح الدولة الإسلامية! فهل من صالح الإسلام أن يُنقض حكم من أحكامه وفيه إنقاض ظهره وإنقراض المدعويين إليه عنه؟!.

فالعهد الإسلامي محترم على أية حال مع غير المسلمين فضلاً عن المسلمين، وهو مخترم مع الذين ينقضون عهدهم ف «شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون. الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون» (٢).

وكل عهدٍ على ضوء شرعة الله هو عهد الله «وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إنَّ الله يعلم ما تفعلون. ولا تكونوا كالتي نقضت غزها من بعد قوة أنكاثاً تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم أن تكون أمة هي أرى من أمة إنما يبلوكم الله به وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون» (٣).

– «وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسين» (٤).

(٢). ٨ : ٥٦

(٣). ١٦ : ٩٢

(٤). ٧ : ١٠٢

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٤٠

ولأن ذلك الإستثناء راجع إلى «براءة»- أوّلًا- المستثنى منه، إذًا فلا براءة إلى المعاهدين غير الناقضين ولا غير المظاهرين علينا عدوًا، وأما غير المعاهد فتشمله البراءة مهما كانت أخف من المعاهد الناقض، والنص هذا يختص البراءة هذه- الخاصة- ب «الذين عاهدتم ..» إعلاناً جاهرًا بجرب ضارية لا مردّ عنها.

وقد يعم ذلك الإستثناء كلًّا من «براءة- فسيحوا- واعلموا- وأذان» فالمشرك المعاهد المتعهد خارج عن كل هذه الأربعة، فلا براءة من الله إليه، ولا سيح محدوداً في الأرض أربعة أشهر عليه، ولا تنديد به ولا إخافة وإنذار، وإنما «فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم» و «فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم».

ثم و «.. فاقتلوا المشركين ..» يختص بناقضي العهد المظاهرين، أم وعم غير المعاهدين أيضاً إذا أصروا على مواصلة الكفر الضاري المفتن.

وترى النقض المستنكر المهّد به هنا يختص بنقض الصلح أن يجاربوهم صراحاً؟ و «شيئاً» بعد «عاهدتم» تستغرق التهديد بأي نقض لأي جزءٍ من العهد، حرباً أم تخلفاً آخر كدعاية ضد الإسلام وهي أنقض النقض، واستمرار لتطبيق سنن الجاهلية في البيت الحرام. ومظاهرة عدو كنقض عهد تشمل كافة ألوان المظاهرات، حربية ودعائية أماهيه من مظاهرات تُضعف ساعد الإسلام أو مساعده.

المرجعية الدينية والسياسية

كما ان شأن الهداية في الهداة ينقسم الى خاصة يختصهم الله ويحببهم بالوحي والنبوة أو الإمامة، او النبي والامام يصطفي للإمرة والقضاء من يرضونه لذلك.

وإلى عامة، كمرجعية الفيتا والقضاء وما إليهما من الشؤون العامة الدينية زمن الغيبة الكبرى.

فكذلك الملك والسلطان، فمن خاصة بنص الوحي كمن ذكرناهم من الأنبياء وغيرهم،

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٤١

وعامة لها شروط مفروضة مبينة كمثال الهداية العامة.

فكما أن النصوص الدينية تقرر وتبين للأمة الإسلامية شروط المرجعية للفتيا والقضاء، والإمامة وما اليهما في مثل ما يلي :

«فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً على هواه مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلدوه» (١).

فلا تجوز المرجعية الدينية إلا لمن فيه شروط الفقاهة بصميم معناها عن بصيرة واجتهاد، ومن كان حافظاً لدينه بنفسه ونفيسة يضحى في سبيل تحقيقه وتركيزه فيه وفي الأمة، ويطيع أمر ربه مهما بلغ به المقام وأينما ذهبت الأيام، فلا يحق الحكم والفتوى إلا لمن يمثل رسول رب العالمين، وائمة الدين في جناحي العلم والتقوى، فهم كما يقول الحجة القائم المهدي عليه آلاف التحية والسلام :

«... فانهم حجتي عليكم كما أنا حجة الله».

ويقال فيهم : «الراد عليهم كالراد على الله».

ومهما يكن من أمر فهم يمثلون الرسول صلى الله عليه وآله في هدايته كما أنه يمثل الرب فيها ... كذلك : هنالك النصوص متوفرة على شروط الملك والسلطان في نظر الدين، والنقطة الأساسية فيها تمثيل سلطان الله في خلقه سياسة وتدبيراً، وعدلاً في الشعوب بصميم معناها، ومن ذلك قولهم عليهم السلام :

«السلطان ظل الله في أرضه ياوي إليه كل مظلوم».

أجل، إنه ظل ملك الحق وسلطانه كما أن القادة الروحيين هم أظلال هدايته إلى دينه، ومما لا يريبه شك أن هذا الكلام ليس إخباراً عن كل سلطان وإن كان يمثل الشيطان في بغيه وجوره كممثل فرعون ومغرود ومعاوية ويزيد وأضرابهم من الملوك الظالمين، مردة الشياطين، فهل إن هؤلاء أظلة الحق، يأوي اليهم كل مظلوم! ... كلا.

وإنما ذلك إنشاء وحكم على الملوك : لكي يكونوا عدولاً في الناس يمثلون الرب

(١). من الناحية المقدسة

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٤٢

سبحانه وتعالى في العدل والنصفة، ويستظل في ظل عنايتهم الرعية، ولا يريدون من الملك إلا القضاء على الظالمين ونصرة المظلومين وتطبيق أحكام الدين، وإنما يمثل ذلك العدالة في الملك بصميم معناها مثل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام :

فقد كانت حياته سلسلة معارك في سبيل المظلومين والمستضعفين وانتصاراً دائماً للشعب دون من يريدونه من السادة الطغاة ورثة الأجداد الجاهلية، وثورة هدامة على الظالمين المستبدين، مردة الشياطين.

إنَّ علياً شرف الملك والسلطان الذي لولاه لكان جديراً بالملك والقادة ألاً يرفعوا رؤوسهم حياءً من افتعالاتهم الغاشمة : إن صوت الإمام عليه السلام في معركة العدالة الاجتماعية الحققة مدوي مع الأبد، شديد لا هوادة فيه ولا لين.

إن تلك الحقبة في تاريخ البشر، التي كان الإمام فيها القائد الأعظم، لم يُر ولا يُسمع ولن يُسمع بمثلها في القرون والأجيال الخالية والتالية، إلا في دولة المهدي القائم الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً.

فإذا قيل للامام : نحن أعزة قوم ... يجيبهم قائلاً : الدليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له، والقوي عندي ذليل حتى آخذ الحق منه!!

اجل إنه الملك الحق العدل، الذي يأوي إليه كل مظلوم ذليل، وهو يقضي على الهوسات الجهنمية للحاكمين المتآمرين، للمرتشين في الحكم، فيلقي نظرتة العادلة العامة بثورة الحياة عليهم وعلى لحاهم الطويلة التي تحرك في أطرافها ذنب الشيطان، ويرميهم بقسي الصواعق القاضية، ترعب الغاصبين في قسامت وجهه، وتصرعهم إلى الأرض صرعاً عنيفاً.

فما أقدس سوط الإمام يرفعه على الظلم وأهله، ثم ما أعطف أيادي رحمته يضعنا على رؤوس المظلومين بكل حنان ورأفة!

فالظلم بشتى ألوانه في مذهب علي كفر، وهو لا يرى قيمة للحكم إلّا أن يقيم به حقاً أو

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٤٣

يبطل باطلاً.

أجل : ليست الولاية في نظر الإمام باباً يلجج الوالي إلى خيراته شخصياً ينال منها ما يهواه ويتأمر فيها بأهوائه الجهنمية الغاشمة، ولا يكون فرض طاعته على الشعب لأنه الوالي.

كلا، وإنما الولاية باب يلججه الوالي إلى إنصاف الناس، ولإقامة الحق مهما كانت أحواله ضعفاء، وللقضاء على الباطل مهما كانت أنصاره أقوياء.

وليس فرض طاعة الوالي في نظر الإمام إلا لفرض طاعة الحق، وإلا فالمفروض على الشعب الثورة الهدامة على عرش الحكم إذا كان باطلاً وعلى خلاف الحق.

أجل، ليست الولاية لا بالصحابة ولا بالقرابة ولا بالمال ولا بالقدرة، وليست حسباً تشيد عليه الأجداد، ولا شرفاً قديماً تبني لها العروش ويتوسل بها إلى استعباد الناس، ولا قهراً تخضع لها الجماعات لل سيف والنار والترهيب والترغيب، ولا إرثاً يتوارثها كل خلف عن سلفه كالأموال، ولا بعداً عن الناس وانصرافاً عن الشعب وملاءً من الكبرياء الزور، واحتجاباً عن النظر في الأحوال العامة وحاجات الأفراد والجماعات، وبالأخير طاغوتاً يعبد وهو في مكانه وعلى مكانته!

وإنما هي تمثيل الحق والعدل بصميم معنهما في الشعوب ليس الا، وقد ينحصر اصطفاؤها بالانتصاب الخاص كمن ذكرناهم من الأنبياء والسلاطين، أو العام كمن ينطبق عليهم النصوص العامة في شرائط الولاية كما يلي :

١ - «السلطان ظل الله في الارض يأوي اليه كل مظلوم».

٢ - «الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك».

٣ - مجاري الامور بيد العلماء بالله».

فلا حكم ولا سلطان الا للعلم والعدل دونما انحراف عن الحق قيد شعرة.

السلطات الباطلة الغاصبة :

فالسلطات الباطلة، كيفما كانت أسباب تكونها، من وراثة واستبداد واستغلال وثورة،

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٤٤

ومن جمهورية تنتخبها أكثرية الآراء، كل ذلك : من مشروطة واستبدادية، إذا لم يكن فيها تمثيل الحق والعدل، فهي بأجمعها ظلم وزور وباطل، لا يمضيها الدين وزعمائه الروحانيون.

فلا يرى الدين حكماً إلا لمن حكمه بالنص الخاص قائداً دينياً، او ملكاً كمثل داود وطالوت، وكمثل

الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله ومثله الوحيد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

أو من تنطبق عليه النصوص العامة أصالة :

كالعلماء الربانيين الاقوياء ذوي البصائر في تدبير الشعوب.

أو وكالة عنهم تمثيلاً لأنظارهم القادسة الدينية، كالمملوك العدول، أتباع العلماء، كما يقول الإمام :
والعلماء حكام على المملوك!!!

وأما الظلمة الغاشمون المستبدون المسيطرون على الشعوب بقوة المكر والخديعة، والسيف والمال والترهيب والترغيب، الذين لا يستهدفون من الملك إلا استعباد الشعوب في سبيل هوساتهم الجهنمية، فيأكلون اموالهم ويستأكلون نفوسهم ونفائسهم واعراضهم، ولا يدينون دين الحق. أولئك الفسقة اللئام، أظلة الشياطين، الذين لا يريدون من التأمير على الشعوب إلا تدمرهم، ولا يأوي إليهم إلا كل غادر وشيطان مرید، وإلا كل ظالم مكار جبار عنيد او مداهن مهين، يقنطرونهم لتركيذ قواعد عروشهم على سيول دماء الأبرياء العزل المظلومين. الذين لا يغمهم ويهزهم تحطم البلاد بمن عليها وتدمر الرعية بما لها، إذا أمنوا على عرش الحكم دون زلزال واضطراب.

فما أولئك من ولد آدم، فكيف يحق لهم الملك وتمثيل الرب المتعال في تدبير أمر الشعوب.

فلا ملوكية، ولا جمهورية، ولا اي من ذلك : مشروطية ولا استبدادية، ولا، ولا ... الا :

ملك، او رئيس جمهورية أو أي قائد يمثل الزعماء الروحانيين في ملكه

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٤٥

ويطبق احكام الذين، ويكون ظل الله في ارضه ياوي اليه كل مظلوم.

من هو الوالي

ليس الوالي طاغوتاً يعبد! فله الحكم والتأمر كيفما كان! وعلى الرعية السمع والطاعة إطلاقاً! فلا فخر ولا استبداد ولا كبرياء ولا رعونة ولا منة ولا عنقة ولا أنفة!.. وإنما الولاية : حنان ورحمة للحق والعدل وتمثيل للحق!..

ومن مقامات الإمام عليه السلام في تسويته بين الوالي والمولى عليه في الحق دون تفاوت ما يلي :

«قد جعل الله لي عليكم حقاً بولاية أمركم- أن امرني وولاني عليكم- ولكم علي من الحق مثل الذي لي عليكم-»

ثم يعلل تلك المماثلة العادلة بقوله : «فالحق أوسع الأشياء في التواصف وأضيقتها في التناصف، لا يجري لأحد إلا جرى عليه ولا يجري عليه إلا جرى له، ولو كان لأحد أن يجري له ولا يجري عليه

لكان ذلك خالصاً لله سبحانه دون خلقه، لقدرتة على عباده، ولعدله في كلما جرت عليه صروف قضائه، ولكنه جعل حقه على العباد أن يطيعوه وجعل جزائهم عليه مضاعفة الثواب تفضلاً منه وتوسعاً بما هو من المزيد أهله».

يخص الامام عليه السلام الاستبداد بالحق بالله سبحانه وتعالى معلماً ذلك أنه عدل لا يجور ولا يخطيء في قضائه، فلا يستل عما يفعل وهم يسألون، فهو المطاع اطلاقاً لا يطيع أحداً من خلقه، وليس لأحد من عباده عليه حق، إلا ما جعله جزاءً لما عملوا من الطاعات فضلاً منه وحناناً ورحمة، ولو لم يفعل لم يكن عليه سؤال، لحق الربوبية التي ليس معها حق لعباده عليه.

فبؤساً وبعداً للملوك الطواغيت المستبدين بأرائهم الخاطئة الجائرة حيث لا يرون

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٤٦

لأحد عليهم حقاً ولا سؤالاً، ولا يرون لطاعة الشعوب لديهم جزاءً ولا شكوراً، وإنما يرون الحق لأنفسهم إطلافاً، وليشكرهم من يأتمر بأوامرهم أنهم رأوه لذلك أهلاً، دونما جزاءٍ. إنهم يستبدون على باطلهم بما لم يستبد به الله تعالى على حقه وعدله، فكل من اعترض على سوء صنيعهم في الشعب فقد استحق النكال ...

إن الإمام عليه السلام يكسر هذه الطواغيت ويركز أساس الحكم على أساس العبودية والعدل، ويبرهن : أن الحكم ليس غاية في نفسه، وإنما هو ذريعة له قيمته ما دامت غايته نبيلة، فإذا اتخذت غاية فقد تدتت إلى درك الجريمة وطلابه في عداد المجرمين.

الحقوق المتقابلة بين الولايات والشعوب.

يذكر الإمام بعد تلك القاعدة الكلية في تساوي الحقوق، طرفاً من الحقوق المتقابلة قائلاً :

«وأعظم ما افترض الله سبحانه من تلك الحقوق، حق الوالي على الرعية وحق الرعية على الوالي، فريضة فرضها الله سبحانه لكل على كل، فجعلها نظاماً لألفتهم وعزاً لدينهم.

فليست تصلح الرعية إلا بصلاح الولاية، ولا تصلح الولاية إلا باستقامة الرعية، فإذا أدت الرعية إلى الوالي حقه، وأدى الوالي إليها حقها، عز الحق بينهم وقامت مناهج الدين، واعتدلت معالم العدل، وجرت على أذلالها السنن فصلح بذلك الزمان وطُمع في بقاء الدولة وشئت مطامع الأعداء.

وإذا غلبت الرعية واليهما أو أجحف الوالي برعيته، اختلفت هنالك الكلمة وظهرت معالم الجور وكثر الإدغال في الدين وتركت محاج السنن، فعمل بالهوى، وعطلت الاحكام».

ثم الإمام بعد بيان ما يصلح به الرعاية والرعاة تحت ظل رعاية الحقوق المتقابلة، وما يفسدهما جميعاً، على ذل التخلف من الحقوق، يجتم كلامه على ما بدء من كسر الطواغيت قائلاً :

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٤٧

«وإن من اسخف حالات الولاية عند صالح الناس أن يُظنَّ بهم حب الفخر ويوضع أمرهم على الكبر، وقد كرهت أن يكون جالٍ في ظنكم أني أحب الإطراء واستماع الثناء، ولست بحمد الله كذلك، ولو كنت أحب أن يقال ذلك لتركته لمخطاطا لله سبحانه عن تناول ما هو أحق به من العظمة والكبرياء، وربما استحلَى الناس الثناء بعد البلاء فلا تشنوا علي بجميل ثناء لإخراج نفسي إلى الله وإيكم من التقية في حقوق لم افرغ من ادائها، وفرائض لا بد من امضائها، فلا تكلموني بما تكلم به الجبارة ولا تتحفظوا مني بما يتحفظ به عند أهل البادرة، ولا تحالطوني بالمصانعة، ولا تظنوا بي استثقالا في حق قيل لي، ولا التماس إعظام لنفسي، فإنه من استثقل الحق أن يقال له، أو العدل أن يعرض عليه، كان العمل بهما أثقل عليه، فلا تكفوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل فإني لست في نفسي بفوق أن أخطي ولا آمن ذلك من فعلي، إلا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به مني، فانما أنا وأنتم عبيد مملوكون لرب لا رب غيره، يملك منا ما نملك من أنفسنا، وأخرجنا مما كنا فيه إلى ما صلحنا عليه، فأبدلنا الله بعد الضلالة بالهدى وأعطانا البصيرة بعد العمى».

إن الامام عليه السلام في ذيك الكلمات المنيرة يخلص الملك والحكم الحق عن شتات ألوان الزور والغرور، فيخلع لباس الكبرياء والخيلاء وحب الفخر والإطراء واستماع الثناء، عن الولاية، تخصيصاً للكبرياء بمن هي رذائيه دون غيره وهو الله تعالى شأنه وعز سلطانه، وتجويزاً للقصور عن أداء الحقوق المفروضة على الملوك حتى جاوزه إلى نفسه المقدسة قائلاً :

فإني لست في نفسي بفوق أن أخطيء ولا آمن ذلك من فعلي!

يقول ذلك تخضعا وتذللا لربه تعالى وتقدس، اتباعا لمن تقدمه من المعصومين كقول يوسف عليه السلام، وما ابرىء نفسي ان النفس لامارة بالسوء!

ثم يستدرك ذلك بتدارك نعمة وسداد من ربه، ويخلصه عن الخطأ ويعصمه قائلا :

الا ان يكفي الله من نفسي ما هو املك به مني!

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٤٨

كما استدرك يوسف الصديق غلب النفس بقوله : إلا ما رحم ربي.

وبعد أن يضع الامام عليه السلام نفسه موضع العبودية بصميمها، لا يكتفي بذلك ليُظن أنه يرثي ويماري به السذج البسطاء، بل يؤكد ناهياً أن يخاطبوه خطابهم للجبابرة المتكبرين، أو يخاطبوه بالمصانعة حيث لا يلتبس لنفسه إعظاماً.

ومن ذلك يعلم أن السلطان والملك الحق إنما يحق للمخلصين من عباد الله الصالحين من الأنبياء وخلفائهم ومن الصديقين والعلماء الربانيين، دونما انفكاك بين القيادة الدينية والسياسية، إلا أن يجهل القائد الديني مداخل السياسة ومخارجها، ولا يقوي على تدبير أمور الشعوب كما يحق، فيكل أمر سياسة الملك إلى من فيه الصلاحية التامة على شريطة اتباع الدين دون تحلف عنه قيد شعرة. فلكل من القيادتين شروط على شاكلتها، وهي مجتمعة في الأنبياء وخلفائهم المعصومين المنصوصين، ولكنه قلما تجتمع كما يحق في القادة الروحيين والسياسيين.

فعلى قادة الدين أن ينتخبوا من بينهم من يصلح للملك جامعاً لشرائط القيادتين جمعاء كما يفعلون في مرجعية الفتيا، أو يجعلوا أمرهم شورى بينهم فيكلوا السياسة إلى من يصلح لها من غيرهم تطبيقاً للأنظمة الدينية على الشعوب بقوة السلطان والتدبير، عملاً بهذه المقالة الدينية : ...

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٤٩

القواعد الاربع لعرش الخلافة الاسلامية للامام امير المؤمنين عليه السلام القاعدة

الاولى لعرش الخلافة :

يصرح به الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله فيما تواتر عنه :

قال صلى الله عليه وآله : أولكم وارداً- وروداً- على الحوض أولكم إسلاماً علي ابن ابي طالب «١».

وقال صلى الله عليه وآله : لقد صلت الملائكة علي وعلى علي سبع سنين لأننا كنا نصلي وليس معنا أحد يصلي غيرنا «٢».

وكما تواتر عن علي عليه السلام قال عليه السلام : أنا عبدالله وأخو رسول الله وأنا الصديق الأكبر لا يقو لها بعدي الاكاذب مفترى ولقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله قبل الناس بسبع سنين وأنا أول من صلى معه «٣»

ولقد روت جماعة كثيرة بطرق عدة عن كثير من الاصحاب والتابعين : أن علياً عليه السلام أول من أسلم وصلى «ع» كما أخرجه العلامة المغفور له في الغدير (٣ : ٢٢٠ - ٢٣٥) وقد تربوا

(١). أخرجه الحاكم في المستدرک ٣ : ١٣٦ وصححه والخطيب البغدادي في تاريخه ٢ : ٨٢ ويوجد في الاستيعاب ٢ : ٤٥٧ وشرح ابن أبي الحديد ٣ : ٢٥٨ وروى مثله السيرة الحلبية ١ : ٢٨٥ وسيرة زيني دحلان ١ : ١٨٨ ومناقب الفقيه ابن المغازلي ومناقب الخوارزمي

(٢). مناقب الفقيه ابن المغازلي بإسنادين ٣ - اسد الغابة ٤ : ١٨ ومناقب الخوارزمي وكتاب الفردوس للديلمي وشرح ابن أبي الحديد عن رسالة الاسكافي ٣ : ٢٥٨ وفرائد السمطين ب ٤٧

(٣). استاده من طريق ابن أبي شيبة والنسائي وابن ماجه والحاكم والطبري صحيح رجاله ثقات

(٤). من المروي عنهم : انس بن مالك - بريدة الاسلمي - زين بن ارقم - عبدالله بن عباس -

عفيف - سلمان الفارسي - ابورافع - ابو ذر الغفاري - المقداد بن عمرو الكندي جابر بن عبدالله

الانصاري - ابو سعيد الخدري - حذيفة بن اليمان - عمر ابن الخطاب - عبد الله بن مسعود - ابو

ايوب الانصاري - ابو مرزم - هاشم بن عتبة - مالك بن الحارث الاشر - عدي بن حاتم - محمد بن

الحنفية - طارق بن شهاب الاحمسي - عبدالله بن هاشم المرقال - عبدالدين حجل - ابو عمرة بشير بن

محسن - عبدالله بن خباب بن الارت - عبدالله بن بريدة - محمد بن ابي بكر - عمرو بن الحمق -

سعيد بن قيس الهمداني - عبدالله بن ابي سفيان - خزيمه بن ثابت الانصاري - كعب بن زهير - ربيعة

بن الحرث بن عبد المطلب - الفضل ابن ابي لهب - ابو الاسود الدؤلي - مالك بن عباد الغافقي -

جندب بن زهير - زفر بن يزيد - جرير بن عبدالله الجبلي - عبدالله بن حكيم التميمي - عبد الرحمن

بن حنبل - ابو عمرو عامر الشعبي - أبو سعيد الحسن البصري - الامام محمد بن علي الباقر - قتادة بن

دعامة الاكمة البصري - محمد بن سلم المعروف بابن شهاب - ابو عبدالله محمد بن المنكدر - ابو

حازم سلمة بن دينار - ابو عثمان ربيعة بن ابي عبد الرحمن المدني - ابو النضر محمد بن السائب

الكلبي - محمد بن اسحاق - جنيد بن عبد الرحمن

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٥٠

هذه الروايات مائة رواية فلا يوبىء بما يرويه شباة عن فرات بن السائب قال : قلت لميمون بن

مهران : ابو بكر الصديق أول إيماننا بالنبي أم علي بن أبي طالب؟ قال : لقد آمن أبو بكر بالنبي زمن

بحيرا الراهب واختلف فيما بينه وبين خديجة حتى أنكحها إياه وذلك كله قبل أن يولد علي بن أبي طالب!

واصدق بحديث لم ينقل عن الرسول صلى الله عليه وآله ولا عن أبي بكر ولا عن احد من الصحابة! وقد يكذبه نفسه إذ الايمان قبل النبوة لا نعرف له معنى! لا سيما ان الايمان الظاهر من ابي بكر لم يكن إلا بعد النبوة بسنين!.

علي ولد مسلما

حصيلة البحث عن ولادة الامام عليه السلام وترتيبه انه عليه السلام ولد مسلما، بكلتا الولادتين، فولادته الجسدانية كانت في قبلة الاسلام بدلالة نبي الاسلام، وولادته العقلية والروحانية كانت في حجر الهدى وجو الوحي الرحمة، حيث ننظر الى ميلاد المعاني الانسانية من نبو الروح والعقل واخذهما في التكامل، كما ننظر الى ميلاد المواد الجسمانية من صدورها عن مصادرها المادية. والامام فتح عينيه في وجه منير من الرسول البشير النذير قبل أن يفتح في وجه أحد حتى والديه، وتعلم منه عبادة الله الواحد المتعال قبل أن يعلم بوجود الأصنام والطواغيت، وسمع رنين العبودية لله الواحد قبل أن يسمع رنة الشيطان، واستكملت فطرته السليمة البارقة ببوارق التوحيد وأنوار اليقين، قبل أن تتكدر بغبارات الضلال ومزلات الشياطين.

لم يزل رسول الله صلى الله عليه وآله يسير به سيره المقدس ويذهب به مذاهب الهدى إلى ان ابتعثه

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٥١

الله رسولا صلى الله عليه وآله، فأمن به قبل الرجال وقبل رجولته وبلوغ الحلم ولما يشمله قلم التكليف في ظاهر الحال، فأصبح يسبق الرجال في كافة ميادين الرجولة والبطولة. أجل إنه يصطنعه لنفسه وزيراً فليصنع على عينه ورعايته دون انفصال، ثم ليسبق المسلمين كافة في الإسلام، وقد يعد سبقه في الاسلام من فضائله قائلا، يوم الشورى :

«لم يسرع احد قبلي الى دعوة حق، وصلة رحم وعائدة كرم» فقد صدر الإمام عليه السلام عن مصدر الرسالة المحمدية صلى الله عليه وآله صدور الأشياء عن مصادرها ومعادنها، فهو استمرار للرسول صلى الله عليه وآله وشيء عظيم من كيانه، لأنه صبغه بصبغته، وكوّنه بكيانه، وصنعه برعايته، حتى جعله صنواً من نفسه المقدسة.

من هنا وهناك يظهر لنا هذه البارقة : أن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله كان من بادىء بدء
يمهد لعلي عليه السلام سبيل الخلافة والقيادة الإسلامية الكبرى بوحي من الله، وحق لصنيع خير
الورى أن يكون خير الورى بعده يجذو جذوه وينحو نحوه.

الاخوة : القاعدة الثانية لعرش الخلافة

الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله يولد ويكون الإمام عليه السلام مثل كيانه، حتى يجعله أخاً
لنفسه، فأكرم بولد يدعوه الوالد أخاً لنفسه، يمثله بمثاله ويرفعه إلى مكانته، حيث آخى بينه وبين
نفسه المقدسة في مكة المكرمة قبل الهجرة، وفي المدينة المنورة بخمسة أشهر بعد الهجرة، إذ يوآخي
بين المهاجرين والانصار مرتين هاتين، ويتخذ لهذه الغاية نفسها علياً أخاه يؤثره بذلك على من سواه :
فقد آخى بين عمرو أبي بكر، وبين عثمان وعبد الرحمن بن عوف في المرة الأولى، ثم في الثانية بين
أبي بكر وخارجة بن زيد، وبين عمر وعتيان بن مالك.
أما علي فكان في كلتا المرتين أخاً رسول الله صلى الله عليه وآله، وذلك تفصيلاً له على من سواه
كما تواتر به النقل «١».

(١). حديث المواخاة ذكره العلامة الاميني في الغدير ٣- ١١٣، ١٢٥ عن خمسين مصدر ١ من
طريق إخواننا، ومن رواه ابن عباس وابن عمر وزيد بن ارقم وزيد بن ابي اوفى وانس بن مالك
وحذيفة بن اليمان ومخدوج بن يزيد وعمر بن الخطاب والبراء بن عازب وعلي بن ابي طالب ونفر
آخرون عن رسول الله صلى الله عليه وآله

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٥٢

ويقول له الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله : «انت اخي في الدنيا والآخرة» «١».
ويقول صلى الله عليه وآله : «أما أنت يا علي فأخي وأبو ولدي ومني وإلي» «٢».
وإلى ان حضرته الوفاة، قال ادعولي أخي فدعوا علياً عليه السلام فقال : أدن مني فدنى منه وأسنده
اليه، فلم يزل كذلك وهو يكلمه حتى فاضت نفسه الزكية فأصابه بعض ريقه «٣».
ومن مقالاته صلى الله عليه وآله في أخوته : مكتوب على باب الجنة : لا اله الا الله، محمد رسول
الله، علي أخو رسول الله ... قبل أن تخلق السماوات والارض بالفي عام «٤».

أجل إن الشكل ينضم إلى الشكل ولا سيما أن المنضم هو الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله فكما أن الإمام كان هناك بين ولد الرسول صلى الله عليه وآله ولده الفريد- ولادة روحية مقدسة- كذلك هنا هو أخوة الوحيد، لا يضاويه أحد من المسلمين، فلقد رقى عن مرقى الولادة الى عرش الاخوة من الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله حيث كان التآخي بينه وبين نفسه المقدسة صلى الله عليه وآله روحيا كمثل ولادته الروحية. وحقيقة هذه الاخوة هي المماثلة والموازرة إذ إن الأخ يمثل أخاه وهو عونته وظهره وظهيره، أجل إنه والرسول أخوان بعد أن كان عليه السلام ولده صلى الله عليه وآله، إلا أنه أخوه الأصغر. وإن حديث الوزارة والمنزلة من هذه الأخوة الرائعة لمن اثبت الآثار، تناقله الفريقان عن الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله : ومنهم الخلفاء الثلاث والائمة الاربعة ونفر كبير من اصحاب الرسول صلى الله عليه وآله «٥».

(١). اخرجه الحاكم في المستدرك : ٣- ١٤ عن ابن عمر من طريقين صحيحين واخرجه الذهبي في تلخيصه مسلما لصحته والترمذي فيما نقله عنه ابن حجر في ص ٧٣ من صواعقه، وارسله كل من تعرض لحديث المواخاة من اهل السير والاعخبار، ارسال المسلمات

(٢). اخرجه الحاكم في المستدرك : ٣- ٢١٧ بسند صحيح على شرط مسلم واعترف الذهبي بذلك في تلخيصه

(٣). اخرجه ابن سعد في الطبقات : ٢- ٥١ وتجده في كنز العمال : ٤- ٥٥

(٤). مناقب أحمد- تاريخ الخطيب ٧ : ٣٨٧- الرياض النضرة ٢ : ١٦٨- تذكرة السبط ١٤- مجمع الزوائد ٩ : ١١١- مناقب الخوارزمي ٨٧- شمس الاخبار ٣٥ عن مناقب الفقيه ابن المغازلي- كنز العمال ٦ : ٣٩٩ عن ابن عساكر- فيض القدير ٤ : ٣٥٥- كفاية الشنقيطي ٣٤- مصباح الظلام ٢ : ٥٦ نقلا عن الطبراني (الغدیر ٣ : ١١٧)

(٥). اخرجه من اخواننا نفر كبير واليكم البعض منهم : اخرج الكراجكي صاحب كنز الفوائد على أي كريب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعن سعيد بن المسيب عنه، واحمد بن مردويه باسناده عن انس عنه صلى الله عليه وآله، والحافظ ابو نعيم الاصفهاني عن ابن عباس عنه صلى الله عليه وآله، والحافظ محمد بن مؤمن الشيرازي عن صخر بن حرب عنه صلى الله عليه وآله، وعدة

الطالب عن ابي سعيد الخدري عنه صلى الله عليه وآله وباسانيد اخر عن عدة عنه صلى الله عليه وآله، واخرجه البغوي في صحيحه : ٣ - ٥٤ عن مصعب بن سعد عن ابيه عنه صلى الله عليه وآله، ومسلم ايضا عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وابن المغازلي عن عامر بن سعد عن ابيه عنه صلى الله عليه وآله.

والحاكم ابو نصر الحربي في كتاب التحقيق لما احتج به امير المؤمنين يوم الشورى، وهو من اعيان المذاهب الاربعة ذكر عن نفر كبير حديث المتزلة عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وروي عن ابي العباس ابن عقدة الحافظ انه رواه عن ابي بكر وعمر وعثمان، وطلحة والزبير، وعبدالله بن عوف، وسعد بن ابي وقاص والحسن بن علي عليه السلام عبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمر، وابن المنذر، وابي بن كعب، وابي اليقظان، وعمار بن ياسر، وجابر بن عبدالله الانصاري، وابي سعيد الخدري، ومالك بن حويرث، وزيد بن ارقم والبراء بن عازب، وانس بن مالك، وجابر بن سمرة، وحيش بن جنادة، ومعاوية بن ابي سفيان، وبريدة الاسلمي، وفاطمة بنت رسول الله وفاطمة بنت حمزة، واسماء بنت عميس، واروى بنت الحارث بن عبد المطلب، ويروي ابن الاثير في جامع الاصول من صحيح البخاري وصحيح مسلم وصحيح الترمذي عن سعد بن ابي وقاص، ورواه البغوي في المصابيح وشرح السنة، والبيضاوي في المشكاة عن الصحيحين ومسنده احمد وغير هؤلاء من اصحاب الاصول والمحدثين والمفسرين من اخواننا، واما من طريق اصحابنا فلا تحصى كثرة وفيما نقلناه كفاية لمن هداه الله

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٥٣

قاعدة الوزارة علي وزير الرسول ونصيره الاوحد القاعدة الثالثة لعرش الخلافة

هذه هي القاعدة الثالثة لعرش الخلافة الإسلامية للإمام عليه السلام، بعد قاعدتي الولادة والأخوة، يؤسسها ويركزها الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله على سعيد من الصفاء والايمن والرحمة والحنان، فمن أحاط علماً بسيرة النبي الاقدس صلى الله عليه وآله وفي تأسيس دولة الإسلام وتنظيم شؤونها عن الله عز وجل، يجد علياً وزيره في أمره وظهيره على عدوه وعيبة علمه ووارث حكمته وولي عهده وصاحب الأمر من بعده، ومن وقف علي أقواله وأفعاله في حله وترحاله، يجد نصوصه في ذلك متواترة متوالية من مبدأ امره إلى منتهى عمره، وكما يخاطبه قائلا :

«يا علي! أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي (لا نبوة) بعدي».

وهذا من رسول الله صلى الله عليه وآله إعلان في الامة الإسلامية جمعاء، أن منزلة الإمام منه صلى الله عليه وآله كمثل منزلة هارون من موسى الا في النبوة حيث ختمت بالرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، فلنتسائل

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٥٤

عن كيان هذه المنزلة وحدودها مسؤول صدق لا يكذب ولا يغدر، وهو مقبول الامة اجمعين على شتات مذاهبهم واليه يرجع الامر كله :
وها هو كتاب الله بين ايدينا يرشدنا بالوحي دون ريب أو ستار، ويفسر لنا هذه المنزلة الرفيعة في قوله تعالى عن موسى عليه السلام.

بين الوزاره العلويه المحمديه والوزاره الهارونية الموسوية

«وَأَجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِنْ أَهْلِي* هَارُونَ أَخِي* اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي* وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي* كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيْرًا* وَنَذْكُرَكَ كَثِيْرًا* إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيْرًا»

وهنا البند الأول «وزيراً من اهلي» وهو حامل وزر الرسالة الموسوية وحياً ودعوة ودعاية، فكما الله وضع عن محمد صلى الله عليه وآله وزره بوزيره علي عليه السلام اخيه، كذلك يضع عن موسى وزره بهارون اخيه، وكما تواتر عنه صلى الله عليه وآله «يا علي انت مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه نبي بعدي» فعلي يحمل وزر الرسالة المحمدية دون وحي ورسالة، وهارون يحمل وزر الرسالة، وهارون يحمل وزر الرسالة الموسوية بوحي ورسالة، والوزارة هنا كالوزارة هناك إلا النبوة.

والوزير من الوزر : الثقل - حيث الوزير يحمل ثقل الملك مع الملك، ام من الوزر :

الجلب الذي يلتجىء اليه، حيث الملك يلتجىء إليه في مهامه، والأول أسلم لساحة النبوة حيث يكون فيه الوزير الحامل الثاني لحمل الملك وعبئه، وهو الشخصية الثانية لمسؤولية القيادة العليا، زميناً أو روحياً أم كليهما، كما هما حق للقادة الروحيين أنبياء وأئمة وعلماء ربانيين.

ثم البند الثاني والثالث هما كتفسير وايضاح لحدود الوزارة، فشد الأزر هو تحكيم القوة الرسالية والعون فيها، والشركة في الأمر هي في أمر بلاغ الرسالة بالوحي، وليس

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٥٥

الوحي فقط إذ لم يكن عبثاً عليه شخصياً، وإنما هي في حمل الرسالة بكل مسؤولياتها، وأما الدعاية لها والدعوة إليها بعد بلاغها الرسالي، فهو على عواتق المؤمنين بها ككل، دون اختصاص بوزير من أهله، فإنهم كلهم وزراءه في ذلك الأمر قضية الإيمان به، فالوزارة - إذًا - منصب خاص يتلوا منصب القيادة العليا بانتصاب إلهي ليس إلا.

فلتكن الشركة المعنية هي في شؤون الرسالة وقيادتها الشاملة روحياً وزمناً، فهو النائب الاول، والوزير الوحيد في كل ما قلّ وجلّ من الشؤون الأصيلة الرسالة كما هي على عاتق موسى، أزرأً وردءاً وتصديقاً لتلك الرسالة السامية «وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردءاً يصدقني إني أخاف أن يكذبون» (١).

وقضية «وأشركه في امري» تقتضي الشركة في كافة شؤون الرسالة وحيماً وبلاغاً وحجة أما هيه، ولذلك نرى الرسول صلى الله عليه وآله يجعل علياً منه كما هارون من موسى ثم يستثنى النبوة. ولا فحسب أن علياً عليه السلام وزير الرسول محمد صلى الله عليه وآله في متواتر السنة تنظيراً بآية الوزارة، بل وهو أخوه وولده بل ونفسه المقدسة لآية المباهلة ومتواتر السنة، فقد كملت الشروط وافية فيه لعرش الخلافة الإسلامية، ولادة وأخوة ووزارة ونفسية نفسية هي أنفس القواعد الاربع لعرش الخلافة.

ولنرجع هنا إلى مادة الدعاء لموسى في هذه الوزارة السامية، لكي نتعرف الى الوزارة العلوية العالية، وعلى ضوء متواتر الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله على غرار الآية وقرارها. «واجعل لي وزيراً...» دليل أن جعل الوزارة الرسالية مخصوص باللّه، وليس للرسول أن ينتصب لنفسه وزيراً في أمره، فضلاً عن أمته فكما الرسالة هي من اللّه، كذلك وزارتها من اللّه، وإلّا فلماذا يسأل اللّه أن يجعل له وزيراً.

و «ومن اهلي» وطبعاً هي الأهلية الرسالية دون التسمية فحسب، ولا سواها من أهليات لا تؤهل لوزارة الرسالة.

(١). ٢٨ : ٣٤

«هارون اخي» ويا للأهلية من جمع جميل أن تعم جانبي الرسالة والرسول، فهارون أهل لذلك الرسول رسالياً، وأهل له نسيباً، فهو أخوه في كلتا المرحلتين.
«أشدد به أزري» والأزر من إزار الرجل وهو الموضوع الذي يشده إذا استعد لصعاب الأمور، وهارون يشد أزر موسى في بلاغ الرسالة رسالياً، لا فقط إيمانياً، فإنه يعم كافة المؤمنين بهذه الرسالة، ولذلك يلحق إشراكه في الأمر بشد الأزر.
«وأشركه في أمري» شركة رسالية في كافة بنودها دونما إبقاء لواحدة منها، إلا أن موسى هو القائد الرسالي وهارون وزيره.

فالأزر هنا هو ظهر الرسالة الموسوية، لا يشد إلا بمظاهر رسالي من نفس النمط وهو عضد الرسالة كما قال «سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما بآياتنا» (١).
وقد تنطبق هذه المواصفات بصورة أجلى وسيرة أسمى وأعلى في وزارة علي عليه السلام للرسول صلى الله عليه وآله فسورة الإنشراح تشرح آية الوزارة، ومتواتر الرواية عن طريق الفريقين يؤكد ذلك الشرح.

هنا تعال معي إلى سرد لألفاظ ما أخرجه الحفاظ والرواة عن النبي صلى الله عليه وآله لتعرف أبعاد هذه الوزارة العلوية العلوية.

لقد روى حديث المنزلة أول ما روى الرسول صلى الله عليه وآله عن الله تعالى، إذ «هبط جبرئيل على النبي صلى الله عليه وآله فقال يا محمد ان ربك يقرئك السلام ويقول لك : علي منك بمنزلة هارون من موسى لكن لا نبي بعدك» (٢).

ومن ثم يكرره الرسول صلى الله عليه وآله في عدة مواطن وقد رواه عنه صلى الله عليه وآله جماعة من الصحابة منهم الإمام علي عليه السلام نفسه أن رسول الله أراد أن يغزو غزاة فدعى جعفرأ فأمره أن يتخلف على المدينة فقال لا اتخلف بعدك يا رسول الله صلى الله عليه وآله قال فدعاني رسول الله صلى الله عليه وآله فعزم علي

(١). (٢٨ : ٣٥)

(٢). أخرجه جماعة عن أسماء بنت عميس عنه ومنهم محب الدين الطبري في الرياض النضرة (٢) :

(١٤٤) وفي ذخائر العقبى ص ٦٤ والقندوزي في ينابيع المودة ص ٢٠٤

ان أتخلف قبل أن أتكلم قال فبكيت فقال رسول الله صلى الله عليه وآله ما يبكيك يا علي؟ قلت يا رسول الله صلى الله عليه وآله يُبكي خصال غير واحدة، تقول قريش غداً ما أسرع ما تخلف عن ابن عمه وخذله، وتُبكي خصلة أخرى كنت أريد أن أتعرض للجهاد في سبيل الله لأن الله تعالى يقول: «ولا يطؤون موطئاً يغيب الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين» فكانت أريد أن أتعرض لفضل الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله أما قولك يقول قريش ما أسرع ما تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وآله وخذله فإن لك بي أسوة، قالوا لي ساحر وكاهن وكذاب، وأما قولك: أتعرض الأجر من الله، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي» (١).

ومنهم عمر بن الخطاب أنه رأى رجلاً يسب علياً فقال إني أظنك منافقاً سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إنما علي مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي». (٢)

ولقد روى حديث المنزلة عن رسول الله صلى الله عليه وآله بألفاظ عدة في مواطن متعددة ثلثة من الأصحاب (٣).

(١). رواه جماعة من القوم منهم النيسابوري في المستدرک ٢ : ٣٣٧ والحموي في فرائد السمطين والذهبي في تلخيص المستدرک والهيثمي في مجمع الزوائد ٩ : ١١٠ والمتقي الهندي في منتخب كنز العمال ٥ : ٥٥ والبدخشي في مفتاح النجا ٤٥ والحلي في انسان العيون (٣ : ١٣٢) والبغدادي في تاريخه ٧ : ١٩٤

(٢) اخرج عنه جماعة منهم البغدادي في تاريخ بغداد ٧ : ٤٥٢ ومحب الدين الطبري في الرياض النضرة ٢ : ١٦٢ وقلندر الهندي الحنفي في الروض الازهر ص ٩٨

(٣). مثل سعد بن ابي وقاص ٣ - وجابر بن عبدالله الأنصاري روي عن عشرة كتب ٤ - وابي سعيد عن ١٥، ٥ - وحبيشي ابن جنادة السلولي عن ٤، ٦ - وسعد بن مالك عن ٥، ٧ - واسماء بنت عميس عن ٨، ٨ - وابن عمران عن ١٠، ٩ - وابن ابي ليلى عن كتب عدة، ١٠ - ومالك بن الحريرث عن كتب عدة، ١١ - وسفيان الثوري عن ٣، ١٢ - وابن عباس عن ستة، ١٣ - وام سلمة عن عدة كتب، ١٤ - وعبدالله بن مسعود، ١٥ - وانس بن مالك، ١٦ - وزيد بن ارقم، ١٧ - وابي ايوب، ١٨ - وابي

- بردة، ١٩- وجابر بن سمرة، ٢٠- وغيرهم من الصحابة والتابعين من الحفاظ والمحدثين كلهم عن كتب معدودة هنا وغير معدودة واليكم أسماء قسم من الكتب :
- ٣- فسعد بن أبي وقاص يرويه عنه ابراهيم بن سعد رويناه عن اربعة وعشرين من كتب اعظم محدثي العامة، وعائشة بنت سعد عن تسعة كتب وعامر بن سعد عن خمسة عشر ومصعب بن سعد عن احد وثلاثين وسعيد بن المسيب عن تسعة عشر، وحديث آخر عنه عن اربعة، وعبدالدين سعد عن ثلاثة وعبدالله ابن بديل عن عدة كتب.
- ٤- وجابر بن عبدالله اخرجه عنه احمد بن حنبل في المسند ٣ : ٣٣٨ والترمذي في صحيحة ١٣ : ١٧٥ والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٣ : ٤٨٨ وابن الأثير في جامع الأصول ١ : ٤٦٩ والحموي في فرائد السمطين والقرشي في البداية والنهاية ٧ : ٣٤١ والعسقلاني في لسان الميزان ٥ : ٣٧٨ والسيوطي في ذيل اللثالي ص ٥٩ والمبيدي في شرح الديوان ١٧٣ والواسطي في المناقب ١١٨ .
- ٥- وابو سعيد اخرجه عنه وابن سعد في الطبقات الكبرى ٣ : ٢٤ والقشيري في تاريخ الرقة ١٣٣ وابن المغازلي في المناقب واليتمى في مجمع الزوائد ٩ : ١٠٩ والهروي القاري في شرح العين ٣٥٦ والقندوزي في ينابيع المودة ٥٠ والنبهاني في الفتح الكبير ٣ : ٣٤٣ واليتمى في مجمع الزوائد ٩ : ١٠٩ والنعساني في تعليقه على تاريخ ارقه ١٣٣ .
- ٦- وحيشي بن خبابة اخرجه عنه ابو نعيم في اخبار اصبهان ١ : ٢٨١ والنعساني ١٣٣ والطبراني في المعجم الصغير ١٩٠ والهيثمي في مجمع الزوائد ٩ : ١٠٩ .
- ٧- وسعد بن مالك اخرجه عنه ابن سعد في الطبقات ٣ : ٢٤ واحمد بن حنبل في مسنده ١ : ١٧٣ و ٣ : ٥٧ و ٦٦ و ٧٤ وفي المناقب ٣ : ١٢٤ والنسائي في الخخص نص ١٧ .
- ٨- واسماء بنت عميس اخرجه عنها الامام احمد في المستدرک ٦ : ٤٣٨ والفضائل ٣ : ١٠٧ والنسائي في الخصاص ١٧ والبغدادي في تاريخه ١٠ : ٤٣ و ١٢ : ٣٢٣ وابن عبدالبر في الاستيعاب ٣ : ٤٥٩ والحموي في الفرائد والذهبي في تاريخ الاسلام ٤ : ٩٤١ والهيثمي في مجمع الزوائد .
- ٩- وابن عمران اخرجه عنه الهيثمي في مجمع الزوائد ٩ : ١١٠ .
- ١٠- وابن ابي ليلى اخرجه عنه المتقي الهندي في منتخب كنز العمال ٥ : ٣٠ .
- ١١- ومالك بن الحريث اخرجه عنه البخاري في التاريخ الكبير ٤ : ٣٠١ .

- ١٢- وسفيان الثوري اخرج عنه الخطيب في ٤ : ٧١ تاريخه وفي موضع اوهام الجمع والتفريق والطبري في الرياض النضرة ٣ : ١٦٣ .
- ١٣- وابن عباس اخرج عنه ابو نعيم في تاريخ اصفهان ٣ : ٣٢٨ وابن المغازلي في المناقب وابن عساكر في التاريخ الكبير ١ : ١٠٧ والهيثمى في الجمع ٩ : ١٠٩ والبدخشي في مفتاح النجاة ٤٤ والقندوزي في ينابيع المودة ٢٣٤ .
- ١٤- وام سلمة اخرج عنها الدمشقي في البداية والنهاية ٧ : ٢٤١ والهيثمى في الجمع .
- ١٥- وابن مسعود اخرج عنه ابن المغازلي في مناقبه .
- ١٦- وانس بن مالك اخرج عنه ابن المغازلي والمتقي الهندي في منتخب كنز العمال ٥ : ٢١ .
- ١٧- وزيد بن ارقم اخرج عنه الشفشاوي في سعد الشموس والأقمار ٣٠٩ والهيثمى في مجمع الزوائد .
- ١٨- وابو ايوب اخرج عنه الهيثمى في الجمع ٩ : ١١١ .
- ١٩- وابو بردة اخرج عنه سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص ٢٣ .
- ٢٠- وجابر بن سمرة اخرج عنه القندوزي في الينابيع ٥٠ والهيثمى في الجمع
- التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٥٨
- وهؤلاء الأعظم كلهم سمعوا حديث المنزلة عن رسول الله صلى الله عليه وآله أخرجه عن كل منهم جماعة من الأساطين وهم حسب ترتيب العدد يذكر بعضهم في الهامش .
- وكل هذه الإخراجات متفقة في «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» أم بزيادة «أما ترضى» ثم «إلا أنه لا نبي بعدي» «١» «لا نبوة بعدي» «٢» «لا نبوة بعد نبوتي» «٣» «إلا النبوة» «٤»

(١) هذا هو الاكثر المطلق ويعني «من بعدي» من بعد نبوتي لا بعد وفاتي، كما يفسره سائر النصوص

(٢) اخرج الكنجي الشافعي في كفاية الطالب ١٤٨ عن عدة طرق عن سعد بن عامر عنه صلى

الله عليه وآله واحمد بن حنبل في المسند ١ : ١٨٥ وجماعة آخرون من الحفاظ

(٣) اخرج الحافظ ابو نعيم في حلية الاولياء ٧ : ١٩٥ والنسائي في الخصائص ١٥

(٤) اخرج الشيباني المروزي في المسند ١ : ١٧٠ وفي الفضائل، والنسائي في الخصائص ١٤ و ١٦ والحموي في الفرائد والدمشقي في البداية والنهاية ٧ : ٣٤٠ والمتقي الهندي في كنز العمال ٦ : ١٥٣ وعبدالرحمان الرازي في علل الحديث ٢ : ٣٩٠ والخطيب في تاريخه ٨ : ٥٢ وابن المغازلي في المناقب كلهم عن عائشة بنت سعد عن رسول الله صلى الله عليه وآله والبخاري في التاريخ الكبير ١ : ١١٥ عن سعد عنه صلى الله عليه وآله

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٥٩

«لا نبي معي» (١).

«غير أنه لا نبي» (٢) «ولو كان لكنته» (٣) «إلا أنك لست بنبي» (٤) «إلا النبوة وأنت خليفتي» (٥) «إنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي» (٦) صارحة صارحة أنه استثناء عن تلك المنزلة إلا منزلة النبوة، حيث ختمت بمحمد صلى الله عليه وآله بهذه التصريحات العشر.

وقد يروى عن رسول الهدى صلى الله عليه وآله قوله «يا علي أنت مني بمنزلة هبة الله من آدم، ومنزلة سام من نوح، ومنزلة إسحاق من إبراهيم ومنزلة هارون من موسى، ومنزلة شمعون من عيسى إلا أنه لا نبي بعدي» (٧).

وحديث المنزلة على ضوء آيتها ليس يثبت لعلي عليه السلام فقط الخلافة بعد الرسول، بل الوزارة زمن الرسول صلى الله عليه وآله والوزير في حياة الرسول، أحرى أن يكون الأمير بعد وفاته. وهذه قلة من ثلة من احاديث المنزلة والتفضيل إلى المفصلات.

«قال قد أوتيت سؤالك يا موسى» (٨)

والسؤال هو الحاجة وهي هنا حاجة عضد

(١) اخرج ابن المغازلي الواسطي في المناقب والقندوزي في ينابيع المودة ٨٦

(٢) اخرج ابن عساكر في تاريخه ٦ : ١٠٧ دخل سعد على معاوية فقال له بعد مكالمة بينهما : انك لتأمرني ان اقاتل رجلاً سمعت فيه من رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : انت مني بمنزلة هارون من موسى غير انه لا نبي فقال له معاوية من سمع هذا معك قال : فلان وفلان وام سلمة

(٣) الخطيب البغدادي في تاريخه ٣ : ٢٨٨ بسند متصل عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعد ولو كان لكنته

(٤) اخرج ابن المغازلي في مناقبه والبدخشي في مفتاح النجا ٤٤ مخطوط وابن سعد في طبقات الكبرى ٣ : ٢٤ عن البراء بن عازب وزيد ابن ارقم.

واحمد بن حنبل في مسنده ١ : ٢٣٠ والفضائل ٢ : ٢٤٠ والنسائي في الخصائص ٨ والنيسابوري في المستدرک ٣ : ١٣٢

(٥) اخرج سبط ابن الجوزي في تذكره الخواص ٢٣ عن ابي بردة قال خرج علي ...

(٦). اخرج ابن كثير في البداية والنهاية ٧ : ٣٣٨

(٧). البحار الطبعة الحديثه ٣٧ : ٢٠٤ بالاسناد عن الصادق عليه السلام عن آباءه عليهم السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله والأخراجات السابقة نقلناها عن تعليقات احقاق الحق للعلم الحجة

السيد شهاب الدين المرعشي النجفي ج ٥ ص ١٣٢ - ٣٣٤

(٨) سورة طه - آية ٣٦

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٦٠

الرسالة وأزرها، وقد أوتيت لموسى، وكذلك سأل الرسول محمد صلى الله عليه وآله لأخيه علي عليه السلام ما سأله موسى لأخيه هارون فأوتي سؤله «١» وأين سؤل من سؤل وسؤل من سؤل من سؤل من سؤل، فقد سجل سؤل موسى بسؤله في الذكر الحكيم في آيات بضع، وسجل سؤل الرسول دون سؤل في سورة الإنشراح!

وزارة علي عليه السلام انتصابه من قبل الرسول (سورة الانشراح - مكية -

وآياتهاثمان)

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ «أَلَمْ تَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ» وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزَّرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ» وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ» فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا» إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا» فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ» وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ».

استفهامات تقريرية للرسول عليه السلام نعماً عدة، إيجابية وسلبية، وعند الفراغ عن مهمة الرسالة يطلب الله منه أن يستمر بها فيمن ينصبه مقامه، ثم يرغب إلى ربه مؤدياً ما عليه.

«ألم نشرح لك صدرك»: فقد شرح صدره- لأول ما شرح- بملازمة أعظم ملك من ملائكته، ثم بوحى القرآن، ثم بمكافحة المعارضين «٢» فإن الشرح هو الإنفتاح ومقابله

(١). الدر المنثور ٤ : ٢٩٥- اخرج ابن مردويه والخطيب وابن عساكر عن أسماء بنت عميس قالت رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله بازاء ثبير وهو يقول اشرق ثبير اشرق ثبير اللهم اني أسألك بما سألك اخي موسى ان تشرح لي صدري وان تيسر لي امري وان تحل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من اهلي هارون اخي اشدد به ازري واشركه في امري كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً، وفيه اخرج السلفي في الطيوريات بسند عن ابي جعفر محمد بن علي قال : لما نزلت «واجعل لي وزيراً من اهلي هارون اخي اشدد به ازري» كان رسول الله صلى الله عليه وآله على جبل ثم دعا ربه وقال : اللهم اشدد ازري باخي علي فاجابه الى ذلك وروى ابو نعيم الحافظ باسناده عن رجاله عن ابن عباس قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيد علي بن ابي طالب عليه السلام وبيدي ونحن بمكة وصلّى اربع ركعات ثم رفع يديه الى السماء وقال : اللهم ان نبيك موسى بن عمران سألك فقال : رب اشرح لي صدري ويسر لي امري .. وانا محمد نبيك أسألك رب اشرح لي صدري ويسر لي امري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من اهلي علياً اخي اشدد به ازري واشركه في امري قال ابن عباس منادياً ينادي : قد اوتيت سؤالك

(٢). كما تشير إليه الآيات : «كتاب انزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين» (٧ : ٢) «فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كتر أو جاء معه ملك انما انت منذر والله على كل شيء وكيل» (١١ : ١٢) «وافد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين» (١٥ : ٩٨)

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٦١

الضيق، والصدر هو صدر الروح، وهو الوسيط بين العقل والقلب، يأخذ من العقل وينقل إلى القلب، وهو في الصدر : «القلوب التي في الصدور» فانشرح العقل وتفتحه يفضي إلى انشرح

الصدر والقلب، وكذلك ضيقه وعماه إلى ضيقها وعماهما : «فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور» (١)

وقد يعبر عن ضيق الصدر أيضاً بالإنشراح : تفتّحاً للكفر : «ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله» (٢).

فصدر الرسول الأقدس- وهو صدر الصدور- كان أشرح الصدور بين حملة الرسالات الإلهية، تلقي الوحي أكثر ما يمكن، ولاقى وعانى في سبيل البلاغ أشد ما يمكن، وهو منشرح الصدر : يستقبل الصعوبات في وعثاء السفر بكل رحابة صدر دون أن يقف لحد.
«ووضعنا عنك وزرك. الذي أنقص ظهرك» :

وهذه نعمة أخرى في سلبيتها، وكونها نعمة تتلوا انشراح صدره، يوحي إلى المعني من وزره، أنه : ما كان يعانیه صلى الله عليه وآله من الأمور المستصعبة، والمواقف المخطرة في أداء الرسالة، وتبليغ النذارة، وما كان يلاقيه من مضار قومه، ويتلقاه من مرامي أيدي معشره، وكل ذلك حرج في صدره وثقل على ظهره، فقرره الله تعالى أن أزال عنه تلك المخاوف كلها، وحط عن ظهره تلك الأعباء بأسرها، فنجاه من أعدائه، وفضله على أكفائه وقدم ذكره على كل ذكر، وقدره على كل قدر، حتى آمن بعد الخليفة، واطمأن بعد القلقة، «فإن مع العسر يسراً».

أجل : وإن ظهر الرسالة المحمدية كانت- لو خليت وطبعها- بنقضه : مقعقة العظام من حملها، مرضوضة من ثقلها، حتى وضع الله ذلك الوزر، بوزير من نفسه القدسية : من صدره المنشرح، وبصيرته النافذة، وصموده القويم، وعقله المستقيم ... بوزير هو كنفسه : علي

(١). ٢٢ : ٤٦

(٢). ١٦ : ١٠٦

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٦٢

أمير المؤمنين عليه السلام الذي عرفه عشرات المرات : أنه وزيره وأخوه ونفسه ومثيله. هذا هو الوزر الموضوع عنه، لا ما يظنه الجاهلون أو المعاندون، أنه الذنب العظيم، زعماً أنه المعني منه لغوياً وليس به، إنما الوزر ما يتقل ويتعب، ظهر الروح أو الجسم، فإن مرضاة الله تبتغى بالأتعاب والحرمانات يوم الدنيا، وزراً في الدنيا وراحة في الآخرة، عكس سخط الله.

ثم الإمتنان هنا يشهد، وتأخر الوزر عن شرح الصدر يشهد، ثم الله شهيد مع هؤلاء الشهداء وقبلهم : أن وزره صلى الله عليه وآله إنما هو وزر الرسالة القدسية، بحملها وحملها وأعبائها وبلاغها! فلو كان ذنباً لم يمتن به عليه، ولو كان غفراً لذنبه لقال : وغفرنا عنك وزرك، ولكان مقدماً على انشراح صدره، فإنه لا ينشراح إلا بعد انحاء الذنوب، تحلية بعد تخلية.

ثم في وزر الرسالية، ليس وضعه عزله عنها، فهذا إهانة وليس مكرومة، وكذلك عزله عن بعضها، إذاً فهو تخفيف حمل الرسالة بوزير من نفسه ووزير كنفه «١».

وقد رفع الله ذكره بهذا الوزير لحدّ إعتبه شاهداً منه : «أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه» «٢»

ورفع ذكره مع الله من على المآذن أوقات الصلاة «٣» ورفع قبل مولده ومبعثه في كتابات النبيين من قبل، فأصبح رفيع الذكر حياته وقبلها وبعدها، وباله من ذكر لزاماً لذكر الله! وكما عن الرسول عن الله : «إذا ذكرت ذكرت معي» «٤».

«فإن مع العسر يسراً. إن مع العسر يسراً» «٥».

وعلى حدّ قول الرسول صلى الله عليه وآله لن يغلب عسر يسرين «٦»، وهنا تعريف العسرين يوحى أنهما واحد، حيث التالي يشير إلى الأول، كما أن تنكير يسرين دليل أنهما اثنان، إذ لا

-
- (١). نور الثقلين ٥ : ٦٠٣ عن بصائر الدرجات عن الصادق عليه السلام في الآية قال : ولاية أمير المؤمنين عليه السلام
- (٢). ١١ : ١٧
- (٣). الاحتجاج عن الامام الحسين عليه السلام في حديث : فلا تتم الشهادة إلا ان يقال : اشهد أن لا إله إلا الله واشهد ان محمداً رسول الله ينادى على النار، فلا يرفع صوت بذكر الله عزوجل إلا رفع بذكر محمد صلى الله عليه وآله معه
- (٤). الدر المنثور ٦ : ٣٦٤ - ابو سعيد الخدري عنه صلى الله عليه وآله عن جبرائيل ان ربك يقول
- (٥). سورة الانشراح - آية ٥، ٦
- (٦). رويت عنه مستقيضه كما في الدر المنثور

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٦٣

إشارة حيث لا عهد مسبقاً :

فمع عسر الرسالة في وزرها يسر ان هما : انشراح صدره ووضع وزره، وإذا اعتبرا واحداً فثانيها يسر الحشرة وأولاه وضع الوزر وشرح الصدر، يجمعهما ارتياح ضمير الرسول أن بلغ ما عليه، وهكذا يكون دائماً عسر المؤمن مكافحاً بيسرين في الدنيا وفي الدارين، وما عند الله خير وأبقى. والمعية هنا «مع العسر» : توحى بواقع اليسرين حال عسر هما، أما يسر الدنيا فارتياح ضمير المعسر في الله، ويتبعه واقع يسره فيها، وأما يسر الآخرة فهو أيضاً واقع مهما كان خفياً، ولكنه يظهر يوم الجزاء.

وإذا أردت مكافأة بهذه المكرمات، فإنها ليست إلا أن تستمر بها لما بعدك، كما كنت تعيشها حياتك أيها الرسول!

«فإذا فرغت فانصب. والى ربك فارغب» (١) :

فما الفراغ هنا؟ وماذا ينصب بعد الفراغ؟

ليس الفراغ هنا عن الصلاة، لكي يكون نصبه نصباً في الدعاء، ورغم أن الدعاء ليس فيها تعب ونصب! فالفاء المفرّعة توحى إلى أصل سابق، وليس إلّا شرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر، التي تجمعها الرسالة الحمديّة بعسرها ويسريها، فليس الفراغ إذّاً إلّا عن بلاغ الرسالة، وما هو إلا عند حضور الموت، فليس النصب إلا نصباً لاستمرارية الرسالة، ولكي يرغب إلى ربه مؤدياً مبلغاً ما عليه : «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الفاسقين» (٢).

هنا في محاولة استمرار الرسالة عند الفراغ عنها نصب ونصب كلاهما يناسبان «فانصب» وخلاف ما يزعم، ليس في الدعاء نصب ولا نصب، ولا سيما للرسول الذي زاده الدعاء، فلم يؤمر هو صلى الله عليه وآله هنا بالدعاء، فإنه كان يعيش حياته الدعاء، دون اختصاص

(١). سورة الانشراح- آية ٧، ٨

(٢). (٥ : ٦٧)

بالفراغ عن الرسالة، ولقد كان في نصب علي عند وصية الخلافة نصب بالغ إذ تبع الكلمة اللادعة المشهورة من احتالوا الخلافة لأنفسهم فقالوا: «دعوة فإن الرجل ليهجر» ما تدمي العيون وتحرق الأكباد!

ثم «فانصب» لغوياً- على الصحيح أو الأصح- أمر بالنصب لا بالنصب، وإلا كان «فانصب»، وفي المنجد: نصب نصباً الشيء: رفعه وأقامه، والأمير فلاناً: ولّه منصباً.

والمروي عن أئمة أهل البيت مستفيضاً صريح في النصب وإن كان النصب أيضاً يشمل، ومن النصب أيضاً هو جعل النصب أو تولية المنصب وهما يناسبان نصب الخلافة الإسلامية فإنها نصب للرسول، يستمر به بعد كما كان قبله، وكما عن الصادقين عليه السلام تفسيراً للآية: فإذا فرغت من نبوتك فانصب علياً وإلى ربك فارغب في ذلك «١» وهو الوحيد الموافق لمقام الآيات واللغة.

تذييل:

روى أصحابنا أن سورتي الضحى والانشراح سورة واحدة تقرأان معاً في الركعة، أقول: وهذه الوحدة تخص الصلاة حكيماً وإلا فهما سورتان في غير الصلاة للفصل بالبسمة بينهما.

(١)

(. تفسير القمي بالاسناد الى ابي عبدالله الصادق عليه السلام وروى في الكافي عنه عليه السلام مثله، ومثله عن ابن شهر آشوب عن الباقر عليه السلام، وعن ابي حاتم الرازي ان جعفر بن محمد عليه السلام قرأ «فإذا فرغت فانصب» قال: إذا فرغت من اكمال الشريعة فأنصب علياً لهم إماماً، أقول: وما روي شاذاً انه النصب في الدعاء لا يلائم المقام واللغة كما سبق، واما ما روي انه نصب الخلافة بعد حجة الوداع يلائم الفراغ من الرسالة، وإنما عن الحج ولم يسبق له ذكر

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج٤، ص: ١٦٥

محمد صلى الله عليه وآله والولاية العلوية

«وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا

خَاسِرِينَ» «١»:

«الذين آمنوا» هنا قبال «الذين في قلوبهم مرض» توغل مرضى القلوب في التعليم، وتجعل المنافقين منهم المصداق الأجلى، كما المسارعة في اليهود والنصارى تفعله.

وهنا «أهؤلاء» قد تعني «الذين في قلوبهم مرض» حيث «أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم» أنتم المؤمنون، أم إن «هؤلاء» هم اليهود والنصارى «أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم» أنتم الذين في قلوبكم مرض، وظاهر النص يكتسبهما فهما إذًا - معنيان، و «لمعكم» في الثاني ظاهر وهي الأول خطاب للمؤمنين في أنفسهم بعضهم بعضاً، ولكن «حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين» قد ترجح الأول، فإن اليهود والنصارى كانوا حابطي الأعمال وخاسرين على أية حال دون اختصاص بذلك الموقف العضال.

وهذه المقالة المؤمنة لا تختص بما بعد الفتح أو أمر من عند الله حتى ترجح قراءة النصب في «ويقول» خلافاً لنص المتواتر في كتب القرآن، بل هي قضية الإيمان قبل الفتح وبعده حيث يقولون بعد مقالة الذين في قلوبهم مرض: «نخشى أن تصيبنا دائرة» إن هذه القولة تناحر إقسامهم جهد أيمانهم إنهم لمعكم، فما هذه المعية المقسم لها وتلك القالة القالة والمسارعة فيهم إلّا منافقة بازرة من الذين في قلوبهم مرض، يقول ... ويقول:

«حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين» في صفتهم الخاسرة، وقد تحتمل «حبطت أعمالهم» - إلى كونها من مقالة المؤمنين - أنها جملة معترضة من الله استكمالاً لمقالة

(١). سورة المائدة - آية ٥٣

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص: ١٦٦

المؤمنين.

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ» (١):

«الذين آمنوا» هنا يعم كل من أقر بلسانه ولما يدخل الإيمان في قلبه، أم دخل ولما يتم في عمله، أم هو منافق كافر بقلبه مقر بلسانه أم وبعمله، فالإرتداد عن الدين هنا يشمل مثله، بل الذي يرتد عن

إقرار دون إيمان هو أظهر مصاديق المرتدين عن الدين وأكثرهم حيث المؤمن بقلبه ليس ليرتد عن دينه اللهم إلا شذراً نزرأً بشبهة دخلت في قلبه قد تعذره عن إرتداده.

ثم ومن الإرتداد هنا المسارعة إلى اليهود والنصارى بعاذرة «نخشى أن تصيبنا دائرة» أمأ أشبه أم دون أية عاذرة، فالمحور المعني من الإرتداد هنا ليس هو الردة الجاهرة مهما كانت معنية ضمناً، بل هي الردة المعنية من موالاته اليهود والنصارى مسارعة فيهم، مهما كانت الجاهرة أردى وأنكى. إذأ فهي- بصورة طليقة- الردة عن الإسلام المحض الشاملة كأصل لتلك الموالاته، دون محض الإسلام الخاص بالمرتدين الرسميين عن الإسلام.

«من يرتد ... فسوف يأتي الله ...» تهديد شديد بالمرتدين عن الدين ألاً حاجة لله فيهم ولا كرامة، وبشارة للصامدين على الدين أنه «سوف يأتي الله يقوم» لهم مواصفاتهم المسرودة هنا، يستبدلهم بهؤلاء المرتدين، عزاً للدين والدينين.

هنا «سوف يأتي الله» تلمح صارحة صارخة أن هؤلاء الموصوفين لما يأت بهم الله عند ذلك الخطاب، أم ولا يأتي بهم عاجلاً، ولا آجلاً قريباً لمكان «سوف» المسوفة إلى بعيد من الزمن، فقد لا ينطبق «يقوم» على كثير ممن يدعى ويروى أنهم أولاء المعنيون «٢».

(١). سورة المائدة- آية ٥٤

(٢). كأبي بكر وأصحابه كما يروى وقد كانوا مع الرسول صلى الله عليه وآله فكيف سوف يأتي الله بهم، ثم وأبو بكر الذي لم ينزل الله سكينته عليه مع الرسول «إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها» فهل ان ابابكر الحزين على ذلك الحدث الهائل كان احوج إلى السكينة أو الرسول الذي يقول له : «لا تحزن ان الله معنا» فكيف «أنزل الله سكينته»- فقط- على الرسول و «هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً» (٤٨ : ٤) «فعلم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً» (٤٨ : ١٨) «ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين» (٩ : ٢٦).

فهل كان أبو بكر فوق الرسول والمؤمنين حتى لا يحتاج إلى سكينة الله، أم كان دون المؤمنين كما هو دون الرسول فلم يأهل لتزول السكينة التي نزلت على الرسول وعلى المؤمنين؟ ما يدريني إلا كلام الله القائل هنا «فأنزل الله سكينته عليه» وهناك «على رسوله وعلى المؤمنين».

ذلك أبوبكر فكيف يكون- إذاً حال ابي موسى الأشعري رغم ما اخرجته في الدر المنثور ٣ : ٩٢-
نزلت هذه الآية قال عمر انا وقومي هم يا رسول الله صلى الله عليه وآله قال : بل هذا وقومه يعني
أبا موسى الأشعري

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج٤، ص : ١٦٧

وبالنظر الدقيق الحر، المتحلل عن المذهبيات، إلى المواصفات المذكورة هنا لهؤلاء، وإلى آيات أخرى
كالتى تلي، تتمكن من معرفتهم، عرفاناً من سماتهم بأسماءهم أم كيانهم : «فإن يكفر بها هؤلاء فقد
وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين» (١)
سلباً عن أية دركة من دركات الكفر في كل حقوله وحلقاته، ثم وفي آيتنا مواصفات ست بين إيجابية
وسلبية :

١- «فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه» والذين يحبهم الله لا تحلج فيهم خالجة كفر أو فسوق
لمكان الحب الطليق دون طليق الحب، فقد تقدم حبّه إياهم على حبهم إياه، مما يدل على بالغ الحب.
ذلك، وفي أخرى «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله» (٢).
فلا نجد في سائر القرآن يجتمع الحبّان ويتقدم فيهما حب الله، اللهم إلّا في «رضي الله عنهم ورضوا
عنه» (٣)

ولكنهم كانوا مع النبي صلى الله عليه وآله حين نزلت آيتنا وقد سوفّ الله الإتيان بهذا القوم الذين
يحبهم ويحبونه، فهم- إذاً- أفضل منهم.
أجل «يحبهم ويحبونه» يحبونه كما يجب أن يحبوه، وحب الله- هكذا- لعبد أو قوم أمر لا يقدر على
إدراكه أحد إلّا العارف بالله على عظمه وغناه، والعارف بقمة العبودية

(١). ٦ : ٨٩

(٢). ٣ : ٣١

(٣). ٥٨ : ٢٢

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج٤، ص : ١٦٨

التي تستجلب مستقطبة حبّ الله قبل أن يذكر حبهم إياه، وذلك إتجاههم في سلوكهم إلى الله ومع
الله.

وأما مع المؤمنين بالله والكافرين به ف ٣- «أذلة على المؤمنين» ٤- «أعزة على الكافرين» فهم على عزتهم في أنفسهم «أذلة على المؤمنين» وهنا «على» تلمح برحمة عالية للعزیز في نفسه على المؤمنين بالله خفضاً لجناحه لهم وتليئاً معهم، فهم من أفاضل الذين مع الرسول صلى الله عليه وآله فيما الله يقول: «أشداء على الكفار رحماء بينهم» (١)

فحيث لا تعني «معه» معية في لغة أو قرابة أو زمان، بل هي المعية المتحللة عن كل هذه وتلك، مجرد المعية الرسالية في أي زمان أو مكان، من قريب إليه في لغة أو نسب أو سبب أو مكان أو زمان، أم غريب.

إذاً ف «أذلة على المؤمنين»- «رحماء» أعزة على الكافرين «أشداء» هم أفاضلهم الذين سوف يأتي الله بهم، مهما كان زمن الرسول صلى الله عليه وآله منهم اشخاص، إلا أن «قوم» هم جماعة خاصة. وقد تكون «أذلة» هنا جمع الدل وهو اللطافة والليونة والسماح كما الأرض الذلول هي التي ذلت بعد شماس واستسلمت بعد ارتكاس، فهؤلاء الأكارم المحبوبون لله المحبون لله، الأذلاء مع الله ذلاً وذلاً، هم «أذلة على المؤمنين» بالله ذلاً وليونة «اعزة على الكافرين» بالله فما في ذلمهم على المؤمنين من مذلة ولا مهانة، إنما هي الأخوة الإيمانية التي ترفع الحواجز من ترفع وتكلف، وتخلط النفس بالنفس فلا يبقى فيها ما يستعصي ويحتجز دون الآخرين.

إن حساسية الفرد وتفرعنه بذاته وإنياته متحوصلة متحيزة، هي التي تجعله شمساً عصياً شحيحاً على أخيه لا ذل له معه ولا ظل منه عليه، فأما حين يخلط نفسه بنفوس المؤمنين معه فلن يجد فيها ما يمنعه وما يستعصي به، فما ماذا يبقى له في نفسه دونهم وقد إجتمعوا في الله إخواناً متحابين، ويحبهم ويحبونه، ويشيع ذلك الحب العلوي السامق

(١). ٤٨ : ٢٩

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٦٩

بينهم فيتقاسمونه.

«أعزة على الكافرين» دون ذل معهم ولا ذل، فهم عليهم في شماس وإباء، عزة للعقيدة واستعلائة للرؤية التي يقفون تحتها في مواجهة الكافرين، ثقة بما عندهم من خير الإيمان فلهم- إذاً- تطويع الكافرين لخيرهم، فهم الأعلون أمامهم مهما انهزموا في بعض المعارك.

٥- «مجاهدون في سبيل الله» فحياتهم في كل حلقاتها جهاد في سبيل الله بالمال والنفس والحال على أية حال، فقد كرّست حياتهم ذلك الجهاد ومهّدت حياتهم ذلك المهاد، فالوسط الذي يعيشونه ليس إلّا سبيل الله، لا سبيل الشهوات والرغبات ولا أية طلبات إلّا مرضات الله.

٦- «لا يخافون لومة لائم» ولا قومة قائم ضدّهم، ولا أية دوائر تتربص بهم، إنّما يخافون الله ليس إلّا إياه، وفيما الخوف من لوم الناس ولؤم الناس وهم قد ضمنوا حب رب الناس وملك الناس وإله الناس، فهم عائدون به من شر الوسواس الخنّاس الذين يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس. ولماذا الوقوف عند شهوات الناس ورغباتهم وهم أولاء الأكارم حياتهم مكرسة في سبيل الله، فإنّما يخاف لومة لائم من يستمد مقاييسه من أهواء الناس ويستمد حياته من حياة الناس.

وأما الراجع في مقاييسه إلى الله لتسيطر على هوائه وأهواء الناس، ويستمد قوته وعزته من قوة الله وعزته من قوة الله وعزته، فما يبالي - إذًا - بما يلوم الناس.

ذلك، وهذا التعبير: «لا يخافون في الله لومة لائم» منقطع النظير في القرآن بحق المجاهدين في سبيل الله فلا تجده إلّا هنا.

«ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم» فضل فضيل لهؤلاء القوم الذين سوف يأتي الله بهم، ثم وذرل رذيل لمن يقابلهم في جهادهم وسبيلهم إلى الله.

فمن هؤلاء القوم الخصوص الذين سوف يأتي الله بهم جبراً لكسر المؤمنين أمام

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص: ١٧٠

المرتدين عن الدين، وانجباراً لخاطر الرسول صلى الله عليه وآله الخطير؟.

فهل إنهم شواذ من أشخاص خصوص كانوا مع الرسول وقد تربوا بتربيته الخاصة الخالصة الراسّة

كالإمام علي عليه السلام «١» وأتباعه مثل سلمان وأبي ذر والمقداد وأصراهم؟

و «سوف يأتي الله بقوم» ينافي أنهم حضور، وأنهم ليسوا قوماً بل هم أشخاص!.

إنهم أركان الدولة المهديّة العالمية بقيادة القائم بأمر الله عجل الله تعالى فرجه الشريف، حيث

الثلاثمائة والثلاثة عشر من أصحاب ألويته هم أخلص المخلصين من أصحاب النبيين، كما وأن

العشرة آلاف من جنوده البواسل هم الخالصاء المتبلورة على مدار الزمن الرسالي، وقد يقودهم

الرسول صلى الله عليه وآله بعد صاحب الأمر، وأئمة الهدى عليهم السلام بعده إلى يوم القيامة،

وهذا هو المعني من قولهم «دولتنا آخر الدول ولن يبق أهل بيت لهم دولة إلّا ولّوا قبلنا حتى لا يقول

أحد إنا لو وُلينا لعدلنا مثل هؤلاء» وهم المعنيون من «العاقبة للمتقين» و «ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون. إن في هذا لبرهاناً لقوم عابدين. وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» (٢)

«وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون» (٣).

(١)

(. تفسير البرهان ١ : ٤٧٩ في نهج البيان المروي عن الباقر والصادق عليهما السلام ان هذه الآية نزلت في علي عليه السلام.

ومن طريق اخواننا في كتاب العمدة لابن بطريق ص ١٥١ عن الثعلبي في تفسير الآية قال : علي بن أبي طالب عليه السلام، وروى الحاكم في المستدرک ٣ : ١٣٢ بسند متصل عن عمرو بن ميمون قال : اني جالس عند ابن عباس إذ أتاه تسعة رهط فقالوا يا ابن عباس إما أن تقوم معنا وإما ان تخلوينا من بين هؤلاء قال فقال ابن عباس بل أنا اقوم معكم- الى أن قال- : فجاء ينفض ثوبه ويقول : أف وتف في رجل له بضع عشرة فضائل ليست لأحد غيره وقعوا في رجل قال له النبي صلى الله عليه و آله لأبعثن رجلاً لا يحزيه الله أبداً يجب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فاستشرف لها مستشرف فقال : ابن علي فقالوا انه في الرحي يطحن قال : وما كان احدهم ليطحن، قال : فجاء وهو أرمد لا يكاد يبصر، قال : فنفت في عينيه ثم هز الراية ثلاثاً فاعطاها إياه فجاء علي بصفية بنت حيي قال ابن عباس ثم بعث رسول الله صلى الله عليه و آله فلاناً بسورة التوبة فبعث علياً خلفه فأخذها منه وقال : لا يذهب إلا رجل هو مني وأنا منه إلى آخر الحديث، أقول : ومن اخرج حديث الراية النيسابوري في تفسيره ٦ : ١٤٣ بهامش الطبري وأبوحيان الأندلسي في تفسير المحيط ٣ : ٥١١ والمتقي الهندي في

كتر العمال ٥ : ٤٢٨

(٢). ٢١ : ١٠٧

(٣). ٢٤ : ٥٥

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٧١

أجل، فلا تنطبق هذه المواصفات الست ب «سوف يأتي الله بقوم» إلّا على ذلك القوم القائمين في آخر الزمان بأمر الله بقيادة القائم المهدي من آل محمد عليهم السلام، ومنهم المعصومون من هذه الرسالة قائدين، والمخصوصون بكرامة الله مقودين.

ذلك، وقد يروى عن الرسول صلى الله عليه وآله في تفسير هذه المواصفات معنوياً مثل قوله «لا يحقرن أحدكم نفسه أن يرى أمر الله فيه يقال فلا يقول فيه مخافة الناس فيقال إياي كنت أحق أن تخاف» (١).

ومصداقياً مثل الإمام علي عليه السلام والقائم المهدي عليه السلام بأصحابه وزمرته الحاكمة في دولته (٢).

(١). الدر المنثور ٢ : ٢٩٣ وفيه عن أبي ذر قال امرني رسول الله صلى الله عليه وآله بسبع بحب المساكين وان ادنوا منهم وان لا أنظر إلى من هو فوقى وان اصل رحمي وان جفاني وان أكثر من قول لا حول ولا قوة إلّا بالله فإنها من كنز تحت العرش وان أقول الحق وإن كان مرأً ولا أخاف في الومة لأثم وأن لا أسأل الناس شيئاً وفيه عن عباد بن الصامت قال باعنا النبي صلى الله عليه وآله على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكروه، وعلى اثرة علينا وأن لا ننزع الأمر أهله وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم، وفيه أخرج احمد عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ألا لا يمنع أحدكم رهبة الناس أن يقول الحق إذا رآه وتابعه فانه لا يقرب من اجل ولا يباعد من رزق ان يقول بحق أو ان يذكر بعظيم

(٢). نور الثقلين ١ : ٦٤١ في تفسير القمي في الآية قال : هو مخاطبة لأصحاب النبي صلى الله عليه وآله الذين غضبوا آل محمد حقهم وارتدوا عن دين الله فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه، نزلت في القائم وأصحابه الذين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم وفي الجمع عن علي عليه السلام أنه قال يوم البصرة : والله ما قوتل أهل هذه الآية حتى اليوم وتلا هذه الآية، وروى أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره بالاسناد عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة ان رسول الله قال : يرد علي يوم القيامة رهط من اصحابي فيجلون عن الحوض فأقول يا رب اصحابي فيقال : انك لا علم لك بما احدثوا بعدك انهم ارتدوا على ادبارهم القهقري.

أقول : علّ «لا علم لك» سؤال تقرير انه كان يعلم ويقول هذا ليرز الحق بلسان الحق.

وفي تفسير البرهان ١ : ٤٧٨ محمد بن إبراهيم النعماني بسند متصل عن سليمان بن هارون العجلي قال سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول : ان صاحب هذا الأمر محفوظ له لو ذهب الناس جميعاً اتى الله بأصحابه وهم الذين قال الله عز وجل : «فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين» وهم الذين قال الله : «فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ...».

وفيه عن تفسير العياشي عن سليمان بن هارون قال قلت له ان بعض هؤلاء العجلة يزعمون ان سيف رسول الله صلى الله عليه وآله عند عبد الله بن الحسن فقال والله ما رأى هؤلاء ولا أبوه بواحدة عن عينيه إلا أن يكون أراه أبوه عند الحسين عليه السلام وان صاحب هذا الأمر محفوظ له فلا تذهبن يميناً ولا شمالاً فان الأمر واضح والله ولو ان اهل السماء والأرض اجتمعوا على ان يحولوا هذا عن موضعه الذي وضعه الله فيه ما استطاعوا ولو ان الناس كفروا جميعاً حتى لا يبقى أحد لجاء الله لهذا الأمر بأهل يكونون من أهله ثم قال : أما تسمع الله يقول : «يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه ...» وقال في آية أخرى : فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين، ثم قال : ان هذه الجماعة هم أهل هذه الآية

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٧٢

ذلك، ومن لطيف الوفق القاصد بين الجهاد والمسلمين بمختلف صيغهما أن كلاً ذكر في الذكر الحكيم «١» مرات عدة متساوية، مما يلمح أن الإسلام لله هو الجهاد في الله، وكما وصف المسلمون هنا- كأهم وصف- ب «بجاهدون في سبيل الله»!

«إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون» «٢» «ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون» «٣» :

هذه الآية هي من عداد الآيات البينات التي يستدل بها على الولاية الرسالية للإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام بعد الرسول صلى الله عليه وآله فإن خلافته المعصومة وولايته إستمرارية للرسالة القدسية المحمدية صلى الله عليه وآله.

ونحن في هذا الفرقان لسنا لنفسر الآيات بالصيغة المذهبية الخاصة تحمياً على القرآن ما لا يتحملة، إنما نستنبط من القرآن بصورة مجردة ما يعينه، وافق مذهبنا أم خالفه في أي حقل من حقول المعرفة القرآنية.

هنا «إنما» تحصر الولاية المعنية من «وليكم» والمخاطبون هم كل المرسل إليهم في هذه الرسالة السامية، فولاية الله معلومة أنها طليق الولاية تكوينية وتشريعية وشرعية أماهيه، وولاية الرسول هي الولاية الطليقة الشرعية حسب ما تحدده آيات ولايته صلى الله عليه وآله كـ «الني أولى بالمؤمنين من أنفسهم...» «٤»

و «اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الأمر منكم» «٥»

وما أشبه، فليست له ولاية تكوينية ولا تشريعية لاختصاصهما بساحة الربوبية القدسية.

وأما «الذين آمنوا» فتراهم كل المؤمنين المأمورين - فيمن أمروا - بهذه الولاية؟

وكيف يوالي المؤمن نفسه إلّا حباً لنفسه هو طبيعة الحال لحد محبور، ولا يحتاج إلى امر وتحريض، بل الأوامر تترى على حدّ يحدد تلك المحبة بما ليس من المحذور، إضافة إلى أن مواصفة أهل الولاية هنا بـ «الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون» لا

(١). ٤١

(٢). سورة المائدة - آية ٥٥

(٣). سورة المائدة - آية ٥٦

(٤). ٣٣ : ٦

(٥). ٤ : ٥٩

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٧٣

تختص هذه الولاية المنحصرة بهؤلاء الموصوفين، فالمؤمن الأعرف الأتقى ممن يؤتي الزكاة راعياً إن لم تنفق له هذه الزكاة فزكى ساجداً أم قائماً أم في غير صلاة، هو خارج عن هذه الولاية المنحصرة التي تضاهي ولاية الرسول صلى الله عليه وآله أو تساويها!

ومن خصوص هم من أهل هذه الولاية الخاصة لا - فقط - لصلاتهم وزكاتهم حالة الركوع، بل لصلاحية أخرى كصلاح الرسول صلى الله عليه وآله لم يكشف عنها النقاب هنا صراحاً، وقد نعرف أنها صلاحية تتلو الرسالة لحد يتحمل صاحبها ولاية الرسالة.

إن الولاية العامة بين المؤمنين بالنسبة لبعضهم البعض تحملها أمثال :

«المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن بالمعروف والنهي عن المنكر» (١)

وهي ولاية المحبة والمناصرة، ومن قضاياهما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والولاية الشرعية بينها- وهي لمدراء الشريعة- ليست ولاية مطلقة.

أما الولاية الخاصة وهي الشرعية المطلقة فهي محصورة في الرسول صلى الله عليه وآله بعد الله، ثم الذين يحملون رسالة العصمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وهم الخلفاء المعصومون عليهم السلام.

فلنتظن في ذلك العنوان المشير في آيتنا أنه إلى من يشير، بعدما نعرف أن المشار إليه هو من المخصوصين بولاية العصمة، غير المنطبقة على أحد من الأمة الإسلامية بعد الرسول صلى الله عليه وآله إلا المتفق بينهم على أنه لم يخطأ ولن.

إنه حسب متواتر الحديث عن الرسول صلى الله عليه وآله وأئمة أهل بيته عليهم السلام هو الإمام على عليه السلام والأئمة من ولده المعصومين عليهم السلام في التأويل «٢».

(١)

٧١ : ٨ .(

(٢). نور الثقلين ١ : ٦٤٣ في أصول الكافي بسند متصل عن ابي عبد الله عليه السلام في هذه الآية قال : إنما يعني أولى بكم وأحق بكم وبأموركم من انفسكم وأموالكم الله ورسوله والذين آمنوا يعني علياً وأولاده الأئمة عليهم السلام الى يوم القيامة ثم وصفهم الله عزوجل فقال : الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راعون وكان أمير المؤمنين في صلاة الظهر وقد صلى ركعتين وهو راع وعليه حلة قيمتها الف دينار وكان النبي صلى الله عليه وآله اعطاه اياها وكان النجاشي اهداها له في رسائل فقال :

السلام عليك يا ولي الله وأولى بالمؤمنين من أنفسهم تصدق على مسكين فطرح الحلة اليه وآوى بيده أن احملها فأنزل الله عزوجل فيه هذه الآية وصيرة نعمة اولاده بنعمته وكل من بلغ من اولاده مبلغ الامامة يكون بهذه النعمة مثله فيتصدقون وهم راعون والسائل الذي سأل امير المؤمنين عليه السلام من الملائكة والذين يسألون الأئمة من اولاده يكونون من الملائكة.

وفيه ٦٤٦ عن زرارة عن ابي جعفر عليهما السلام في الآية يعني الأئمة منا، اقول : وقد تواترت الرواية عنهم عليهم السلام أن المعني من «الذين آمنوا» هم الأئمة عليهم السلام كلهم التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٧٤ وهو شخصه في التزويل «١» فليست هذه الولاية- المختصة بعد الرسول صلى الله عليه وآله بالذين آمنوا

(١). الدر المنثور ٣ : ٢٩٣- اخرج الخطيب في المتفق عن ابن عباس قال : تصدق علي عليه السلام بخاتمته وهو راعع فقال النبي صلى الله عليه وآله للسائل من أعطاك هذا الخاتم ؟ قال : ذاك الراكع فأنزل الله «إنما وليكم الله...» وأخرج عبدالرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس في الآية قال : نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام، واخرج الطالب في الأوسط مردويه عن عمار بن ياسر قال وقف بعلي سائل وهو راعع في صلاة تطوع فتزع خاتمته فأعطاه السائل فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله فأعلمه ذلك فنزلت على النبي صلى الله عليه وآله هذه الآية فقرأها رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله على أصحابه ثم قال : من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، واخرجه أبو الشيخ وابن مردويه عن علي بن ابي طالب عليه السلام وفيه مثله عن سلمة بن كهيل ومجاهد، وفيه أخرج ابن مردويه من طريق الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس قال اتى عبدالله بن سلام ورهط معه من اهل الكتاب نبي الله صلى الله عليه وآله عند الظهر فقالوا يا رسول الله صلى الله عليه وآله ان بيوتنا قاصية لا نجد من يجالسنا ويخالطنا دون هذا المسجد وان قومنا لما رأونا قد صدقنا الله ورسوله وتركنا دينهم أظهروا العداوة وأقسموا أن لا يجالطونا ولا يؤكلونا فشق ذلك علينا فبينما هم يشكون ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وآله إذ نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله «انما وليكم الله...» ونودي بالصلاة صلاة الظهر وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : أعطاك أحد شيئاً؟ قال : نعم، قال : من؟ قال : ذاك الرجل القائم، قال : على أي حال أعطاكه؟ قال : وهو راعع، قال : وذاك علي بن أبي طالب فكبر رسول الله صلى الله عليه وآله عند ذلك وهو يقول : «ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون» وفيه أخرج الطبراني وابن مردويه وابو نعيم عن ابي رافع قال : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو نائم يوحى إليه فاضطجعت بين الحية وبين النبي صلى الله عليه وآله

وآله لئن كان منها سوء كان في دونه فمكث ساعة فاستيفظ النبي صلى الله عليه وآله وهو يقول :
«أما وليكم الله...» الحمد لله الذي أتم لعلي نعمه وهياً لعلي بفضل الله إياه.

ذلك وقد اخرج المرجع الديني السيد شهاب الدين المرعشي النجفي في ملحقات إحقاق الحق ج ٢ :
٣٩٩ : ٤٠٨ نزول هذه الآية في الإمام علي عليه السلام عن واحد وثلاثين مصدراً قائلًا ان هذه ما
حضرتنا من المصادر وهناك شيء كثير مما ليس عندنا، والمصادر المذكورة كالتالية :

رواه جامع الأصول ٩ : ٤٧٨ عن الجامع بين الصحاح الست للشيخ ابي الحسن رزين بن معاوية بن
عمار العيدري الأندلسي السرقسطي، ومحب الدين الطبري في ذخائر العقبى ٨٨ والآلوسي في روح
المعاني ٦ : ١٤٩ قائلًا : وغالب الأخبارين على إنها نزلت في علي كرم الله وجهه، والشوكاني في فتح
القدر ٣ : ٥٠ وابن حيان في البحر المحيط ٣ : ٥١٣ والواحي النيسابوري في أسباب النزول ١٤٨
والسيوطي في لباب النقول ٩٠ وابن الجوزي في التذكرة ١٨ والثعلبي مسنداً الى ابي ذر الغفاري
خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي قائم يصلي ومعه خاتم، وفي المسجد سائل فقال رسول
الله صلى الله عليه وآله هل اعطاك أحد شيئاً؟ فقال : نعم ذلك المصلي هذا الخاتم وهو راعع فكبر
رسول الله صلى الله عليه وآله ونزل جبرائيل عليه السلام يتلو هذه الآية فقال حسان بن ثابت :

من ذا بخاتمته تصدق راععاً واسرها في نفسه اسراراً
من كان بات على فراش محمد ومحمد أسرى يوم الغارا
من كان في القرآن سمعي مؤمناً في تسع آيات تلين غزاراً

والشبلنجي في نور الأبصار ١٠٥ وفي كتاب المباهلة نقلًا عن كتاب كفاية الطالب للكنجعي الشافعي
١٠٦ و ١٢٢ نزول الآية في علي عليه السلام ومن قوله فيه : هكذا ذكره حافظ العراقي في مناقبه
وتابعه الخوارزمي ورواه الحافظ محدث الشام بطريقين والبيضاوي في انوار التنزيل ١٢٠ والطبري في
التفسير ٦ : ١٦٥ والخطيب البغدادي في تفسيره ١ : ٤٧٥ والنفسي المطبوع بهامش تفسير الخازن ١ :
٤٨٤ والقندوزي الحنفي في ينابيع المودة ١ : ١١٤ والزخشي في الكشاف ١ : ٣٤٧ قائلًا : فان قلت
كيف صح ان يكون لعلي رضي الله عنه واللفظ لفظ جماعة؟ قلت : جيء به على لفظ الجمع وان
كان السبب فيه رجلًا واحدًا ليرغب الناس في مثل هذه فعله فينا لو امثل ثوابه ولينته ان سجية
المؤمنين يجب ان تكون على مثل هذه الغاية من الحرص على البر والإحسان وتفقد الفقراء حتى إن

حجر العسقلاني في الكافي الشاف في تحريج احاديث الكشاف ٥٦ وفخر الدين الرازي في تفسيره ١٢ : ٢٦ ومنهم السيد رشيد رضا في المنار ٦ : ٤٤٢ ونظام الدين النيسابوري الأعرج في تفسيره بهامش تفسير الطبري ٦ : ١٤٥ واسماعيل بن كثير في تفسيره الشهير ٢ : ٧١ وابن بطريق في العمدة ٥٩ وأبوبكر الرازي في احكام القرآن ٣ : ٥٤٣ والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٦ : ٢٢١ والشيخ اسعد بن ابراهيم بن الحسين الأربلي في الأربعين حديثاً والترمذي في مناقب المرتضوي.

اقول : هذا طرف من أقوال اخواننا من محدثين ومفسرين وسائر المؤلفين، واما من طرق اصحابنا فكثير كثير نشير الى طرف منها يسير في طيات البحث عن الآية

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٧٥

هنا- تشمل كل المؤمنين، ولا هؤلاء الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راعون، فقد يروى أن عمر بن الخطاب قال : والله لقد تصدقت بأربعين خاتماً وأنا راعح لينزل في ما نزل في علي بن أبي طالب فما نزل «١».

ذلك! ولا تقبل هذه الولاية الخاصة من الولاية العامة إلأ الأولوية، حيث المحبة والمناصرة هما ولاية عامة بين المؤمنين ككل.

ولماذا هنا «الذين آمنوا» بصيغة عامة والقصد إلى شخص خاص أم أشخاص خصوص؟ حيث القصد جمع خاص هم في القمة العليا من الإيمان وهم ولاة الأمر المعصومون الإثنى عشر بعد النبي صلى الله عليه وآله، ولأن الحاضر منهم لم يكن إلأ علي عليه السلام مُعداً للولاية بعده صلى الله عليه وآله لذلك أشير إليه بذلك العنوان المشير : «الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راعون» ولكي يعرف منهم أولهم بذلك النص الجلي والحث العلي، كما وأن إيتاء الزكاة حال الركوع دليل باهر لا حول عنه على مدى سماحته وحنانه للفقراء لحد لا ينساهم في معراج ربه، نفسية عليّة عظيمة تجمع بين كامل الإتجاه إلى الله وكافل الرعاية

(١). نور الثقلين ١ : ٦٤٧ في امالي الصدوق عن ابي جعفر عليهما السلام في سرد القصة الى أن قال : فكبر النبي صلى الله عليه وآله وكبر اهل المسجد فقال النبي صلى الله عليه وآله علي بن ابي طالب عليه السلام وليكم بعدي، قالوا : رضينا بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد نبياً وبعلي بن ابي

طالب عليه السلام ولينا فأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ : «ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون» فروي عن عمر بن الخطاب : ..

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٧٦

لعباد الله، وهي مقام جمع الجمع الخاص بالخصوص من عباد الله، حيث يجمع في حضنه كافة المعصومين الرساليين.

ذلك، وكما أنه ترغيب لرعاية السائلين وإجابتهم في كافة الأحوال حتى الصلاة التي لا مدخل فيها لغير الله.

فالداخلون في هذه الولاية المثلثة- الموحدة في أصلها، المتعددة في فصلها- أولئك هم حزب الله الغالبون «ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون» فلأن «وهم راعون» كعنوان مشير دلت على المعنيين من هذه الولاية الخاصة، فلا تتكرر هنا، إكتفاء ب «الذين آمنوا» تدليلاً على أن حملة هذه الولاية بعد الرسول صلى الله عليه وآله هم جمع أشير إلى أولهم ولما يأت الآخرون.

فالقول إن وقوع الآية بعد آية النهي عن ولاية اليهود والنصارى قد تحوّل تلك الولاية إلى عامتها بين عامة المؤمنين، معاكسة للولاية المحظورة بالولاية المحبورة، إنه مردود أولاً بان السياق- إن كان- ليس ليعارض النص المقيّد للولاية هنا بغير النصرة والمحبة، وأن وقوع هذه بعد تلك في ترتيب التأليف لا يدل على أنها واقعة بعدها- كذلك- في ترتيب التنزيل.

ذلك، والولاية المنهي عنها في السابقة تعم سائر الولاية إلى ولاية السلطة، بل هي المقصودة العليا من سلبية الولاية، فإن ولاية الحب هنا منفية بقضية الإيمان، وولاية النصرة هي عوان بينهما.

هذا، وحتى إن كانت هذه الآية نازلة بعد الناهية عن ولاية الكفار، فقد أريد بهذه الولاية خصوص السلطة والأولوية الحفيظة على كيان المؤمنين كيلا يتقلّوا إلى الكفار في أية ولاية، حيث السلطة المعصومة المستمرة منذ الرسول صلى الله عليه وآله إلى ما بعد إرتحاله هي العاصمة عن أمثال هذه الفلتات المدمرة المزججة الهدامة لصرح الإيمان فردياً وجماعياً.

فالمؤمنون- طول التاريخ- هم بحاجة إلى تحزب صامد دفعاً عن كل سلطة كافرة عليهم و «من يتول الله ورسوله والذين آمنوا» هكذا «فإن حزب الله هم الغالبون»

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٧٧

على سائر الأحزاب التي ليست فيها ولاية الله الموحدة المثلثة، وذكر «وليكم» هناك «ومن يتول» هنا مرة واحدة، دليل وحدة هذه الولاية المثلثة الزوايا.

ذلك، وكما القول إن لفظ الجمع لا يناسب عناية الفرد منه وهنا «الذين آمنوا...» فكيف تعني شخصاً واحداً علياً عليه السلام أم سواه، وقد قدمنا وجهاً له وكما نجد مجموعاً في القرآن عني منها الفرد بحسب المصداق كآية المباهلة في «أنفسنا وأنفسكم ونساءنا ونساءكم» و «تسرّون إليهم بالمودة»
«١»

والقصد إلى حاضر مصداقها وهو حاطب بن ابي بلتعة في مكاتبته قريشاً، و «يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل» «٢»

والقائل هو عبدالله بن أبي سلول، و «يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة» كما مضت قريباً والقصد - حسب ما في أسباب النزول - هو القائل نفسه.

ذلك، ومن السر في جمية التعبير هنا وهناك أن القصد في الكل هو إعطاء حكم كلي مهما كان حاضر المصداق واحداً، وحيث المعني من هذه الولاية الخاصة هم جمع المعصومين عليهم السلام، فقد كان من المفروض عنايتهم بصيغة الجمع، مهما كان العنوان المشير له مصداقاً واحداً اتفق عليه أنه هو علي أمير المؤمنين عليه السلام.

ولو كان التعبير بصيغة الجمع في أمثال هذه الموارد خلاف اللغة أو الفصاحة - وليس - فكيف اتفق أهل النقل على نقله دون أي نقد من القدامى، اللهم إلا شذاذ من المتأخرين والمتحذلقين المتذوقين بذوقية المذهبية والعصبية العمياء!

وهكذا قيلت لهم إن الصدقة بالخاتم لا تسمى زكاة؟ والزكاة في مصطلح القرآن هي كل ما ينفق في سبيل الله حالاً ومالاً، فرضاً أو ندباً وأفضلها ندبها في أهم حالات الصلاة.

فالزكاة بصورة طليقة هي ما تزكي الحال والمال، وتزكي الفرد والمجتمع، تزكي القلب والقالب، وقد جمعها كلها هذه الزكاة المؤتاه في ركوع الصلاة كماً وكيفاً وحالة وهالة قدسية.

ذلك كله في نصوص البيان ونصوعه العيان، ولكي لا يخفى على الخفافيش والمؤولين

(١). ٦٠ : ١

(٢). ٦٣ : ٨

تلك الولاية الخاصة، يؤمر الرسول عليه السلام بتبليغها يوم الغدير وقد بلغ بصراح القول : «ألست أولى بكم من أنفسكم قالوا بلى قال فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله ...» (١) وقد مضى شطر من البحث عنها على ضوء آية تكميل الدين وإتمام النعمة ويأتي شطر آخر على ضوء آية التبليغ. وفي رجعة أخرى إلى الآية فقد نجد «وليكم» دون «أولياءكم» تعني ولاية واحدة ثم «اللَّهُ» ومعه «رسوله والذين آمنوا» هم حملة هذه الولاية الواحدة المنحصرة فيهم ب «إنما» وحيث لا يصح الحصر لولاية المحبة والنصرة فيهم، فإنما هي ولاية الأولوية بالأنفس والأموال، فقد نتبين أنها هي مهمما كانت ولاية الله هي الأولى الأصيلة المفيضة إلى الآخرين، والمزيدة على ولايته في التكوين والتشريع وسائر الولايات الربانية.

(١)

(نور الثقلين ١ : ٦٤٢ في كتاب كمال الدين وتمام النعمة باسناده إلى سليم بن قيس الهلالي عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال في اثناء كلام له في جمع من المهاجرين والأنصار في المسجد أيام خلافة عثمان : فأشددكم الله عزوجل اتعلمون حيث نزلت «يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم» وحيث نزلت «ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة» قال الناس يا رسول الله صلى الله عليه وآله هذه خاصة في بعض المؤمنين ام عامة لجميعهم؟ فأمر الله عزوجل نبيه صلى الله عليه وآله ان يعلمهم ولادة أمرهم وان يفسر لهم من الولاية ما فسر لهم من صلاتهم وزكاتهم وصومهم وحجهم فنصبي للناس بغدير خم ثم خطب فقال : ايها الناس ان الله ارسلني برسالة ضاق بها صدري وظننت ان الناس يفتنون بها فأوعدني لأبلغنها أو ليعذبني ثم أمر فنودي الصلاة جامعة ثم خطب الناس فقال : ايها الناس اتعلمون ان الله عزوجل مولاي ومولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم؟ قالوا : بلى يا رسول الله، قال : قم يا علي فقامت فقال : من كنت مولاه فعلي مولاه ... فقام سلمان فقال : يا رسول الله صلى الله عليه وآله ولاء كماذا؟ فقال صلى الله عليه وآله : ولاء كولائي من كنت أولى به من نفسه فعلي أولى به من نفسه فأنزل الله تبارك وتعالى : اليوم اكملت لكم ...، وكبر رسول الله صلى الله عليه وآله وقال : الله اكبر تمام

نبوتي ونمام ديني دين الله عزوجل وولاية علي بعدي فقام أبوبكر وعمر فقالا يا رسول الله صلى الله عليه وآله هذه الآيات خاصة في علي عليه السلام فقال : بلى خاصة فيه وفي اوصيائي الى يوم القامية قالوا يا رسول الله بينهم لنا، قال صلى الله عليه وآله : علي اخي ووزير ووارثي ووصيي وخليفتي في امتي وولي كل مؤمن بعدي ثم ابني الحسن ثم ابني الحسين ثم تسعة من ولد الحسين واحد بعد واحد القرآن معهم وهم مع القرآن لا يفارقونه ولا يفارقهم حتى يردوا على حوضي، قالوا : اللهم نعم قد سمعنا ذلك وشهدنا كما قلت سواء وقال بعضهم : قد جفظنا جلّ ما قلت ولم نخفله كله وهؤلاء الذين حفظوا أخبارنا وأفاضلنا فقال علي عليه السلام صدقتم ليس كل الناس يتسارون في الحفظ.

وفيه في اصول الكافي بسند متصل عن احمد بن عيسى قال حدثني جعفر بن محمد عن جده عليهم السلام في قوله عزوجل «يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها» قال عليه السلام : لما نزلت «إنما وليكم الله ورسوله...» اجتمع نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد المدينة فقال بعضهم لبعض : ما تقولون في هذه الآية؟ فقال بعضهم : ان كفرنا بهذه الآية نكفر بسائر وان آمننا فان هذا ذل حين يسلط علينا ابن ابي طالب فقالوا : قد علمنا ان محمداً صلى الله عليه وآله صادق فيما يقول ولكننا نتولاه ولا نطيع علياً فيما امرنا، قال : فنزلت هذه الآية «يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها» يعرفون ولاية علي عليه السلام واكثرهم الكافرون بالولاية

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٧٩

فلو كانت الولاية المشتركة هنا مختلفة المعنى في المشتركين لكان المفروض إما «أولياءكم» أن تفرد الولاية لله ثم للآخرين تأمينا عن اللبس في معناها والمقام مقام الحصر. فما أفصحه تعبيراً وأبلغه تفسيراً أفراد الولاية بالذكر ثم عطف الرسول والذين آمنوا به دون فصل، وليست عناية غير ولاية الله للآخرين إلّا ثلثة في صرح الفصاحة وفتاً في عضد البلاغة. ومن الإحتضار بعد الإيلاس عن تلك الاحتمالات المختلفة المتخلفة عن شؤون الفصاحة والبلاغة القول إن «وهم راعون» لا يعني غاية الخضوع والتسليم لله، حيث الركوع في مصطلح القرآن والسنة هو الهيئة الخاصة لركن خاص من الصلاة، ولا يعبر عن غاية الخضوع والتسليم إلّا بالسجود حيث هو في وجه عام غاية الخضوع.

ثم «ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا» هنا هم «الذين آمنوا» كما هناك، فهم المعهودون في آية الولاية، «فإن حزب الله» وهم المتولون لله والآخرين «هم الغالبون» على كافة الأحزاب المتخلفة عن هذه الولاية الخاصة المنحصرة المفروضة على حزب الله.
ذلك، فكل خبر أو نظر يخالف المعنى الظاهر من هذه الآية معروض عرض الحائط «١».

(١). في الاحتجاج للطبرسي في رسالته ابي الحسن الثالث علي بن محمد الهادي عليهما السلام الى اهل الأهواز حين سأله عن الجبر والتفويض قال : اجتمعت الأمة قاطبة لا اختلاف بينهم في ذلك ان القرآن حق لا ريب فيه عند جميع فرقها فهم في حالة الاجتماع عليه مصيبون وعلى تصديق ما انزل الله مهتدون لقول النبي صلى الله عليه وآله لا تجتمع امتي على ضلالة فأخبر ان ما اجتمعت عليه الأمة ولم يخالف بعضها بعضاً هو الحق، فهذا معنى الحديث لا ما تأوله الجاهلون ولا ما قاله المعاندون من ابطال حكم الكتاب واتباع احكام الأحاديث المزورة والروايات المزخرفة اتباع الأهواء المردئة المهلكة التي تخالف نص الكتاب وتحقيق الآيات الواضحات النيرات ونحن نسأل الله أن يوفقنا للصلاة ويهدينا إلى الرشاد، ثم قال : فاذا شهد الكتاب بصدق خبر وتحقيقه فأنكرته طائفة من الأمة عارضته بحديث من هذه الأحاديث المزورة فصارت بانكارها ودفعتها الكتاب ضلالاً، وأصح خبر مما عرف تحقيقه من الكتاب مثل الخبر المجمع عليه من رسول الله صلى الله عليه وآله قل : اني مخلف فيكم خليفين كما الله وعترتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، واللفظة الأخرى عنه في هذا المعنى بعينه قوله صلى الله عليه وآله : اني تارك فيكم الثقيلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي وانهما لن يعترقا لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا، وجدنا شواهد هذا الحديث نصاً في كتاب الله مثل قوله : انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راعون، ثم اتفقت روايات العلماء في ذلك لأمر المؤمنين عليه السلام انه تصدق بخاتمته وهو راع فشكر الله ذلك له وانزل الآية فيه ثم وجدنا رسول الله صلى الله عليه وآله قد أبانه من اصحابه بهذه اللفظة «من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» وقوله صلى الله عليه وآله : علي يقضي ديني وينجز موعدتي وهو خليفتي عليكم بعدي، وقوله صلى الله عليه وآله : حين استخلفه على المدينة فقال يا رسول الله صلى الله عليه وآله أتخلفني على النساء والصبيان؟ فقال صلى الله عليه وآله : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة

هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي؟ فعلمنا ان الكتاب شهد بتصديق هذه الأخبار وافقت القرآن فلما وجدنا ذلك موافقاً لكتاب الله ووجدنا كتاب الله موافقاً لهذه الأخبار وعليها دليلاً، كان الاقتداء فرضاً لا يتعداه إلا أهل العناد والفساد، وفيه عن علي امير المؤمنين عليه السلام قال المنافقون لرسول الله صلى الله عليه وآله هل بقي لربك علينا بعد الذي فرض علينا شيء آخر يفترضه فنذكر فتسكن انفسنا إلى انه لم يبق غيره؟ فأنزل الله في ذلك «قل انما اعظكم بواحدة» يعني الولاية فانزل الله «انما وليكم ورسوله والذين آمنوا...» وليس بين الأمة خلاف انه لم يؤت الزكاة يومئذ وهم غير رجل واحد....

وعن تفسير الثعلبي بسند متصل عن عباية بن الربيعي قال حدثنا عبد الله بن عباس وهو جالس بشفير زمزم يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذ أقبل رجل معتم بعمامة فجعل ابن عباس لا يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وقال الرجل: قال رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له ابن عباس سألتك بالله من أنت؟ قال: فكشف العمامة عن وجهه وقال: ايها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا جندب بن جنادة البديري أبوذر الغفاري سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وآله بهاتين وإلا صمنا ورأيت بهاتين وإلا فعميتا يقول: علي قائد البررة وقاتل الكفرة منصور مخذول من خذله فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد فرفع السائل يده إلى السماء وقال: اللهم اشهداني سألت في مسجد رسول الله فلم يعطني أحد شيئاً وكان علي راکعاً فأومأ إليه بخصره اليمنى وكان يتختم فيها فأقبل السائل حتى اخذ الخاتم من خصره وذلك بعين النبي صلى الله عليه وآله فلما فرغ من صلاته رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم موسى سألك فقال: رب اشرح لي صدري، ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي. واجعل لي وزيراً من أهلي. هارون أخي. اشدد به ازري. واشركه في أمري، فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً: «سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون اليكما بآياتنا، اللهم وانا محمد نبيك وصفيك اللهم واشرح لي صدري ويسر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي علياً اشدد به ظهري، قال أبوذر: فما استتم رسول الله صلى الله عليه وآله الكلمة حتى نزل عليه جبرائيل الظهر فسأل سائل في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يعطني أحد شيئاً وكان علي راکعاً فأومأ إليه بخصره اليمنى وكان يتختم فيها فأقبل السائل حتى اخذ الخاتم من خصره وذلك بعين النبي صلى الله عليه وآله فلما فرغ من صلاته رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم موسى سألك فقال: رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني.

يفقهوا قولي. واجعل لي وزيراً من أهلي. هارون أخي. اشدد به ازري. واشركه في أمري، فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً : سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون اليكما بآياتنا، اللهم وانا محمد نبيك وصفيك اللهم واشرح لي صدري ويسر لي أمري واجعل لي وزيراً من اهلي علياً اشدد به من عند الله تعالى فقال : يا محمد اقرأ، قال، وما اقرأ؟ قال : اقرأ : «انما وليكم الله ...»

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٨٠

فقيلة البعض من المتعصبين «١» إن نزول الآية في علي مختلق لإجماع العلماء على أنه من الموضوعات، إنها قيلة عليّة خانقة مختلقة فالعين العوراء لاترى إلّا عوجاً والرجل العوجاء لا تعرج معراجاً.

كقيلة الآخر بعد تصديق متواتر الحديث على نزولها في علي عليه السلام حيث يترجرج

(١). هو المسمى بشيخ الاسلام ابن تيمية

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٨١

ويتمجمج في لجج غامرة من حجاجه الثمان اللجاج ولم يفضح بعد إلّا نفسه، ولا يرجى من إمام المشككين إلّا هذا «١» وهؤلاء هم المضطربون كالأرشية في الطوى البعيدة، بعيدة عن الصراط المستقيم والحجج البالغة، فأولئك هم من حرب الشيطان «ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون».

ولا بد أن يرأس حزب الله أعرفهم بالله وأعبدهم لله، وهو الرسول عليه السلام في زمنه ومن «الذين آمنوا ...» الخصوص هنا بعده صلى الله عليه وآله ولي بعد ولي يلي أمور حزب الله في مجمع القيادتين الروحية والزمنية، وكما يروى عن أمير المؤمنين عليه السلام : «والذين آمنوا ...» في هذا الموضوع هم المؤمنون على الخلاق من الحجج والأصياء في عصر بعد عصر «٢».

وهكذا يعد الله حزب الله، المواليين له للرسول وهؤلاء المؤمنين الخصوص، البالغين أعلى قمم الإيمان بعد الرسول، يعد من يتولاهم الإنطلاق من كافة العوائق والبوائق الساحقة الماحقة، مضمونة لهم الغلبة مهما غلبوا ظاهرياً حيث الحرب سجال.

أجل وقد «كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز. لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات

(١). هو الرازي في تفسيره ١٢ : ٢٦ : ٣١ فانه بعد سرد الحجج على نزول الآية في علي عليه السلام يذكر حججاً ثمان على عدم دلالة الآية على امامة علي عليه السلام بعد النبي ومنها الحجة السادسة : هب إنها دالة على امامة علي لكنها توافقنا على إنها عند نزولها ما دلت حصول الامامة في الحال لأن علياً ما كان نافة التصرف في الأمة حال حياة الرسول صلى الله عليه وآله فلم يبق إلا أن تحمل الآية على أنها تدل على أن علياً سيصير اماماً بعد ذلك ومتى قالوا ذلك فنحن نقول بموجبه ونحمله على امامته بعد ابي بكر وعمر وعثمان إذ ليس في الآية ما يدل على تعيين الوقت، أقول : هذه الولاية على اية حال ولاية منحصره فيمن نزلت الآية بحقه أيماً كان وقت حصولها، فكيف شاركه فيها متقدماً عليه هؤلاء الثلاثة، فهل ان الله نسيهم فاخص الولاية بشخص واحد ام هو نسواهم فنسبوه الى الجهل والنسيان!؟

(٢). نور الثقلين ١ : ٦٤٨ في كتاب الاحتجاج للطبرسي عن امير المؤمنين عليه السلام حديث طويل وفيه : والهداية هي الولاية كما قال الله عزوجل «ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون» وفيه في كتاب التوحيد باسناده الى عمار ابي اليقظان عن ابي عبد الله عليه السلام قال : يجيء رسول الله صلى الله عليه وآله يوم القيامة آخذاً بحجزة ربه ونحن آخذون بحجزة نبينا وشيعتنا آخذون بحجرتنا فنحن وشيعتنا حزب الله وحزب الله هم الغالبون والله يزعم أنها حجزة الإزار ولكنها اعظم من ذلك يجيء رسول الله صلى الله عليه وآله آخذاً بدين الله ونجىء نحن آخذين بدين نبينا ونجىء شيعتنا آخذين بديننا.

وفيه في تفسير العياشي عن صفوان قال : قال عبد الله عليه السلام لقد حضر الغدير اثني عشر الف رجل يشهدون لعلي بن ابي طالب فما قدر على اخذ حقه وان احدكم يكون له المال وله شاهدان فيأخذ حقه فإن حزب الله هم الغالبون في علي عليه السلام

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٨٢

تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون» (١).

ولمكان المشابهة بين حزب الله هنا في «رضي الله عنهم ورضوا عنه» وبين «قوم يحبهم ويحبونه» هناك، فكما أن أصحاب ألوية المهدي وجنوده هم من حزب الله حيث هم تحت راية ولي الله صاحب العصر وحجة الدهر عجل الله تعالى فرجه الشريف، كذلك أصحاب الامام علي عليه السلام العائشين تحت رايته في ولايته، وكما نزلت «يحبهم ويحبونه» في شأنهما. مسؤوليات الأئمة الولاية :

الأئمة الولاية المعصومون يحملون مسؤوليات الرسول صلى الله عليه وآله طبقاً عن طبق دونما جوار عنها ولا تحويل أو تبديل، فإنما هم الروايات المؤمنون عن الرسول صلى الله عليه وآله ف «اعلموا أنكم إن اتبعتم الداعي لكم سلك بكم منهاج الرسول، وكفيتم مؤونه الإعتساف، ونبذتم الثقل الفادح عن الأعناق» (٢)، «فلما أفضت إلي - الخلافة - نظرت إلى كتاب الله وما وضع لنا وأمرنا بالحكم به فاتبعته، وما استنّ النبي صلى الله عليه وآله فاقنته...» (٣).

«إنه ليس على الإمام إلا ما حمل من أمر ربه : الإ بلاغ في الموعدة، والاجتهاد في النصيحة، والإحياء للسنة، وإقامة الحدود على مستحقيها، وإصدار السهمان على أهلها» (٤) «ولكم علينا العمل بكتاب الله تعالى وسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله والقيام بحقه، والنعش لسنته» (٥). ذلك، وأولئك هم الذين «هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة، وباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعره المترّفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى، أولئك خلفاء الله في أرضه والدعاة إلى دينه» (٦).

مواصفاتهم :

«هم موضع سره، ولجأ أمره، وعيبة علمه، وموئل حكمه، وكهوف كتبه، وجبال دينه،

(١). ٥٨ : ٢٢

(٢). نهج البلاغة الخطبية ١٦٤ / ٣٠١

(٣). ٣٩٧ / ٢٠٣

(٤). ٢٠١ / ١٠٣

٣٠٤ / ١٦٧ . (٥)

٥٩٥ / ح ١٤٧ . (٦)

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٨٣

بهم أقام إنخاء ظهره، وأذهب إرتعاد فرائضه» (١).

و «لا يقاس بآل محمد صلى الله عليه وآله من هذه الأمة أحد، ولا يسوّى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً، هم أساس الدين وعماد اليقين، إليهم يفىء الغالي، وبهم يلحق التالي، ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة، الآن إذ رجع إلى الله، ونقل إلى منتقله» (٢).

«اين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا كذباً وبغياً علينا ... بنا يستعطي الهدى، ويستجلى العمى» (٣).

ف «نحن الشعار والأصحاب، والخزنة والأبواب، ولا تؤتى البيوت إلّا من أبوابها، فمن أتاها من غير أبوابها سمي سارقاً، فيهم كرائم القرآن، وهم كنوز الرحمان، إن نطقوا صدقوا، وإن صمتوا لم يسبقوا» (٤).

و «هم عيش العلم وموت الجهل، يخبركم حلمهم عن علمهم، وظاهرهم عن باطنهم، وحكمتهم عن حكم منطقتهم، لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه، وهم دعائم الإسلام، وولائج الإعتماد، هم عاد الحق إلى نصابه، وانزاح الباطل عن مقامه، وانقطع لسانه عن منيته، عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية، لا عقل سماع ورواية، فإن رواة العلم كثير، ورعاته قليل» (٥) - و «إن الله تبارك وتعالى طهرنا وعصمنا وجعلنا شهداء على خلقه، وحججاً على عباده، وجعلنا مع القرآن وجعل القرآن معنا، لا نفارقه ولا يفارقنا» (٦).

«ألا إن مثل آل محمد صلى الله عليه وآله كمثل نجوم السماء، إذا خوى نجم طلع نجم، فكأنكم قد تكاملت من الله فيكم الصنائع، وأراكم ما تأملون» (٧).

ثم «إن الأئمة من قريش، غرسوا في البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم، ولا تصلح الولاية من غيرهم» (٨).

علي هو المخصوص بكرامة النجوى :

(١). ٣٧ / ٣

(٢). ٣٨ / ٢

(٣). ٢٥٥ / ١٤٢

(٤). ٢٧٠ / ١٥٢

(٥). ٤٣٩ / ٢٣٧

(٦). مستدرك ١٨٣

(٧). ١٩٤ / ٩٨

(٨). ٢٥٥ / ١٤٢

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٨٤

يبدو أنهم كانوا يتنافسون متهافتين على تناجي الرسول صلى الله عليه وآله كل في شأن يخصه، ليسمعه بالإنفراد، وكأوسمة شرف، وهذا مما يخلق فوضى، وليس بإمكان الرسول صلى الله عليه وآله أن يقتسم أوقاته بين المتنافسين، وله مهام جماعية، وأوقاته الشريفة تعم الكل، فلا تصلح مناجاته إلا في صالح الأمة، وليتضح لهم مدى إهتمامهم بنجواه، لذلك كله يقرر الله ضريبة لمن يريد نجواه، كصدقة تصرف في صالح الأمة أيضاً فقال :

«يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهرك فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم» :

وذلك حينما أكثر الأغنياء مناجاة النبي عليه السلام وغلبوا الفقراء على المجالس عنده حتى كره الرسول صلى الله عليه وآله ذلك، واستطالة جلوسهم وكثرة مناجاتهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية، يأمرهم بالصدقة أمام المناجاة.

أما أهل العسرة فلم يجدوا فعفي عنهم، ولكن الأغنياء بخلوا، بين عاص في مناجاته دون صدقة، وبين من صن بها وترك مناجاته، فنزلت الآية راشقة بسهام الملام، ناسخة بحكمها حيث أحجم من كان دأبه الإقدام.

وفي هذا الأمر ونسخه تعظيم للرسول صلى الله عليه وآله ونفع للفقراء، وتمييز بين المخلص وغيره ودفع للتسكاثر عليه صلى الله عليه وآله من غير حاجة جماعية مدفوعة.

«ذلك خير لكم» كجماعة المسمين، فإنه لصالحكم جمعياً «وأطهر»: لقلوبكم، إذ تدل الصدقة أن النجوى بعدها خالصة لوجه الله، ولكن الفقير ماذا يصنع؟ هل يحرم لأنه فقير المال، فيصاف إليه فقر الحال؟ كلا: «فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم» غفران يخص المعدمين دون أن يعم الواجدين، مما يجاب الأمر بالصدقة في الدلالة على وجوبها، فإنها بين أمر وغفر، كما تجاوبه توبة الله عليهم إذ لم يفعلوا. ولقد تواترت الروايات أنه لم يعمل بهذه الآية إلا الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام «١» وعلى حدّ قوله: (ان في

(١). أوردته الثعلبي والواحدي وغيرهما من المفسرين والمحدثين، فمن ذلك ما يقوله الشيخ شرف الدين بعد نقل كثير من أخبار النجوى: «أعلم أن محمد بن العباس ذكر في تفسيره سبعين حديثاً من طريق الفريقين يتضمن ان المناجي للرسول صلى الله عليه وآله هو أمير المؤمنين عليه السلام دون الناس أجمعين» وأخرجه ابن بطريق في العمدة بأسانيد عن الثعلبي وابن المغازلي ورزين وغيرهم، وفي المستدرک عن أبي نعيم باسناده عن أبي صالح عن ابن عباس، وباسناده عن مجاهد وعلي بن علقمة عن علي عليه السلام وابن مردويه في المناقب بأربع طرق أحدها يرفعه إلى سالم بن أبي الجعد عن علي مثله، وفي الجمع بين الصحاح الستة قال ابو عبدالله البخاري وروى مثله، وعن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس مثله، والحافظ ابو نعيم في كتاب ما نزل من القرآن في علي بسنده عن ابن جريح عن عطاء عن ابن عباس، وعن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس، إلى غير ذلك من الأسانيد التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص: ١٨٥

كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي: آية النجوى ... كان عندي دينار فبعته بعشرة دراهم فكنت كلما ناجيت النبي صلى الله عليه وآله قدمت بين يدي درهماً، ثم نسخت، فلم يعمل بها أحد، فنزلت: «أشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات» «١».

ويروى عنه عليه السلام: ان آية النجوى ما كانت إلا ساعة ويروى عشر ليال، وهذه أوفق بفرصة الإمتحان، وغاية الإمتحان، وان ساعة ومثلها لا تكفي للمناجات عشر مرات «٢»! ويروى انه سأله صلى الله عليه وآله بين الآيتين عن عشر خصال «٣» فهل في ساعة واحدة عشر مراجعات في عشر نجوات تحمل كل واحدة استعلام خصلة؟!

فقد ناجاه صلى الله عليه وآله عشر مرات في هذه الفترة، فاستعلمه صلى الله عليه وآله عشر خصال، مما يثير العجب من مدى رغبته في نجواه لحدّ تصدق بكل ما له الذي استقرضه، نجوات تترى دونما انقطاع، رغم إهمال من سواه إشفافاً أن يقدموا بين يدي نجواهم صدقات، وليس في ذلك تنديد بالامة أجمع، إنما بمن كان يناجيه تبعاً ثم ترك أو ترك الصدقة قبل مناجاته إذ واصل فيها، واما من لم يكن يناجيه رعاية للمصلحة الجماعية، أو تقدماً للأصلح في نجواه، أو لم يحصل له سؤال هام يتطلب النجوى في هذه الفترة، أما بالنسبة لهؤلاء فلا «٤».

-
- (١). أخرج سعيد بن منصور وابن راهوية وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم وصححه عن علي عليه السلام قال : وفي بعض الأحاديث انه عليه السلام استقرض هذا الدينار لنجوى الرسول صلى الله عليه وآله
- (٢). أخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن علي عليه السلام قال : ويروى انه كان عشريال كما أخرجه ابن أبي حاتم عن مقاتل
- (٣). أخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد قال نهوا عن مناجاة النبي صلى الله عليه وآله حتى يقدموا صدقة فلم يناجيه إلا علي بن أبي طالب فإنه قدم ديناراً فتصدق به ثم ناجى النبي صلى الله عليه وآله فسأله عن عشر خصال ثم نزلت الرخصة
- (٤). أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس في الآية قال : ان المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله صلى الله عليه وآله حتى شقوا عليه فأراد الله أن يخفف عن نبيه فلما قال ذلك امتنع كثير من الناس وكفوا عن المسألة فأنزل الله بعد هذا «أشفقتم...» (الدر المنثور ٦ : ١٨٥)

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٨٦

فقد تبين هنا للعامل الوحيد بالآية فضيلتان : أنه ما ترك نجواه بل قد زاد فيها، وأنه الذي يحق أن يناجى الرسول عليه السلام بما فيها من صالح الامة الإسلامية لأنه باب مدينة علمه والصادر عنه، وكم له من ميزات أجمعت الامة عليها، وهذه منها «١» رغم ما نقم منه الناقمون لحدّ اضمروا عن اسمه فقالوا : (رجل من المهاجرين) واشركوا معه في هذه الكرامة غيره «٢» خلافاً لإجماع الرواة والمفسرين.

ولما ترك جماعة من المسلمين المناجاة خشية الإنفاق وخيّم عليهم الإشفاق : العناية المختلطة بخوف، نسخ الله تعالى حكم صدقة المناجاة شفقة عليهم ورحمة، وتاب عليهم، فاخصت الفضيلة في تطبيق الآية بالإمام علي عليه السلام لحد يسر منه الخليفة عمر «٣».

«ءَ أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تُفْعَلُوا وَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ اللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» :

فهنا «نجواكم» توحى بأنهم تناجوا الرسول بعد النهي ولم يقدموا صدقات وهكذا يوحى الإشفاق أيضاً فإنه عناية مختلطة بخوف، عناية في مناجاة الرسول صلى الله عليه وآله وخوف من الصدقات، وخوف من الله في تركها، فابتلوا بهذه البلية، ولو استمرت لكانت بلاءً لزاماً، ولكنه تعالى : (وضعها عنهم بعد أن فرضها عليهم برحمته ومته) وكما يروى عن الرسول صلى الله عليه وآله «٤».

(١)

(.) عنه عليه السلام يقول للقوم بعد موت عمر بن الخطاب : نشدكم بالله هل فيكم أحد نزلت فيه هذه الآية ... فكنت انا الذي قدم الصدقة، غيري؟ قالوا، «لا» وكما احتج به على أبي بكر بقوله عليه السلام فأنشدك بالله أنت قدم بين يدي نجواه لرسول الله صلى الله عليه وآله صدقة فناجاه وعاتب الله تعالى قوماً فقال : ءأشفتكم ... أم أنا؟ قال : بل أنت (نور الثقلين ٥ : ٢٦٥ عن الاحتجاج للطبرسي)

(٢). كما أخرجه ابن أبي حاتم عن مقاتل ينقل القصة إلى أن يقول : فأما أهل العسرة فلم يجدوا شيئاً وأما أهل الميسره فممنع بعضهم ماله وحبس نفسه إلا طوائف منهم جعلوا يقدمون الصدقة بين يدي النجوى ويزعمون أنه لم يفعل ذلك غير رجل من المهاجرون من أهل بدر فأنزل الله «ءأشفتكم ...» (الدر المنثور ٦ : ١٨٥)

(٣). تفسير روح البيان ٩ : ٤٠٦ - لاسماعيل حقي البروسي عن عمر رضي الله عنه : كان لعلي الله عنه ثلاث لو كانت لي واحدة منهن كانت أحب إلى من حمر النعم : تزويجه فاطمة رضي الله عنها واعطاء الراية يوم خيبر وآية النجوى

(٤). الاحتجاج للطبرسي عن النبي صلى الله عليه وآله حديث طويل في مكالمة بينه وبين اليهود وفيه : فأَنْزَلَ اللهُ عزوجل أَلَا يَكْلَمُونِي حَتَّى يَتَصَدَّقُوا بِصَدَقَةٍ وَمَا كَانَ ذَلِكَ لَنَبِيِّ قَطُّ (ثم ذكر صلى الله عليه وآله الآية وقال :) ثم وضعها عنهم بعد ان فرضها عليهم برحمته ومنه. (نور الثقلين ٥ : ٢٦٤)

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٨٧

لذلك تاب الله عليهم : ان غفر إذ لم يفعلوا، ونسخ الوجوب لكيلا يبتلوا، توبتان من الله عليهم، شرط أن يواصلوا في إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله، فتركوا الإثم والعدوان ومعصية الرسول المسبق ذكرها «والله خبير بما تعملون» من صالحات وطالحات.

فلم تكن المناجاة واجبة حتى يتوب الله عليهم في تركها، ولا الصدقة واجبة لولاها حتى يتوب عليهم إذ لم يقدموها، وإنما الواجب تقديم الصدقة عند المناجاة ولم يفعلوها :

«فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم» : ناجيتهم ولم تقدموا صدقات «فهل تكون التوبة إلا عن ذنب كما يروى عن صاحب النجوى عليه السلام» (١).

وكما أسلفناه لم تكن الخطيئة للجميع، وإنما للمجموع، أن جماعة من الأثرياء ضنوا بالعتاء وتناجوا، كما كانوا يضمنون بإفساح المجال للقادمين الفضلاء لمجلس الرسول صلى الله عليه وآله فونجهم الله تعالى، دون من ترك المناجاة لعل مسبقة، اللهم إلا إشفاق الصدقة، فتاب الله على من لم يفعل : الصدقة بعد المناجاة، أو لم يفعل المناجات خشية الصدقة، وتاب عليهم في فرض الصدقة ان نسخها. وإبدال صدقة النجوى بهذه الواجبات يوحي بأنها لم تكن من مهام الواجبات، ولا الأصيلة منها، بل هي إبتلائية، ولذلك نسخت إذ أطاقها المسلمون وأشفقوا منها، إلا أن طاعة الله والرسول هنا تربطهم برباط التنظيم في نجواهم، وأن يخرجوا عن فوضاها، والإستئثار بها دوناً ملزم أو مرجح، فكما الأفضل علماً وإيماناً يفسح له وينشز، كرامة للعلم والإيمان، فبأحرى يقدم الأفضل فيهما في مناجاة الرسول صلى الله عليه وآله.

(١). الخصال للصدوق في مناقب أمير المؤمنين وتعدادها قال : وأما الرابع والعشرون فإن الله أنزل على رسوله (وذكر آية النجوى والقصة ثم قال) : فوالله ما فعل هذا أحد من الصحابة قبلي ولا بعدي فأَنْزَلَ اللهُ عزوجل (وذكر الآية الناسخة ثم قال) : فهل تكون التوبة إلا عن ذلك؟ (نور الثقلين

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٨٨

علي نفس الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله القاعدة الرابعة لعرش الخلافة

الإسلامية

يرشدنا إلى هذه المنزلة الرفيعة منه صلى الله عليه وآله شهادة ربه في الذكر الحكيم وما تواتر عن الرسول الكريم.

آية المباهلة

«إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» (١).

مثل عيسى عند المغالين بحقه يختلف حقاً عن مثله عند الله، فهم يزعمونه ابن الله أو الله المتجسد في الناسوت، فهو من جوهرة الألوهية، ومثله عند الله «كمثل آدم خلقه من تراب...».

فإذا كان خلق المسيح خارقة أن لم يكن له والد، فخلق آدم خارقتان أن لم يكن له والدان، وإنما «خلق من تراب» خلق جسمه «ثم قال له كن» قولاً تكوينياً موجهاً إلى جسمه أن صار إنساناً فهو تكوين روحه من جسمه، وهذه عبارة أخرى عن «ثم أنشأناه خلقاً آخر» في تخليق بنيه.

وقد تكون «فيكون» بديلاً عن «فكان» إشارة إلى استمرارية هذه الكينونة الخارقة للمألوف، دون اختصاص بآدم، حيث ثني بالمسيح عليه السلام، ومن ثم في كافة الآيات المعجزات.

فإن كان المسيح لخلق دون أب إبتاً لله فليكن آدم المخلوق دون أبوين أخاً لله، وإن كان المسيح لذلك هو الله فليكن آدم أباً لله، سبحانه وتعالى عما يشركون، ثم وإن كان المسيح يستحق الولادة مجازياً تشريفاً، فليشرف آدم بسمه الأخوة لله.

ذلك! ولا يصح المجاز إلا فيما يمكن حقيقته، وإذ ليس بالإمكان ابن أو أخ لله، فلا

(١). سورة آل عمران- آية ٥٩

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٨٩

تشريف- إذأ- بمجاز وسواه، حيث المجاز هو الحقيقة المجاز إذ يجوز اللفظ ويعبر منه إلى ما يشابهه.

تنزل هذه الآية جواباً عما سأله جماعة من أهل نجران «هل رأيت مثل عيسى أو أنبتت به؟» «١» فقد تحمل إجابة وافية قاطعة لأعداء مؤلّهي المسيح ومبتغييه، ومختلفي انتساب آدم من إنسان أم ارتقاءً من حيوان!.

وذلك التساءل حدث بعد ما كتب النبي صلى الله عليه وآله إلى أهل نجران يدعوهم فيه إلى الإسلام «٢».

وهنا المماثلة بين آدم والمسيح عليهما السلام ليست إلّا في فقد الأب، ثم يختص آدم بفقد الأم أيضاً وخلقها رأساً من تراب، وقد نابت النطفة الرجولية في خلق المسيح مناب اللقاح الرجولي، أن خلقها الله تعالى دون صلب وألقاها نفخاً إلى رحم البتولة العذراء وكما فصلناه في سورة مريم، وآدم خلق دوغماً صلب ورحم أو نطفة!.

(١)

(. الدر المنثور ٢ : ٣٧ - أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق العرفي عن ابن عباس من أهل نجران قدموا على النبي صلى الله عليه وآله وكان فيهم السيد والعاقب فقالوا : ما شأنك تذكر صاحبنا قال : من هو؟ قالوا : عيسى تزعم أنه عبد الله قال : أجل إنه عبد الله قالوا فهل رأيت ... فجاء جبرئيل فقال : قل لهم إذا أتوك : إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم ... وفيه عن قتادة أنهما نبي الله فسألاه عن عيسى فقالا : كل آدمي له أب فما شأن عيسى لا أب له فأنزل الله فيه هذه الآية.

وفيه أثاره صلى الله عليه وآله منهم أربعة من خيارهم فسألوه ما تقول في عيسى قال : هو عبد الله وروحه وكلمته قالوا هم : لا ولكنه هو الله نزل من ملكه فدخل في جوف مريم ثم خرج منها فأرانا قدرته وأمره فهل رأيت إنساناً خلق من غير أب فأنزل الله هذه الآية

(٢). أخرج البيهقي في الدلائل من طريق سلمة بن عبد يسوع عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وآله كتب إلى أهل نجران قبل أن ينزل عليه طس سليمان : بسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب من محمد رسول الله إلى أسقف نجران إن أسلمتم فإني أحمد الله إليكم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب أما بعد فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، أدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد فإن أبيتتم فقد أذنتم بحرب والسلام، فلما قرء الأسقف الكتاب فضع به وذعر ذعراً شديداً فبعث إلى

رجل من أهل نجران يقال له شر حبيل بن وداعة فدفع إليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله فقرأ فقال له الأسقف ما رأيك؟ فقال شر حبيل: قد علمت ما وعد الله تعالى إبراهيم في ذرية إسماعيل من النبوة فما يؤمن أن يكون هذا الرجل نبياً وليس لي في النبوة رأي لو كان أمر من أمر الدنيا أشرت عليك فيه وجهدت لك فبعث الأسقف إلى واحد بعد واحد من أهل نجران فكلهم قال مثل قول شر حبيل فاجتمع رأيهم على أن يبعثوا شر حبيل وعبد الله ابنه وحيار بن قنص فيأتوهم بنجر رسول الله صلى الله عليه وآله فأنطلق الوفد حتى أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله فسألهم وسألوه فلم تنزل به وبهم المسألة حتى قالوا: ما تقول في عيسى بن مريم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله ما عندي فيه شيء يومي هذا فأقيموا حتى أخبركم بما يقال لي في عيسى صبح الغداة فأنزل الله هذه الآية إلى «فنجعل لعنة الله على الكاذبين» فأبوا أن يقرؤا بذلك فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله الغد بعد ما أخبرهم الخبر أقبل مشتملاً على الحسن والحسين في خميلة له وفاطمة تمشي عند ظهره للملاعنة...»

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص: ١٩٠

«الحق من ربك فلا تكن من الممترين» (١).

أترى أن رسول الهدى إمترى في الحق من ربه، ومنه مثل عيسى في خلقه حتى يخاطب ب «فلا تكن من الممترين»؟ طبعاً لا وألف كلاً، فإنما ذلك التعبير هو قضية الموقف حيث المتساثلون لم يكونوا ليسكتوا عن قبلاهم، وكأن ذلك المثل لا يحمل حقاً من الله. لذلك يخاطب الرسول صلى الله عليه وآله من باب «إياك اعني واسمعي يا جارة» تأكيداً لحق الجواب، حسماً لكل مربة هي بعيدة عن جادة الصواب.

فهو- إذاً- ك «لئن أشركت ليحبطن عملك»- «ولا تكونن من المشركين» وكيف يجوز الإمتراء والشك والشرك على من باشر برد اليقين وتلقى عن الروح الأمين ... أو أن الخطاب في «ربك» ليس ليختص بمن لا يمتري، بل هو كل من يجوز في حقه الإمتراء وهو كل مخاطب سامع للبرهان من المكلفين كائناً من كان، فهو خطاب الأفراد شاملاً كل الأفراد على سبيل الأبدال فيشمل الذين قالوا- فيما غالوا بحق المسيح عليه السلام- إنه الله أو إبن الله، ف «الحق» كله «من ربك» الذي رباك يا رسول الهدى، وكل من يصح خطابه، دون الغالين الدجالين «فلا تكن من الممترين» بحق الحق، ولا تمار فيه مجادلاً عن الباطل، ومحاجاً ضدَّ الحق، وقد فعلوا فنزلت آية المباهلة.

ووجه ثالث- علّه معني مع الأولين- أن ليس الإمتراء هو الشك فقط بل وهو المماراة والمجادلة بشأن الحق الجلي مع من لا يخضع لبرهان، فلماذا- إذأ- المماراة مع المعاندين «فلا تكن من الممترين» فكل أمرك إلى رب العالمين مع من حاجك حول الحق اليقين، الناصح الأمين :

«فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَابْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ» (٢).

هذه من غرر الآيات بشأن الغر الكرام من آل الكساء عليهم السلام، حيث تعبر عن علي عليه السلام ب

(١). سورة آل عمران- آية ٦٠

(٢). سورة آل عمران- آية ٦١

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٩١

«أنفسنا» وعن فاطمة عليها السلام ب «نساءنا» وعن الحسنين عليهما السلام ب «أبناءنا» مما يدل على أخص الإختصاصات لهؤلاء بالرسالة القدسية المحمدية صلى الله عليه وآله.

هنا «من بعد ما جاءك من العلم» دون «ما أوحينا إليك» يحمل توسيعاً لدائرة العلم، فهو علم الوحي بعد العلم العقلي وقد حصلنا معاً بتلك المماثلة في «إن مثل عيسى ...».

وذلك مما يؤكد عدم عناية الشك من إمتراءه صلى الله عليه وآله لو أنه المخاطب ب «فلا تكن من الممترين».

«فمن حاجك فيه» في الحق من ربك، الذي لا مرية فيه ولا ريبة تعترية «فقل تعالوا ...» وهذه دعوة صارحة صارخة في هذه الإذاعة القرآنية إلى مباهلة الكاذبين المصيرين على كذبهم بعد صراح الحق المبين، فقد تجوز المباهلة وتفيد حين تتوفر شروطها «١»، إذ ليس الحق ليقف مكتوب الأيدي أمام الناكرين المكذبين، فإما تقبله ببرهان أم دخول في لعنة الله على الكاذبين.

ولقد دعى الرسول صلى الله عليه وآله الذين كانوا يحاجونه في قصة المسيح عليه السلام إلى اجتماع حاشد من أعز الملاصقين من الجانيين، ليبتهل الجميع إلى الله في دعاء قاصع قاطع أن ينزل لعنته على الكاذبين فخافوا العاقبة وأبوا المباهلة «٢» وتبين الحق واضحاً وضح الشمس في رابعة النهار.

(١). نور الثقلين ١ : ٣٥١ عن أصول الكافي علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن محمد بن حكيم عن أبي مشرق (مسروق) عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت : إنا نكلم الناس فنحتج عليهم بقول الله عزوجل : «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولو الأمر منكم» فيقولون نزلت في امراء السرايا، فنحتج عليهم بقول الله عزوجل «إنما وليكم الله ورسوله...» فيقولون : نزلت في المؤمنين ونحتج عليهم بقول الله عزوجل «قل لا أسألكم عليه أجراً إلاً المودة في القربي» فيقولون : نزلت في قري المسلمين، قال : فلم ادع شيئاً مما حضرني ذكره من هذا أو شبهه إلاً ذكرته فقال لي : إذا كان كذلك فادعهم إلى المباهلة قلت : وكيف أصنع؟ قال : أصلح نفسك ثلاثاً. وأظنه قال : صم واغتسل. وأبرز أنت وهو إلى الجبان فشيك أصابعك من يدك اليمنى في أصابعه ثم انصفه وابدأ بنسك وقل : اللهم رب السماوات السبع ورب الأرضين السبع عالم الغيب والشهادة إن كان أبو مسترق جحد حقاً وادعى باطلاً فأنزل عليه حساباً من السماء وعذاباً أليماً، ثم رد الدعوة عليه فقل : وإن كان فلان جحد حقاً وادعى باطلاً فأنزل عليه حساباً من السماء أو عذاباً أليماً ثم قال لي : فإنك لا تلبث أن ترى ذلك فيه فوالله ما وجدت خلقاً يجيبني إليه

(٢). الدر المنثور ٢ : ٣٩- أخرج عبد الرزاق والبخاري والترمذي والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل عن ابن عباس قال : لو باهل أهل نجران رسول الله صلى الله عليه وآله لرجعوا لا يجدون أهلاً ولا مالاً

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٩٢

ولأن الابتهاال هو التأكيد في الدعاء- من البهل : الدعاء- وليس إلاً في مسرح الإضطرار، ولا أحق من حق الله عند أهله- حين ينكر ويكذب ولا ينفع الدليل- ان يستجاب في ابتهاال وقد وعد الله المضطرين الاجابة «أمن يجب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء».

وحين تستجاب الدعاء بحقنا فهلاً تستجاب بحق الحق ولا سيما من رسول الحق في هذه المعركة الصاخبة ومعه أخص أهله الطاهرين! والمدعوون في هذه المباهلة ثلاثة «أبناءنا وأبناءكم- نساءنا ونسائكم- أنفسنا وأنفسكم» يدعو كل من الطرفين أخصاءه الثلاثة، وقد «دعا رسول الله صلى الله عليه وآله- حسب متواتر الأثر- علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال : اللهم هؤلاء أهلي» (١).

(١). المصدر أخرج مسلم والترمذي وابن المنذر والحاكم والبيهقي في سننه عن بن أبي وقاص قال :
لما نزلت هذه الآية دعا رسول الله صلى الله عليه وآله ... وفيه أخرج ابن جرير عن علباء بن أحمر
اليشكري قال : لما نزلت هذه الآية أرسل رسول الله صلى الله عليه وآله إلى علي وفاطمة وابنيهما
الحسن والحسين ...
وأخرجه مثله الحافظ أحمد بن حنبل في مسنده ١٥ : ١٨٥ والطبري في تفسيره ٣ : ١٩٢ بطرق أربع ،
وأبو بكر الجصاص في أحكام القرآن ٢ : ١٦ قال : إن رواية السير لم يختلفوا في أن النبي صلى الله
عليه وآله أخذ بيد الحسنين وعلي وفاطمة ودعا النصارى الذين حاجوه إلى المبالهة ...
والحاكم في المستدرک ٣ : ١٥٠ وفي معرفة علوم الحديث ٥٠ ، والثعلبي في تفسيره كما في العمدة
لابن بطريق ٩٥ والحافظ أبو نعيم الأصبهاني في دلائل النبوة ٢٩٧ والواحدي النيسابوري في الباب
الزول ٧٤ وابن المغازلي الواسطي كما في العمدة لابن بطريق ٩٦ والبغوي في معالم التنزيل ١ : ٣٠٢
وفي مصابيح السنة ٢ : ٢٠٤ والزنجشيري في الكشف ١ : ١٩٣ وابن العربي الأندلسي في أحكام
القرآن ١ : ١١٥ والإمام الرازي في تفسيره ٨ : ٩٥ وابن الأثير في جامع الأصول ٩ : ٤٧ والذهبي في
تلخيصه المطبوع في ذيل مستدرک الحاكم ٣ : ١٥٠ وابن طلحة الشامي في مطالب السؤل ص ٧
وابن الأثير في أسد الغابة ٤ : ٢٥ وسبط ابن الجوزي في التذكرة ص ١٧ والقرطبي في الجامع
لأحكام القرآن ٣ : ١٠٤ والبيضاوي في تفسيره ٢ : ٢٢ والطبري في ذخائر العقبى ص ٢٥ ومسلم في
صحيحة من عدة طرق منها ج ٤ باب فضائل أمير المؤمنين عليه السلام في تفسير هذه الآية ورواه
الحميري في الجمع بين الصحيحين في مسند سعد بن أبي وقاص والثعلبي في تفسيره هذه الآية عن
مقاتل الكلبي وأخرجه في الدر المنثور نقلًا عن الحاكم وابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل عن جابر
عنه صلى الله عليه وآله والبيهقي في الدلائل من طريق سلمة بن عبد يشوع عن أبيه عن جده عنه
صلى الله عليه وآله وأبو نعيم في الدلائل من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وابن أبي
شيبه وسعيد بن منصور وعبيد بن حميد وابن جرير وأبو نعيم عن الشعبي والترمذي عن سعد عنه
صلى الله عليه وآله ومحمد بن جرير عن علباء بن أحمر اليشكري وروى ابن بطريق في العمدة ٩٥ :
٩٦ نزول هذه الآية فيهم بأسانيد من صحيح مسلم وتفسير الثعلبي ومناقب ابن المغازلي وابن الأثير في
جامع الأصول من صحيح مسلم عن سعد والبيضاوي في تفسيره ٢ : ٢٢ والطبري في ذخائر العقبى
٢٥ وفي الرياض النضرة ١٨٨ والنسفي في تفسيره ١ : ١٣٦ والمهاجمي في تبصير الرحمن وتيسير المنان

١ : ١١٤ والخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح ٥٦٨ والخطيب الشربيني في تفسير سراج المنير ١ : ١٨٢ والنيشابوري في تفسيره ٣ : ٢٠٦ والخازن في تفسيره ١ : ٣٠٢ وأبو حيان الأندلسي في البحر المحيط ٢ : ٤٧٩ وعماد الدين أبو الفداء بن كثير في تفسيره ١ : ٣٧ وفي البداية والنهاية ٥ : ٥٢ وابن الملك في مبارق الأزهار في شرح مشارق الأنوار للصنعائي ٢ : ٣٥٦ والعسقلاني في الاصابة ٢ : ٥٠٣ وفي الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف ص ٢٦ وابن الصباغ في الفصول المهمة ١٠٨ وملايعين الكاشفي في معارج النبوة ١ : ٣١٥ والسيوطي في تاريخ الخلفاء ١١٥ وفي الإكليل ٥٣ وفي الجلالين ١ : ٣٣ وابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة ١١٩ وأبو السعود أفندي في تفسيره ٢ : ١٤٣ والحلي في السيرة النبوية ٣ : ٣٥ وأبو السعود محمد أفندي العمادي في تفسيره، والشاه عبد الحق في مدارج النبوة ٥٠٠ والكشفي الترمذي في مناقب مرتضوي ٤٤ والشرواي في الاتحاف بحب الاشراف ٥ والشوكاني في فتح القدير ١ : ٣١٦ والآلوسي في تفسير روح المعاني ٣ : ١٦٧ والعلوي الحضرمي في رشفة الصادي ٣٥ وابن المغازلي في مناقبه كما في كفاية الخصام ٣٨٨ والسيد صديق حسن خان في كتاب حسن الأسوة ٣٢ السيد أحمد زيني دحلان في السيرة النبوة المطبوعة بهامش السيرة الحلبية، ٣ : ٤ وعياض المغربي في الشفاء ٢ : ٤١ والبيهقي في السنن الكبرى ٦٣ وابن تيمية في منهاج السنة ٣٤ والبرزنجي في مقاصد الطالب ١١ وأحمد بن حنبل في المسند ١ : ١٨٥ وسعيد بن محمد بن مسعود الشافعي في المنتقى في سيرة المصطفى ١٨٨ والشيخ أبو الحسن الكازروني في صفوة الزلال المعين والشيخ عبد الغني النابلسي الدمشقي في ذخائر الموارث ١ : ٢٢٦ والقرماني في أخبار الدول والشيباني في تيسير الوصول ٢ : ١٦٠ والقُدوسي الحنفي في سنن الهدى ٥٦٣ والنقشبذني في مناقب العترة ١٨٩ والشيخ حسن النجار في تحاف ذوي النجابة ١٥٤ والحسيني البصري في إنتهاء الأقسام ١٩٧ والشيباني في المختار في مناقب الأخيار ص ٣ والسيد صديق محمد حسنخان ملك بهونال في فتح البيان ٢ : ٥٥ والشيخ عبيد الله الأمر تسري في أرجع المطالب ٣٧ والسيد أحمد بن سودة الإدريسي في رفع اللبس والشبهات ٤٠ وخواجه خواندمير في علم الكتاب.

أقول : ذلك وإلى مثأت من الرواة والمصنفين والمفسرين (راجع ملحقات أحقاق الحق للمرجع الديني السيد شهاب الدين المرعشي النجفي ج ٣ ص ٤٦ - ٧٦ وج ٩ ص ٧١ - ٩١ ، تجد في خمسين صفحة من هذه الموسوعة بجرأ ملتطماً من الأحاديث حول آية المباهلة التي ذكرت علياً عليه السلام نفس الرسول صلى الله عليه وآله

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٩٣

ولأن المباهلة هي ذات جهتين : الدعاء، واستدعاء اللعن على الكاذب، فلا بد- إذأ- أن يكون الأبناء والنساء والأنفس المدعوون فيها من أعزهم وألصقهم بالداعين وأقربهم إلى الله إستجابة للدعاء.

فليس ضم الأبناء والنساء والأنفس إلّا لتأكيد الإستجابة والدلالة على الحق، ثقة بالحال وتصديقاً للمقال واستيفاء على خصومه بصدقه وكذبهم، حيث يستجره إلى تعريض أعزته وأفلاذ كبده. لقد خص هنا الأبناء والنساء بالدعوة لذلك المسرح الخطير لأنهم أعز الأهل وألصقهم بالقلب ولربما فداهم الرجل بنفسه وكل نفيسه.

لذلك كانوا في الحرب يسوقون مع أنفسهم الطعنين لتمنعهم من الهرب ويسمّون الذادة

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٩٤

عنها حماة الحقائق.

ثم خص أحض خواصه المعبر عنه هنا ب «انفسنا» رمزاً إلى أنه لنفسه المقدسة كأنه هو، ففديته مع نفسه في هذه المعركة الصاخبة تضحية لنفسه مرتين، كما أن فدية النساء والأبناء تمثل فدية أخرى ثالثة.

فآية المباهلة هي من أبرز الآيات الدالات على موقف الإمام علي عليه السلام المنقطع النظر مع البشير النذير، أن لو كان للرسول صلى الله عليه وآله أنفس أو نفس أخرى لكانت علياً عليه السلام دون من سواه، وقد أجمع المفسرون والمحدثون والحفاظ أنه لم يصاحبه صلى الله عليه وآله بعد ابنه الحسين وبنته فاطمة عليهم السلام إلّا عليّ صلوات الله عليه.

فلم يعن من أبناءه إلا سبطيه ولا من نساءه إلّا فاطمته ولا من نفسه إلّا عليّ، حيث لا يدعوا الإنسان- فيما يدعو- نفسه، اللهم إلّا من هو كنفسه، ولم يكن معه آنذاك من يمثل نفسه إلّا علي عليه السلام. وهنا تجاوب لا حول عنه بين الآية ومتواتر النقل، كل يؤيد الآخر ويتأيد هو الآخر بالآخر ... ف «قل» يا محمد لمن حاجك فيه «تعالوا ندع» نحن ندعوا أبناءنا ونساءنا وانفسنا وانتم تدعون كما ندعوا.

ولكن «ندع» في جانب الرسول واحد هو الرسول، وفي جانبهم جمع المحاجين، وليس «ندع» إلا اعتباراً بالطرفين وهما معاً- لا محالة- جمع مهما كان الطرف الأول مفرداً.

ف «ابناءنا» تعني اعز الأبناء في الجانبين دون تخليق على كل الأبناء، ولقد انحصروا في جانب الرسول صلى الله عليه وآله في الحسنين عليهما السلام، مما يبرهن على صحة انتساب ابناء البنات الى الجدود، كما نسب المسيح عليه السلام إلى ابراهيم «تلك حجتنا آتيناها ابراهيم ... ومن ذريته داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهارون ... وذكريا ويحيى وعيسى ...» (١) وهكذا

(١). ٦ : ٨٥

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٩٥

يستدل الذرية المعصومة بالذكر الحكيم أمام الناكرين (١).

فاختصاص سهم السادة بالمتنسين بالأب - فقط - الى رسول الله صلى الله عليه وآله خرافة لا تملك برهاناً من كتاب او سنة، بل هما يعارضان ذلك الإختصاص.

و «نساءنا» حيث تعني كل النساء الأهلات للانتساب اليه صلى الله عليه وآله دون خصوص الأزواج، نراهن أختصرن واحتصرن في قررة عينه وقلدة كبده فاطمة الزهراء سلام الله عليها، مما يبرهن على فضلها، وإنما تجمع في نفسها الخاصة كل الإنتسابات الرسالية بين نساء بالرسول صلى الله عليه وآله فهي - إذأ - مفضلة على كل أزواجة وسواهن من النساء المنتسبات إليه صلى الله عليه وآله.

ثم «وأنفسنا» هي في جانب الرسول صلى الله عليه وآله يتمثل في نفس واحدة هي نفسه صلى الله عليه وآله ولم يكن معه في مباهلته من غير فاطمة وحسنه إلأ عليه عليهم السلام.

(١). في العيون بإسناده إلى موسى بن جعفر عليهما السلام في حديث مع الرشيد قال الرشيد له : كيف قلت : إنا ذرية النبي والنبي لم يعقب وإنما العقب للذكر لا للأنتى وأنتم ولد البنت ولا يكون له عقب ؟ فقلت : أسأله بحق القرابة والقبر ومن فيه إلأ ما أعفاني عن هذه المسألة، فقال : تخبرني بحجتكم فيه يا ولد علي وأنت يا موسى يعسو بهم وإمام زمانهم كذا أنهي إلي ولست أعفيك في كل ما أسألك عنه حتى تأتيني فيه بحجة دمن كتاب الله وأنتم تدعون معشر ولد علي أنه لا يسقط عنكم منه شيء لا ألف ولا واو إلأ تأويله عندكم واحتججتكم بقوله عزوجل : ما فرطنا في الكتاب من شيء، وقد استغينتم عن رأي العلماء وقياسهم.

فقلت : تأذن لي في الجواب ؟ فقال : هات ، قلت : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم «ومن ذريته داود وسليمان ... وعيسى» من أبو عيسى يا أمير المؤمنين ؟ فقال : ليس له أب ، فقلت : إنما الحقه بذراري الأنبياء من طريق مريم وكذلك ألحقنا الله تعالى بذراري النبي من أمنا فاطمة ، أزيدك يا أمير المؤمنين ؟ قال : هات ، قلت : قول الله عزوجل «فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا ...» ولم يدع أحد أنه أدخل النبي صلى الله عليه وآله تحت الكساء عند المباهلة مع النصارى إلا علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فكان تأويل قوله : أبناءنا- الحسن والحسين ، ونساءنا : فاطمة ، وأنفسنا : علي بن أبي طالب .

وفي نور الثقلين ١ : ٣٤٩ عن الخصال في احتجاج علي عليه السلام أبي بكر قال : فأشددك بالله أبي برز رسول الله صلى الله عليه وآله وبأهلي وولدي في مباهلة المشركين من النصارى أم بك وبأهلك وولدك ؟ قال : بكم ، وفيه أيضاً من مناقب أمير المؤمنين عليه السلام وتعدادها قال عليه السلام : وأما الرابعة والثلاثون فإن النصارى ادعوا أمرا فأنزل الله عزوجل فيه «فمن حاجك ...» فكانت نفسي نفس رسول الله صلى الله عليه وآله والنساء فاطمة والأبناء الحسن والحسين ثم ندم القوم فسألوا رسول الله صلى الله عليه وآله الإعفاء عنهم وقال : «والذي أنزل التوراة على موسى والفرقان على محمد لو باهلونا لمسخهم الله قرده وخنازير» وفيه عن عيون أخبار الرضا عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله حديث طويل يقول فيه : يا علي من قتلك فقد قتلني ومن أبغضك فقد أبغضني ومن سبك فقد سبني لأنك مني كنفي روحك من روحي وطينتك من طينتي

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤ ، ص : ١٩٦

فلو كان للرسول صلى الله عليه وآله أنفس يمثلونه لكان علياً عليه السلام لا سواه .

ذلك وقد تواتر عن الرسول صلى الله عليه وآله قوله بحق هذه المماثلة السامية والمباغضة الحانية :

«علي مني وأنا منه لا يؤدي عني إلا علي» «١»

- «علي مني مثل رأسي من بدني» «٢»

- «منزلة علي مني منزلة مني من الله» «٣»

مما يؤكد هذه النفسية النفيسة العلوية المحمدية .

فكون علي عليه السلام نفس محمد صلى الله عليه وآله لا يدل فقط على افضليته على سائر الأمة بأسرهم ، بل وعلى افضليته على كافة السابقين والمقربين واولي العزم من النبيين صلوات الله عليهم

اجمعين، ولا فارق بين محمد وعلي عليهما السلام إلا في الرسالة، فهو يساميه فيما سواها من العصمة القمة وسائر المدارج القدسية الروحية والزمنية بأسرها.

ومهما يكن من أمر فقد «خرج صلى الله عليه وآله وعليه مرط من شعر أسود وكان قد احتضن الحسين عليه السلام وأخذ بيد الحسن عليه السلام وفاطمة تمشي خلفه وعلي عليه السلام خلفها وهو يقول: إذا دعوت فأمنوا فقال أسقف نجران يا معشر النصارى إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلًا من مكانه لأزاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة...» (٤).

(١)

(١). حديث صحيح رجاله كلهم ثقات أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤ : ١٦٤ و ١٦٥ بأسانيد أربعة والحافظ ابن ماجة القزويني في سننه ١ : ٥٧ والحافظ أبو عيسى الترمذي في جامعة ١٣ : ١٦٩ و ٢ : ٤٦٠ وفي صحيحه ٢ : ٢١٣ والنسائي في خصائصه ٦٢ و ٢٧ وابن المغازلي الشافعي في المناقب بأسانيد وفيرة والبغوي في المصابيح ٢ : ٢٧٥ والخطيب العمري في المشكاة ٥٥٦ والكنجي في الكفاية ٥٥٧ والنووي في تهذيب الأسماء واللغات والمحّب الطبري في الرياض ٣ : ٧٤ عن الحافظ السلفي وسبط ابن الجوزي في التذكرة ٢٣ والذهبي في تذكرة الحفاظ وابن كثير في تاريخه والسخاري في المقاصد الحسنة والمناوي في كنوز الدقائق ٩٢ والحويبي في فرائد السمطين ب ٧ والسيوطي في الجامع الصغير وجمع الجوامع وابن حجر في الصواعق ٧٣ والمتقي الهندي في العمال عن (١١) حافظاً والبدخشاني في نزل الأبرار ٩ والفقير شيخ بن العيدروس في العقد والشبلنجي في نور الأبصار ٧٨ والصبان في الاسعاف هامش نور الأبصار ١٥٥ كلهم أخرجوه ورووه عن حبشي بن جنادة وعمران وأبي ذر الغفاري عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

وروى مثله البخاري في ٤ من صحيحه عن عمر بن الخطاب وفي الجمع بين الصحاح ج ٣ من عدة طرق ومنها ما عن ابن جنادة عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : علي مني وأنا منه

(٢). رواه الإمام أحمد في مسنده وابن المغازلي بالإسناد عنه صلى الله عليه وآله وابن الأثير في جامع الأصول عن البخاري ومسلم بسنديهما عن البراء بن عازب عنه صلى الله عليه وآله (البحار ٣٨ :

(٣٢٨)

(٣). أمالي الطوسي عن ابن مسعود، وأخرجه الحافظ ابن الغازلي كما في العمدة لابن بطريق ٥٣
يسنده عن بكر بن سوادة عن قبيضة بن ذويب وأبي سلمة بن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله عنه
صلى الله عليه وآله والسيرة الحلبية ٣ : ٣٩١

(٤). تفسير الفخر الرازي ٨ : ٨٠ روى أنه عليه السلام لما أورد الدلائل على نصارى نجران ثم انهم
أصروا على جهلهم فقال عليه السلام : إن الله أمرني إن لم تقبلوا الحجّة أن أباهلكم فقالوا : يا أبا
القاسم بل نرجع فننظر في أمرنا ثم نأتيك فلما رجعوا قالوا للعاقب- وكان ذا رأيهم- يا عبد المسيح
ما ترى؟ فقال : والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمداً نبي مرسل ولقد جاءكم بالكلام الحق
في أمر صاحبكم والله ما باهل قو نبياً قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لكان
الإستئصال فإن أبيتم إلّا الإصرار على دينكم والإقامة على ما أنتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى
بلادكم وكان رسول الله صلى الله عليه وآله خرج وعليه مرط ... ثم قالوا يا أبا القاسم رأينا أن لا
نباهلك وأن نقرك على دينك فقال صلى الله عليه وآله فإذا أبيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم ما
للمسلمين وعليكم ما على المسلمين فأبوا فقال صلى الله عليه وآله فإني أناجزكم القتال فقالوا ما لنا
بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على أن لا تعزونا ولا تردنا عن ديننا على أن نؤدي إليك في كل
عام ألف حلة : ألفاً في صفر وألفاً في رجب وثلاثين درعاً عادية من حديد فصالحهم على ذلك
وقال : والذي نفسي بيده إن الهلاك قد تدلى على أهل نجران ولو لا عنوا لمسخوا قرده وخنازير ولا
ضطرهم عليهم ناراً ولا ستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على رؤوس الشجر ولما حال الحول على
النصارى كلهم حتى يهلكوا.

قال : وروي أنه عليه السلام لما خرج في المرط الأسود فجاء الحسن عليه السلام فأدخله ثم جاء
الحسين عليه السلام فأدخله ثم فاطمة ثم علي عليهما السلام ثم قال : إنما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس أهل البيت وليطهركم تطهيراً، واعلم أن هذه الرواية كالمثقف على صحتها بين أهل التفسير
والحديث

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٩٧

وما أبلغه حجة ان يباهلهم بعد برهانه المبين، تعريضاً عريضاً على كذبهم دونه بجمع «الكاذبين»
تأكيداً أنهم هم جمع النجرانيين دونه صلى الله عليه وآله إذ كان واحداً في تلك مهما حمل معه حسنيه
وفاطمته وعليه عليه السلام تأكيداً للحجة وايضاً للمحجة.

ذلك، وكما أن في «ونجعل» دون «ونسأل» تأكيداً ب نزول اللعنة لا محاله، ولم يكن إحضار هؤلاء الأربعة كنماذج عن الباقيين، وإلا لكان المفروض إحضار اقل الجمع من كل من الثلاث، ولكن الجمع الأول اختص في مسرح المباهلة بحسنه والجمع الثاني بفاطمته والجمع الثالث بعليه، مما يدل على حصر تلك الأهلية فيهم وحسرها عمن سواهم.

ومن الطريف حوار بين الامام الرضا عليه السلام والمأمون حيث قال : ما الدليل على خلافة جدك علي بن أبي طالب؟ قال : آية انفسنا، قال : لولا نساءنا قال : لولا أبناءنا «١».

(١). ومثله ما في حقائق التأويل للسيد الشريف الرضي ص ١١٢ قال : ومن شجون هذه المسألة ما حكى عن القاسم بن سهل النوشجاني قال : كنت بين المأمون في ديوان أبي مسلم بمرو وعلي بن موسى الرضا عليهما السلام قاعد عن يمينه فقال لي المأمون يا قاسم أي فضائل صاحبك أفضل؟ فقلت ليس شيء منها أفضل من آية المائدة فإن الله سبحانه جعل نفس رسوله صلى الله عليه وآله ونفس علي واحدة فقال لي : إن قال لك خصمك : إن الناس قد عرفوا الأبناء في هذه الآية والنساء وهم الحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام وأما النفس فهي نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وحده بأي شيء تحببه؟ قال النوشجاني فأظلم علي ما بينه وبينه وأمسكت لا أهندي بحجة فقال المأمون للرضا عليه السلام ما تقول فيها يا أبا الحسن عليه السلام فقال له : في هذا شيء لا مذهب عنه قال : وما هو، قال : هو أنه رسول الله صلى الله عليه وآله داع ولذلك قال الله سبحانه : «قل تعالوا...» والداعي لا يدعو نفسه إنما يدعو غيره، فلما دعا الأبناء والنساء ولم يصح أن يدعو نفسه لم يصح أن يتوجه دعاء الأنفس إلّا إلى علي بن طالب عليه السلام إذ يكن بحضرتة- بعد من ذكرناه- غيره ممن يجوز توجه دعاء الأنفس إليه ولو لم يكن ذلك كذلك لبطل معنى الآية، قال النوشجاني : فانجلى عن بصري وأمسك المأمون قليلاً ثم قال له يا أبا الحسن إذا أصيب الصواب انقطع الجواب

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ١٩٨

فقد عنى المأمون ب «لولا نساءنا» أنها دليل كون الأنفس هم كل الذكور بقريئة المقابلة فليسوا هم علياً فحسب، فأجاب «لولا ابنانا» ان لو عني ب «انفسنا» الذكور لشملت الأبناء، فإفراد الأبناء دليل اختصاص «انفسنا» بذكور خصوص، وهو رجل خاص :

علي عليه السلام، حيث حمل كل نفسيات الرسول في شخصه الشخيص، فلو كان هناك أنفوس للنبي صلى الله عليه وآله يمثلونه لم تكن إلّا علياً عليه السلام الذي هو بدوره نفس الرسول صلى الله عليه وآله في رسالته، فلا دور لما أورده بعض المجاهيل على انطباق ابناءنا على الحسنين لمكان الثنية ونساءنا وانفسنا على فاطمة وعلي عليهما السلام لمكان الأفراد، لأن ذلك من باب الإنطباق دون الدلالة اللغوية.

فقد عني من «نساءنا» أخص النساء وألصقهن بالمباهلين فانحصرن للنبي بفاطمة عليهما السلام ومن ابناءنا أخص الابناء فانحصروا بالحسنين، بل ولم يكن له أبناء غيرهما، ثم ومن انفسنا خير الممثلين للمباهلين، ولم يكن للنبي صلى الله عليه وآله الا علي عليه السلام، واما نساءكم وابناءكم وانفسكم فهم كثرة حسب عديد المباهين الكاذبين مهما لم يكونوا حضوراً اذ طلب منهم إحضارهم ولكنهم تحاشوا عن ذلك المسرح الخطير بقيةً على أنفسهم وأهليهم.

ولقد نرى من ذكر الجمع واردة مصداق واحد عديداً في الذكر الحكيم، كـ «انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون» (١) ولا مصداق له الا علي عليه السلام حيث زكى في ركوع الصلاة، فكان «الذين آمنوا» عنواناً مشيراً إلى خصوص ذلك المصداق.

وكذلك الجموع التي نزلت بشأن الواحدات تعميماً للأحكام التي تضمنها كـ «الذين يظاهرون منكم من نساءهم ما هن امهاتهم» (٢) «والذين يظاهرون من نساءهم ثم

(١) ٥٥ : ٥

(٢) ٥٨ : ٢

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج٤، ص : ١٩٩

يعودون لما قالوا» (١) «لقد سمع الله قول الذين قالوا ان فقير ونحن اغنياء» (٢) «ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو» (٣)

وما أشبهها من آيات تذكر جمعاً وموارد النزول وحداث، ام تعني وحداث تجمع في انفسها كيان الجموع كما «ان ابراهيم كان امة» (٤)

أمأهيه؟.

ذلك- وحين نرى الإخوة في الدين- ككل- هم حسب القرآن أنفس إخوانهم كما «ولا تلمزوا أنفسكم» «وإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم» إجراءً للاخوة بالديانة مجرى الأخوة في القرابة، فبأحرى أن يكون علي عليه السلام نفس الرسول صلى الله عليه وآله بل أنفسه لو كانت له أنفس أو من يمثلونه.

وإذا وقعت النفس في بليغ العبارة على البعيد النسب كانت أجرى أن تقع على القريب النسب والسبب.

ومن غريب التهريف في التحريف أن علياً عليه السلام أريد هنا من «أبناءنا» دون «أنفسنا» فراراً عن الإقرار له بتلك المنزلة الكريمة، ثم وبماذا يفسر «أنفسنا» والداعي أول الحضور فكيف يدعوا نفسه؟. فآية المباهلة- إذأ- هي من أظهر الآيات البيئات على القدسية القمة لهؤلاء الأربعة

(١). الشعر الجاهلي هو

بنونا بنوا أبناءنا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأغارب

والحديث ما في الوسائل ٦ : ١٨٨ مرسل الكليني عن العبد الصالح في حديث طويل قال : ومن كانت أمه من بني هاشم وأبوه من سائر قريش فإن الصدقات تحل وليس له من الخمس شيء فإن الله يقول : «اعودهم لأبائهم».

أقول هذه آية الأحزاب «.. وما جعل أدياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل» (٤) ولا تعني إلّا الأدياء، فهل إن أبناء البنات من الأدياء، أم ترى أن الحسين عليهما السلام وسائر الأئمة عليهم السلام هم من أدياء الرسول صلى الله عليه وآله؟ إن هي إلّا فرية جاهلة وقحة!

(٢). (٣ : ١٨١)

(٣). (٢ : ٢١٩)

(٤). (١٦ : ١٢٠)

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج٤، ص : ٢٠٠

ولا سيما علي عليه السلام حيث احتل في قدسيته القمة المحمدية وكأنه نفسه المقدسة، فهما - إذاً - روح واحدة مهما تعددا في البدن، وتفارقا في ظاهر الرسالة الأخيرة!

ومما تدل عليه آية المبالغة أن أبناء البنات هم أبناء أبيها كما هم آباءهم فان «أبناءنا» لا تعني إلا الحسنين.

إذاً فكل أبناء الرسول صلى الله عليه وآله من فاطمة هم ذريته دون فرق بين المنتسبين بالأب والأم أو المنتسبين بأحدهما إليها سلام الله عليها.

ولا دليل لمن يختص سهم السادة بالمنتسبين إليها بآباءهم إلا الشعر والحديث الجاهليين فليضربا عرض الحائط فإن «أدعوهم لآباءهم» إنما هي للأدعياء، فهل إن الحسنين - كذلك - من الأدعياء؟

ذكريات مماثلة الامام عليه السلام مع الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله ١ - الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله يصرح في شتى المناسبات والمجالات : علي مني وانا منه، لا يؤدي عني الا انا او علي «١».

ويقول الامام عليه السلام : اهدي الى النبي صلى الله عليه وآله فتوز فجعل يقشر الموزة ويجعلها في فمي فقال له قائل : انك تحب عليا؟ قال صلى الله عليه وآله او ما علمت :

ان عليا مني وانا منه «٢».

ويقول الرسول :

(١). حديث صحيح رجاله كلهم ثقات : اخرجه الامام احمد في مسنده ج ٤ ص ١٦٤ و ١٦٥ ،
باسانيد اربعة والحافظ بن ماجه القزويني في سننه ج ١ ص ٥٧ ط ٢ ، مصر ، والحافظ ، ابو عيسى
الترمذي في جامعه ج ١٣ ص ١٦٩ وج ٢ ص ٤٦٠ ط هند سنة ، ١٣١ هـ وفي صحيحه ٢ : ٢١٣ ،
الصاوي مصر ، والنسائي في الخصائص ص ٢٦ ط النجف الاشرف وكذا ص ٢٧ وابن المغازلي
الشافعي في المناقب باسانيد متوفرة ، والبغوي في المصابيح ٢ : ٢٧٥ والخطيب العمري في المشكاة
٥٥٦ والكنجي في الكفاية ٥٥٧ والنووي في تهذيب السماء واللغات والمحجب الطبري في الرياض ٣ :
٧٤ عن الحافظ السلفي وسبط ابن الجوزي في التذكرة ٢٣ والذهبي في تذكرة الحفاظ وابن كثير في
تاريخه والسخاري في المقاصد الحسنة والمناوي في كنوز الدقائق ٩٢ والحموي في فرائد السمطين ب
٧ والسيوطي في الجامع الصغير وجمع الجوامع وابن حجر في الصواعق ٧٣ والمتقي الهندي في كنز

العمال عن ١١ حافظا والبدخشاني في نزل الابرار ٩ والفقير شيخ بن العيدروس في العقد النبوي والشبلنجي في نور الابصار ٧٨ والصبان في الاسعاف هامش نور الابصار ١٥٥، كلهم اخرجوه ورووه عن حبشي بن جنادة وعمران وابي ذر الغفاري عن رسول الله صلى الله عليه وآله (٢). البحار الطبعة الحديثة ٣٨ - ٢٩٨ ابو العلاء العطار باسناده الى عبد خير عن علي عليه السلام، ورواه البخاري في ج ٤ من صحيحه عن عمر بن الخطاب وفي الجمع بين الصحاح ج ٢ من عدة طرق ومنها ما عن ابن جنادة عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال : علي مني «الخ» نقلناه فما المتن تحت العدد (٤٠) ورواه ابن المغازلي من عدة طرق باسناد. اقول : هؤلاء بعض من اخرج الحديث من اخواننا واما من طرق اصحابنا فاكثروا واكثر

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٠١

علي مني مثل رأسي من بدني «١».

أجل إن علياً منه عليه السلام حيث ولده واصطنعه لنفسه وعلى شاكلته، وهو من علي لانه عليه السلام استمرار لشخصيته صلى الله عليه وآله دون تخلف عنه واختلاف قيد شعرة، الا النبوة، فلا يؤدي عنه الا شخصه او شخصيته، وليس هو منه الا كالرأس من الجسد! هذا وكما يقول :

٢- منزلة علي مني منزلة مني من الله تعالى «٢»

ذلك حينما يراه ابن مسعود وكفه في كف علي وهو يقبلها فيسأله : ما منزلة علي منك؟

فيجيبه : منزلة علي مني منزلة مني من الله.

فكما كانت منزلة الرسول صلى الله عليه وآله ومكانته من الله تعالى اقرب المنازل، لا يدانيه احد من الملائكة الكروبيين والانبياء والمرسلين، فكذلك منزلة الامام منه عليه السلام على سواء.

حديث البرائة

٣- يبعث رسول الله صلى الله عليه وآله بالعشر الاولى من آي البرائة مع ابي بكر ابن ابي قحافة، أذناً من الله ومنه صلى الله عليه وآله اليهم بما فيها من الاحكام المحددة والمهددة لهم : الا يقرب المسجد الحرام مشرك بعد عامهم هذا لان الله بريء منهم ورسوله.

حينئذ يؤمر الرسول صلى الله عليه وآله ابا بكر على الحج يحج بمن ضمه الموسم ويقراء عليهم الآيات، فلما غادر ابوبكر المدينة الى مكة جاء جبرائيل الامين الى الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله قائلاً: ان العلى الاعلى يقربك السلام ويقول لك: يا محمد! لا يؤدي عنه الا انت او رجل منك-

فابعث علياً ليتناول الآيات فيكون هو الذي يقرأ الآيات، يا محمد! ما أمرك ربك بدفعها إلى علي ونزعها من أبي بكر سهواً ولا شكاً ولا استدراكاً علي

(١). رواه الامام احمد في مسنده وابن المغازلي بالاسناد عنه صلى الله عليه وآله وابن الاثير في جامع الاصول عن البخاري ومسلم بسنديهما عن البراء بن عازب عن صلى الله عليه وآله البحار الطبعة الحديثة (٣٨-٣٢٧)

(٢). امالي الطوسي عن ابن مسعود، البحار الطبعة الحديثة ٣٨-٢٩٧ واخرجه الحافظ ابن المغازلي كما في العمدة لابن بطريق ص ٥٣ باسناده عن بكراً بن سودة عن قبيضة بن ذويب وأبي سلمة بن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله عنه صلى الله عليه وآله- والسيرة الخلية ٣ : ٣٩١

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٠٢

نفسه غلطاً، ولكن أراد ان يبين لضعفاء المسلمين : أن المقام الذي يقومه أخوك علي لن يقومه غيره سواك يا محمد! وإن جلت في عيون هؤلاء الضعفاء مرتبته من امتك ... «١».

فعزل رسول الله صلى الله عليه وآله ابابكر عن هذه السفارة وولى علياً وذلك إجماع المفسرين ونقله الاخبار حيث رووا عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال حينذاك لعلي عليه السلام : «اركب ناقتي الغضباء والحق ابابكر وخذ براءة من يده».

فلما رجع ابوبكر إلى النبي صلى الله عليه وآله جزع (وفي لفظ آخر فرجع يبكي) «٢» وقال يا رسول الله صلى الله عليه وآله إنك أهلتني «٣» لامر طالت الأعناق فيه، فلما توجهت رددتني عنه؟ فقال صلى الله عليه وآله :

الأمين هبط الي عن الله عزوجل أنه : «لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك، وعلي مني ولا يؤدي عني إلا علي «٤»».

أجل ان الرسول صلى الله عليه وآله يقول حينما يسئل عن عزله ابن ابي قحافة :

إنه : لن يودي عنك إلا أنت أو رجل منك «٥».

إنه : لا يبلغه إلا أو رجل مني «٦».

إنه : لا ينبغي أن يبلغ عني إلا رجل من أهلي «٧».

(١). التفسير المنسوب للامام العسكري عليه السلام- البحار الطبعة الحديثة ٣٥ ص ٢٩٧ ح ٢١،
ولقد اخرج حديث تبليغ البرائة ٧٣ من الحفاظ وائمة الحديث ذكرنا بعضهم في طيات مختلف الفاظ
الحديث- ذكرهم في الغدير (٦ : ٣٢٨ - ٣٤١)

(٢). اخرجه ابن عساكر باسناده عن الحرث بن مالك

(٣). اي رأيتني لذلك اهلا دون الامة فارسنتي، فلماذا تعزلني بعد ذلك ؟

(٤). رواه الطبري والبلاذري والترمذي والواقدي والشعبي والسدي والثعلبي والواحدي والقرظي
والقشيري والسمعاني واحمد بن حنبل وابن بطة ومحمد بن اسحاق وابو يعلى الموصلي والاعمش
وسماك بن حرب في كتبهم عن : عروة بن الزبير وابي هريرة وانس وابي رافع وزيد بن نفع و ابن
عمر، وابن عباس

(٥). عبد الله بن احمد في زوائد المسند والحافظ ابو الشيخ وابن مردويه والسيوطي في الدر المنثور
٣ : ٢٠٩ وكنز العمال ١ : ٢٤٧ والشوكاني في تفسيره ٢ : ٣١٩ والرياض النضرة ٢ : ١٤٧ وذخائر
القعبي ٦٩ وتاريخ ابن كثير ٥ : ٣٨ ومناقب الخوارزمي ٩٩ وفرائد السمطين للحموي ومجمع الزوائد
٧ : ٢٩ وشرح صحيح البخاري للعيني ٨ : ٦٣٧ ووسيلة المال لابن كثير وشرح المواهب اللدنية
للزرقاني ٣ : ٩١ وتفسير المنار ١٠ : ١٥٧ اخرجوه عن علي امير المؤمنين عن طريق زيد بن يثيع
(رض)

(٦). مسند احمد ١ : ٣ وابن خزيمة وابن عوانة والدارقطني في الفراء كما في كنز العمال ١ : ٢٤٦
والكنجي في الكفاية ١٢٥ نقلًا عن احمد وابي نعيم وابن عساكر، وابن كثير في تاريخه ٧ : ٣٥٧
(٧). الترمذي في جامعة ٢ : ١٣٥- البيهقي في سننه ٩ : ٢٢٤- الخوارزمي في المناقب ٩٩- ابن
طلحة في مطالب السؤل ١٧- الشوكاني في تفسيره ٢ : ٣١٩ ابن ابي حاتم والحكم وابن مردويه
والبيهقي- ابن حجر في فتح الباري ٨ : ٢٥٦

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٠٣

إنه : لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل من أهل بيتي « ١ » .

إنه : لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل مني « ٢ » .

إنه : لا يؤدي عني إلا أنا أو علي « ٣ » .

عبارتنا شتى وحسنك واحد وكل إلى ذاك الجمال يشير

إن هذه التعبيرات إشارات من الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله أن علياً منه كنفه فلا يؤدي عنه إلا هو عليهما أفضل التحية والسلام.

يرجع ابن أبي قحافة عن رسالته معزولاً غضباناً أسفاً، وهو يتسامل رسول الله صلى الله عليه وآله عن ذلك ويحباب كما يلي :

يا رسول الله صلى الله عليه وآله! ما كنت ترى أي مؤد عنك هذه الرسالة؟ أبا الله أن يؤديها إلا علي بن أبي طالب ...

كيف ذلك يا رسول الله وكيف...؟!

كيف تودبها وأنت صاحبي في الغار « ٤ » .

أجل إن ذلك التضحية في سبيل رسالة الرسول بين المشركين، إنما تصلح ممن يشري نفسه ابتغاء مرضات الله - فينام على فراش الرسول صلى الله عليه وآله حينما هاجم على فراشه

(١). رواه احمد بن محمد بن اسحاق الدينوري بسند متصل عن انس عنه صلى الله عليه وآله واحمد بن حنبل من طرق جماعة منها عن انس عنه صلى الله عليه وآله، وابو الشيخ وابن مردويه عن علي عليه السلام وجماعة آخرين

(٢). رواه محمد بن جرير الطبري بسند متصل الى حارث بن مالك انه لقي سعد بن مالك فذكر له الحديث وابو الصباح الكتاني عن ابي عبد الله عليه السلام البحار - ج ٣٥ / ٢٩١ - ٧ والحارث بن مفيرة النصرى عنه عليه السلام ٢٩٢ - ٨ وحريز عنه عليه السلام ٢٩٥ - ١٥ واحمد بن حنبل في مسنده مرفوعاً الى ابي بكر عن النبي صلى الله عليه وآله والتعلي في تفسيره وابن مردويه عن ابي رافع عنه صلى الله عليه وآله وابن أبي حاتم عن حكيم بن حميد عن علي بن الحسين عليه السلام وابن مردويه وابن حيان عن ابي سعيد الخدري عنه عليه السلام

(٣). ولقد تواتر النقل فيما يؤدي هذا المعنى، أخرجه ارباب الصحاح والسنن، راجع (محمد وعلي وبنوه الاوصياء) لنجم الدين الشريف العسكري دام افضاله

(٤). رواه حسن بن اشناس في كتابه بسند متصل عن جعفر بن محمد عليه السلام عن ابيه عليهما السلام، البحار ج ٣٥ ص ٢٨٧.

ويدل عليه من الروايات المتواترة ما ورد في حديث البراءة من قول الرسول صلى الله عليه وآله انت صاحبي ٨ الغار- رواه أكثر من روى حديث البراءة فراجع

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٠٤

المشركون.

لا من دخل معه الغار خوفاً من بأسهم، ولم يأمن على نفسه وهو مع الرسول الأمين إذ هما في الغار، فحزن حزناً شديداً واضطرب اضطراباً عنيفاً حتى نهاه الرسول عن ذلك بوحي من ربه قائلاً : لا تحزن إن الله معنا!

فكيف يؤدي هذه الرسالة الهامة الخطيرة المدهشة، وهو صاحب الغار؟

إنما يؤديها رجل منه، ذلك الضرعام المغوار الذي يرفع من صولته الابطال.

ومما لا يريبه شك أن نصب الرسول صلى الله عليه وآله أبابكر وعزله، لم يكن إلّا بأمر ربه، رمزاً منه إلى الأمة الاسلامية أن :

من لا يصلح ويؤهل لرسالة جزئية في مهمة من مهام المسلمين، كيف يستصلح للقيادة العامة الإسلامية بعد ارتحال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.

علي عليه السلام باب مدينة علم الرسول صلى الله عليه وآله

ان الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله بعدما يرفع عليا الى منزله الكريمه، يبادر الى سد ابواب مسجده على الصحابة دونه :

حديث سد الابواب

فحديث سد الابواب من المتواتر الذي لا يريبه شك : فلقد «كان لنفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ابواب شارعة في المسجد قال يوما : سدوا هذه الابواب الابواب علي عليه السلام فتكلم في ذلك الناس فقام رسول الله صلى الله عليه وآله فحمد الله واثني عليه ثم قال : اما بعد :

فاني امرت لسد هذه الابواب غير باب علي فقال فيه قائلكم واني ما سددت شيئا ولا فتحتة ولكني امرت بشيء فاتبعته «١».

(١). اخرجه وما في معناه عن زيد بن ارقم وعبدالله بن عمر بن الخطاب والبراء بن عازب وعمر بن الخطاب وعبدالله بن عباس وابي سعيد الخدري وابي حازم الاشجي وجابر بن عبدالله وجابر بن سمرة بن ابي وقاص وانس بن مالك وبريدة الاسلمي وامير المؤمنين علي- كلهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله : اخرجه عنهم عنه صلى الله عليه وآله : النسائي في السنن الكبرى والخصائص ١٣ والحاكم في المستدرک ٣ : ١٢٥ وصححه والضياء المقدسي في المختارة والكلابادي في معاني الاخبار وسعيد بن منصور في سننه ومحب الدين الطبري في الرياض ٢ : ١٩٢ والخطيب البغدادي في تاريخه والكنجي في الكفاية ٨٨ وسبط ابن الجوزي في التذكرة ٢٤ وابن ابي الحديد ٢ : ٤٥١ وابن كثير ٧ : ٣٤٢ وابن حجر في القول المسدد ١٧ وفتح الباري ٧ : ١٢ والسيوطي في جمع الجوامع كما في الكتر ٦ : ١٥٢، ١٥٧، والهيثمي في مجمع الزوائد ٩ : ١١٤ والعيني في عمدة القاري ٧ : ٥٩٢ والبدخشي في نزل الابرار وابن ابي شيبه وابو نعيم والحموي في الفرائد ب ٢١ وابو يعلي في الكبير وابن السمان في الموافقة والجزري في اسنى المطالب والحوارزمي في المناقب وابو نعيم في الحلية والحافظ البزار ...

قال ابن حجر في فتح الباري والقسطلاني في ارشاد الساري ٦ : ٨١ : ان كل طريق من هذا الحديث صالح للاحتجاج فضلا عن مجموعها (الغدير ٣ : ٢٠٢ - ٢٠٩)

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٠٥

وبعد ما يسد ابواب المسجد عليهم دونه عليه السلام يصرح بما يعينه قائلا :

«انا مدينة العلم وعلي بابها»

يروى عن ١٤٣ مصدرا من اعلام الحديث وكلهم من اخواننا السنة، ولقد صححه جمع من الحفاظ واعلام الحديث مضافة الى صحته عقليا لتواتره «١».

وقد يروى الفاظ اخرى كالتالي :

انا دار الحكمة وعلي بابها «٢».

انا دار العلم وعلي بابها»

انا ميزان العلم وعلي كفتاه «٤».

(١). صححه الحافظ ابو زكريا يحيى بن معين البغدادي المتوفى ٢٣٣ وابو جعفر محمد بن جرير الطبري ٣١٠ في تهذيب الاثار وابو عبدالله الحاكم النيسابوري ٤٠٥ في المستدرک والحافظ الخطيب البغدادي ٤٦٣ والحافظ ابو محمد الحسن السمرقندي ٤٩١ في بحر الاسانيد ومجد الدين الغيروز آبادي ٨١٦ في النقد الصحيح والحافظ جلال الدين السيوطي ٩١١ في جمع الجوامع والسيد محمد البخاري في تذكرة الابرار والامير محمد اليماني الصنعاني ١١٨٢ في الروضة الندية والمولى حسن الزمان نعه من المشهور المستحسن وابو سالم محمد بن طلحة القرشي ٦٥٢ وابو المظفر سيف بن قزاوغلي ٦٥٤ والحافظ صلاح الدين العلائي ٧٦١ وشمس الدين محمد الجرزي ٨٣٣ وشمس الدين محمد السنحوي ٩٢ وفضل الله بن روزبهان الشيرازي والمتقي الهندي علي بن حسام الدين ٩٧٥ وميرزا محمد البدخشاني وميرزا محمد صدر العالم وثناء الله باني بني الهندي

(٢). اخرجه الترمذي في جامعة الصحيح ٢ : ٢١٤ وابو نعيم في حلية الاولياء ١ : ٦٤ والبغوي في

مصاييح السنة ٢ : ٢٧٥ وجمع آخر تربو عدتهم على ستين من الحافظ وائمة الحديث (الغدير)

(٣). اخرجه البغوي في مصاييح السنة كما ذكره الطبري في ذخائر العقبي ص ٧٧ وآخرون

(٤). اخرجه الترمذي في جامعة الصحيح ٢ : ٢١٤ وابو نعيم في حلية الاولياء ١ : ٦٤ والبغوي في

عنه كالعجلوني في كشف الخفاء ١ : ٢٠٤ وغيره

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٠٦

انا ميزان الحكمة وعلي لسانه «١».

انا المدينة وانت الباب ولا يؤتى المدينة الا من بابها «٢».

ولم يخرج الحافظ عن الرسول صلى الله عليه وآله ان يقول :

انا مدينة العلم وابوبكر- عمر- عثمان- او : احمد- مالك- ابوحنيفة- الشافعي : بابها! ولا عال بابها

كما قد يدعى! «٣».

اتما عين بابا واحدا الى مدينة علمه رمزا الى ان الوصول الى الرسول والدخول الى مدينة علمه من غير

باب علي عليه السلام غير مسموح للامة الاسلامية.

ذلك لانه والنبي صلى الله عليه وآله من شجرة واحدة وسائر الناس من شجر شتى كما عن الحرث وعاصم عن علي عليه السلام مرفوعا عن الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله قوله : ان الله خلقني وعلياً من شجرة : انا اصلها وعلي فرعها والحسن والحسين ثمرتها والشيعه ورقها، فهل يخرج من الطيب الا الطيب؟ وانا مدينة العلم وعلي بابها ولا تؤتى البيوت الا من ابوابها «٤».

ومما لا يريه شك ان اتيان البيوت من غير ابوابها آية الخيانة والسرقة، فليس للامة الاسلامية عرفان الرسول وما ارسل به ولا اتيان مدينة علمه وحكمته ولا دخول الجنة، ولا ... الا من بابه، ولا تنفتح معضلات الامور المقفله بأقفاها الا بمفتاحه.

(١). ذكره الغزالي في الرسالة العقلية وحكاه عنه المييدي في شرح الديوان المنسوب الى امير

المؤمنين عليه السلام

(٢). اخرج العصامي ابو محمد في كتابه «زين الفتي في شرح هل اتي»

(٣). في حوار بيني وبين نفر من اخواننا السنة في مسجد النبي صلى الله عليه وآله حول حديث الباب قال احد من علمائهم : ليس الحديث : علي بابها - وانما : عال بابها - قلت : اجل ان عليا عال ولكن حديث الرسول المتواتر عن ١٤٣ مصدرا ليس الا : علي بابها!

(٤). حديث المدينة من المتواتر ومن رواه : احمد عن ثمانية طرق، وابراهيم الثقفي من من سبعة، وابن بطة من ستة، والقاضي الجعاعي من خمسة، ابن شاهين من اربعة، والخطيب في تاريخه من ثلاثة، ويحيى بن معين من اثنين، ورواه السمعاني والقاضي الماوردي وابو منصور السكري وابو الصلت الهووي وعبد الرزاق وشريك، عن ابن عباس ومجاهد وجابر، عن رسل الله صلى الله عليه وآله وما ذكرناه في المن من مختلف العبارات الجامعة لكون الامام باب الرسول المذكور في البحار ج ٤ ص ٢٠٠ ج ٢ الطبعة الحديثة

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٠٧

الإمام امير المؤمنين على عليه السلام خليل رسول الله صلى الله عليه وآله

«وَيَوْمَ يَعْزُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا يَا وَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَدُولًا» «١».

«الظالم» هنا ليس كل ظالم، إنما هو الظالم حيث «يعض على يديه» فلا تكفيه يد واحدة أن يعض عليها، حيث ظلم بيديه، بكل طاقاته، فلذلك «يعض على يديه» لشدة ما يعانيه من الندم اللاذع المتمثل في ذلك العض العريض، وهو صورة عسيرة من صور ذلك اليوم العسير، على الكافرين غير يسير، حركة معهودة ترمز إلى حالة بثيسة تعسية، في ندامة عميقة ولات حين مناص، إذ فات يوم خلاص.

وقد وردت في شأن نزولها روايات كما في عقبة بن معيط، حيث كان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وآله فدعاه إلى ضيافته فأبى أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين، ففعل، فعاتبه صديقه ابن ابي خلف قائلاً له : صبأت! فقال : لا والله ولكن أبى أن يأكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له، فقال : لا أرضى منك إلّا أن تأتيه فتطأ قفاه وتبزق في وجهه، فوجده ساجداً في دار الندوة ففعل ذلك فقال له النبي صلى الله عليه وآله : لا ألقاك خارج مكة إلّا علوت رأسك بالسيف، فأسر يوم بدر فأمر علياً فقتله.

ولا تناحرها ما وردت في شأن غيره ممن لم يتخذ مع الرسول سبيلاً «٢» مهما اختلفت

(١). سورة الفرقان- آية ٢٧ - ٢٩

(٢). في متظافر الروايات عن ائمة اهل البيت عليهم السلام ان السبيل هنا هو علي بن ابي طالب عليه السلام وممن رواه محمد بن العباس قال حدثنا احمد بن ابي القاسم عن احمد بن محمد السيارى عن محمد بن خالد عن حماد عن حريز عن ابي عبد الله عليه السلام وعن محمد بن خالد عن محمد بن علي عن محمد بن فضيل عن ابي حمزة الثمالي عن ابي جعفر وعن محمد بن اسماعيل باسناده عن جعفر بن محمد الطيار عن ابي الخطاب عن ابي عبد الله ...

واخرج ابو سعيد في شرف النبوة عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : «انا واهل بيتي شجرة في الجنة واغصانها في الدنيا فمن تمسك بنا اتحد الى ربه سبيلاً» (ذخائر العقبى ص ١٦) - واخرجه مثله الحافظ الحسكاني في شواهد التنزيل ١ : ٥٧

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٠٨

الدركات، بترك مختلف البركات.

فالذي يعرف الرسول برسالته، ثم لا يتخذ معه سبيلاً إلى ربه، هو الظالم بحق الرسول وسبيله، وبحق نفسه في سبيلها فليعض على يديه، متحسراً حسيراً، ومتعثراً كسيراً.
ترى ذلك الرسول، وقد عرفه، أفلا تكفي معرفته سبيلاً إلى ربه، ليتخذ معه سبيلاً، ولا سبيل مسلوكة إلى الرب إلا الرسول بقرآنه المبين، وبرهانه المكين؟ ثم وما هي تلك السبيل؟
الرسول سبيل إلى الرب، ولكن معرفة هذه السبيل تتطلب دخولاً إلى مدينة علمه من بابها التي عرف بها، حتى تكتمل المعرفة، فتسلك ذلك السبيل دون تززع وتلكؤء، ولكيلا يضلّه فلان الخليل عن ذلك السبيل.

ولقد تواتر عن الرسول صلى الله عليه وآله قوله: «أنا مدينة العلم وعلي بابها» (١) «أنا دار الحكمة وعلي بابها» (٢) «أنا دار العلم وعلي بابها» (٣) «أنا ميزان العلم وعلي كفتاه» (٤) «أنا ميزان الحكمة وعلي لسانه» (٥) «أنا المدينة وأنت الباب ولا يؤتى المدينة إلا من بابها» (٦)!.
لذلك نراه صلى الله عليه وآله، يسد الابواب كلها إلّا بابيه، فلقد «كان لنفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله

(١). يروى عن ١٤٢ مصدراً ممن اعلام الحديث كلهم من اخواننا السنة، ولقد صححه جمع من الحفاظ واعلام الحديث، وممن صححه الحفاظ ابو زكريا يحيى بن معين البغدادي المتوفى ٢٣٣ والطبري ٣١٠ في تهذيب الآثار، والحاكم النيسابوري ٤٠٥ في المستدرک والخطيب البغدادي ٤٦٣ الحفاظ ابو محمد الحسن السمرقندي ٤٩١ في بحر الاسانيد، ومجد الدين الفيروز آبادي ٨١٦ في النقد الصحيح والحفاظ جلال الدين السيوطي ٩١١ في جمع الجوامع والسيد محمد البخاري في تذكرة الابرار، والامير محمد اليماني الصنعائي ١١٨٢ في الروضة الندية، والمولى حسن الزمان عده من المشهور المستحسن، وابو سالم محمد بن طلحة القرشي ٦٥٢، وابو المظفر سيف بن قزواغلي ٦٥٤، والحفاظ صلاح الدين العلاني ٧٦١، وشمس الدين محمد الجرزي ٨٣٣، وشمس الدين محمد السخاوي، وفضل الله بن روزبهان الشيرازي، والمتقي الهندي علي بن حسام الدين ٩٧٥، وميرزا محمد البدخشي، وميرزا محمد صدر العالم وثناء الله باني بي الهندي

(٢). اخرج الترمذي في جامعه الصحيح ٣ : ٢١٤، وابو نعيم في حلية الاولياء ١ : ٦٤ والبعوي في مصابيح السنة ٣ : ٢٧٥ وجمع آخر يربو عددهم على ستين من الحفاظ وائمة الحديث

(٣). اخرج البغوي في مصابيح السنة كما ذكره الطبري في ذخائر العقبى ص ٧٧ وجمع آخرون
(٤). اخرج الترمذي في جامعة الصحيح ٢ : ٢١٤ وابو نعيم في حلية الاولياء ١ : ٦٤ والبغوي
عنه كالعجلوني في كشف الخفاء ١ : ٢٠٤ وغيره
(٥). ذكره الغزالي في الرسالة العقلية وحكاه عند المييدي في شرح الديوان المنسوب الى امير
المؤمنين عليه السلام

(٦). اخرج العاصمي ابو محمد في كتابه «زين الفتى في شرح سورة هل اتى

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٠٩

أبواب شارعة في المسجد، قال يوماً : سدوا هذه الابواب إلّا باب علي عليه السلام فتكلم في ذلك
ناسٌ فقام رسول الله صلى الله عليه وآله فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فأني أمرت بسد هذه
الأبواب غير باب علي، فقال فيه قائلكم، وإني ما سددت شيئاً ولا فتحتة، ولكنني أمرت بشيء
فاتبعته» (١).

ذلك تأشيراً عشيراً لاختصار الباب إليه فيه عليه السلام وانحصاره عن سواه، ولتخذه مع الرسول
سبيلاً إلى الله لا سواه!

فمعرفة الرسول كما يحق التزاماً لسبيل الله، هي السبيل الواضحة إلى الله، ف «سبيلاً» مع الرسول
هي سبيل إليه، وهما معاً سبيل إلى الله.

كيف لا وهو شاهد منه «أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه» (٢)

وكما يروى عنه صلى الله عليه وآله : «علي مني وأنا منه، لا يؤدي عني إلا أنا أو علي» (٣) «إن
علياً مني وأنا

(١). اخرج وما في معناه جماعة من الحفاظ وارباب السنن عن زين بن ارقم وعبد الله بن عمر بن
الخطاب والبراء بن عازب وعمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس وابي سعيد الخدري وابي حازم
الأشجعي وجابر بن عبد الله وجابر بن سمرة وسعد بن ابي وقاص وانس بن مالك وبريدة الأسلمي
وامير المؤمنين علي عليه السلام كلهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله-

اخرجه عنهم فيمن اخرج : النسائي في السنن الكبرى والخصائص ص ١٣ والحاكم في المستدرک
٣ : ١٤٥ وصححه، والضياء المقدسي في المختارة، والكلابادي في معاني الأخبار، وسعيد بن منصور

في سنه، ومحب الدين الطبري في الرياض ٢ : ١٩٢، والخطيب البغدادي في تاريخه، والكنجي في الكفاية ٨٨، وسبط ابن الجوزي في التذكرة ٢٤٥، وابن ابي الحديد ٢ : ٤٥١، وابن كثير ٧ : ٣٤٢، وابن حجر في القول المسدد ١٧، وفتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر ٧ : ١٢، والسيوطي في جمع الجوامع كما في الكنز ٦ : ١٥٢، ١٥٧، والهيثمي في مجمع الزوائد ٩ : ١١٤، والعيني في عمدة القاري ٧ : ٥٩٢، والبدخشي في نزل الأبرار، وابن ابي شية، وابو نعيم، والحموي في الفرائد ب ٢١، وابو يعلى في الكثير، وابن السمان في الموافقة، والجرزي في اسنى المطالب، والخوازمي في المناقب، وابو نعيم في الحلية، والحافظ البزاز .. قال ابن حجر في فتح الباري والقسطلاني في ارشاد الساري ٦ : ٨١، ان كل طريق من هذا الحديث صالح للاحتجاج فضلاً عن مجموعها» (الغدير للعلامة المغفور له الأميني ٣ : ٢٠٢ - ٢٢٩)

(٢). ١١ : ١٧

(٣). حديث صحيح رجاله كلهم ثقات - اخرج الامام احمد في مسنده ٤ : ١٦٤ - ١٦٥، باسانيد اربعة، والحافظ ابن ماجة القزويني في سننه ١ : ٥٧، والحافظ بو عيسى الترمذي في جامعه ١٣ : ١٦٩ و ٢ : ٤٦٠ و ٢١٣ والنسائي في الخصائص ٢٦ وابن المغازلي في المناقب باسانيد متوفرة، والبغوي في المصايح ٢ : ٢٧٥ والخطيب العمري في المشكاة ٥٥٦ والكنجي في الكفاية ٥٥٧ والنووي في تهذيب الاسماء واللغات، ومحب الطبري في الرياض ٣ : ٧٤ عن الحافظ السلفي وسبط ابن الجوزي في التذكرة ٢٣ والذهبي في تذكرة الحفاظ وابن كثير في تاريخه والسنحاري في المقاصد الحسنة والمناوي في كنوز الدقائق ٩٢ والحموي في فرائد السمطين ب ٧ والسيوطي في الجامع الصغير وفي جمع الجوامع وابن حجر في الصواعق ٧٣ والمتقي الهندي في كتر العمال عن (١١) حافظاً والبدخشاني في نزل الابرار (٩) والفقير شيخ بن العيد روس في العقد النبوي والشبلنجي في نور الابصار ١٥٥ كلهم اخرجوه ورووه عن حبش بن جنادة وعمران وابي ذر الغفاري عن رسول الله صلى الله عليه و آله

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢١٠

منه» (١) «علي مني مثل رأسي من بدني» (٢) «منزلة علي مني منزلة مني من الله تعالى» (٣).

لا فحسب بل هو نفسه لآية أنفسنا : «فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين» (٤).

فتارك السبيل مع الرسول «يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً» قررها الله والرسول.
«ويا وليتي ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً» فلان الذي خلّ فيّ وأخلّ، وأضلني عن سبيل مع الرسول، أياً
كان هذا الفلان، فلان يضل عن رسالة الرسول، فلا سبيل الرسول ولا سبيل مع الرسول! كما أضل
ابن ابي خلف عقبة بن ابي معيط، أو فلان يضل عن كامل رسالته حيث يعلق باب مدينة علمه ويفتح
أبواباً سدها الله، كمن يصد عن باب مدينة علم الرسول، أم وأي فلان يحول دونك والرسول فيما
يفعل او يقول، مهما اختلف فلان عن فلان، فضلال عن ضلال، أضلّه قطع سبيل الرسول عن
بكرتها في نُكرتها.

«لقد اضلني» فلان «عن الذكر» الرسول «بعد إذ جاءني» وذلك خسران مبين وخذلان عظيم «وكان
الشیطان للإنسان خذولاً».

و أخذل من العطشان الذي يأتيه ماء فرات ثم يضلّه فلان فيموت عطشاناً؟ .. ومن أزدل من الذي
يؤمن بالرسول ثم يكفر بسبيل صالحه مع الرسول فيضل عن الرسول بعد إذ

(١). رواه البخاري في ٤ من صحيحه عن عمر بن الخطاب وفي الجمع بين الصحاح ٢ من عدة
طرق ومنها ما عن جنادة عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال : علي مني ... ورواه ابن المغازلي
من عدة طرق باسناد

(٢). رواه الامام احمد في مسنده وابن المغازلي بالاسناد عنه صلى الله عليه وآله وابن الاثير في جامع
الاصول عن البخاري ومسلم بسنديهما عن البراء بن عازب عن صلى الله عليه وآله

(٣). اخرجه الحافظ ابن المغازلي كما في العمدة لابن بطريق ٥٣ باسناده عن بكر ابن سواده عن
قيضة بن ذويب وابي سلمة بن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله عنه صلى الله عليه وآله والسيره
الخليية ٣ : ٣٩١

(٤). ٣ : ٦١

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢١١

جاءه.

هنالك سبيل مع الرسول إلى الله، من قرآنه كثقل أكبر، ومن عترته كثقل أصغر، ومن تقوى صالحه
اتباعاً للثقلين، وكما الرسول صلى الله عليه وآله هو مجمع الثقلين، مثلث من السبيل مع الرسول،

كما الرسول سبيل معها، ولكنه هو رأس الزاوية من مربع السبيل إلى الله، ف «من يطع الرسول فقد أطاع الله» (١).

كل ذلك سبيل معه إلى الله في النهاية، مهما كانت سبلاً إلى رسول الله في البداية، فكلمة واحدة في سائر القرآن «سبيل الله» (٢) دون سبيل رسول الله أم سواه، ولا يعني «سبيل المؤمنين» (٣) إلا سبيلهم مع الرسول إلى الله وكما قررها الله.

«وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً» (٤).

«وقال» عليها عطفاً على «ويوم» حكاية عن قبله يوم العَصِّ، لأن القرآن هو المحور الأصيل من السبيل مع الرسول صلى الله عليه وآله فهجر القرآن هو هجر الرسول وعترته الرسول.

ثم و «قومي» لا يخص الظالم الذي يعرض على يديه، فإنهم كل من وجبت عليهم الدعوة الإسلامية في طول الزمان وعرضه، فقليل هؤلاء الذين لم يتخذوا هذا القرآن مهجوراً، وكثير هؤلاء الذين اتخذوا هذا القرآن مهجوراً، وكما نراه طول التاريخ الإسلامي.

ومهما «قال الرسول» قوله الشاكي عند ربه يوم الأخرى، فهو قائله يوم الأولى، كما نعرفه من طبقات شكواه.

فان الصلة القرآنية درجات، وهجرها دركات حسب ترك الدرجات :

فمنهم من هجروا الإيمان به، فلم يفتحوا له أسماعهم، بل وجعلوا أصابعهم في آذانهم، خوفاً منهم أن يجتذبهم فلا يملكون لقلوبهم عنه رداً، ثم وهجروا فيه بما هرفوا وخرفوا وألغوا فيه.

(١). ٤ : ١١٥

(٢). يذكر السبيل في القرآن (١١٦) مرة ولا يعني خيرها الا سبيل الله، ام وسبيل المؤمنين وهي

ايضاً سبيل الله

(٣). ٤ : ١١٥

(٤). سورة الفرقان، الآية : ٣٠

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج٤، ص : ٢١٢

ومنهم من أسلم له نفاقاً دون وفاق، إسلاماً في صورته، وكفراً بسيرته وهم المنافقون.

ومنهم من آمن به، سامعين لآياته وقارئين، ولكنهم لا يتدبرون معانيه، ولا يستشعرون مبانيه ومغازيه.

ومنهم من يعتمد على الأصل الأوّل والأخير من التشريع الإسلامي، وعلى ضوئه السنة المحمدية، ولكنهم هجروا دراسته، وأخلدوا إلى ما يسمونه علوماً إسلامية، تخيلاً أنها تُقدّمهم لفهمه، و «بالمآل نرى الحوزات الإسلامية تؤصّل كل دراسة إلّا القرآن، لحد أصبح طالب علوم القرآن ودارسه ومفسره من البطالين في قياسهم، البعيدين عن العلوم الحوزوية، فأصبح القرآن مهجوراً عن حوزاته، لا يدرس إلّا هامشياً دونما تدبر لائق به «أفلا يتدبرون القرآن ام على قلوب أقفالها» (١)»

؟ أجل وعلى قلوب أقفالها في إغفالها القرآن وإقفال باب مراسته في دراسته.

فنحن- إذا- ممن لم يتخذ مع الرسول سبيلاً، حيث هجرنا أعظم السبل معه إلى الله وهو كتاب الله ومن خلفياته ترك الرسول بترك سننه حيث لا تعرف إلّا عرضاً موافقاً لكتاب الله، فقد تركنا- إذا- كلا الثقلين، فنحن من الظالمين الذين يشكونا الرسول عند ربه يوم يقوم الأشهاد.

وهكذا راح القرآن يهز القلوب المقلوبة بهذه المشاهد المزلزلة المزججة، التي تجسّم فيما يجسّم لهم مصيرهم المخيف وهم بعد أحياء يرزقون، وليعلموا أن وعد الله حق.

«وكذلك جعلنا لكل نبيّ عدواً من المجرمين وكفى برّبك هادياً ونصيراً» (٢).

«جعلنا» هذا جعل تكويني في خلق «عدواً» لا تشريعاً لعدائه، ولا خلقاً لعداوته، وإنما عدم التسيير في ترك عدائه حيث الدار دار الإختيار في كل خير وشر، دون تسيير وإجبار : «وكذلك جعلنا لكل نبيّ عدواً شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً. ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون. ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقتروا ما هم مقترفون» (٣) «وما أرسلنا

(١). ٤٧ : ٢٤

(٢). سورة الفرقان، الآية : ٣١

(٣). ٦ : ١١٣

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢١٣

من قبلك من رسول ولا نبي إلّا إذا نعى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يُحكم الله آياته والله عليّ حكيم. ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن

الظالمين لفي شقاق بعيد. وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهادٍ الذين آمنوا إلى صراط مستقيم» (١).

«كذلك» الذي ترى طول الرسائل «جعلنا» ولكنهم ليسوا ليضروا الله شيئاً، ولا رسل الله ولا المؤمنين بالله «وكفى بربك هادياً» برسوله وكتابه تشريعاً، وبما يوفق المؤمنين به تكويناً «ونصيراً» لهم في معارك الشيطانات «إن كيد الشيطان كان ضعيفاً».

إن هدايته تعالى لطلابها ونصرتة هنا ذات أبعاد: بُعد الحفاظ على الاختيار، ألا يُسيّر أعداء النبوات على ترك عدائهم، وبُعد الحجّة البالغة الغالبة على طول خط الرسائل، غير المغلوبة على أية حال، ومن ثمّ حكمة بالغة هي أيضاً هدى ونصرة للمؤمنين وضلال للكافرين، أن لو كانت الدعوات الرسالية سهلة ميسورة دون منازع، فهي تسلك طرقاً ممهدة دون خصوم، لسهل على كل إنسان أن يكون صاحب دعوة، مع ما يكسب على ضوئها من منصب عظيم، ولا اختلطت - إذًا - دعاة الحق بدعاة الباطل أكثر مما هو، ووقعت البلابل والفتن أكثر مما هي!

ولكن بروز الخصوم لهذه الدعوات الرسالية، يضمن كفاحاً لانتصارها، ويجعل آلامها لها وقوداً، فلا يكافح ويحتمل الآلام والبليات - في الأكثرية الساحقة - إلا أصحاب الدعوات الحقّة، الذين يؤثرون تحقيق الحق على المتاع والدعة الراحة، ولا يتصلّب على ذلك الكفاح المرير إلا أصلبهم عوداً، وأقواهم وقوداً، وأكثرهم تطلعاً إلى ما عند الله، وعندئذ تمضي دعوة الحق وتمشي في طريقها برجالها الثابتين عليها، الأماناء فيها، المؤدون ضرائبها بكل غال ورخيص، وقد حفزت الشدائد والمخاوف كل طاقاتهم وإمكانياتهم.

(١). ٢٢ : ٥٤

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢١٤

علي عليه السلام من عنده علم الكتاب

«وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ» وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ

«(١)»

ان «الذين كفروا» متعنتين معاندين لم يكونوا ليؤمنوا مهما اتيتهم بكل آية، فلئن يطلبوا آية على هذه الرسالة فانها تملك الآية القمة الخالدة وهم بها كافرون، فضلاً عن الآيات الحسية العابرة فانهم بها أكفرو لها انكر وأمكروا!.

فتراهم بعد كل هذه الحجج يقولون «لست مرسلًا» فهناك يا رسول الهدى «قل» قولك الأول والاخير كحجة دامغة «كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب». فكتاب الله : القرآن هو شهادة كافية لله، ورسول الله شهادة، ومن عنده علم الكتاب وهو شاهد من رسول الله حيث ربه كما ربه الله، وهو العالم من اهل الكتاب هما شهادة من الله، شهادات اربع و «كفى بالله شهيداً».

فالقرآن شهادة كافية في بعدي الرسالة وآيتها الخالدة «وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما انا نذير مبين. اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون. قل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً ..» (٢).

والرسول شهادة هو بنفسه لرسالته وكما المرسلون اجمع «قالوا ربنا يعلم انا اليكم المرسلون» (٣) حيث التربية الرسالية لائحة في احوالهم، ظاهرة في اقوالهم واعمالهم. وخليفة الرسول شهادة لهذه الرسالة كما العلماء الربانيون من اهل الكتاب «افمن كان

(١). سورة الرعد، الآيات : ٤٢ - ٤٣

(٢). ٢٩ : ٥٢

(٣). ٣٦ : ١٦

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢١٥

على بيعة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماماً ورحمة اولئك يؤمنون به فمن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه انه للحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون» (١). فالرسول على بيعة من ربه هي القرآن ونفسه المقدسة، وشاهد منه الذي يتلوه هو الإمام علي عليه السلام حيث صنعه كنفسه ورباه كما ربه ربه على عينه ورعايته، فهو من آيات رسالته كما هو استمرار لرسالته، «ومن قبله كتاب موسى اماماً ورحمة» حيث يحمل بشارات في تصريحات وإشارات بحق القرآن ونبي القرآن وشاهد منه! «ومن عنده علم الكتاب» قرآناً كمن يتلوه شاهداً منه

وعترته المعصومون اجمعون، وتوراة كعلماء اهل الكتاب الربانيون حيث يفرحون بما انزل اليك وهم به يؤمنون.

افبعد هذه القواعد الأربع من الشهادات الإلهية «لست مرسلًا» فلئن أتى بآيات النبيين أجمع لم يكن مرسلًا- في زعمكم- بطريقة اولى فانها ادنى من شهاداته العليا.
النسخة الأصيلة الأولى ممن عنده علم الكتاب هو «شاهدٌ منه» علي امير المؤمنين عليه السلام واضرابه «٢» والنسخة الثانية علماء اهل الكتاب كعبد الله بن سلام «٣» واضرابه،

(١). ١١ : ١٧

(٢). الدر المنثور ٤ : ٦٩ اخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله اسقف من اليمن فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله هل تجدني في الانجيل رسولًا؟ يقال : لا فانزل الله «قل كفى بالله...» يقول : عبدالله بن سلام أقول وفي روايات عدة ان عبدالله بن سلام والجارود وتميم الداري وسلمان الفارسي أقول وكون السورة مكية لا ينافي كون امثال عبدالله بن سلام من مصاديق «من عنده ام الكتاب» فانه من باب الجري كما الائمة المعصومون وسائر علماء اهل الكتاب بعد العهد المكي كلهم من مصاديق هذه الآية دوغما استثناء

(٣). نور الثقلين ٢ : ٥٢١ في الاحتجاج عن سليم بن قيس قال سألت رجل علي بن ابي طالب فقال له وانا اسمع اخبرني بافضل منقبة لك قال : ما انزل الله في كتابه، قال : وما انزل الله فيك؟ قال : قوله «و... ومن عنده علم الكتاب» اياي عني بمن عنده علم الكتاب وفيه عن اصول الكافي باسناده عن بريد بن معاوية قال قلت لأبي جعفر عليه السلام «قل كفى بالله...» قال : ايانا عني وعلي اولنا وافضلنا وخيرنا بعد النبي صلى الله عليه وآله وفي الخرايج والجرايح باسناده عنه عليه السلام مثله وفي امالي الصدوق باسناده الى ابي سعيد الخدري قال سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن الآية قال : ذاك اخي علي بن ابي طالب اقول : وقد استفاضت الاحاديث في انه علي عليه السلام وهو من باب الاشارة الى أفضل المصاديق، وكما استفاضت انه ليس عبدالله سلام لان السورة مكية وهو اسلم في المدينة، وقد تعني الثانية انه ليس هو شأن نزولها كمصداق اجلى بل هو علي عليه السلام ومن ثم هو وامثاله.

وفي كفاية الخصام ص ٤٣٦ اخرج ستة احاديث من طريق اخواننا وثمانية عشر من طريق اصحابنا ان «من عنده علم الكتاب» هو علي عليه السلام فمن الاول ما اخرجه عن الثعلبي في تفسيره عن عبدالله بن عطا عن ابي جعفر عليه السلام وعن النبي صلى الله عليه وآله وابن المغازلي الشافعي باسناده عن علي بن حابس وابو نعيم الاصفهاني والثعلبي بسندهما عن ابي الحنفية والشيخ علي بن يونس النباطي العاملي في كتابه الصراط المستقيم عن تفسير الثعلبي وفي ملحقات احقاق الحق ج ١٤ ص ٣٦٢ عن العلامة ابن المغازلي الشافعي في المناقب (مخطوط) والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ج ١ : ٣٠٧ بعدة طرق والبدخشي في مفتاح النجا (ص ٤٠ مخطوط) والشيخ عبيدالله الحنفي الامرتسري في ارجح المطالب ص ٨٤ و ١١١ والقندوزي في ينابيع المودة ص ١٠٣ وعبدالله الشافعي في مناقبه (ص ١٥٧ مخطوط) والحافظ حسين الجري في تنزيل الآيات ص ١٥ مخطوط، كلهم اخرجوا نزولها في شأن علي عليه السلام

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢١٦

وافضل الشهود بين الاربعة هو القرآن وني القرآن، ثم شاهد منه «علي» عليه السلام من ثم علماء اهل الكتاب.

والكتاب هنا في القدر المشترك بين «من عنده علم الكتاب» هو كتاب التدوين قرآناً وسائر كتابات الوحي وفي الحد الخاص بالأئمة المعصومين هو كتاب التكوين باذن الله، فقد كان عند آصف بن برخيا وزير سليمان علم من كتاب التكوين اضافة الى كتاب التدوين ففعل ما فعل : «وقال الذي عنه علم من الكتاب انا آتيك به من قبل ان يرد اليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال إنه من فضل ربي ...» (١).

فهذا الذي عنده علم من الكتاب، فكيف ترى من عنده علم الكتاب؟ وهو علي والمعصومون من ولده الطاهرين فهم على هذه الخوارق باذن الله اقدر «٢».

(١). ٢٧ : ٤٠

(٢). في تفسير البرهان ٣ : ٣٠٢ عن الكافي باسناده عن سدير قال كنت انا وابو بصير ويحيى البيزاز وداود بن كثير في مجلس ابي عبدالله عليه السلام اذ خرج علينا وهو مغضب فلما اخذ مجلسه قال يا عجباً لاقوام يزعمون انا نعلم الغيب ما يعلم الغيب الا الله عز وجل، لقد هممت يضرب جاري

فهربت مني فما علمت في اي بيوت الدار هي قال سدير فلما ان قام من مجلسه وصار في منزله دخلت انا وابو بصير وميسر وقلنا له جعلت فداك سمعنا وانت تقول كذا وكذا في أمر جاريتك ونحن نعلم انك تعلم علماً كثيراً ولا ننسبك الى علم الغيب قال فقال يا سدير اما تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قال فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله عز وجل «قال الذي عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك» قال قلت جعلت فداك قد قرأته قال: فهل عرفت الرجل وهل علمت ما كان من علم الكتاب؟ قال قلت فاخبرني به قال: قدر قطرة من الماء في البحر الاخضر فما يكون ذلك من علم الكتاب؟ قال قلت جعلت فداك ما اقل هذا قال فقال يا سدير ما اكثر هذا ان ينسبه الله عز وجل الى العلم الذين اخبرك به سدير فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله عز وجل ايضاً «قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب»؟ قال قلت جعلت فداك قرأت قال: فمن عنده علم الكتاب كله افهم ام من عنده علم الكتاب بعضه؟ قال قلت: بل من عنده علم الكتاب كله واومى بيده الى صدره وقال: علم الكتاب والله كله عندنا علم الكتاب والله كله عندنا

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص: ٢١٧

علماء اهل البيت المعصومين يجمعون الى علم الكتاب التدوين قرآناً وسواه من كتابات النبيين، علم كتاب التدوين، والحجة الشاهدة لهذه الرسالة السامية هي في شخص علي عليه السلام فانه شاهد منه، وذلك يجري في ولده المعصومين، ثم «من عنده علم الكتاب» توراة وإنجيلاً حيث يعرف البشارات الموجودة فيهما بحق هذا الرسول صلى الله عليه وآله دون ان يهرف فيها او يخرف او يُحرف، ولقد افردنا كتاباً مستقلاً يحمل قسماً من هذه البشارات: رسول الاسلام في الكتب السماوية اوردنا فيه ستين بشارة عن مختلف الكتب السماوية.

علي عليه السلام يشري نفسه ابتغاء مرضات الله

«وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعَبَادِ» (١).

شراء النفس له درجات أدناها أن يشري نفسه خوفاً من النار، ثم من يشري نفسه طمعاً في الجنة، ف «الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة» (٢)

تشملهما حيث الآخرة الصالحة تتبدد بالبعد عن النار ثم إلى الجنة، وقد تختص بالفريق الثاني «ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بان لهم الجنة» (٣)

، كما وينادى لهم على طول الخط في أخرى : «يا ايها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم. تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون. يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم» «٤».

فالفريق الأول المتقون من خوف النار هم العبيد، والآخرون المتقون رغبة في الجنة هم التجار، وهنا فرقة ثالثة «يشري نفسه ابتغاء مرضات الله» لا بابتغاء العبد النار، ولا بابتغاء الجنة، حتى ولا بابتغاء مرضات الله، ان يجعلها ثمناً لشراءه، فانما «ابتغاء مرضات

(١). سورة البقرة، الآية : ٢٠٧

(٢). ٤ : ٧٤

(٣). ٩ : ١١١

(٤). ٦١ : ١٢

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢١٨

الله « مترفعين عن كل بديل وثمان، متحررين في شراء انفسهم كل تجارة وبغية مبادلة، إلّا غاية واحدة هي «ابتغاء مرضات الله» حتى لو لم يدخل به الجنة او يدخل به النار، فانما بغيتهم في شراءهم هم هي فقط «مرضات الله» لا سواها ولا سواه، وهؤلاء هم افضل الأحرار.

وأصدق المصدق منهم في المتقين بعد الرسول صلى الله عليه وآله هو علي أمير المؤمنين عليه السلام ليلة المبيت إذ صان بنفسه نفس الرسول صلى الله عليه وآله فاستحق بذلك النزول : «ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد»!

وقد أخرج قصة ليلة المبيت ونزول آية الشراء بشأنها في علي عليه السلام فيما حضر عندنا واحد وثلاثون من مؤلفي اخواننا السنة «١» بمختلف التعبيرات القيمة عن ذلك الموقف العظيم.

فهو «اول من شرى نفسه ابتغاء مرضاة الله» «٢» قائلاً لأبي بكر : ان نبي الله قد انطلق نحو

(١). وهم : ١- أحمد بن حنبل في مسنده (١ : ٣٣١) ٢- والطبري في تفسيره (٩ : ١٤٠) باربعة

اسانيد والحاكم في المستدرک ٣- والحافظ الحاكم في المستدرک ج ٣ (١) ٤- والذهبي في تلخيص

المستدرک (٣ : ٤) ٥- والثعلبي في تفسيره على ما في تفسير اللوامع (٢ : ٣٧٦) ٦- والحافظ ابو نعيم الاصفهاني في كتابه : ما نزل في شأن علي- على ما في اللوامع (٢ : ٣٧٥) ٧- والغزالي في إحياء العلوم ٨- وموفق بن احمد الخطيب الخوارزمي على ما في اللوامع (٢ : ٣٧٥) ٩- والفخر الرازي في تفسيره (٥ : ٢٢٣) ١٠- وعز الدين الجزري المعروف بابن الاثير في اسد الغابة (٤ : ٢٥) ١١- والسبط بن الجوزي في التذكرة ص ٢٠٨ ، ١٢- والكنجي الشافعي في كفاية الطالب ص ١١٤ ، ١٣- والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ج ٣ ، ١٤- والحمويني على ما في اللوامع (٢ : ٣٧٧) ١٥- والنيشابوري في تفسيره (٢ : ٢٠٨) ١٦- وابو حيان المغربي الأندلسي في البحر المحيط (٢ : ١١٨) ١٧- والشيخ محمد الكازروني في السيرة الحمديّة ١٨- وابن صباغ المالكي في الفصول المهمة ص ٣٠ ، ١٩- وملاً معين الكاشفي في معارج النبوة في مدارج الفتوة (١ : ٤) ٢٠- والقسطلاني في المواهب اللدنية على ما في اللوامع (٣٧٧) ٢١- وصاحب كتاب الجمع والمباني على ما في اللوامع (٣ : ٣٧٧) ٢٢- والمؤرخ الشهر غياث الدين همّام المعروف بخواندمير في حبيب السير (٢ : ٢) ٢٣- والشاه عبد الحق الدهلوي في مدارج النبوة ص ٧٩ ، ٢٤- والترمذي في مناقب المرتضوي ص ٣٣ ، ٢٥- والآلوسي في تفسير روح المعاني (٣ : ٨٣) ٢٦- والسيد احمد زيني دحلان في السيرة النبوية (١ : ٣٠٦) ٢٧- والقندوزي في ينابيع النبوة ص ٩٢ ، ٢٨- والشيخ عز الدين عبدالرزاق المحدث الحنبلي على ما في البحار (٩ : ٩١) ٢٩- وصاحب كتاب فضائل الصحابة على ما في البحار (٩ : ٩٢) ٣٠- وابن عقب في الملحمة على ما في البحار (٩ : ٩٢) ٣١- وابو السعادات في فضائل العترة على ما في البحار (٩ : ٩٢) .

نقلهم عن ملحقات احقاق الحق ج ٣ للعلم الحجة السيد شهاب الدين المرعشي النجعي دام ظله (٢). اخرجهم احمد بن حنبل في مسنده عن علي بن الحسين عليهما السلام وفيه قال علي عند ميّته

على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله :

وقيت بنفسي خير من وطىء الحصى	ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول إله خاف ان يمكروا به	فنجاه ذو الطول الإله من المكر
وبات رسول الله في الغار آمناً	موقىً وفي حفظ الاله وفي ستر
وبتُّ أراعيهم ولم يتهموني	وقد وطنت نفسي على القتل والأسر

وعن القسطلاني : فلما كان الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبوا عليه فأمر علياً فنام مكانه وتغطي يبرد أخضر فكان أول من شرى نفسه مرضات الله ...

اقول : أول من شرى يأتي في اغلب الروايات عن ليلة المبيت

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢١٩

بئر ميمون فأدركه فانطلق فدخل معه الغار « ١ » وقد أمره رسول الله صلى الله عليه وآله ان ينام مكانه « ٢ » فلما نام قام جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجله وجبرئيل ينادي : يخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة ونزلت الآية « ٣ ».

وللرباط الوثيق بين هذه الآية وآية الغار، قد نأتي على تفصيل هامة الهجرة في آية الغار، هنا نقارن بين صاحب الغار والفراش ايهما أفدى بنفسه واكثر شارباً إياها ابتغاء مرضاة الله ؟.

صاحب الغار صاحب الرسول صلى الله عليه وآله حالة الفرار، وصاحب الفراش ظل على فراش الرسول صلى الله عليه وآله تقبلاً وتحملاً لكل الأخطار، فأيهما - إذاً - أفدى بنفسه ؟.

وهما هنا فرقدان، فرقد الليل وفرقد النهار، فرقد الليل يرقد على فراش الرسول صلى الله عليه وآله في الخطر القائم الهاجم، وفرقد النهار يصاحب الرسول صلى الله عليه وآله والخطر ناجم، وترى هاجم الخطر أشجى أم ناجمه ؟.

«والله رؤوف بالعباد» اذ يبعث رجالاً صالحين هكذا ليدفعوا عن بأس اولئك الطالحين وكما قال الله : «ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو

(١). اخرجه الحاكم في المستدرک عن علي بن الحسين

(٢). اخرجه الثعلبي في تفسيره

(٣). اخرجه فخر الدين الرازي في تفسيره ويروى انه نام ...

اقول : هنا نكتفي بما اخرجه احمد بن حنبل في مسنده (١ : ٣٣١) قال حدثنا عبد الله حدثني ابي حدثنا يحيى بن حماد حدثنا ابو عوانة ابو يلح حدثنا عمرو بن ميمون قال : اني الجالس إلى ابن عباس إذ أتاه تسعة رهط فقالوا : يا ابن عباس إما ان تقوم معنا واما ان تحلون هؤلاء قال فقال ابن عباس : بل أقوم معكم، قال : وهو يومئذٍ صحيح قبل ان يعمى قال فابتدئوا فتحدثوا فلا ندري ما قالوا، قال : فجاء ينقض ثوبه ويقول : أف وتف وقعوا في رجل له عشرة فعد العشرة وقال : وشرى عليُّ

نفسه لبس ثوب النبي صلى الله عليه وآله ثم نام مكانه قال : وكان المشركون يريدون رسول الله صلى الله عليه وآله فجاء ابو بكر وعلي نائم قال واو بكر يحسب أنه نبي الله قال فقال : يا نبي الله، قال فقال له علي ان نبي الله صلى الله عليه وآله قد انطلق نحو بئر ميمون فأدركه قال : فانطلق ابو بكر فدخل معه الغار قال : وجعل يرمي بالحجارة كما كان يرمي نبي الله وهو يتضور وقد لف رأسه في الثوب لا يخرج حتى اصبح، ثم كشف عن رأسه فقالوا : انك للثيم كان صاحبك نراميه فلا يتضور وانت تتضور وقد استنكرنا ذلك الحديث

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٢٠

فضل على العالمين».

هذا- وقد لا تنطبق الآية على من يشتري نفسه بماله كصهيب «١» فانه اشتراء وليس شراءً، وهو بمال وليس ابتغاء مرضاة الله مهما كان في مرضاة الله. إنها منطبقة على كل من شري نفسه ابتغاء مرضاة الله على مدار الزمن بدرجاتهم في ذلك الشراء، ومنهم حسب المروي عن أصدق مصداق لهذه الآية «الرجل يُقتل على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

مختلفة مغالات في علي عليه السلام سورة «المؤمنون» كسائر القرآن نازلة على

الرسول صلى الله عليه وآله دون من قبله كماير المؤمنين عليه السلام وسواه

سورة «المؤمنون» وكل سور القرآن هي للمؤمنين، الا ان الجوه شامل فيها هو جو الايمان، صفات الايمان، ودلائل الايمان في الآفاق والأنفس، وحقيقة الايمان وحده وتفرق الناس عنها، وما للمؤمنين من فضائل الاخلاق والاعمال، ولمن سواهم من رذائل الأخلاق وسفاسفها. فهي تبدء بفلاح المؤمنين الحاملين شروطات الايمان في آيات عشر «من أقامهن دخل الجنة» «٢» و «الذين يرثون الفردوس» توضيحة للعاشرة دون ان

(١). الدر المنثور ١ : ٢٤٠ عن سعيد بن المسيب قال اقبل صهيب مهاجراً نحو النبي صلى الله عليه وآله فاتبه نفر من قريش فنزل عن راحلته وانتشل ما في كنانته ثم قال : يا معشر قريش قد علمتم أنني من أركام رجلاً وأيم الله لا تصلون إلي حتى أرمي بكل سهم في كنانتي ثم أضرب بسيفي ما تبقي في

يدي فيه شيء ثم افعلو ما شئتم وان شئتم دللتكم على مالي وقنيتي بمكة وخليتم سبيلي؟ قالوا : نعم، فلما قدم على النبي صلى الله عليه وآله قال : ربح البيع وربح البيع ونزلت الآية (٢). الدر المنثور ٥ : ٢ - اخرج جماعة عن عمر بن الخطاب قال : كان اذا نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله الوحي يسمع عند وجهه كدوي النحل فانزل عليه يوماً فمكثنا ساعة فسرى عنه فاستقبل القبلة فرفع يديه فقال : اللهم زدنا ولا تنقصنا واکرمنا ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا وأرضنا ثم قال لقد انزلت علي عشر آيات من اقامهن دخل الجنة ثم قرأ : قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر واخرج آخرون عن يزيد بن بابنوس قال قلنا لعائشة كيف كان خلق رسول الله صلى الله عليه وآله قالت : كان خلقه القرآن ثم قالت : تقرأ سورة المؤمنون فقرأ حتى بلغ العشر فقالت هكذا كان خلق رسول الله صلى الله عليه وآله

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٢١

تحمل مواصفة زائدة.

ثم عرضاً لخلق الإنسان وخلق الطرائق السبع وإنزال نصيب الأرض من ماء السماء، ثم قصصاً من دعوات الرسل وعرقلات الناكرين منذ نوح ورسلي بعده الى موسى وهارون وعيسى بن مريم، توحيداً لدعواتهم وأممهم، وإلى خاتم النبيين، بما يطمها ويتمها من دلائل التوحيد والوحي والمعاد، وكلها تحوّل حول صالح الايمان وطالح الايمان.

وفي بعض الروايات اليتيمة أن علياً عليه السلام قرء هذه الإحدى عشر عند ولادته أمام النبي صلى الله عليه وآله «١» وفي لطيفة أنه قرء حينذاك كافة الكتب السماوية ومنها القرآن من اولها الى آخرها «٢».

(١)

(٢). بحار الأنوار ٣٥ : ١٧ في رواية شعبة عن قتادة عن انس عن العباس بن عبد المطلب ورواية الحسن بن محبوب عن الصادق عليه السلام والحديث مختصر - انه انفتح البيت من ظهره ودخلت فاطمة فيه ثم عادت الفتحة والتصقت وبقيت فيه ثلاثة ايام فاكلت من ثمار الجنة فلما خرجت قال علي عليه السلام السلام عليك يا ابيه ورحمة الله وبركاته ثم تنحنح وقال : بسم الله الرحمن الرحيم قد افلح المؤمنون الآيات فقال رسول الله صلى الله عليه وآله قد افلحوا بك انت والله اميرهم تيرهم من

علمك فيمتارون وانت والله دليلهم وبك يهتدون ووضع رسول الله صلى الله عليه وآله لسانه في فيه فانفجرت اثنتا عشرة عينا قال فسمى ذلك اليوم يوم التروية فلما كان من غده وبصر علي برسول الله صلى الله عليه وآله وضحك في وجهه وجعل يشير اليه فاخذ رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت فاطمة : عرفه فسمى ذلك اليوم عرفة فلما كان اليوم الثالث وكان يوم العاشر من ذي الحجة اذن ابو طالب في الناس اذانا جامعاً وقال : هلموا الى وليمة ابني علي ونحر ثلاثمائة من الابل والف رأس من البقر والغنم واتخذوا وليمة وقال هلموا طوفوا بالبيت سبعاً وادخلوا وسلموا على علي ولدي ففعل الناس ذلك وجرت به السنة ووضعت امه بين يدي النبي صلى الله عليه وآله ففتح فاه بلسانه وحنكه واذن في اذنه اليمنى واقام في اليسرى فعرف الشهادتين وولد على الفطرة.

اقول وفي الحديث من الغرائب ما يعجز عنها التعبير، وكأن مختلق الحديث نسي ان النبي بعد لم ينبأ فكيف اذن واقام، وابو طالب كان فقيراً ذا عيال فكيف قدم هذه الوليمة التي كانت تكفي اهل مكة اياماً عدة وسنة الطواف هي كانت منذ آدم الى ابراهيم والى محمد صلى الله عليه وآله فكيف كانت منذ هذه الولادة ... ورواه مثله الشيخ الطوسي في اماليه

(٢). بحار الأنوار ٣٥ : ١٩ ح ١٥ خصه روي عن مجاهد عن ابي عمرو وابي سعيد الخدري قالوا كنا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وآله اذ دخل سلمان الفارسي وابو ذر الغفاري والمقداد بن الاسود وعمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان وابو الهيثم بن التيهان وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين وابو الطفيل عامر بن وائلة فاجثوا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله والحزن ظاهر في وجوههم فقالوا : فديناك بالآباء والامهات يا رسول الله صلى الله عليه وآله انا نسمع من قوم في اخيك وابن عمك ما يجزنا وانا نستأذنك في الرد عليهم فقال صلى الله عليه وآله وما عساهم يقولون في اخي وابن عمي علي بن ابي طالب؟ فقالوا يقولون : اي فضل لعلي في سبقه الى الاسلام، وانما ادركه الاسلام طفلاً ونحو هذا القول، فقال صلى الله عليه وآله فهذا يجزنكم؟ قال : اي والله فقال : بالله اسألکم هل علمتم من الكتب السالفة ان ابراهيم هرب به ابوه من الملك الطاغى فوضعت به امه بين اثلاث بشاطيء نهر يتدفق يقال له حزر ان من غروب الشمس الى اقبال الليل فلما وضعته واستقر على وجه الأرض قام من تحتها يمسخ وجهه ورأسه ويكثر من شهادة ان لا اله الا الله ثم اخذ ثوباً واتشح به وامه تراه فدعرت منه ذعراً شديداً ثم هرول بين يديها ماداً عينيه الى السماء فكان منه ما قال الله عز وجل : وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السماوات والأرض - ثم نقل قصة موسى

وعيسى فقال- : وقد علمتم جميعاً ان الله عز وجل خلقني وعلياً من نور واحد- الى قوله- ولقد هبط حبيبي جبرئيل في وقت ولادة علي ويقول : هذا اوان ظهور نبوتك وعلان وحيك وكشف رسالتك اذ ايدتك باخيك ووزيرك وصنوك وخليفتك ومن شددت به ازرك واعلنت به ذكرك فقم اليه واستقبله بيدك اليمنى فانه من اصحاب اليمين وشيعته العُمر المحجلون فقامت مبادراً فوجدت فاطمة بنت اسد ام علي وقد جاء لها المخاض وهي بين النساء والقوابل حولها فقال حبيبي جبرئيل يا محمد نسجف بينها وبينك سجعاً وضعت بعلي تتلقاه ففعلت ما أمرت به ثم قال لي امدد يدك يا محمد فمددت يدي اليمنى نحو أمه فاذا انا بعلي على يدي واضعاً يده اليمنى في اذنه اليمنى وهو يؤذن ويقيم بالخفية ويشهد بوحدانية الله عز وجل وبرسالاتي ثم انثنى الي وقال : السلام عليك يا رسول الله، ثم قال لي يا رسول الله أقرأ ؟ قلت : إقرأ ، فوالذي نفس محمد بيده لقد ابتدأ بالصحف التي انزلها الله عز وجل على آدم فقام بها ابنه شيث فتلاها من اول حرف فيها الى آخر حرف فيها حتى لو حضر شيث لأقرأ انه احفظ له منه ثم تلا صحف نوح ثم صحف ابراهيم ثم قرأ توراة موسى حتى لو حضر موسى أقرأ له بانه احفظ لها منه ثم قرأ زبور داود حتى لو حضر داود لاقرأ بانه احفظ لها منه ثم قرأ انجيل عيسى حتى لو حضر عيسى لاقرأ بانه احفظ لها منه ثم قرء القرآن الذي انزله الله علي من اوله الى آخره فوجدته يحفظ كحفظي له الساعة من غير ان اسمع منه آية ثم خاطبني وخاطبته بما يخاطب الانبياء والاوصياء ثم عاد الى حال طفوليته، وهكذا احد عشر اماماً من نسله فلم تحزنون وماذا عليكم من قول اهل الشك والشرك بالله ..

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٢٢

ذلك! مع العلم أن الرسول صلى الله عليه وآله نفسه لم ينبأ بعدُ ولما ينزل عليه القرآن إلا بعد إثنتي عشرة سنة، فما كان يعلم من القرآن شيئاً : «ما كنت تعلمها أنت ولا قومك» (١) «وما كانت تتلوا من قبله من كتاب ولا تحطه يمينك إذا لارتاب المبطلون» (٢) «ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان» (٣).

فهل نزلت علي علي هذه الآيات، أم القرآن كله بسائر كتابات السماء، قبل أن ينزل القرآن علي رسول القرآن، فأصبح- إذا- رسولاً قبل الرسول، أم علمها دون وحي حياً عن رسالته، ولم يكن الرسول يعلمها دون وحي إذا فهو أعلم من الرسول صلى الله عليه وآله!

ومما لا ريب فيه أن علياً علم ما علم بتعليم الرسول صلى الله عليه وآله فكيف علم ما قرأه قبل تعليمه بوحى أم دون وحي! إذأ فهذه الروايات اليتيمات لطيمات من إسرائيليات وكنسيات ووثنيات، والمهدف من اختلاقها القضاء على سيادة القرآن وكرامته، والجهلة البسطاء من الشيعة المتطرفين يتقبلونها زعماً أنها ترفع من كرامة الإمام، غفلة أو تغافلاً عن أنها من واجهة أخرى تمس من كرامة الرسول صلى الله عليه وآله.

(١)

٤٩ : ١١ .(

٤٨ : ٢٩ .(٢)

٥٢ : ٤٢ .(٣)

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٢٣

لا نقول أن الصبا تمنع عن نزول الوحي فإن يجي «وآتيناه الحكم صيباً» والمسيح قال في مهده : «إني عبد الله...» فليس من المستحيل ذاتياً أن يقرء الإمام علي حين ولادته هذه الآيات أم القرآن كله، أم كتب السماء كلها.

ولكنه من المستحيل أن يوحى وحي الرسالة إلى من ليس برسول، وقبل أن يوحى إلى الرسول! والنظر الصائب المجرد، المتحلل عن العصبية العمياء الجهلاء يُظمئن الناظر إليها أنها من المختلقات الزور، وساحة الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين براءً من هذه التقولات التي تمس من كرامة الرسالة والشرعة القرآنية.

«قد أفلح المؤمنون»

الفلاح هو الشق، والفلاح : الأكار الذي يشق الأرض للزراعة، والفلاح الظفر وإدراك بغية دنيوية أو أخروية أو الطليقة الشاملة لهما، والآخرة خير وأبقى. فالإفلاح هو بالغ الفلاح وخوفاً فيه «١» تشقيقاً لأرض الحياة، وسحقاً لكافة الشهوات والحيونات، وإزالة لكل العرقلات، فوصولاً إلى بغية الإيمان في الدارين وكما وعد الله «إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد» «٢».

ثم «المؤمنون» هنا وفي سواها لا يخص الذكور، بل هم كل من حمل الإيمان ذكراً وأنثاً، اللهم إلا في البعض من هذه المواصفات التالية التي لا تناسب الأنث ك «ما ملكت أيماهم». وترى «المؤمنون» هنا تشمل كل من آمن أياً كان، مهما حمل في قلبه - فقط - صورة الإيمان، دون ان يأتي بسيرته؟ كلاً! بل هم المؤمنون المصوفون بهذه الثمان عدد أبواب الفردوس.

(١)

(. كأبشر دخل في البشارة ويقال افلحه صيره الى الفلاح

(٢). (٤٠ : ٥١

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج٤، ص : ٢٢٤

الخمسة الطاهرة عليهم السلام بين الكتاب والسنة آية التطهير لاهل بيت

الرسالة المحمدية ورواياتها

«... إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» (١).

هذه آية التطهير، منقطعة النظير، في التعريف بمدى العصمة والطهارة للبشير النذير، وأهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم بذلك التطهير.

فإنها على اتصالها بما قبلها من جملات في آياتها وآيات قبلها ثم «واذكرن» التي بعدها، هي منفصلة عما احتفت بها في مغزاها ومعناها، حيث الخطابات في سواها، ال : (٢٢) كلهما مجموع مؤنثة تعني نساء النبي صلى الله عليه وآله وهنا جمعان مذكران يعنيان الذكران من أهل البيت عليهم السلام.

وإنها تصلح لفظياً ومعنوياً أن تكون آية مستقلة عما تصدرتها نازلة لوقت آخر، وكما تواترت بذلك روايات الفريقين عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته الكرام عليهم السلام (٢).

واستقرارها تأليفاً في آية القرار : «وقرن ...» أمرٌ قاصد قاسطٌ إذ يعني التأليف بين بيتي النبي الأقدس صلى الله عليه وآله في الظاهر النسائي والباطن المعرفي في قمة العصمة والطهارة، وليس لها موضع أنسب منها ههنا، رغم ما يُعرف بما لا يُعرف فيُخرف أنها تحولت إلى هنا تحريفاً عن موضعها بغية

تحريف عن موضوعها أنها تعني نساء النبي كما عنتهن سائر خطابتهن؟

وذكورة الضمير دليل قاطع لا مرد له عما يعنيه من ذكران أهل البيت!.

أو أن الله جعلها فيها كيلاً تحرّف عما تعنيه زعم أنها تعني ما تعنيه خطابات النساء، كحيلة إلهية تحول دون التحريف! ولا تحريف في القرآن ولن .. أياً كان وأيان بأدلة الحفظ

(١). سورة الاحزاب، الآية : ٣٣

(٢). احاديث التطهير المتواترة مطبقة على ان آية التطهير مستقلة نزلت دون الفاظها الاخرى التي معها في التاليف

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٢٥

عقلياً وكتابياً وفي السنة القطعية، فهل يخاف الله المحرفين لكي يحتل حتى لا يُعتال؟! إن ضميري التذكير يحافظان على كيان آية التطهير، كما و «إنما» و «أهل البيت» أمّا من عساكر البراهين من نفس الآية ومن السنة المتواترة تدلنا على تحول الخطاب عنهن إلى رجال أهل البيت، إذاً فالبيت غير البيت وأهله غير أهله!.

ليست آية التطهير لتعني نساء النبي لا في أدب اللفظ لمكان «كم .. كم» ولا في حدب المعنى لمكان «إنما» أمّاذا؟ من قرائن قطعية تحافظ على مكانة مخاطبيها، رغم مكانها بين مخاطبات! فكما «يوسف أعرض عن هذا» لا تحوّل «واستغفرى لذنبك إنك كنت من الخاطئين» إلى مخاطبتها، حيث اختلاف الضمائر يحافظ على ما يعنيه المضمرة والضامر ذكراناً وأنثياً كذلك «كم» هنا لا تتحول إلى غير مخاطبيها! وقرينة السياق - على نقد في أصلها - ليست لتسوق مقارنها إلى غير الصريح من معناها!.

أترى نساء النبي صلى الله عليه وآله كن هنا رجالاً لكي يخاطبن بخطابهم «كم» كما يهرفه من لا يعرف أدب اللفظ والمعنى؟ «١» أم نسي الله أو تناسى وسهى فخاطبهن بعد خطابات النساء خطاب الرجال؟ أم عني بهم رجال أهل البيت وفي ضمنهم النساء تغليبا لقبيل الرجال كما في سائر الأحوال؟ وشمول ضمير الرجال للنساء بحاجة إلى دليل قاطع! والقرائن القطعية في الآية تُنحّيهن وكل من هو دون العصمة القمة عنها! والسنة القطعية لا تضم إليها إلّا الصديقة الكبرى عليها السلام! ولئن سألتنا نساء النبي صلى الله عليه وآله هل أنتن أم واحدة منكن داخله في هذه الطهارة القمة الخارج عنها من خرج نبياً وسواه؟ لا نسمع الجواب إلا كلاً، لا سيما وأن القرآن ناطق بالاخطاء الجارفة في بعضهن «وإن تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين»!.

هنا «إنما» في إرادة الطهارة وإذهاب الرجس عن أهل البيت عليهم السلام تحصرها في أهل

(١). كعكرمة في قوله «من شاء باهلتها أنها نزلت في أزواج النبي صلى الله عليه وآله كما ويشير في قوله الأخرى إلى وحدته في هدهته «ليس بالذي تذهبون إليه إنما هو نساء النبي صلى الله عليه وآله و آله» (الدر المنثور ٥ : ١٩٨)

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٢٦

البيت وتحصرها عن سواهم، أي كانوا وأيان من أهل البيوتات الرسالية وملا العالمين من الملائكة والجنة والناس أجمعين!.

فلا يدخل في ذلك البيت القمة في العصمة العليا نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ولا جبريل وميكايل والروح عليهم السلام أمّن ذا؟ فضلاً عن نساء النبي صلى الله عليه وآله أم ورجال فوقهن في درجات الإيمان كمقداد وإبي ذر وسلمان!.

أهل البيت في إطلاقها تشمل كل أهل من كل بيت، بيت السكن للبدن حيث الإنسان يستريح فيه ببدنه من الأعباء، فأهله هم الأهلون لتهيئة الراحة البدنية من أزواج وخدم وأضربهم. أم بيت يبيت فيه الروح، جوّ روحاني يبتغيه الروح لراحة الإستضاءة من أضواء المعرفة وأهله الأهلون لتلك الإستضاءة.

هذا جوّ روحاني وبيت يخلق على أهله، وذاك جوّ جسدي وبيت يخلق على أهله، وأين بيت من بيت وأهل من أهل؟

وهما قد يجتمعان كبيت علي وفاطمة لهما وللرسول الأقدس صلى الله عليه وآله وقد يفتقران كحجرات الرسول بنسائه، وكمن يعيشون عيشة ليس لهم جوّ روحاني يعيشهم عيشة الإنسان و كامل الايمان!.

ولمكان «إنما» هنا ليس من أهل البيت نساءه صلى الله عليه وآله إذ لا يشملهن لأنهن أهل بيت سكن من حجر ومدر وهو بيت محمد كبشر، والمسند إليه هنا هو محمد الرسول صلى الله عليه وآله و آله!.

ترى بعد أن أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله؟ وهو لا يشمل الرسول صلى الله عليه وآله وهوأسه وأساسه! و «إنما» الحاصرة تجعله المصداق الأجل في هذه الأهلية المباركة، وما سائر أهل

البيت إلا كمصاديق ثانوية! مهما تواترت الرواية أنهم «علي وفاطمة والحسنان» في التنزيل وكما يروى عنه صلى الله عليه وآله هؤلاء أهل بيتي وهم أحق بخلافتي» (١).

(١). غاية المرام في كفاية الخصام ص ٣٧٦ عن مسند احمد بن حنبل عبد الرحمن بن احمد بن حنبل عن ابيه احمد عن شداد بن عمارة ذهبت الى وائلة بن الاسفع وعنده جماعة يسون علياً فشاركهم فقال وائلة اتريد ان اخبرك بما سمعت عن رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قلت: بلى قال: ... ساق حديثه في آية التطهير ثم قال صلى الله عليه وآله: وهم احق بخلافتي، اقول والاربعة في التنزيل من باب التفسير بالمصداق الثاني المختلف فيه قائله بالمتفق عليه وقد اخرج عنه صلى الله عليه وآله نزولها في الخمسة محمد بن جرير الطبري في التفسير عن خمسة عشر طريقاً عن ام سلمة والسيوطي في التفسير عن عشرين طريقاً والثعلبي في التفسير عن تسعة طرق عن ام سلمة وفي طرق عدة عن عائشة، وقد نقله جماعة من الحفاظ والمحدثين مثل ابو نصر الحميدي وموفق بن احمد وابو رزين في جامع الصحاح والامام احمد والطبراني عن ام سلمة، والطبري والثعلبي في تفسيرهما وعبدالله الشافعي في مناقبه والطبراني في المعجم الكبير وابن ابي بكر في مجمع الزوائد والزرندي في نظم درر السمطين واهيثمي في الصواعق وابن حسويه في درر بحر المناقب والجري في المناقب والبخشي في مفتاح النجا والقارى في اربعين حديثاً والنهباني في الانوار المحمدية والواحدى في اسباب النزول والقندوزي في ينابيع المودة والأمر تسرى في ارجح المطالب والقسطلاني في المواهب اللدنية والخمراوي في مشارق الانوار والنهباني في الشرف المؤيد والذهبي في تاريخ الاسلام- كلهم عن ابي سعيد الخدري عنه صلى الله عليه وآله

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص: ٢٢٧

أم إنهم أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة، أعلى جوّ روحاني يشمله وإياهم، وبيت رسالي يعمهم، لا الرسولي الذي يخص أهل الرسول المعصومين؟ وهذا يناسب حصر الطهارة، وإطلاق البيت «١» وتواتر الأحاديث الأخرى عن الرسول وأهل البيت وكما يروى عنه صلى الله عليه وآله «نحن أهل بيت طهرهم الله من شجرة النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة وبيت الرحمة ومعدن العلم» (٢). ولقد أجمع اصحاب الرسول صلى الله عليه وآله والتابعون، وأتباعهم، وأئمة الحديث، والمفسرون في تواتر صارم لا قبل له ولا مثيل بين متواتر الحديث، أجمعوا على نزول آية التطهير في أهل بيت

النبوة، وقد يربو رواة حديث التطهير ألفاً مما يجعله كآيته في التواتر الصارم!.

ومن المروي عنهم فاطمة الزهراء عليها السلام «٣» بنت الرسول صلى الله عليه وآله وعائشة وام سلمة وزينب من

(١). حيث التقييد باهل بيت الرسول روحياً كما هو بدنياً لا يناسب اطلاق «اهل البيت»، وبيت الرسالة الحمديّة هنا قضية الاطلاق وسائر البراهين القاطعة

(٢). الدر المنثور ٥ : ١٩١ عن ضحّاك بن مزاحم ان نبي الله صلى الله عليه وآله كان يقول : ... اقول «كان يقول» دليل استمراره في قوله هذا، وقد اخرج عنه صلى الله عليه وآله نزولها في الخمسة محمد بن جرير الطبري في خمسة عشر رواية عن شهر بن حوشب عن ام سلمة والسيوطي في التفسير في عشرين رواية والثعلبي عن ابي سعيد الخدري عنها وعن ابي هريرة وعبدالله بن وهب بن زمعة وعمر بن ابي سلمة عنها ومسلم بن الحجاج والبخاري وسائر الصحاح عنها والثعلبي في تفسيره بتسعة طرق وابو نصر الحميدي وموفق ابن احمد صدر الائمة وابو رزين في جامع الصحاح كل عن ام سلمة عنه صلى الله عليه وآله والامام احمد والطبراني عنها وكذلك عن عائشة بعدة طرق، وعشرات وعشرات اخرى من الحفاظ ورجالات الحديث لحد يجعل نزولها في الخمسة اقوى من نزولها في الاربعة!

(٣). وقد روي عنها حديث الكساء المشهور، اخرجه عن جابر بن عبد الله الانصاري جماعة كالشيخ البحراني صاحب العوالم يقول رأيت بخط الشيخ الجليل السيد هاشم البحراني عن السيد ماجد البحراني عن الشيخ حسن بن زين الدين الشهيد عن المقدس الاردبيلي عن علي بن عبد العالى الكركي عن الشيخ علي بن هلال الجزائري عن الشيخ احمد بن فهد الحلبي عن الشيخ علي بن الخازن الحائري عن الشيخ ضياء الدين علي بن الشهيد الأول عن ابيه عن فخر المحققين عن العلامة الحلبي عن المحقق الحلبي عن ابن نما الحلبي عن محمد بن ادريس الحلبي عن ابي حمزة الطوسي عن محمد بن شهر آشوب عن الطبرسي صاحب الاحتجاج عن الشيخ حسن بن محمد الطوسي عن ابيه شيخ الطائفة الطوسي عن الشيخ المفيد عن ابن قولويه القمي عن الكليني عن علي بن ابراهيم بن هاشم عن احمد بن محمد بن ابي نصر البنزطي عن قاسم بن يحيى الجلاء الكوفي عن ابي بصير عن ابان بن

تغلب عن جابر بن يزيد الجعفي عن جابر بن عبد الله الانصاري انه قال : سمعت فاطمة الزهراء عليها السلام انها قالت : دخل علي ابي رسول الله صلى الله عليه وآله في بعض الايام فقال : السلام عليك يا فاطمة! فقلت : وعليك السلام يا ابتاه فقال : اني لاجد في بدني ضعفاً فقلت له : اعيزك بالله يا ابتاه من الضعف فقال : يا فاطمة ايتيني بالكساء اليماني وغطيني به وصرت انظر اليه فاذا يتألاً كأنه البدر في ليلة تمامه وكماله فما كانت الا ساعة واذا بولدي الحسن عليه السلام قد اقبل فقال السلام عليك يا امه فقلت وعليك السلام يا قره عيني وثمره فؤادي فقال لي : يا امه! اني اشم عندك رائحة طيبة كأنها رائحة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت نعم يا ولدي ان جدك تحت الكساء فاقبل الحسن عليه السلام نحو الكساء وقال : السلام عليك يا جداه يا رسول الله صلى الله عليه وآله آله! اتأذن لي ان ادخل معك؟ فقال : وعليك السلام يا ولدي وصاحب حوضي قد اذنت لك فدخل معه تحت الكساء فما كانت الا ساعة فاذا بولدي الحسين عليه السلام قد اقبل وقال : اسلام عليك يا امه! فقلت وعليك السلام يا قره عيني وثمره فؤادي فقال لي : يا امه! اني اشم عندك رائحة طيبة كأنها رائحة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت : نعم يا بني ان جدك واخاك تحت الكساء فدنى الحسين عليه السلام نحو الكساء وقال : السلام عليك يا جداه السلام عليك يا من اختاره الله اتأذن لي ان اكون معكما تحت هذا الكساء؟ فقال : وعليك السلام يا ولدي ويا شافع امتي قد اذنت لك فدخل معهما تحت الكساء فاقبل عند ذلك ابو الحسن علي بن ابي طالب عليه السلام وقال : السلام عليك يا فاطمة يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت وعليك السلام يا ابا الحسن ويا امير المؤمنين عليه السلام فقال : يا فاطمة اني اشم عندك رائحة طيبة كأنها رائحة اخي وابن عمي رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت نعم ها هو مع ولديك تحت الكساء فاقبل علي نحو الكساء وقال : السلام عليك يا رسول الله صلى الله عليه وآله اتأذن لي ان اكون معكم تحت الكساء قال له وعليك السلام يا اخي وخليفتي وصاحب لوائي في المحشر نعم قد اذنت لك فدخل علي تحت الكساء ثم اتيت نحو الكساء وقلت السلام عليك يا ابتاه يا رسول الله صلى الله عليه وآله اتأذن لي ان اكون معكم تحت الكساء قال لي وعليك السلام يا بنيتي قد اذنت لك فدخلت معهم فلما اكتملنا واجتمعنا جميعاً تحت الكساء فاخذ ابي رسول الله صلى الله عليه وآله بطرفي الكساء وأومى بيده اليماني الى السماء وقال : اللهم ان هؤلاء اهل بيتي وخاصتي وهامتي لحمهم لحمي ودمهم دمي يؤلمني ما يؤلمهم ويجزني ما يجزئهم انا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم وعدو لمن عاداهم ومحب لمن احبهم وانهم

مني وانا منهم فاجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك وغفرانك ورضوانك علي وعليهم واذهب عنهم
الرجس وطهرهم تطهيراً فقال عز وجل : يا ملائكتي ويا سكان سماواتي اني ما خلقت سماءً مبنية ولا
ارضا مدحية ولا قمراً منيراً ولا شمساً مضيئة ولا فلکاً يدور ولا فلکاً تسري ولا بجرأً يجري إلا لحبة
هؤلاء الخمسة الذين هم تحت الكساء فقال الأمين جبرئيل يا رب ومن تحت الكساء ؟ فقال الله عز
وجل : هم اهل بيت النبوة ومعدن الرسالة وهم فاطمة وابوها وبعليها وبنوها فقال جبرئيل يا رب
أتأذن لي ان اهبط الى الارض لآكون معهم سادساً فقال الله عز وجل : قد اذنت لك فهبط الامين
جبرئيل وقال لابي : السلام عليك يا رسول الله صلى الله عليه وآله العلي الاعلى يقرئك السلام
ويخصك بالتحية والاکرام ويقول لك : وعزتي وجلالي اني ما خلقت سماءً مبنية ولا أرضاً مدحية ولا
قمرأً منيراً ولا شمساً مضيئة ولا فلکاً يدور ولا بجرأً يجري ولا فلکاً تسرى إلا لأجلکم ومحبتکم وقد
اذن لي ان ادخل معهم فهل تأذن لي انت يا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال ابي وعليك السلام
يا امين وحي الله نعم قد اذنت لك فدخل جبرئيل معنا تحت الكساء فقال جبرئيل لابي ان الله قد
اوحى اليکم يقول : انما يريد الله ليذهب عنکم الرجس اهل البيت ويطهرکم تطهيراً فقال علي عليه
السلام يا رسول الله صلى الله عليه وآله اخبرني ما جلوسنا هذا تحت هذا الكساء من الفضل عند
الله فقال صلى الله عليه وآله : والذي بعثني بالحق نبياً واصطفاني بالرسالة نجياً ما ذکر خبرنا هذا في
مخفل من مخافل اهل الارض وفيه جمع من شيعتنا ومحبينا الا ونزلت عليهم الرحمة وحفت بهم
الملائكة واستغفرت لهم الى ان يتفرقوا فقال علي عليه السلام : اذاً واللّه فزنا وفاز شيعتنا ورب
الکعبة فقال ابي يا علي ! والذي بعثني بالحق نبياً واصطفاني بالرسالة نجياً ما ذکر خبرنا هذا في مخفل
من مخافل اهل الارض وفيه جمع من شيعتنا ومحبينا وفيهم مهموم الا وفرج الله همهم ولا مغموم الا
وكشف الله غمه ولا طالب حاجة الا وقضى الله حاجته فقال علي عليه السلام : اذاً واللّه فزنا
وسعدنا وكذلك شيعتنا فازوا وسعدوا في الدنيا والآخرة برب الکعبة».

اقول : ورواه مثله الا في بعض المکررات الشيخ فخر الدين الطريحي في كتابه المنتخب الكبير
والدليلي في الغرر والدرر والحسين العلوي والدمشقي الحنفي والشيخ محمد جواد الرازي الكني في
نور الافاق ص ٤ وقد نظمه جماعة من نوابغ الادب من اصحابنا واخواننا منهم ابو المعز السيد محمد
بن السيد مهدي القزويني والسيد هاشم بن المحسن اللعبي الموسوي والسيد محسن الامين الحسين
العاملي دمشقي صاحب اعيان الشيعة والشيخ احمد الشافعي على ما في المشارق للعدوي والشيخ

يوسف النبهاني البيروتي والسيد محمد بن عبد المحسن الخيوي الخلوئي الدمشقي في ديوانه، وتؤيد حديث الكساء الروايات التي تقول جاء رسول الله صلى الله عليه وآله الى فاطمة كما اخرج ابن ابي شيبة وابن جرير وابن المنذر والطبراني وابن ابي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في سننه عن وائلة بن الاسقع قال : جاء رسول الله صلى الله عليه وآله الى فاطمة ومعه علي وحسن وحسين حتى دخل .. واخرج سبط ابن الجوزي عن وائلة قال : اتيت فاطمة عليها السلام اسألها عن علي فقالت : توجه الى رسول الله صلى الله عليه وآله فجلست انتظره فاذا برسول الله قد اقبل ومعه علي والحسن والحسين قد اخذ بيد كل واحد منهم وقليل هذه الروايات التي تقول ان القصة كانت في بيت غير فاطمة، فانها بين مطلقة وما تدل انها كانت في بيتها. ولفظة «خرج صلى الله عليه وآله في رواية عائشة في الاكثر دليل ان القصة ما كانت في بيت عائشة كما رواه عنها ابن مسعود الشافعي مصابيح السنة والزمخشري في الكشاف وابن جرير في تفسيره وابن حجر في الكافي الشاف في تحريج احاديث الكشاف والدشتكي الشيرازي في روضة الاحباب ومسلم في صحيحه واخرج ابن ابي شيبة واحمد وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي في سننه عن وائلة بن الاسقع قال : جاء رسول الله صلى الله عليه وآله الى فاطمة ومعه علي وحسن وحسين حتى دخل ... والنيسابوري في المستدرک ٢ : ٤١٦ عن وائلة قال : جئت اريد علياً ... والقندوزي في ينابيع المودة ٢٢٩ عن وائلة قال : دخل النبي صلى الله عليه وآله على بيت فاطمة ... اقول والرواية عن وائلة في كلمة واحدة ان رسول الله صلى الله عليه وآله جاء الى بيتها!

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٢٩

أزواجه، وكافة أئمة أهل البيت عليهم السلام «١».

(١). ومن اصح ما اسند الى عائشة ما يروى عن مجمع انه دخل مع امه عليها بعد مقتل الامام علي عليه السلام فسألتها عن علي عليه السلام فقالت : سأليني عن احب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وآله لقد رأيت علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً وجمع رسول الله صلى الله عليه وآله بثوب عليهم ثم قال : «اللهم هؤلاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً» قلت : وانا من اهل بيتك؟ قال صلى الله عليه وآله : تنحي انت على مكانك انما اراد الله هذه الآية انا وعلياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام رواه الثعلبي في تفسيره باسناد متصل الى مجمع الحارثي والبخاري ومسلم من

مسند عائشة وابن ابي شيبه واحمد وابن جرير وابن ابي حاتم والحاكم عنها، وبتفاوت يسير عن الجمع بين الصحاح الستة عن موطأ مالك بن الانس وصحيح مسلم والبخاري وسنن ابي داود عن جمع الشيخ ابو الحسن رزين بن معاوية العبد يري عن صحيح ابي داود عنها الا في «انا» ومقدمة القصة واخرجه مثله ابو زكريا ابن ابي اسحاق بسند له عن جميع اليتمي وابو عبدالله الدينوري عن مجمع وعبدالله بن فراش الشيباني عن العوام كما في امالي ابن بابويه (ملحقات الاحقاق ١٤ : ٧٤ - ٧٥). وفي ٩ : ١٠ البيهقي في المحاسن والمساوي ٢٩٧ قال قيل وسئلت عائشة عن امير المؤمنين عليه السلام فقالت وما عسيت ان اقول فيه وهو احب الناس الى رسول الله فساقت حديث التطهير الى وقيل لها كيف سرت اليه؟ قال : انا نادمة وكان ذلك قدراً مقدوراً ممن اخرج ما في معناه عن عائشة العلامة باكثر الحضرمي في وسيلة المال ص ٧٣ نسخة الظاهرية بدمشق والعلامة الشيخ عبد العزيز بن يحيى في الدر المنثور في تفسير الاسماء الحسنی بالمأثور (ص ١٢٦ ط الميمنة بمصر) والعلامة محمد رضا المصري والعلامة علي بن سلطان محمد القاري والثعلبي والبخاري ومسلم من مسنده عائشة وابن ابي شيبه واحمد وابن ابي حاتم والحاكم والجمع بين الصحاح الستة عن موطأ مالك وصحيح مسلم والبخاري وسنن ابي داود عن جمع الشيخ ابو الحسن رزين معاوية عن صحيح ابي داود والعلامة جمال الدين الزرندي الحنفي في (نظم درر السميطن ١٢٣) والعلامة الشيخ ابراهيم الحموي في فرائد السمطين المخطوط والعلامة السيد علوي بن طاهر الحداد الحضرمي في القول الفصل ج ٢ ص ٢١٥ ط جاوا والحافظ البيهقي في السنن الكبرى ج ٢ ص ١٤٩ والطبري في جامع البيان ٢٢ : ٦ وابو عبدالله محمد بن ابي نصر الحميدي في الجمع بين الصحيحين المخطوط والعلامة البغوي في تفسيره معالم التنزيل ٥ : ٢١٣ والعلامة محب الدين الطبري في ذخائر العقبى ص ٢٤ والعلامة ابن كثير الدمشقي في البداية والنهاية ٨ : ٣٤ واشيخ عبد القادر بن احمد بدران الدمشقي في تهذيب تاريخ ابن عساكر والعلامة الشيخ علاء الدين البغدادي الشهير بالخازن في تفسيره (٥ : ٢١٣) والعلامة ابو العباس احمد بن عبد الحليم بن يتيمة الحنبلي في منهاج السنة ٣ : ٤ و ٤ : ٢٠ والعلامة الشيخ خضر بن عبد الرحمن في التبيان ص ١٢٥ مخطوط والعلامة الشيخ سعيد بن محمد بن مسعود الشافعي في المنتقى في سيرة المصطفى ص ١٨٨ المخطوط والخطيب التبريزي العمري في مشكوة المصابيح ص ٥٦٨ ط الدهلي والعلامة الذهبي في المنتقى من منهاج الاعتدال ص ١٦٨ و ٣٠٤ والعلامة القاضي المير حسين الميبيدي اليزدي في شرح ديوان امير المؤمنين ص ١٨٥ مخطوط والعلامة احمد بن حجر

الهيتمي في الصواعق المحرقة ص ٢٢٧ والعلامة الشيخ عبد النبي من أحمد القدوس الحنفي في سنن الهدى ٥٦٣ مخطوط والعلامة علي بن عبد العال الكركي في نفحات اللاهوت ص ٥٣ والعلامة عبد الغني بن اسماعيل النابلسي في ذخائر الموارث ج ٤ ص ٢٧٧ والعلامة الشيخ عبد الله الشافعي في المناقب ١٥ مخطوط والعلامة البدخشي في مفتاح النجا ١٤ مخطوط والعلامة الشيخ سليمان البلخي والحنفي في ينابيع المودة ١٠٧ والعلامة السيد محمد صديق حسنخان ملك بهوبال في فتح البيان ٧ : ٢٧٧ والعلامة الشيخ عبد الله الشيباني في تيسير الوصول ١٦٠ والعلامة الشيخ يوسف النبهاني في الشرف المؤبد والعلامة الحضرمي في القول الفصل ٢ : ٢١٠ والعلامة السيد ابو بكر العلوي الحضرمي الشافعي في رشفة الصادي ١٥ والعلامة السيد محمد بن يوسف التونسي في السيف اليماني والعلامة الشيخ عبيد الله الحنفي الامر تسرى في ارجح المطالب ٥٢ والعلامة السيد احمد بن سودة الحسيني الادريسي في رفع اللبس والشبهات ٦٥ والعلامة الشيخ منصور بن علي ناصف المصري في التاج الجامع للأصول ٣ : ٣٠٨ والعلامة الملا علي بن سلطان الهروي الحنفي في جمع الوسائل في شرح المسائل ١ : ١٤٧.

٣- ومما روي عن ام سلمة ما اخرجه محمد بن جرير الطبري عن حكيم بن سعد قال ذكرنا علي بن ابي طالب كرم الله وجهه عند ام سلمة فقالت : في بيتي نزلت «انما يريد الله ..» جاء رسول الله صلى الله عليه وآله الى بيتي فقال : لا تاذني لاحد فجاءت فاطمة فلم استطع أن احجبها عن ابيها ثم جاء الحسن فلم استطع ان احجبه عن ابيها ثم جاء الحسن فلم استطع أن عن احجبه عن جده ثم جاء علي فلم استطع ان احجبه فاجتمعوا فجللهم رسول الله صلى الله عليه وآله بكساء، كان عليه ثم قال : اللهم هؤلاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً فنزلت هذه الآية اجتمعوا على البساط فقلت يا سول الله وانا فوالله ما انعم وقال : انك الى خير واخرج ابن المغازلي وكثير مثله عنها انها قالت نزلت هذه الآية في رسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليه السلام ومن اخرج حديث التطهير عنها الحافظ ابو بشر الدولابي في كتاب الكنى ٢ : ٤٢١ والحافظ الحسين بن الحكم الجري في تنزيل الآيات ٢٠ نسخة فوتوغرافية جامعة طهران والعلامة الحضرمي في وسيلة المآل ٧٣ نسخة الظاهرية بدمشق والعلامة ابن المغازلي الشافعي في المناقب ١١٠ نسخة مكتبة صنعاء بمن والعلامة الشيخ محمد رضى المصري المالكي في الحسن والحسين ٧ والحافظ ابو عيسى الترمذي في صحيحه ١٣ : ٢٤١ واحمد بن حنبل في مسنده ٦ : ٢٩٨ والطبري في تفسيره ٢٣ : ٧.

والبخاري في التاريخ الكبير ١ : ٧٠ واحمد بن علي بن ثابت الشافعي في تاريخ بغداد ٩ : ١٢٦
وعبدالله بن محمد بن حيان الاصبهاني في اخلاق النبي ١١٦ وابو اسحاق الثعلبي في الكشف والبيان
المخطوط والعلامة النبهاني في الانوار المحمدية ٤٣٤ والواحدي النيسابوري في اسباب النزول ٢٦٧
وابو نعيم في اخبار اصبهان ١ : ١٠٨ والبغوي في معالم التنزيل ٢١٣ وعلي بن ثابت الشافعي في
موضح اوهام الجمع والتفريق ٣ : ٢٨١ وابن الاثير في اسد الغابة ٤ : ٢٩ ومحب الدين الطبري في
الرياض النضرة ٢ : ١٨٨ والذهبي في تاريخ الاسلام ٦ وعلي بن الحسين بن عساكر في تاريخ دمشق
والنابلسي في ذخائر الموارث ٤ : ٢٩٣ والزرندي في نظم درر السمطين ٢٣٨ والبيهقي في السنن
الكبرى ٢ : ١٥٠ والقاضي يوسف بن موسى في المعتصر من المختصر ٢ : ٢٦٦ وجلال الدين
السيوطي في مفحمت الاقران في مبهمات القرآن ٢٢٤ والقسطلاني في المواهب اللدنية ٧ : ٤
والعسقلاني في الاصابة ٤ : ٣٣٦ والذهبي في سير اعلام النبلاء ٣ : ١٩٠ وابن حمزة الحسيني في البيان
والتعريف ١٤٩ والشيخ حسن الحمزاوي في مشارق الانوار ١١٣ والقرماني في اخبار الدول ١٢٠
وعلي بن عبد العال الكركي في نفحات اللاهوت ٥٣ والازدي في التبيان ١٢٥ والسيد احمد زيني
دحلان في السيرة النبوية ٣ : ٣٢٩ والملا علي القاري في الاربعين حديثاً ٦١ وابن الديبع في تيسير
الوصول ١٦٠ وابن حمزة الحسيني في البيان والتعريف ١ : ١٥٠ والبدهشي في مفتاح النجا ١٤
والحضرمي في رشفة الصادي ١٤ والكاشفي في المواهب العلية والذهبي في المنتقى من منهاج
الاعتدال ١٦٨ وابن محمد كرام القناني المالكي في الجواهر الحسان ٢٩٤ والقندوزي في ينابيع المودة
١٠٦ والشيخ عبد الهادي الابياري المصري في جالية الكدر ١٩٦ والحضرمي في القول الفصل ٢ :
١٦٥ والشيخ عبيدالله الحنفي الامر تسري في ارجح المطالب ٥٢ وابن الالوسي في جلاء العينين ٣٩
والشيخ حسن النجار في الاشراف ١٠ وابن كثير الدمشقي في البداية والنهاية ٧ : ٣٣٨.

٤- وما روي عن زينب بسند عن عبدالله بن جعفر الطيار عن ابيه قال : لما نظر النبي صلى الله عليه
وآله الى جبرئيل هابطاً من السماء قال : من يدعو لي ؟ فقالت زينب : انا يا رسول الله صلى الله
عليه وآله! فقال : ادعي لي علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فجعل حسناً على يمينه وحسيناً على يساره
وعلياً وفاطمة تجاههم ثم غشاهم بكساء، خيري وقال صلى الله عليه وآله اللهم ان لكل نبي أهلاً
وان هؤلاء اهلي فانزل الله الآية فقالت زينب : الا ادخل معكم ؟ قال صلى الله عليه وآله مكانك
فإنك على خير انشاء الله اقول : اخرجها عنها جماعة مما يجلب النظر تسابق نساء النبي صلى الله عليه و

آله في اختصاص هذه الفضيلة ببيتها حتى عائشة المعادية لعلي عليه السلام مما يدل على مدى القاطعية الصارمة في واقع هذه القضية!

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٣١

وعلي أمير المؤمنين عليه السلام «١» وابن عباس «٢» وابي سعيد الخدري «٣» وانس «٤» وعطاء «٥» وأبي

(١). يروى عند حديثان أحدهما «كان النبي صلى الله عليه وآله يأتي كل يوم باب فاطمة عند صلاة الفجر فيقول : الصلاة يا أهل بيت النبوة «أما يريد الله...» تسعة أشهر بعدما نزلت «وامرأه لك بالصلاة واصطبر عليها» .. رواه عنه ثلاثمائة من الصحابة ومن أخرجه عنه العلامة القندوري في ينابيع المودة ١٧٤ والعلامة السيد أحمد بن عبد الحميد العباس في عمدة الأخبار ٧٨ والعلامة السهمودي في خلاصة الوفاء ٢١٣ والكاشفي في المواهب العلية والمراغي في تحقيق النضرة ٧٥ والسهمودي في وفاء الوفاء تاريخ المدينة المنورة ١ : ٣٣١ وثانيها مختلف احتجاجاته عليه السلام يوم الشورى على ابي بكر ومنها : فانشدك بالله ألي ولاهلي وولدي آية التطهير من الرجس ام لك ولاهل بيتك؟ قال : بل ولك ولاهـب بيتك (عن الخصال) ومنها احتجاجه على الناس يوم الشورى ح ٩٠ واحتجاجه ايام خلافة عثمان في جمع من المهاجرين والانصار : ايها الناس اتعلمون ان الله عز وجل انزل في كتابه «أما يريد الله...» فجمعني وفاطمة وابني حسناً وحسيناً والقي علينا كسائه وقال : اللهم هؤلاء اهل بيتي ولحمتي يوءلني ما يوءلمهم ويخرجني ما يخرجهم فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً فقالت ام سلمة وانا يا رسول الله صلى الله عليه وآله! فقال : انت- او- انك على خير انما انزلت فيّ وفي اخي وابنتي وابنتي وفي تسعة من ولد ابني الحسين خاصة ليس معنا فيها احد فقالوا كلهم : نشهد ان ام سلمة حدثتنا بذلك فسألنا رسول الله صلى الله عليه وآله فحدثنا كما حدثتنا ام سلمة (كمال الدين وتمام النعمة) باسناده الى سليم بن قيس الهلالي عنه عليه السلام وفي العلل باسناده الى ابن ابي عمير عن ذكره عن ابي عبد الله عليه السلام قال : لما منع ابو بكر فاطمة فدكاً واخرج وكيـلها جاء امير المؤمنين عليه السلام الى المسجد وابو بكر جالس وحوله المهاجرون والانصار فقال يا ابا بكر لم منعت فاطمة ما جعله رسول الله صلى الله عليه وآله لها ووكيلها فيه منذ سنين- الى قوله- فقال عليه السلام لا بي بكر تقرأ القرآن؟ قال : بلى قال : فاخبرني عن قول الله عز وجل «أما

يريد الله...» فينا او في غيرنا نزلت؟ قال: فيكم قال: فاخبرني لو ان شهوداً شهدوا على فاطمة بفاحشة ما كنت صانعاً؟ قال: كنت اقيم عليها الحد كما اقيم على نساء المؤمنين، قال عليه السلام: كنت اذاً عند الله من الكافرين! قال: ولم؟ قال: لانك كنت ترد شهادة الله وتقبل شهادة غيره لان الله عز وجل قد شهد لها بالطهارة فاذا رددت شهادة الله وقبلت شهادة غيره كنت من الكافرين قال: فبكى الناس وتفرقوا ودمدموا» (نور الثقلين ٤ : ٢٧١ ح ٩٣)

(٢) وقد روى عنه حديث التطهير جماعة من اعلام القوم ومنهم الحافظ الحسين بن الحكم الجري في تنزيل الآيات ٢٤ ان الآية نزلت الى رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والحسين، وفي ملحقات الاحقاق ١٤ : ٦٨ بسند عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله تبارك وتعالى قسم الخلق قسمين فجعلني في خيرهم قسماً فذلك قوله «واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين» فانا من اصحاب اليمين وانا خير اصحاب اليمين ثم جعل القسمين اثلاثاً فجعلني في خيرها ثلثاً فذلك قوله «فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة والسابقون السابقون اولئك المقربون» فانا من السابقين وانا خير السابقين ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلني في خيرها قبيلة فذلك قوله «وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا» فانا اتقى ولد آدم واکرمهم على الله ولا فخر ثم جعل القبائل بيوتاً فجعلني في خيرها بيتاً فذلك قوله «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً» واخرجه ابو عبدالرحمن اسماعيل بن عبدالله النقشبذي في مناقب العشرة ١٩٤ والعلامة الامر تسري في ارجح المطالب ٥٤ والسيوطي في الدر المنثور وابن مردويه

(٣) ومن روى عنه القاري في مرقاة المفاتيح ١١ : ٣٧١ والجري في تنزيل الآيات ٢٣ مخطوط والحضرمي في وسيلة المال ٧٦ والشيخ محمد رضا المصري المالكي في (الحسن والحسين سبطا رسول الله صلى الله عليه وآله) وابن المغازلي الشافعي في المناقب مخطوط ومحمد بن جرير الطبري ومما رواه عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله نزلت هذه الآية في خمسة فيّ وفي علي وحسن وحسين وفاطمة «انما يريد الله...» كما اخرجه ابو اسحاق الثعلبي في الكشف والبيان مخطوط وعبدالله الشافعي في مناقبه ١٢ مخطوط والطبراني في المعجم الكبير ١٣٤ ونور الدين علي بن ابي بكر في مجمع الزوائد ٩ : ١٦٧ والزرندي في نظم درر السمطين ٢٣٨ وحجر الهيتمي في الصواعق ٢٢٧ وابن عساكر في تاريخه ٤ : ٢٠٤ وابن حسنويه الحنفي في درر بحر المناقب ٥ مخطوط البدخشي في مفاتيح النبي ١٣ والواحدي في اسباب النزول ٢٦٦ والقندوزي في ينابيع المودة ١٠٨

(٤). ومن اخرجه عنه الترمذي في جامعه ٤ : ١٤٤ والهندي في كنز العمال ج ١٦ والقاري في مرقة المفاتيح ١١ : ٣٧١ والمصري المالكي، واحمد بن حنبل في مسنده ٣ : ٢٥٩ والطبراني في المعجم الكبير ١٣٤ وابن جرير الطبري في التفسير ٢٢ : ٦ وابن اثير في اسد الغابة (٥ : ٥٢١) والذهبي في تاريخ الاسلام ٩ : ٩٧ وابن شاهين في فضائل سيدة النساء والصفوري في المحاسن المجتمعة ١٨٩ والهندي في المنتخب ٥ : ٩٦ وابن كثير في التفسير والسمعاني في الرسالة القوامية والسيد محمد صديق في فتح البيان ٧ : ٢٧٧ والناقلي في ذخائر الموارث ١ : ٣٨ والمالكي في مشارق الانوار ١١٣ والنجار في الاشراف ٩ وابن البديع في تيسير الوصول ١٦٠ والبدرخشي في مفتاح النجا والبلخي في الينابيع ١٩٣ والعظيم آبادي الهندي في تجهيز الجيش مخطوط والنبهاني في الشرف المؤبد ٧٠٦ والامر تسري في ارجح المطالب وما روى عنه ان النبي صلى الله عليه وآله كان يمر ببيت فاطمة ستة اشهر كلما خرج الى الصلاة فيقول : الصلاة اهل البيت «انما يريد الله...» (٥). ومن رواه عنه ابن المغزالي في المناقب والحسكاني في شواهد التنزيل وابن الاثير في اسد الغابة ٣ : ٤١٣ والعسقلاني في الاصابة ٢ : ٤٧٩

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٣٣

الحمراء «١» ووائله بن الأسقع «٢» وسعد «٣» وجعفر بن أبي طالب عليه السلام «٤» وأبي برزة «٥» وصبيح «٦» وأبي سلمة «٧» وجماعة آخرون من الصحابة «٨» كلهم رووا أنها نزلت في الخمسة أو الأربعة، وفي أكثرها أنه صلى الله عليه وآله جمعهم وإياه تحت الكساء بعد نزولها. وفي بعضها قبل نزولها. ودعا لهم بما دعا.

(١) ومن اخرج عند ابن الحكم الجري في تنزيل الآيات ٢٤ مخطوط والحضرمي في وسيلة المال (٢). ومن اخرجه عنه الحضرمي وابن المغزالي ومحمد القاري وابن موسى في المعتصر من المختصر والثعلبي في الكشف والبيان مخطوط والبيهقي في السنن الكبرى ٢ : ١٥٢ والطبري في ذخائر العقبى ٢٤ وابن كثير في التفسير والقسطلاني في المواهب ٧ : ٣ وابن بكر في مجمع الزوائد ٩ : ١٦٧ والكركي في نفحات اللاهوت ٥٢ والذهبي في سير اعلام النبلاء ٣ : ٣١٢ والقندوزي في الينابيع ٢٢٩ والحمزاوي في مشارق الانوار ١١٣ والساعاتي في بدايع المنن ٢ : ٤٩٥ والهاشمي في ائمة الهدى ١٤٥، ومن حديثه باخراج المغزالي ١١١ مخطوط والمناقب عن ابي عمار قال دخلت على وائلة بن

الاسقع وعنده قوم يذكرون علياً فقال لي وائلة : الا اخبرك لما رايت عن رسول الله صلى الله عليه و آله ؟ قلت : بلى- قال : اتيت فاطمة عليها السلام فسألتها عن علي عليه السلام فقالت : توجه الى رسول الله صلى الله عليه و آله فجلت انتظره في رسول الله صلى الله عليه و آله وعلي عليه السلام معه فدخل معهم البيت فأدنى علياً وفاطمة فاجلس واحداً عن يمينه والآخر عن يساره ودعا الحسن والحسين فاجلس كل واحد منهما على فخذه ثم قال : «انما يريد الله ..» اللهم هؤلاء اهل بيتي واهل بيتي الحق

(٣). ومن اخرجه عنه تسعة وسبعون من هؤلاء الحفاظ والمحدثين والمفسرين وسواهم

(٤). ومن اخرجه عند الحضرمي في القول الفصل ١٨٥ والتعلي في الكشف والبيان

(٥). ومن اخرجه عنه علي بن أبي بكر في مجمع الزوائد في حديثه : صليت مع رسول الله صلى الله عليه و آله سبعة عشر شهراً فإذا خرج من باب بيته اتى باب فاطمة فقال : الصلاة عليكم «انما يريد الله ...» رواه الطبراني

(٦). ومن اخرجه عنه العسقلاني في الاصابة ٢ : ١٦٩ والتعلي في الكشف والبيان مخطوط وابن الاثير في اسد الغابة ٣ : ١١ في ترجمة صبيح بسنده الى ابراهيم بن عبد الرحمن بن صبيح مولا ام سلمة عن جده صبيح قال : كنت بباب رسول الله صلى الله عليه و آله وساق حديث التطهير

(٧). ومن اخرجه عنه الترمذي في جامعه والحضرمي في وسيلته والسهلاوي في وسيلة النجاة ٢٠٤

(٨). ومنهم سعد بن ابي وقاص وسهل بن سعد وابو هريرة وبريدة الاسلمي وابو سعيد الخدري وعبدالله بن عمر وعمران بن الحصين وسلمة بن الاكوع كلهم بمعنى واحد عن النبي صلى الله عليه و آله اخرج عنهم ابن عبد البر في الاستيعاب ٢ : ٤٦٠ والحضرمي في القول الفصل ١ : ٤٨ وبهجت الافندي في تاريخ آل محمد ٤٢ والترمذي في صحيحه الذهبي في سير اعلام النبلاء ٣ : ١٩٠ والقندوزي في الينايع ١٥ والتعلي في الكشف والبيان مخطوط والجنابذي الحنفي في معالم تنزيل النبوة مخطوط

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٣٤

والرواة عنهم يبلغون المآت في كتب الحديث والتفسير وسائر المصنفات «١» وقد يربو قاطع التواتر في حديث الطهارة حول آية التطهير كل تواتر في أي حديث مهما اختلف النقل في نزولها في : «أي من

بيوت : فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وآله ؟ أو أم سلمة ؟ أو عائشة ؟ أو زينب ؟ مما يدل على شرف الموقف لحد تتسابق في انتسابه نساء النبي صلى الله عليه وآله أو أن ذلك

(١). ومن مصنفات اخواننا السنة التي تحوي حديث الكساء والتطهير مائة كتاب كمسند ابي داود بسنده عن انس ٢- ومسند ابن حنبل باسانيد عن صحابين وصحبايات ٣- وصحيح الترمذي ٤- وخصائص النسائي ٥- وتفسير الطبري ٦- ومسند الرازي ٧- ومعجم الطبراني ٨- واحكام القرآن للخصاص ٩- ومستدرك الحاكم ١٠- والامالي للمهاورني ١١- وتاريخ جرجان السهمي ١٢- والسنة الكبرى للبيهقي ١٣- وتاريخ بغداد ١٤- والاستيعاب للاندلسي ١٥- واسباب النزول للواحي ١٦- والفردوسي للدليمي ١٧- ومصابي السنة للبعوي ١٨- والكشاف للرمخشري ١٩- واحكام القرآن للاشيلي ٢٠- والشقا للقاضي عياض ٢١- والمناقب لموفق بن احمد ٢٢- وتاريخ دمشق لابن عساكر ٢٣- والتفسير الكبير للرازي ٢٤- وجامع الاصول لابن الاثير ٢٥- وكتب متعددة لابن بطريق ٢٦- واسد الغابة لابن الاثير ٢٧- والتذكرة لابن الجوزي ٢٨- وكفاية الطالب للكنجي ٢٩- ومطالب السئول لابن طلحة ٣٠- واحكام القرآن للقرطبي ٣١- وشرح المهذب للنووي ٣٢- وانوار التنزيل للقاضي البضاوي ٣٣- وذخائر العقبى لمحبه الدين الطبري ٣٤- والمدارك للنسفي ٣٥- ومشكاة المصابيح للخطيب التبريزي ٣٦- وتفسير ابن كثير القرشي ٣٧- ومجمع الزوائد للهيتمي ٣٨- والفصول المهمة لابن صباغ ٣٩- والاصابة لابن حجر العسقلاني ٤٠- والكافي الشاف له ٤١- وفتح الباري له ٤٢- وتلخيص المستدرك للذهبي ٤٣- والحدائق الوردية لليمانى ٤٤- وتفسير النيسابوري ٤٥- وروضة الاحباب للدشتكى الشيرازي ٤٦- والدر المنثور للسيوطي ٤٧- والخصائص له ٤٨- والاتقان له ٤٩- والاكليل له ٥٠- والابطال لابن روزبهان ٥١- وحبیب السير لخواندمير ٥٢- والصواعق المحرقة لابن حجر ٥٣- ومناقب مرتضوي للترمذي الكشفي ٥٤- ومنتخب كنز العمال لعلي المتقي ٥٥- والسراج المنير لسراج الدين الخطيب ٥٦- والمناقب لابن النقيب ٥٧- والسعدية للغيثي ٥٨- وبجر المناقب للبلخي ٥٩- وشرح الفقه الكبير لعلي القاري ٦٠- وشرح الجامع الصغير للمناوي ٦١- وارجح المطالب لشمس الدين ٦٢- والكافية لشرف الدين ٦٣- والسيرة الحلبية لبرهان الدين الحلبي ٦٤- ومدارج النبوة للدهلوي ٦٥- والمناقب للزرقاني ٦٦- والالتحاف لحب الأشراف للشراف للشيراوي ٦٧- واسعاف الراغبين لمحمد الصبان

٦٨- والروض النضير للحميمي اليماني ٦٩- وفتح الغدير للشوكاني ٧٠- وروح المعاني للالوسي
٧١- ونور الابصار للشبلنجي ٧٢- وتشريف البشر للسيد صديق ٧٣- ومشارك الأنوار لحسن
العدوى ٧٤- وكتاب الشرف المؤيد لآل محمد للنبهاني ٧٥- ورشفة الصادي للحضرمي العلوي
٧٦- وائمة الهدى للسيد عبد الغفار الأفغاني ٧٧- والسيف المسلول للتونسي الكافي ٧٨- والقول
الفصل للحضرمي الجاوي، ويذكر ثمانية عشر رجلاً من اعظام ارباب الكتب ونقل صحيح الحديث
عن ستة عشر رجلاً من فطاحل المحدثين من اعظام ارباب الكتب ونقل صحيح الحديث عن ستة عشر
رجلاً من فطاحل المحدثين وعد خمسة عشر صحابياً ممن ينتهي اليه الحديث ٧٩- والوسيط للواحيدي
٨٠- والجمع بين الصحيحين للحمدي ٨١- ابو نعيم الاصبهاني في كتابه ٨٢- الجمع بين الصحاح
السته للعدري ٨٣- وتلخيص المستدرک للذهبي ٨٤- ومصابيح السنة للبيغوي ٨٥- وتهذيب الاسماء
واللغات للنووي ٨٦- والرياض النضرة لمحّب الدين الطبري ٨٧- وتاريخ الإسلام لشمس الدين
الذهبي ٨٨- وعقد الفريد للانندلسي ٨٩- والمقتل للخوارزمي ٩٠- والسيرة المحمدية للكازروني
٩١- وشكل الآثار للطحاوي ٩٢- وشرف النبي ٩٣- وحسن الاسوة للصديق حسن خان ٩٤-
وكتاب المرزباني ٩٥- والمستدرک للحاكم ٩٦- وكفاية الطالب للكنجي وكتب اخرى

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٣٥

تكرر في هذه البيوت! ولأن لفظ عائشة «خرج غداة غدٍ...» فعَلَّها تعني إلى بيت فاطمة، كذلك وأم
سلمة، اللهم إله في البعض من حديثيهما!

وفي كتاب إدريس النبي عليه السلام تأييد أكيد لشرف بيت الرسالة المحمدية كما تعنيه آية التطهير
وحديث الكساء والتطهير، كما في الأصل السرياني «يا رقليطاً ايليا طيطه شَبْر شَبْر : محمد- علي-
فاطمة- حسن- حسين- «هليلوه لَت شُوق مَيَّي مُحَمَّد انوَي دِأَلَه» :

هللوني فانه لا اله إلا أنا ومحمد رسولي «إني لهَوَيْرُهُ انا لبرين وارخ لالشَّماي ولا ال ارعا ولا
البردس ولا الكيَهَن ولا الشِّمس ولا السُّعر» : لولاهم لما خلقتك «يا آدم» ولا السماء ولا الأرض
ولا الجنة ولا النار ولا الشمس ولا القمر «١»!

ومن بالغ اهتمام الرسول صلى الله عليه وآله بشأن أهل بيته المطهرين عليهم السلام انه كان يتلوا آية
التطهير عند صلاة الفجر أو عند كل صلاة على بيت علي وفاطمة حسب مختلف الإحصاء من شهر

«٢» إلى أربعين يوماً «٣» إلى ستة اشهر «٤» إلى سبعة «٥» أو ثمانية «٦» أو تسعة «٧» أو عشرة «٨»
أو سنة «٩»

-
- (١). راجع كتابنا رسول الاسلام في الكتب السماويه ص ١٣١
- (٢). اخرجه ابو داود الطيالسي في المسند ٨ : ٢٧٤ قال : حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن انس عن النبي صلى الله عليه وآله انه كان يمر على باب فاطمة شهراً قبل صلاة الصبح ويقول : الصلاة يا اهل البيت «انما يريد الله...» واخرجه ابن حنبل عن عائشة
- (٣). اخرجه ابن مردويه وموفق بن احمد وجماعة آخرون عن ابي سعيد الخدري وسالم بن ابي حفصة عن ابي الحمراء
- (٤). اخرجه الطبراني وابو داود ومالك بن انس والترمذي عن ابي الحمراء، ومعقل بن يسار وام سلمة، الحمراء الحسكاني في انس ٢ : ١١ - ٩١ ورواه جماعة عن عفان ورواه عنه عبد الحميد في تفسيره ونقله جماعة عن حماد منهم ابراهيم السامي، ورواه ايضاً الاسود بن عامر - شاذان وحجاج بن منهال وعبيد الله محمد العباس عن حجاج وعن البغوي ورواه موسى بن اسماعيل التبوذكي
- (٥). اخرجه محمد رضى المالكي عن ابي الحمراء
- (٦). اخرجه ابن جرير وابن مردويه عن ابي الحمراء وعن ابي سعيد الخدري ورواه الحاكم عن ابن شاهين عن الاشعث وعن السبيعي في تفسيره
- (٧). اخرجه ابن مردويه عن ابن عباس (الدر المنثور ٥ : ١٩٩) والثعلبي عن ابي الحمراء، وموفق بن احمد عن ابي سعيد الخدري
- (٨). اخرجه محمد بن عمران المرزباني بسنده الى ابي الحمراء فقال : قدمت رسول الله صلى الله عليه وآله نحواً من تسعة اشهر او عشرة فرأيتة ... وفي ينابيع المودة ٢٦٠ ويروى هذا الخبر بأسانيد عن الثلاثمائة من اصحابه منهم من قال : ثمانية اشهر، ومنهم من قال عشرة اشهر اقول هذا الخبر يشير الى خبر مروره على بيت فاطمة عليها السلام
- (٩). اخرجه جماعة

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٣٦

أو سبعة عشر شهراً « ١ » أو منذ نزولها حتى ارتحاله إلى جوار رحمة ربه « ٢ » تدليلاً على اختصاصها بأصحابها من أهل بيت الرسالة، ولكيلا ينسأهم المسلمون أو يتناسوهم، إستمراراً في احترامهم دون اخترام، ولكنهم اضطهدوا ما لا يخلد بخلد ويكأنه صلى الله عليه وآله أوصى باضطهادهم وأكد!

ولقد نرى الإحتجاج بآية التطهير للإمام علي عليه السلام وسائر أهل البيت عليهم السلام في مختلف الحقول، كضرورة لا مرد لها فيتسلمها المحجوجون كلهم بكل قبول دونما ريبة ونكول! ولو لا هذه الأحاديث لم تكن الآية لتشمل غير أهلها لمكان «إنما» الحاصرة لتلك الطهارة بأهل البيت عليهم السلام و «يريد الله» تعني إرادةً لدنية مستمرة مدى حياة العصمة القمة لهم مهما اختلفت درجاتها قبل النبوة والإمامة وبعدها، واختلفت طولهما حيث التكامل لا يستثنيهم!.

أترى أنها إرادة تشريعية في النفي والإثبات «ليذهب ويطهر»؟ وهي تعم المكلفين أجمعين! أم تكوينية؟ فكذلك الأمر حيث التوفيق لمن سلك سبيل الهدى وترك الردى موعود لهم من الله! «و الذين اهتموا زادهم هدى» ام تخص تكوين العصمة القمة في بُعدي السلب والايجاب؟ وليس محطُّ الارادة هذه يمتاز على من سواه، حيث الارادة من الله، فالعصمة- اذا- هي فقط من فعل الله!.

إنه ارادة العصمة التكوينية بين الأمرين، عصمة بشرية كأفضل ما استطاع وليست بالتي تعصم صاحبها عصمة مطلقة، حيث الطاقة البشرية ليست مطلقة، بل هي مقدرة بقدرها وقدراتها، ثم عصمة إلهية تُكفيها فتجعلها مطلقة في الدرجة التي يعينها دونما

(١). في ملحقات احقاق الحق ١٤ : ٨٠ اخرج الطبري بسند عن ابي الحمراء والحافظ نور الدين

علي بن ابي بكر عن ابي برزة

(٢). اخرج ابن ابي شيبه واحمد والترمذي وحسنه وابن جرير وابن المنذر والطبراني والحاكم

وصححه وابن مردويه عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يمر بباب فاطمة اذا خرج الى

صلاة الفجر ويقول : الصلاة يا اهل البيت «انما يريد الله ...» اقول : ظاهر (كان) استمرارية مقالته

صلى الله عليه وآله تلك منذ نزول الآية إلى ارتحاله، وعن داود السبيعي عن ابي الحمراء مثله وراه

جماعة عن ابي عاصم النبيل واخرجه عنه عبد بن حميد في تفسيره ويعقوب بن سفيان ويونس بن ابي

اسحاق السبيعي

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٣٧

فوضى، وانما بحساب ومقدار، وكل شيء عنده بمقدار.

إن الرسالة الختمية تتطلب خاتمة العصمة القمة، محاولة بشرية كأفضل ما تكون وأعضله تتوسط إرادة الهية من قبل ومن بعد، فمن قبل قدر أهل بيت العصمة المحمدية في أصلاب شائخة وارجام مطهرة، لم تنجسهم الجاهلية بانجاسها ولم تلبسهم من مدلهمات ثيابها، تقديراً لظرف لائق فائق تتمكن فيه كافة المجالات لأفضل المحاولات البشرية لإعداد العصمة القمة.

ثم حاولوا كأفضل ما يمكن وأعضله تطهيراً لأنفسهم الزاكية لمدى اللياقة واللباقة لإرادة العصمة العليا، فعصمهم الله تعالى بما قدر وحاولوا، بما ارادوا رادوا!!.

ف- «انما يريد الله» تشمل مثلث احوالهم بما في أوسطه من محاولة بشرية بتوفيق الله، ارادة دائبة منذ فُطموا، حتى ارتحلهم الى جوار رحمته تعالى، مهما اختلفت درجاتها بظروفها.

تلك الإرادة القاطعة الإلهية لزامهم منذ كانوا، تعصمهم عن كل رجس وتطهرهم تطهيراً، فما هو الرجس وما هي الطهارة؟

الرجس لغوياً هو كل قدر مادي او معنوي، ما يستفد منه الإنسان مادياً أياً كان، او معنوياً أياً كان، فهو أعم من النجس اذ يخص القدر المادي، كما ويوصف به الرجس «اعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم».

ولان الاقدار الجسمانية هي لزام كل انسان مهما يؤمر بالتجنب عنها من أحداث وأخبار، فإذاهاها يخص جماعة خصوصاً فلا تعنيها الإرادة الإلهية الخاصة باهل بيت الرسالة المحمدية، كما وأن الرجس في القرآن لا يعني القذارة المادية في سائر آياته، وانما مرض القلب : «وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً الى رجسهم وماتوا وهم كافرون» (١)

وعمل الشيطان : «انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان ...» (٢)

واتباع الشيطان : «فأعرضوا عنهم فانهم رجس

(١). ٩ : ١٢٥

(٢). ٥ : ٩٠

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٣٨

ومأواهم جهنم بما كانوا يكسبون» (١)

ومعبوداتهم : «فاجتنبوا الرجس من الاوثان» (٢)

وختم القلب على الذين لا يعقلون : «وما كان لنفس ان تؤمن إلا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون»

وكذلك كل اكلة تحوّل الإنسان الى حيوان ك «لحم خنزير فانه رجس» (٤)

وقبله الميتة والدم المسفوح لم يشملهما الرجس مع انهما من النجس، وكالعذاب على الرجس فانه رجس على رجس : «قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب» (٥) «كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون» (٦)

!

هذه جماع الآيات التي تضم الرجس كلها تعني الرجاسة المعنوية، وهي التي تُرجس الانسان وتخرجه عن العقلية والايان ورحمة الرحمان!

ولان مرض القلب وعمل الشيطان وأتباعه دركات يشملها الرجس، فذها به ايضاً درجات يشملها اذهاب الرجس، والجنس المحلى باللام يستاصل نفسه في نفيه.

إذا فجنس الرجس ايأ كان بعيد عنهم وعن ساحتهم من رجس الفطرة والعقلية والفكرة والصدر والقلب والنية والعمل «وكل انسان يعمل على شاكلته» لا غبرة على ارواحهم، وإنما نور على نور، لا ينقصهم إلا انهم مخلوقون، ثم الفقر الى ربهم فخرهم.

كل قلب يتقلب الى غير الله إلا تذرعاً أو تضرعاً إلى الله، فيه رجسٌ قدر اتجاهه الى غير الله، وكل اتجاه في أدقّ منحنيات الحياة ومتجهاتها الى غير الله رجسٌ، والمتدلي بالله دونما ابقاءٍ لغير الله خارج عن كل رجس، وهكذا : «يريد الله ليذهب عنكم الرجس ...»!

اترى بعداً ان اذهاب الرجس عنهم هو رفعه عن ساحتهم بعد كونه؟ ولا يذهب رجساً هكذا إلا بتوبة ام اي تكفير يناسبه! وهذا يعم سائر اهل الرجس دون اختصاص! وهذا من

(١). ٩ : ٩٥

(٢). ٢٢ : ٣٠

(٣). ١٠ : ١٠٠

(٤). ٦ : ١٤٥

(٥). ٧ : ٧١

(٦). ٦ : ١٢٥

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٣٩

فعل صاحب الرجس ان يذهب رجسه بتوبته! والعصمة لا تحل محل الوصمة! اللهم إلا في أدنى ادائها بمعصية صغيرة بعد توبة كآدم : «وعصى آدم ربه فغوى. ثم اجتبه ربه فتاب عليه وهدى». انه اذهاب لكل رجس بدفعه عنهم حين يعترفهم او يهاجم عليهم ببواعثه، تسديداً لهم بما حاولوا وانتجبههم الله- عن كل رجس- شكاً في قلب، او جهلاً بواجب الشرعة او المعرفة، او خطأ في فكر، او زلقاً في فعل، في عصمة عليا بمثلثها : تلقياً للوحي- وإلقاء له- وتطبيقاً آياه. هنالك محاولات بشرية لاذهاب الرجس عن انفسهم رفعاً او دفعاً، وليست لتكفي استئصالاً لكل رجس، واهلها مخلصون!.

وهنا ارادة دائبة إلهية تكفي محاولات قمة من أخلص المخلصين، فتستأصل عنهم كل رجس وأهلها مخلصون، وهكذا «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويظهركم تطهيراً» وكما «ليذهب عنكم الرجس» يجتث في نفس الجنس كل رجس، كذلك «ويظهركم تطهيراً» يختص باثبات كل طهارة، فالسلب مطلق كما الايجاب، والايجاب مطلق كما السلب، تحلية عن كل نقص إلاً انهم مخلوقون، وتحلية بكل كمال دون انهم ليسوا بخالقين، فقد يصدق فيهم ما يقال عنهم : «نزلونا عن الربوبية وقولوا فينا ما شئتم» :

ز احمد تا أحد يك ميم فرق است همه عالم در آن يك ميم غرق است

هنا طهارة متصلة بهم، متعرفة فيهم، متزرعة في قلوبهم، هي العصمة الضافية «انما يريد الله...!» تكوينية وتشريعية فواجب الحفاظ على الشرعة تشريعاً فيهم، يوازي واجب العصمة الموهبة لهم تكويناً، عصمة بشرية تتصل بها وتحل فيها عصمة الهية دونما فوضى جزاف، فكل درجة من العصمة الإلهية تتطلب كظرف لها عصمة بشرية تقتضيها، ف «انما يريد الله» إرادة تشريعية ما لم يُردها من أحد العالمين، ارادتان منحصرتان لهم وفيهم، منحسرتان عن سواهم، فلا يُطلب من اهالي سائر البيوت الرسالية ما يُطلب من اهل بيت الرسالة المحمدية صلى الله عليه وآله من مدارج التقوى

والعبودية والاجتهاد الإضطهاد في سبيل الله، وكما يروى عنه «ما أوذى نبي مثل ما أوذيت» وقال عنه ربه «قل إن كان للرحمن ولد فانا أول العابدين» فلو لم يكن هو أول العابدين على ضوء الرعاية القمة

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٤٠

للشريعة لم يكن أول المعصومين في ارادة تكوينية.

وهناك طهارة منفصلة عنهم، وهي للمتصلين بهم، المنسوين اليهم، يريدنا الله منهم للحفاظ على محتد الطهارة لاهل بيت النبوة الأصول، فطهارة نساء النبي وأقربائه وانسابه لها تاثير منفصل في طهارته عند الناس، وليس الله ليريد الطهارة لأهل بيت الطهارة انفسهم ثم يهمل طهارتهم عند الناس، فليكونوا وجهاء عند الله ليصلحوا دعاءً الى الله، ووجهاء عند الناس ليتجه بهم الناس الى الله.

لذلك تحل آية التطهير محلات نساء النبي صلى الله عليه وآله لتحمل تطهيرهن الى تطهيرهم، ولذلك نرى في الاكثرية المطلقة من روايات التطهير ليس الرسول صلى الله عليه وآله ليرضى دخول مثل ام سملة الطاهرة في اهل البيت المعنيين بآية التطهير، اللهم إله شذراً بقوله «إن شاء الله» انها قد تدخل في اهل البيت دخولاً منفصلاً إذا اصلحت وقتت لله ورسوله، فطهرت اهل هذا البيت وجاه الناس بعد طهارتهم عند الله!.

اهل بيت العصمة المحمدية في سورة الدهر ويطعمون الطعام على حبه مسكينا

ويتيماً واسيراً

«إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۗ عَيْنًا يُشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا» :

الأبرار هنا تعم المقربين - وأخرى - طالما الآيات تنتهي بسيرة أقرب المقربين «١» اهل بيت الرسالة المحمدية «علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام» : «يوفون بالنذر .. إنما نطعمكم ..» فانها خاصة بهم كما تواترت أحاديث الفريقين «٢» رغم ان كثيراً من مفسري

(١). راجع ص ٢٢٢ من ٣٠ : ١، على ضوء الآية «ان الابرار لفي عليين»

(٢). راجع تفسير البرهان وتفسير نور الثقلين وكفاية الخصام، تجد فيها تضافر الاحاديث ان الآيات نزلت بشأنهم عليهم السلام وفضة طالما ابتدأت بالابرار كل الابرار، ولكي تشمل فضة خادمة علي وفاطمة، ومن صرح بذلك الواحدي في كتاب البسيط وصاحب الكشاف رواية عن ابن عباس، وفي الدر المنثور ٦ : ٢٩٩- اخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله تعالى «ويطعمون الطعام ..» قال : نزلت في علي بن ابي طالب وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله .
ومن ذلك، في الإحتجاج للطبرسي عن امير المؤمنين عليه السلام حديث طويل يقول فيه للقوم بعد موت عمر بن الخطاب : نشدtkم بالله هل فيكم احد نزل فيه وفي ولده «ان الابرار يشربون .. الى آخر السورة- غيري؟ قالوا : لا

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج٤، ص : ٢٤١

القرآن لم يشيروا الى نزول هذه الآيات بشأنهم عليهم السلام، وعله تجاهلاً عن فضلهم، لحدّ عدوّ السورة مكية، وهي تنادي بمدنيتهما كما يأتي.

(تفسير الفرقان- ج ٢٩- م ٢٠)

فهم يشاركون سائر الأبرار في أبر النعم وأوفرها، ويختصون بما لا ينالوها، وهم أصدق المصاديق لآيات الأبرار وعلى حد المروي عن الامام الحسن المجتبي عليه السلام «١»

«.. كان مزاجها كافوراً» : مزاج الكأس، لا المشروب، لذكورتته وأنوثة الكأس، والكافور اسم أكمام الثمرة التي تكفرها، مبالغة في الكفر : الستر «٢»، فمزاج الكافور لكثوس الشراب في الجنة، كَفَرٌ لها عن كسرهما وتغيّرها، وتعييرها لشرابها، ولم يأت في القرآن مزاج الكافور لشيء إلا الكأس، وإلا هنا، آية وحيدة في مزاج الكافور لكأس الجنة.

و «كان» توحى بسبق هذا المزاج عن الشرب والشراب والتفجير، مما يؤيد مزاج الك. س نفسه دون الشراب، وأنهم مزجوا كؤوس قلوبهم وأرواحهم بما يكفرها ويسترها عن موتها، ويعدها لشرب مياه الحياة المعرفية والروحانية.

فهذه سيرة الأبرار في دنياهم، وتلك صورة واقعية لهم في عقابهم، كأساً بكأس، ومزاجاً بمزاج، وشرباً بشرب، فمن اين يشربون؟ :

«عيناً يشرب بها عباد الله يفجّرونها تفجيراً». وما أحلاها مشرباً من نبعة تنبع بما

(١). مناقب ابن شهر آشوب باسناده عن الهذيل عن مقاتل عن محمد بن الحنفية عن الحسن بن علي بن ابي طالب عليه السلام قال : كل ما في كتاب الله عز وجل من قوله «ان الابرار» فوالله ما اراد به الا علي بن ابي طالب وفاطمة وانا والحسن لأننا نحن ابرار بأبائنا وامهاتنا، وقلوبنا عملت بالطاعات والبر، ومبرة من الدنيا وحبها واطعنا الله في جميع فرائضه وآمنا بوحدانيته وصدقنا برسوله (نور الثقلين ٥ : ٤٧٣ - ٤٧٤)

(٢). والكافور المعروف تستخرج من شجرة اريجية من فصيلة الغاريات مهدها الاصلي جنوب الصين ازهارها بيضاء ضاربة الى الصفرة

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٤٢

يفجرونها تفجيراً أنيقاً يسيراً ليس فيه من تكلف لا كثيراً ولا قليلاً، وإنما تفجيراً كثيراً وفيراً، فما أنظفها شرباً وشارباً وكأساً وعيناً وتفجيراً : عباد الله الأبرار، كأس الكافور، عين مفجرة بذات أيديهم، وعلة بغمزة وشارة، أو قوله واردة، أو أيأ كان من تفجير كما يشاءون : ف «فيها ما تشتهيهِ النفس وتلد الأعين»!

ثم إن «عيناً» تلمح لواحدة، فكيف يكتفي عباد الله بعين واحدة؟ أم كيف يشتركون كلهم في تفجير هذه الواحدة؟ ولعل الجواب أنها واحدة في منبع أصيل، كثيرة في نبعات فرعية في مناكب أرض الجنة، كلُّ يفجّر هذه الواحدة عنده بساقية تحت الأرضية عنها، والأصل من تفجير الله! :

«ان المتقين في جنات وعيون» «١»

عيون مفجرة من تلك الواحدة، وكما المقربون لهم عين خاصة بهم : «عيناً يشرب بها المقربون» «٢»
وقد تجاوب هاتين العينين : «فيهما عينان تجريان» «٣» «فيهما عينان نضختان» «٤»
عينان تفجّر من كل عيون!

وهذه «هي عين في دار النبي صلى الله عليه وآله تفجر الى دور الانبياء والمؤمنين» «٥» كما تفجرت عيون النبوات الى دور النبيين من البيت الحمدي طوال الرسالات الإلهية، والى دور المؤمنين، فلكل عين من هذه الأصيلة يوم الدين حسب ما فجروها يوم الدنيا.

«يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً» :

قد يوحي تأخير «يوفون بالنذر» وهو عمل الدنيا، عن «يشربون» وهو جزاء الآخرة، يوحي هذا التعبير العبير بأن الوفاء بالنذر هو من هذه الأعمال الخيرة التي تُشربهم في الجنة وتفجّر لهم عيونها،

كما شربوا حب الله، وحب الفقراء في سبيل الله، وفجروا عيون قلوبهم له ولهم، وكما يوحى بأن الحالة هذه نفس الحالة تلك، طبّقاً عن طبّق، فحال الأبرار في شربهم موجودة يوم الدنيا، كما أن حالهم في وفائهم موجودة يوم الدين.

والوفاء بالندى- ومنه الإيجاب على النفس لسبب- يلّمح بأنهم وصلوا في استجابة أمر

(١). ٤٥ : ١٥

(٢). ٢٨ : ٨٣

(٣). ٥٠ : ٥٥

(٤). ٦٦ : ٥٥

(٥). امالي الصدوق عن الامام الباقر عليه السلام في آية التفجير قال : «هي عين في دار ...»

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٤٣

الله القمة، فإذ يوفي الإنسان ما يفرضه لله على نفسه فهو أوفى لله بفروضه الأصلية، وهذه الآية تجاوبها آيات عدة في وجوب الوفاء بالندى : «وليوفوا نذورهم» «١» «إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم أنسياً» «٢».

وقد يعم الندى إيجاب الواجب : فرضاً على فرض، كإيجاب المندوب فرضاً على ندب، فالأبرار ينفذون ما اعتزموا من واجبات، وما التزموا من طاعات، كما ويعم ما أوجب الله عليهم في الميثاق «٣» فهم يوفون بنذورهم وندور الله.

وإنها لهي صورة لماعة عن قلوب صافية، وصدور منشرحة ضافية، معتمدة على الوفاء لله، عاملة لوجه الله، دون أن تريد إلا مرضاة الله.

إنهم «يخافون يوماً كان شره مستطيراً» فهنا شرٌ مستطير، وهناك شرٌّ ثابت، فالمستطير هو شرّ الدنيا، والثابت هو شرّ الآخرة الناتج عن الأولى، فان شر الآخرة من شر الدنيا المستطير إليها، فحقيقة الإستطارة من صفات ذوات الأجنحة : البعثة على الطيران، فشر الدنيا مبعوث من قبل الله للطيران الى مسجلات الكون : شهود الأعمال، وللطيران الى اعماق البرزخ والقيامة، ثم يقف للحساب والجزاء : «وكل إنسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً» «٤»

وإنها تيارات الشر، كأنها طائرات وهي في أعناق ركابها.

وتُجواب «مستطيراً» «كان» فانها تلمح بمضيها، بأن شر الآخرة- المستقبل- هو استمرار لشر الدنيا- الماضي- المستطار، طَبَقاً عن طَبَقٍ، فليقطع العاقل أجنحة الشر وأصولها في الاولي، لكي لا يستطير والى الآخرة.

ولأنهم يخافون ذلك اليوم البئيس العصيب، يدأبون- هنا- في أجتثاث جذور الشرور لكي لا تستطير، ويعملون في استطاره الخيرات لكي تستطير، ومن أسباب ذلك السلب وهذا الإيجاب الإيفاء بالنذر واطعام الطعام على حبه لوجه الله، المسكين واليتيم والأسير

(١). ٢٢ : ٢٩

(٢). ١٩ : ١٦

(٣). اصول الكافي باسناده عن ابي الحسن الماضي في آية النذر قال : يوفون لله بالنذر الذي اخذ عليهم في الميثاق من ولايتنا

(٤). ١٧ : ١٣

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج٤، ص : ٢٤٤

كما فعله علي وفاطمة والحسنان عليهم السلام واحتج به علي عليه السلام على أبي بكر «١». «ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً. إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً».

مكرمة أخرى للأبرين، هي إطعام الطعام على حبه للمحاييج، ايثاراً على أنفسهم، وبهم خصاصة! لوجه الله لا سواه، أركان ثلاثة في الإنفاق ترفع به الى قمته، وتوحي بالخير المستطير، بعد ما اجتثوا جذور الشر المستطير.

١- فمن أصول البرّ والإنفاق الحَسَن أن يكون محبوباً، طعاماً وإطعاماً : «على حبه» فلا كرامة في إطعام الطعام المزدول، أو إطعام مكروه وان كان الطعام محبوباً وكان لوجه الله :

«لن تناولوا البرّ حتى تنفقوا مما تحبون» «٢»

حباً مزدوجاً للإنفاق وما تنفقون.

والنص «على حبه» الطعام والإطعام لا «في حبه» لكي يؤول الى حب الله : «وأتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمسكين وابن السبيل» «٣»

، إضافة الى أن الطعام هو المرجع الاقرب «الطعام على حبه» و «الله» أبعد في الموقع الكلامي «عيناً يشرب بها عباد الله» وان المضاف اليه ك «الله» هنا، لا يرجع اليه ضميراً أياً كان.
ومن الناحية المعنوية ايضاً قد يُطعم الطعام غير المحبوب في حب الله، وأما إذا يطعم المحبوب لوجه الله فهو الوجه الأحسن في الاطعام، ووجه الله المذكور بعده «إنما نطعمكم لوجه الله» فلماذا يؤول «على حبه» الى حب الله؟

كلا : إنما على حب الطعام والإطعام، حباً عالياً الى حاجة مدفوعة لهؤلاء المطعمين، فلم يقل «مع حبه» إنما «على حبه» ما يوحي باستعلاء حبه عليهم، لا حباً ذاتياً للطعام أو نوع الطعام، فإنهم كانوا أخلص المخلصين وأبر الأقربين، لا يجبون إلا لله وفي الله، فإتماً حباً لإدمان الصيام الذي نذروه، ولتقوى أبدانهم على طاعة الله وتقواه، ومعهم الطفلان الحسنان! وأنهم حصلوا الطعام على مشقة وصعوبة بالغة.

(١). انخصال في احتجاج علي عليه السلام على أبي بكر قال : أنشدك بالله انا صاحب الولاية «يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً» أم أنت؟ قال : بل انت (نور الثقلين ٥ : ٤٧٧)

(٢). (٣ : ٩٢)

(٣). (٢ : ١٧٧)

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج٤، ص : ٢٤٥

فهم- على حبهم هكذا طعام، وحبهم للإطعام يطعمون لقمة الفطور وبلغة الصيام للمحاييج السائلين، بأريحية نفس ورحمة قلب وخلوص نية، وكما فعله علي وفاطمة والحسنان «وهما صغيران» (١) ومعهما الخادمة فضة وقد تواترت به أحاديث الفريقين (٢).

٢- ومن أصول الإطعام أن يجلب محله الأخرى والأحوج، ولا أحوج من : مسكين أسكنه العدم عن الحراك في حاجيات الحياة، ويتم انقطع عن يصلاح شأنه وهو قاصر عما يصلحه، وأسير : سجين أو ملك يمين : هؤلاء المحاييج الذين لا يجحدون حيلة ولا سبيلاً، الذين طرقتوا باب الرحمة سائلين، فأثرهم أهل بيت الرحمة على أنفسهم وقد كانت بهم خصاصة!

هنا تظهر مدنية هذه الآيات (٣) لمكان الأسير بين السائلين، ولم يكن المؤمنون في مكة

(١). امالي الصدوق عن الإمام الباقر والصادق عليهما السلام في الآية انهما قالوا : مرض الحسن والحسين وهما صبيان صغيران فعادهما رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه رجلا ن ... وفيه انهما صامتا مع ابويهما - الى نهاية القصة

(٢). رواه فيمن رواه ابو صالح ومجاهد والضحاك والحسن وعطا وقتادة ومقاتل والليث وابن عباس وابن مسعود وابن جبير وعمرو بن شعيب والحسن بن مهران والنقاش والقشيري والثعلبي والواحدي في تفاسيرهم، وصاحب اسباب النزول والخطيب المكي في الاربعين وابو بكر الشيرازي في نزول القرآن في أمير المؤمنين عليه السلام والأشعبي في اعتقاد اهل السنة وابو بكر محمد احمد بن الفضل النحوي في العروس في الزهد، وروى أهل البيت عن الاصمغ بن نباتة وغيرهم عن الباقر عليه السلام (نور الثقلين ٥ : ٤٧١ عن المناقب لابن شهر آشوب)

(٣). لقد روى نزول هذه الآيات في المدينة فيمن رواه : السيوطي في الإتيان على البيهقي في دلائل النبوة عن عكرمة والحسين بن ابي الحسن، وعن الضريس في فضائل القرآن باسناده عن عثمان بن عطاء الخراساني عن أبيه عن ابن عباس، وعن البيهقي في الدلائل عن مجاهد، وجلال الدين السيوطي في الدر المنثور باسناده عن ابن عباس، وأبو حمزة الثمالي في تفسيره، والطبرسي عن السيد ابو الحمد مهدي بن نزار الحسيني القايي باسناده عن ابن عباس، والاستاذ احمد الزاهد عنه.

والقصة حسب نقل البحراني في غاية المرام عن أبي المؤيد الموفق بن أحمد في كتاب فضائل أمير المؤمنين عليه السلام والحموي في كتاب فرائد السمطين وعن الثعلبي والواحدي في تفسيرهما، وفي الكشف : «ان الحسن والحسين مرضاها فعادهما رسول الله صلى الله عليه وآله في ناس معه فقالوا : يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك، فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما إن برآ مما بهما ان يصوموا ثلاثة أيام فشفيا وما معهم شيء.

فاستقرض علي من شعون الخيبري اليهودي ثلاث أصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعاً واختبزت خمسة أقراص على عددهم فوضعوها بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال : السلام عليكم أهل بيت محمد! مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة فأثروه وباتوا لم يدوقوا إلا الماء واصبحوا صياماً، فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فأثروه، ووقف عليهم أسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك فلما أصبحوا أخذ علي بيد الحسن والحسين وأقبلوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال : ما

أشد ما يسوءني ما أرى بكم فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساء ذلك فنزل جبرئيل وقال : خذها يا محمد هناك الله في أهل بيتك فأقرأه السورة

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٤٦

في حربٍ حتى يأسروا، ولا في قوة حتى يجسروا أن يأسروا المشركين، وإنما كانوا هم في أسرهم وحصرهم حتى اضطروا للهجرة الى المدينة، ومن ثم قويت شوكة الإسلام وبدأت دولته، فكان أسير وحصير بأيديهم من جراء حروبهم مع المشركين، وكان الأسير منهم «١» لا من المسلمين إذ لا يعهد أسر المسلم إسلامياً، اللهم إلا الكتابي ولم يكن منهم أسير وقتذاك.

فهنيئاً لآل بيت الرسالة المحمدية إذ تنزل السورة بشأنهم، كما قال جبرائيل : «خذها يا محمد هناك الله في أهل بيتك، فأقرأه السورة» مهما شملت من حدا حدوهم ونحا نحوهم.

وهنا يبرز الحنان الإسلامي بشأن بني الإنسان كافة، وأسارى الحرب، المشركين، فلا يرضى أن يظلوا جوعاً، ولا يأسرهم إلا عن أخطارهم، وليتعارفوا الى الإسلام في أسر المسلمين في دورهم وديارهم، عليهم يؤمنون أو يؤمنون دون حيس وتعطيل عن الحياة إلا لضرورة، وسئول الأسير هنا أقرب شاهد انه لم يكن سجيناً مهما كان تحت الرقابة في بلد الإسلام، «وقد كان يؤتى الرسول صلى الله عليه و آله بالأسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول أحسن إليه فيكون عنده اليومين والثلاثة فيؤثره على نفسه» «٢».

ويعم الأسير كل من هو في أسر الإنسان معنوياً أو مادياً، إلقاءً عليه، أو لجأ إليه، ك «عيال الرجل، ينبغي له إذا زيد في النعمة أن يزيد أسرائه في السعة عليهم» «٣» وملك اليمين «٤» والغريم كما عن الرسول صلى الله عليه و آله «غريمك أسيرك فأحسن الى أسيرك» «٥» هذا وكذلك.

(١). الدر المنثور- اخرج سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن مردويه عن الحسن قال :

كان الأسارى مشركين يوم نزلت هذه الآية «ويطعمون الطعام ..»

(٢). تفسير روح المعاني للألوسي ٧ ج ٢٩، ص ١٥٥ عن الحسن

(٣). أصول الكافي باسناده عن أبي الحسن عليه السلام قال : ينبغي للرجل أن يوسع على عياله لئلا

يتمنوا موته وتلا هذه الآية «ويطعمون الطعام على حبه ...» قال : الاسير .. وعن الرسول صلى الله

عليه و آله «اتقوا الله في النساء فانهن عندكم اعوان» (تفسير الرازي، ج ٣٠، ص ٣٤٥)

(٤). تفسير الرازي، ج ٣٠، ص ٢٤٥ روي مرفوعاً من طريق الخلدري عن النبي صلى الله عليه و آله في الآية قال : مسكيناً، فقيراً، ویتيماً : لا أب له، وأسيراً : المملوك المسجون

(٥). تفسير روح المعاني للألوسي، ج ٢٩ ص ١٥٦

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٤٧

بالأحرى- كل من تعوله علمياً وعقائدياً.

كما وان المسكين واليتيم يعمان المسكنة واليتيم معنوياً كما يعمان المادي سواء.

٣- ومن أصول الإطعام أن يكون لوجه الله دون مَنْ ولا أذى «إنما نطعمكم لوجه الله ..»

دون سائر الوجوه المادية والمعنوية : جزاءً أو شكوراً، رحمة فائقة فائضة من قلوب رقيقة ندية على من لا يرجى خيرهم، وإنما ابتغاء مرضاة الله ورجاء رحمة الله، متجردة عن البواعث الارضية، الى باعش سماوي فقط هو وجه الله : مرضاته، لا ذاته ولا وجه الذات، إذ لا وجه له كما لنا.

وهذه التجردية هي حجر الاساس في بناية الإنفاق على المحاويج، وفي سبل الخير :

الفردية والجماعية، تضامنة اجتماعية عريقة على أساس التقوى وروح الحنان لبني الإنسان عامة، وللصالحين خاصة، تهدياً لأرواح الباذلين ورفعها الى مستوى رفيع، وحفاظاً على كرامة وسيادة على كرامة وسيادة المبذول لهم، وتعميماً للبدل.

ولو كان البذل محصوراً في حصار التجارات : جزاءً أو شكوراً، أصبح الكثير من ذوي الحاجة محرومين، ولو كان مقروناً بمنّ أو أذى انقلب عاراً في أنفس المحتاجين، ولكنه اشترط في الإنفاق أن يكون مما نحب وبطريقة حبيبة بعيدة عن المنّ وعن بغيّة الجزاء الشكور، وعن لمحات توحى بوهن ومهانة للمعطي، واستعظام للمعطي، ولكي يصبح الإنفاق كأنه من يد الله دون وسيط، ويا له إنفاقاً عزيزاً رقيقاً يصاحب حيوية العاطفة ويحافظ على حساسية القلوب.

وهل إنهم خاطبوا مسكيناً ویتيماً وأسيراً هكذا : إنما نطعمكم .. قوله في آذانهم ؟ ولا نلمس هنا نقل قول : «قالوا إنما ..» ولا ان في قول اللسان رجحان، وقد يكون نقصاناً من روحانية الإطعام وإخلاصه ف «والله ما قالوا هذا لهم ولكنهم اضمروه في أنفسهم فأخبر الله بإضمارهم، يقولون : لا نريد جزاء تكافوننا به، ولا شكوراً تتنون علينا به، ولكننا إنما أطعمناكم لوجه الله وطلب ثوابه» «١» : ومن أثواب ثوابه معرفته ومرضاته وهذه عبادة

(١). امالي الصدوق عن الصادقين عليه السلام في حديث طويل عن القصة

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٤٨

الأحرار! فليست إذاً قولة في الآذان، وإنما قالوا في أنفسهم قولاً بليغاً، فإطعام الطعام هكذا- مع ما تصحبه من ملابس- تنفي الرثاء وسائر وجوه النية السيئة، وإنه تعبير عبر في أنفس المحاييج عن «إنما نطعمكم لوجه الله...» دون قولة باللسان، فالتلميح أبلغ من التصريح : «لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً» : لا مكافأة ولا اظهاراً بثناء جميل، أو تلميحاً للناس أن ذلك من فلان وفلان، فان شكر النعمة وشكورها هو اظهارها قلباً أو لساناً أو عملاً، ف «إنما» هناك تنفي كل غاية من هذا الإطعام إلا وجه الله، لا واقع الجزاء والشكور فهم رافضوه، ولا إرادته أو نيته فهم مترفعون عنها، وإنما ارادة وجه الله لا سواه.

فهل لا يريدون من الله أيضاً جزاءً كما لا يريدون منهم؟ تلمح «إنما..» أنهم لا يطعمون جزاء ولا من الله، فانها عبادة الأجراء! ولا تحرزاً عن عذاب الله فإنها عبادة العبيد! وإنما يعبدونه لأنه الله، «لوجه الله» وإنما عبادة الأحرار، فهؤلاء الأبرار هم أبر الأحرار، ولا تعني «منكم» نفي ترقب الجزاء والشكور منهم فقط، وإنما كأقرب الجزاء المترقب، و «إنما» المسبقة تحصره في وجه الله، اللهم إلا أن يكون ترقبه من الله بأمر الله ولوجهه، لا أجراً منه، ثم وليس خوفهم يوماً عبوساً قمطيرياً إلا خوف العبد عن زلفاه ومعرفته ورضاه، وإنما هي جنة الرضوان يعملون لها، ونيران البعد يتحذرون عنها :

«إننا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطيرياً» :

«نخاف من ربنا» خوفاً من ربوبيته لعدله، الظاهر «يوماً عبوساً» : قاطباً وجهه معبساً «يقبض ما بين الأبصار» (١) يُستدل بعبسه وقُطوبه على إرصاده بالمكروه وعزمه على إيقاع الأمر المخوف «قمطيرياً» : شديداً ضره، طويلاً شره، وهذا اليوم نفسه متطلق مستبشر لمن يخافون ربهم فيحسبون حسابهم حياتهم، فالطلق والعبس ليوم الحساب، كلُّ بحساب كيفية الحساب، دون أن يحمل اليوم بذاته أيّاً منهما إلا ميزان الحق والعدل.

ف «الكافر يعبس يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران» (٢) والمؤمن يُلقَى

(١). الدر المنثور ٦ : ٢٩٩- اخرج ابن مردويه عن انس عن النبي صلى الله عليه وآله في الآية

(٢). تفسير روح البيان ١٠ : ٢٦٧ كما روي أن الكافر ..

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٤٩

نضرة وسروراً :

«فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسروراً»

«فوقاهم الله» بما وقوا أنفسهم يوم الدنيا واتقوا «شر ذلك اليوم» وعبسه وقطوبه «ولقاهم» : استقبلهم «نضرة» في وجوههم «وسروراً» في قلوبهم «١» تلقية لكيانهم ككل إعلاناً وإسراراً كما كانوا يوم الدنيا ناضري الوجوه وطاهري القلوب.

«وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً. متكئين فيها على الآرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً» :

طرف من نعيم الجنة إيجاباً وسلباً جزاءً بما صبروا في الله على الحرمان من نعيم الدنيا، وعلى طاعة الله، وعن معصية الله.

بعد أن سبق شراهم من كأس الكافور، هنا يجمل في ذكر مكانهم وأكلهم ب «جنة» ثم تختص

الحرير من لباسهم، فإن «لباسهم فيها حرير» «٢»

أنعم لباس وألينه وأحسنه، فهذه نعم إيجابية.

ثم سلبية هي عدم رؤية شمس ولا زمهرير، فهم في حياة مريحة مطمئنة ناعمة معتدلة دون أن يلمسوا شمساً لاهبة ساخنة ولا برداً قارساً، عوان بين ذلك سجع لا قرّ فيها ولا حرّ.

تُرى إن الأبرار لا يرون فيها شمساً لأنها كورت عند قيامتها فلا شمس هناك؟ ولا زمهريراً لأنها لا تكون؟ إذا فليست هذه نعمة يختصون بها عن أهل النار، إذ هم يشاركونهم في عدم الرؤية هذه وتلك!.

أو إن في سماء القيامة شمس غير هذه المكورة، فقد ترجع هي شمساً أو غيرها من غازات فتصبح شمس الآخرة أو شمسها، كما ان هناك زمهريراً : برد قارس شديد، فزبائن الشمس ونورها للنافذ هي على أهل النار عذاب فوق العذاب، وأهل الجنة لا

(١). امالي الصدوق عن الصادقين عليهما السلام (نور الثقلين ٥ : ٤٨٠)

(٢). ٢٢ : ٢٣

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٥٠

يرونها، إذ تجنّهم أشجارها عن نورها، وجوّها عن نارها، كما ان زمهرير على أهل النار عذاب فوق العذاب، فأهل الجنة لا يرون بردها وقرّها، إذ تبعد عن أولاء وتقرب من هؤلاء، فالأبرار في جنة عادلة معتدلة عوان، في دلال وظلال: «ان المتقين في ظلال وعيون» «١» «وندخلهم ظلًا ظليلاً» «٢» «وظل ممدود» «٣».

ولا معنى لظل ولا ظلال، إذ لا شمس تشرق وتحرق، فالظل دليل الشمس كما الشمس دليل الظل «ألم تر الى ربك كيف مدّ الظل ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً» «٤».

وهل إن زمهرير العذاب لأهل النار كلهم مع النار؟ لا دليل على الشمول! فإنها الآية الفريدة في ذكرها سلباً عن الأبرار، لا إيجاباً على كل أهل النار!

أو ان المعذنين بزمهرير لا يعذبون بالنار؟ تنافيه الآيات في شمول النار لغير الأبرار! إذأ فهما في الجحيم متقاربان وكما في المروي عن الرسول صلى الله عليه وآله «٥».

ومن ثم إذا اختصت زمهرير ببعض أهل النار أو شملتهم، فكيف يُجمع بين هذين المتناحرين المتنافرين، وكلٌّ يَخْفَفُ الآخر ويفنيه!.

ذكرى عتيقة من الخمسة الطاهرة عليهم السلام سفينة نوح والبشارة المحمدية على أنقاضها:

«في تموز ١٩٥١ عثر على قطع متناثرة من أخشاب قديمة متسوسة وبالية، اكتشفها جماعة من العلماء السوفييت المختصين بالآثار القديمة، إذ كانوا ينقبون في منطقة بوادي قاف، مما دعاهم إلى تنقيب أكثر وأعماق، فوقفوا على أخشاب أخرى متحجرة وكثيرة

(١). ٧٧ : ٤١

(٢). ٤ : ٥٧

(٣). ٥٦ : ٣٠

(٤). ٢٥ : ٤٥

(٥). الدر المنثور ٦ : ٣٠٠ - أخرج ابن أبي شيبة والبخاري ومسلم والترمذي وابن مردويه من طرق عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله اشتكت النار الى ربها فقالت رب أكل بعضي بعضاً فجعل لها نفسين نفساً في الشتاء ونفساً في الصيف فشدة ما تجدونه من البرد من زمهريرها وشدة ما تجدونه في الصيف من الحر من سموها. واخرج نحوه عبد بن حميد وابن المنذر عن

لحسن قال ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وآله قال : ... وفيه عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث : واذا كان يوم شديد البرد .. قال العبد لا إله إلا الله ما أشد برد هذا اليوم اللهم أجرني من زمهرير جهنم قال الله لجنهم ان عبداً من عبيدي استجارني من زمهريرك واني أشهد أني قد أجرته، فقالوا وما زمهرير؟ قال كعب : بيت يلقي في الكافر فيتميز من شدة بردها بعضه من بعض

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٥١

كانت بعيدة في أعماق الأرض، ومن بينها عشروا على خشبة مستطيلة الشكل طولها ١٤ سنتيمترا وعرضها ١٠، سببت دهشتهم واستغرابهم، إذ بقيت سليمة غير متناثرة بين الأخشاب الأخرى!. وفي أواخر ١٩٥٢ أكمل التحقيق حول هذه الآثار الغريبة، فتبين أن اللوحة وسائر الأخشاب هي أنقاض سفينة نوح عليه السلام التي استوت على الجودي حسب القرآن، وقد ظلت عليها حتى القرن الحاضر.

وقد شوهده على هذه اللوحة بعض الحروف التي تعود إلى أقدم اللغات، وللكشف عنها ألفت الحكومة السوفيتية لجنة قوامها سبعة من علماء اللغات القديمة «١» وبعد ثمانية أشهر من الدراسة لهذه اللوحة والكتابة المنقوشة عليها، أجمعوا أنها من نفس الخشب الذي صنعت منه سفينة نوح عليه السلام وأنه وضعها في السفينة للتبرك والاستحفاظ بعد أن تحققوا أن تلك الحروف كانت باللغة السامانية أو السامية : لغة نوح عليه السلام وقد ترجمها العلماء الروس المعينون باللغات القديمة إلى اللغة الروسية، ثم العالم البريطاني (اين ايف ماكس) أستاذ الألسن القديمة في جامعة (مانشستر) ترجمها إلى الإنجليزية «٢»، وهي بالعربية :

(١). وهم : سولي نوف- استاذ الالسن القديمة في جامعة موسكو، و (ايفاهان خنيو) عالم الالسن القديمة في كلية لولوهان بالصين، و (ميشانن لوفارند) مدير الآثار القديمة، و (تاغول غورف) استاذ اللغات في كلية كيفزو، و (دي راكن) استاذ الآثار القديمة في معهد لينين، و (ام احمد كولا) مدير التنقيب والاكتشافات اعام، و (ميجر كولتوف) رئيس كلية ستالين نقلتهم مجلة البذرة النجفية في العديدين : الثاني والثالث- شوال وذو القعدة :

(٢). ترجمتها باللغة الانجليزية كالتالي : يا الهي ويا معيني Omy God my helper برحمتك

وكرمك ساعدني Keep my hands with mercy

ولاجل هذه النفوس المقدسة And with your holyb odies

محمد Alia Mohamed اليبيا

شبر Shabbar شبير Shabbir فاطمة They are all biggest and honourables

Fatma هم جميعهم عظماء ومكرمون The world established for them العالم قائم

لاجلهم Help me by their names you can reform to right ساعدني بحق اسماءهم

انت تستطيع ان توجهني الى الطريق الصحيح

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٥٢

يا إلهي ويا معيني، برحمتك وكرمك ساعدني، ولأجل هذه الن فوس المقدسة محمد- ايليا- شبر-

شبير- فاطمة. الذين جميعهم عظماء ومكرمون، العالم قائم لأجلهم.

ساعدني بحق أسمائهم، أنت تستطيع أن توجهي إلى الطريق الصحيح.

ولقد بقي هؤلاء العلماء في دهشة عظيمة أمام هذه اللوحة باسمائها حيث توسل بها نوح وبقيت حتى

الآن، واقع التصديق للقرآن «وجعلناها آية للعالمين»، وهذه اللوحة موجودة الآن في متحف الآثار

القديمة في موسكو وفي خبر أن المسلمين رأوها من ذي قبل «١».

ولما اكتشفت هذه البشارة المحمدية نشرتها المجلات والجرائد المهمة العالمية :

الروسية والبريطانية والقاهرة «٢».

وإليكم صورة الفوتوغرافية باللغة الآرامية كما نشرت في الجائد والمجلات وبعض الكتب ككتاب

اليليا، وأصل اللوحة موجودة الآن في متحف الآثار القديمة في موسكو :

وقد ترجمت كما سبق كالتالي :

«يا إلهي ويا معيني، برحمتك وكرمك ساعدني، ولأجل هذه النفوس المقدسة : محمد- ايليا- شبر-

شبير- فاطمة، الذين جمعهم عظماء ومكرمون العالم قائم لأجلهم، ساعدني

(١). الدر المنثور ٦ : ٢٦٠ : عن قتادة في الآية قال : «عبرة وآية ابقاها الله حتى نظرت اليها هذه

الامة، وكم من سفينة غير سفينة نوح صارت ربما»

(٢). ١- مجلة روسية شهرية تصدر في موسكو تشرين الثاني ١٩٥٣، ٢- مجلة (ويكلي ميرر) الاسبوعية اللندنية العدد الصادر ٢٨ كانون الاول ١٩٥٣، ٣- مجلة (استار) اللندنية، كانون الثاني ١٩٥٤، ٤- جريدة (سن لايت) الصادرة في مانجستر ٢٣ كانون الثاني ١٩٥٤، ٥- جريدة (ويكلي ميرر) اللندنية في ١ شباط ١٩٥٤، ٦- جريدة (الهدى) القاهرية في ٣٠ مارس ١٩٥٣ والمصادر الاربعه الاخيرة نقلت ترجمة العالم البريطاني (ان اف ماكس) استاذ الالسن القديمة في جامعة مانجستر. ٧ ومن المصادر كتاب ايليا من منشورات دار المعارف الاسلامية بلاهور باكستان برقم ٤٢- اللغة الاردية التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص: ٢٥٣

بحق أسمائهم، أنت فقط تستطيع أن توجهني إلى الصواب.

ولقد سبق نوحا ادريس النبي صلى الله عليه وآله في ذكر أسمائهم باللغة السريانية «بارقليطا- ايليا- طيطه- شبر- شبير». (١)

«لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية» الأذن التي تعي الحقائق الناصعة إنها تعي آية سفينة نوح، بما على لوحها من آيات، وأوعى الأذان آذان النبيين، وأوعاهم بينهم جميعاً أذن الرسول الأقدس محمد صلى الله عليه وآله. فحياته وعي للحقائق دون نسيان، ويخلفه في وعيه الشامل أذن علي عليه السلام. وعلى حد قوله صلى الله عليه وآله لما نزلت آية الأذن، «سألت ربي أن يجعلها أذن علي قال مكحول فكان علي يقول: ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً فنسيته» (٢) وعن علي عليه السلام: ضمني رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: أمرني ربي أن أدنك ولا أفصيك وأن تسمع وتعي (٣).

ذكرى عتيقة من الخمسة الطاهرة في كتاب ادريس النبي صلى الله عليه وآله

يقول إدريس النبي في كتابه «٤» مخاطباً اصحابه:

إختلفت بنو أبيكم آدم يوماً بمحضر منه في أفضل الخلايق- من هو؟ فقال بعض إنه أبونا آدم الذي خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته تكريماً له وانتصبه

(١). ومما يثير العجب ان المجلد التاسع والعشرين حيث يحوى هذه البشارة كان في مطبعة مسيحية في بيروت حين الحرب الإسرائيلي والسوري واللبناني احرق في ما احرق تلك المطبعة وكنت حينذاك

راجعاً عن مكة المكرمة فراجعت المطبعة لاخذ ذلك الكتاب فقال صاحب المطبعة وهو مسيحي قد احرق المطبعة بتمامها فاكدت عليه أن يراجع المطبوعات حتى لعله يجد ذلك الكتاب ففتشه فوجده سليماً باوراقه فتحير من ذلك فقلت له إن الله تعالى حافظ على ذلك الكتاب فلم يحرق كما حافظ على ابراهيم عن حرقه لان الخمسة الطيبة المحمدية المنحو على اخشاب سفينة النوح كانت مرتسمة عليه عند تفسير سورة الحاقة فتحير من ذلك واسم فوراً

(٢) الدر المنثور ٦ : ٢٦٠ ، وقد اخرج في غاية المرام ستة عشر حديثاً مثله عن طريق الفريقين (٣). رواه ابو نعيم في الحلية والواحد في اسباب النزول عن بريدة وابو القاسم بن حبيب في تفسيره عن زر بن حبيش عن علي عليه السلام ورواه في تفسير روح البيان، ج ١٠ ، ص ١٣٦ (٤). المطبوع في سنة ١٨٩٥ م في لندن باللغة السريانية، في ص ٥١٤ و ٥١٥ ونحن ننقل في المتن هذه البشارة باللغة العربية الا نصين منها في اسماء الخمسة نقلها باللغة السريانية كما في الاصل التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤ ، ص : ٢٥٤

معلمانهم، وجعله خليفة الأرض وأوجب طاعته على خلقه. وقالت طائفة أخرى : لا، وإنما الأفضل هم الملائكة الذين لم يعصوا ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وقد عصى آدم ربه فأخرجه الله وزوجته من جنته، وان تاب عليه وهداه ووعدته وولده المؤمنين الجنة.

وقالت ثالثة : هو جبريل الامين لرب العالمين.

قالوا وقالوا واكثروا الخلاف في ذلك، حتى اتاهم آدم عليه السلام بقول فصل، قائلاً : يا بني! ليس الامر كما تظنون، لا ذا ولا ذاك!

انه لما خلقتني ربي بيده، ونفخ في من روحه، جلست ناظراً الى عرش ربي، فاذا :

بانوار خمسة في غاية العز والجمال والبهاء والكمال، وقد اغرقتني واوهنتني بوارق انوارهم.

فقلت : يا رب! من هؤلاء؟

قال : هم اشرف خلائقي وابواب رحمتي والوسائط بيني وبين خلقي.

اني لهويوه انا لبرين وارخ لا الشماي ولا أل ارعا ولا البردس ولا الكيهن ولا الشمس ولا السعير (سرياني).

اي : لولاهم لما خلقتك ولا السماء ولا الارض ولا الجنة ولا النار ولا الشمس والقمر.

قلت : ربي! ما اسمائهم؟ قال : انظر الى العرش حيث الانوار القادسة، فنظرت فاذا بهذه الاسماء الطيبة :

بارقليطا، ايليا، طيطه، شبر، شبير- هليلوه لت آله شوق مني محمد صلى الله عليه وآله إنووي دآله (سرياني).

اي : محمد صلى الله عليه وآله، علي عليه السلام، فاطمة، حسن، حسين- هلولوي وسبحوني يا خلائقي- فلا اله الا انا ومحمد صلى الله عليه وآله رسولي.

أقول : ولقد فصلنا القول في هذه البشارة وسائر البشارات الواردة في كتب السماوية

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٥٥

السالفة، على نبينا محمد صلى الله عليه وآله، في موسوعتنا : رسول الاسلام في الكتب السماوية .«١»

***... ثم : بعد تركيز هذه القواعد الاربع لعرش الخلافة الكبرى،

محمد صلى الله عليه وآله وخلفاءه المعصومون هم الاسماء التي علم آدم عليه

السلام

«وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَقْبِلُوا بِسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»
قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ» قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِيَّيَ اعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ» «٢».

وها نحن مع الملائكة ننظر بعين البصيرة، ونسمع بأذن صاغية، ونعي بقلوب واعية في ومضات الاستشراق، ما هذا السرّ الإلهي الذي اختصه الله بهذه الخليفة الأرضية، التي تخضع لديها رسل السماء الملائكية، وهو بذلك يسلمها مقاليد الخلافة الأخيرة السامية، وكرسي التعليم للملائكة؟! إنه كله في «علم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم...» فانظر ماذا ترى!.

فهل الأسماء هنا هي- فقط- أسماء الأشخاص والأشياء؟ و «هم» و «هؤلاء» لا تعنيان إلّا ذوات عقلاء! «ثم عرضهم... بأسماء هؤلاء»! ومن ثمّ وما قيمة علم هذه الأسماء وكثيرون يعلمون كثيراً من

الأسماء وليسوا فأفضل ممن لا يعلمونها، ولو أن الملائكة عُلِّمتها كما عُلِّم آدم لكانت مثل آدم كما
آدم أنبأهم بها بما أمر الله.

(١). يضم هذا الكتاب تسعة وخمسين بشارة بحق الروس الاعظم صلى الله عليه وآله وعلي عليه
السلام والامام الحسين عليه السلام والامام المهدي عليه السلام
(٢). سورة البقرة، الآيات : ٣١ - ٣٣

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٥٦

فليس علم هذه الأسماء مما يتفاضل فيه، ولا أنه جناح من جناحي العلم بالله وتقوى الله، وهذه
الأسماء إنما يُحتاج إليها في تفاهم مسمياتها، والملائكة يتلقونها دون وسائط، ولا يحتاجونها كما
يحتاجها الإنسان في الحاجيات الجماعية الأرضية!

أو انها المسميات، حيث الإسم من الوسم «١»: العلامة- الدلالة، ودلالات الأسماء اللفظية على
المدلولات هي من أضعف الدلالات، فأعلى منها دلالات الذوات والأفعال والصفات على
مدلولاتها فيما بينها، ثم دلالات الكائنات كل الكائنات على مكوّنها بدرجاتها، ثم دلالات الرعي
الأعلى من رجالات الله: بذواتهم وصفاتهم وتصرفاتهم وإرشاداتهم على الله، ثم الذروة العليا منهم
وهي الحقيقة المحمدية العظمى فإنها الآية الكبرى وأعظم اسمائه الحسنی بين الممكنات، بجنب ما لله من
سائر الأسماء الحسنی، «أيأ ما تدعوا فله الأسماء الحسنی» «٢» «ولله الأسماء الحسنی فادعوه بها» «٣».

فأحرى بهم هؤلاء أن تعنيهم الاسماء التي عُلِّمها آدم كلها: أنهم انبياء الله ورسله.

ولكنما التعلّم لا يناسب الذوات، وإنما هو التعريف، ثم ويبقى السؤال كيف يُفضّل آدم على
الملائكة لأن الله علّمه دونهم، ثم كلفه أن ينبئهم بها؟

في الحق إن الأسماء هنا مجمع الإسمين ألقاظاً وذوات، ولأن بداية المعرفة كانت بالنسبة للالفاظ صح
التعليم، مهما انتهت الى معرفة الذوات، وقد تبين هنا هذه الخليفة فضيلتان اثنتان :

الأولى لآدم حيث عُلِّم الأسماء ألقاظاً وذواتٍ ثم لم يُنبئ الملائكة بالذوات وإنما «بأسماء هؤلاء» وإن
كانت تكشف أشباحاً من هؤلاء الذوات، ولكنه قليل بجنب ما عرّفه آدم من الذوات، تدليلاً على أن
الملائكة ليست بالتي تتمكن أن تعرف أو تعرّف حقائق

(١). هذا احد وجهي الاسم اصلاً وقيل اصله سُمُو من السُمُو : العَلُو، لان تصغيره سُمِي، فلو كان من وسم : العلامة، لكان تصغيره وَسِيم، والعلامة انصب له معنى، والعلُو لفظاً، وَعَلَّهْمَا معنيان أحياناً وأحدهما أحرى، او يقال ان الاسم السمو يناسبه معنوياً كما اللفظي فانه يعرف به ذات الشيء فيه يُرفع المسمى عن حضيض المجهول، ولكل وجه، والأوجه ان السماء من السمو : العلو والرفعة، والاسم من وسم : العلامة، او ومن السمو ايضاً.

ثم الاسم قد يكون مأخوذاً من «شِما» آرامية وعبرية، وهي تستقل عن مادة السماء : الرفعة، وذكرها في مادة السمو غفلة عن تحقيق اصل الكلمة

(٢). ١٧ : ١١٠

(٣). ٧ : ١٧

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٥٧

هذه الذوات، بياناً لكيانهم بما خلق الله : أنه محدود بما حدّد الله، دون هذه الخليفة التي منها آدم، فليس علمه محدوداً لحدّ، فهم : «ما منا إلا وله مقام معلوم» والخليفة : «وقل رب زدني علماً». والثانية أن هؤلاء الذوات هي الأصيلة في هذه الخلافة، مهما كانت لأشباهم في الصورة الإنسانية تحلّفات وتردّلات من إفساد وسفك دماء، فان هؤلاء الأشباح لا تشبه أشباهاها في المعنى مهما شابهتها في الصور.

لذلك «وعلم آدم الأسماء كلها» : أسماء هؤلاء الخلفاء كلها، وذواتهم بأشباهم كلهم، تجنيداً وعرضاً لآدم أولاً لكي يعرف موقعه أنه يحمل في صلبه هذه الأمانات الغالية، وللملائكة لكي يعلموا : «إني أعلم» من هذه الخليفة «ما لا تعلمون» فهناك البون الشاسع بينكم وبينه لحدّ لا تعرفون حقائقهم إذ لا تتمكنون، حيث هم في الذروة العليا، وما أنتم بها حتى تحيطوها معرفة وعلماً، فانما أنبئتم بأسماءهم لكي تتعرفوا حسب المستطاع إلى ذواتهم قدر ما تعلمون : «إني أعلم ما لا تعلمون»!

فالأسماء الذوات هي المعروضة هنا على ملائكة السماوات : «ثم عرضهم على الملائكة» دون «عرضها» حيث العرض للذوات، ودون «عرفهم الملائكة» حيث العرض لمنظرٍ من الأشباح، لا حقائقها كلها- لان هؤلاء من غيب السماوات والأرض : «فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض» وهم- او معظمهم- رجالات الله : النبيين والمرسلين : حقائق عاقلة محجوبة تحت حجاب الغيب :

غيب السماوات والأرض، كَشَفَ اللهُ لآدم منها أسماءَ ذواتٍ، وأنبأ الملائكة بأسمائها بآدم، ولكن ترى : إنباء الأسماء فقط دون اي كشف عن حقائقها؟ إذا فكيف عرفت الملائكة فضلهم، وعرفت فضل آدم بما عَلَّمهم دونهم!.

فليكن في عرض هؤلاء الذوات على الملائكة، وإنبائهم بأسمائهم- ليكون في هذا الإنباء وذلك العرض تعريف مَّا بالذوات، يكفي لهم إقناعاً : أنهم هم الأفضلون في الفضائل كلها، لحد لا يحيطون- وحتى- معرفة بجنابهم وعلماً بذواتهم كما يحق.

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٥٨

فهنا تعليم وعرض وإنباء خُصَّ آدم بتعليم الأسماء والذوات، وهو فوق العرض والإنباء، حيث خُصَّ بهما الملائكة، فقد أنبأت بأسماءها بعدما عُرِضت عليهم ذواتها، إلَّا أن هذا الإنباء والعرض ما عَلَّمها الملائكة قدر ما علَّم آدم بالتعليم!.

فَعَرَضَهَا أن عَرَفَهم شبحاً من أشباحهم يستشرفونها من بُعد ولما، وقد كان العرض بحيث تُستعرض منه أسماء المعروضين لمن يؤهل، وإلَّا لم يكن معنى ل «أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين» لولا أن العرض يُنبئهم!.

ثم وإنباء أسماءها زادتهم معرفة، ولحد الإقناع «إني أعلم ما لا تعلمون» : إنهم أعلى منكم محتدأ وفي التسبيح والتقديس، دون إحاطة على هذه الحقائق النورانية التي تحطف الأبصار، فلا تبصر منها إلَّا بحدود الإبصار، فلكل من العرض فالإنباء بالأسماء دوره في تعريف ذواتهم قدر إمكانية الملائكة، وكما أن تعليم الأسماء عَرَفَ آدم الذوات والأسماء قدر إمكانيته فوقهم، لحدَّ أصبح يُنبئهم بأسمائهم!.

ذلك! ولم يكن آدم وقتذاك نبياً حيث «عصى آدم ربه (بعد ذلك) فغوى. ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى» «١»

وهذا الإجتباء ثم الهدى هما الرسالة بعد إذ تاب عما عصى.

ف «إني أعلم ما لا تعلمون» في بداية الجواب، كان له دور الإقناع دون شهود، ولكننا العرض والإنباء لهما دو الإقناع بشهود، حتى أتى موقع التنديد التذكير : «فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون»!

فقد عجزت الملائكة من إستنباء أسماء هؤلاء بعد عرضهم عليهم، وكان العرض بحيث يبنىء، وعجزت أن تعرف حقائق هؤلاء الذوات المقدسة : الخلفاء، وكان الإنباء بعد العرض مما يعرَّف،

وقد خص آدم عليه السلام بتعليم الأسماء بالذوات دفعة واحدة، مما يدل رجاحة ميزانيته عليهم «٢»، وعلى أفضلية هؤلاء الخلفاء كذلك.

(١). ٢٠ : ١٢٢

(٢). في معاني الأخبار وكمال الدين وتمام النعمة وعن الصادق عليه السلام : ان الله عز وجل علم آدم أسماء حججه كلها ثم عرضهم وهم ارواح على الملائكة فقال : «انبتوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين» بانكم احق بالخلافة في الارض

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج٤، ص : ٢٥٩

وبطبيعة الحال حصلت لهم أشياح من المعرفة بهذه الذوات حسب الدرجات، ولكننا الحقيقة الحمديّة لم تكن تظهر لهم ولا لآدم كما يحق، فقد بهروا وتحيروا منها، واستدلوا بما عرفوا مما دونها على تلكم القمة العليا «١» وتعبدت لهم الطريق لكي يسجدوا لآدم كما امروا!.

... «فقال أنبؤني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين» في دعوكم «ونحن نسيح بجمدك ونقدس لك» وأنكم الافضلون من هذه الخليفة- و «صادقين» في سؤالكم «أتجعل فيها»؟

فها أنتم لم تعرفوا أسماءهم بعدما عرضوا لكم بأشباحهم فيكيف تدعون؟ .. ثم وبعد أن تعرفوا أسماءهم فتزدادون بهم معرفة بعدما أنبأكم آدم، فتعرفون من هم، فأين هم وأين أنتم؟!

«فلما أنبأهم بأسمائهم قال ... وأعلم ما تيدون» مما تقولون «وما كنتم تكتمون» : وقد كتبه الله عنا إلّا ما بينه عن إبليس.

فقد «عجزت الملائكة على قربهم من كرسي كرامته وطول ولهمهم إليه وتعظيم جلال عزه وقربهم من غيب ملكوته أن يعلموا من أمره إلّا ما أعلمهم وهم من ملكوت القدس بحيث هم، ومن معرفته على ما فطرهم عليه أن قالوا : «سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا» «٢».

فيا لهذا النسل الأخير الإنساني من مكرمات جعلته خير الأنسال الترابية- لا فحسب! فقد فضّلته على الملائكة السماء، فلا أفضل منه في تاريخ التكوين : «لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم» «٣»

فليس في الخلق أقوم مه، اللهم إلّا أن يماثله من لا نعرفه :

- (١). تفسير البرهان ١ : ٧٣ عن تفسير الامام الحسن العسكري عليه السلام في آية الاسماء قال :
اسماء انبياء الله واسماء محمد صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والحسين والطييبين من آلهما -
ثم عرضهم - : عرض محمداً وعلياً والائمة على الملائكة، اي عرض أشباحهم وهم أنوار في الأظلة
(٢). نور الثقلين ١ : ٥٥ عن التوحيد للصدوق خطبة لعلي عليه السلام يقول فيها : ..
(٣). ٩٥ : ٤

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج٤، ص : ٢٦٠

«وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً» (١)

فمن هذا القليل الذي يزامله في هذه القوامة الحسنى؟ لا ندري!

ثم اللهم إلاً أن لا يعرفوا كيانهم فيردون إلى اسفل سافلين، بعد ما خلقهم الله في أحسن تقويم.

في ذلك التعليم والإنباء والعرض عرضاً لكيان هذه الخليفة في معرض القياس على الملائكة، ولكي يعلموا أن هذه الخليفة الترايبية البشر، المخلوقة من تراب من حيا مسنون، هي أعلى من ملائكة السماوات! ولكي يعلم الإنسان من هو، فليجد بالسير الى مثله العليا.

نكات مستدركات حول هذه الآيات :

١- «إني جاعل» دون «خالق» توحى أنه جعل خليفة بعد خلقه لا بخلق، وعلّ بداية خلافته حين نبيء بعدما «عصى آدم ربه فغوى». ثم اجتياه ربه فتاب عليه وهدى» وإن كان تعليمه الأسماء وإسجاد الملائكة له قبل ذلك، فقد كفى إثباتاً لخلافته بذريته الأنبياء تعليمه الأسماء - ذاتياً - وإنباؤهم وعرضهم الأسماء حملاً لهؤلاء الخلفاء ...

٢- «أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين» في «من يفسد فيها ويسفك الدماء» فانه مهما حصل فهو أقل ممن مضى، وليس مع ذلك ممن يعنى من «خليفة» فانها هم الأسماء التي سوف تعض عليكم وتنبئون بأسمائها.

او «صادقين» في «ونحن نسيح بجمدك ونقدس لك» كأنكم أنتم الأعلون في هذا المسرح.

او «صادقين» في معرفة هذه الخليفة، أن تدفعكم للحكم عليها ولأنفسكم، أم ماذا.

٣- «قالوا سبحانك» : نزهك عن أن نقول بغير علم، أو أن تجعل فيها من يفسد فيها ..

أو أن نعلم قبل أن نعلم - :

٤- «لا علم لنا إلا ما علمتنا» توحى أن علوم الملائكة إنما هي بالتعليم الإلهي

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٦١

وحيّاً دونما محاولة منهم او تحصيل، كدحاً في تعلّم او تفكير، إلّا وحيّاً، ومن ميّزات الإنسان عدم انحصار علومه بهكذا وحي، فله استخدام مختلف الوسائل للحصول على علوم مهما قلت او كثرت، ومهما اخطأ فيها لو سلك غير سبيلها.

فعلم الوحي في الملائكة والناس على سواء في عدم تكلف التحصيل، ثم للإنسان علم زائد يحصل له بتحصيل، وهو ليس للملائكة دون وحي، إلّا جهلاً، ولكنه للإنسان علم بعد علم الوحي، مهما تورّط في مجاهيل.

ف «لا علم لنا إلّا ما علمتنا» اعتراف ثان بقصورهم وجاء هذه الخليفة : «إنك أنت العليم» دون سواك، تعلم ما تفعل وتفعل ما تعلم : «الحكيم» في أفعالك كلّها كما هنا وإثما نحن الخاطئون!. هنا يحسن بنا عرض نظير القصة من الأصل السرياني لكتاب ادريس النبي عليه السلام في تعيين أفضل المخلوقين نقلًا عن آدم عليه السلام أنني رأيت خمسة أشباح نورانية مكتوبة أسمائهم على العرش في غاية العظمة والجلال والجمال والكمال والحسن والضياء والبهاء، حيث أغرقتني أنوارهم في الحيرة ...

قلت : يا رب! من هؤلاء، فإذا أنا ناظر الى العرش أرى هذه الأسماء : «بارقليطا/ محمد. إلبيا/ علي. طيطه/ فاطمة. شبر/ حسن. شبر/ حسين.

«إني لهويوه أنا لبرين وارخ لا السّماى ولا أل ارعا ولا البردس ولا الكهين ولا الشّمس ولا السّعر :».

«لولاهم لما خلقتك يا آدم ولا السماء ولا الأرض ولا الجنة ولا النار ولا الشمس ولا القمر».

«هليلوه لث شوق مني محمد انوي دآله :»

«هللوني فانه لا إله إلا أنا ومحمد رسولي» «١»

(١). هذه البشارة ينقلها جديد الاسلام في كتاب انيس الاعلام ج ٢، عن النسخة السريانية من

كتاب ادريس عليه السلام في مكتبة الآثار في لندن المطبوعة ١٨٩٥ ص ٥١٤ - ٥١٥ بالتفصيل الآتي.

فيما كان ادريس النبي ببابل في معبده، ينقل هذه القصة بين جمهور من اصحابه : «اختلف ولد ابيكم آدم عليه السلام يوماً في : من هو أفضل الخليفة؟- فقال : بعضهم : انه ابونا آدم إذ خلقه الله بيد قدرته ونفخ فيه من روحه وأمر ملائكته بتعظيمه وتكليمه وجعله معلمهم وخليفة في الأرض. وقال آخرون : الملائكة افضل من أئبنا فانهم لم يعصوا الله ولن يعصوه، وابونا آدم عصاه فاخرجه الله وزوجه من الجنة، مهما تاب عليه وهاده ووعد المؤمنين من ذريته الجنة. وقال ثالثة إن اشرف الخلق هو الملك العظيم جبرئيل امين رب العالمين. زادت خلافاتهم فقال آدم : اسمعوا حتى أخبركم بمن هو أفضل خلق الله : لما خلقتني الله ونفخ فيّ .. روحه جلست فرآيت : ...

وهكذا نرى في انجيل برنابا ٣٩ : ١٤ - ٢٨ ولكنه لم يأت إلّا بذكر الرسول محمد صلى الله عليه وآله (راجع كتابنا رسول الاسلام في الكتب السماوية)

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج٤، ص : ٢٦٢

أئمتنا بين الكتاب والسنة الصلوة على ائمة أهل البيت تسليم للرسول صلى الله

عليه وآله بعد الصلاة عليه

«إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» (١).

آية منقطعة النظر، تحمل للبشير النذير هدية الصلوات الثلاث برحمات، من الله إنزالاً، ومن الملائكة والذين آمنوا إستنزألاً، ثم «وسلموا تسليماً» له مطلقاً دون شرط، كما الصلاة عليه مطلقاً دون شرط! وأين تذهب صلواتنا والملائكة بعد صلاة الله؟ فإنما يريد الله تشريفنا قرناً لصلواتنا إلى صلواته، لتكون صلوات بيننا وبينه صلى الله عليه وآله كما بينه وبين ربه فيرحمنا بهذه الصلاة الصلوات!. ومثل الصلاة هذه عليه في الملاء الأعلى والأدنى تعني أن مقامه أرفع المقامات بين ملاء العالمين من الملائكة والجنة والناس أجمعين.

أجل «هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور» وأين صلاة من صلاة، حيث هذه تخرجنا من الظلمات إلى النور ولكنما النبي هو نورٌ في حالات

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص: ٢٦٣

وهالات من النور: «قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين» (١)

فالنبي هو النور ومعه الكتاب النور، ولأن الكتاب متجسد في روحه حيث كان خلقه القرآن فهو اذاً نور على نور!

فلا تعني صلوات الله عليه إلا دوام تسديده بعصمة فائقة، وتمام نوره معرفة وعملاً وعلماً وكما أراده («وقل رب زدني علماً» يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله نور ممت ولو كره الكافرون» (٢) «أفمن شرح الله صدره فهو على نور من ربه ..» (٣).

رحمات الله ليست لها نهايات، فلتواصل على افضل البريات وغاية الغايات، وقد تكفيه صلوات الله سلباً لما يتربصه من دوائر السوء، وإيجاباً لما يليقه من مقامات الخير، فما هي حاجته الى صلوات ملائكة الله وصلواتنا، إلا حاجاتهم وحاجتنا، لهم ترفيعاً لمقاماتهم، ولنا غفراناً لذنوبنا واستجابة لدعواتنا بشفاعة النبي المختار، ف «بالصلاة تنالون الرحمة» (٤) مهما زادته صلى الله عليه وآله رحمة على رحمة، ولكنها لنا عون ونجاح الطلبة: ف «صل على محمد وآله صلاة دائمة نامية لا انقطاع لأبداها ولا منتهى لأمدها واجعل ذلك عوناً لي وسبباً لنجاح طلبتي إنك واسع كريم» (٥) ف «قد كان في الله وملائكته كفاية ولكن خص المؤمنين بذلك ليشيهم عليه» (٦).

ومهما رُدت دعوات منا حيث لا نأهل اجابة، لقصوراتنا وتقصيرتنا، فليست تُرد صلواتنا على النبي صلى الله عليه وآله إذ يأهل، كما الله يصلي عليه ابتداءً دون دعاء، وهل يقبل الله دعائنا فيه ثم يرد دعائنا «ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لإيات للعالمين» (٧).

(١)

(٢) ١٥ : ٥ .

(٣) ٨ : ٦١ .

(٤) ٢٢ : ٣٩ .

(٤). نور الثقلين ٤ : ٣٠٢ ح ٢٢٤ في كتاب التوحيد من خطب علي عليه السلام وفيها :
بالشهادتين تدخلون الجنة وبالصلاة تنالون الرحمة فآثروا من الصلاة على نبيكم وآله ان الله وملائكته
يصلون على النبي ..»

(٥). في الصحيفة السجادية في دعائه عليه السلام في طلب الحوائج ..

(٦). الدر المنثور اخرج الاصبهاني في الترغيب والديلمي عن انس رضى الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وآله : ان نجاكم يوم القيامة من اهلها ومواطنها اكثركم علي في دار الدنيا صلاة
انه قد كان ..

(٧). سورة الروم، الآية : ٢٢

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٦٤

اختلافات ثلاث كل تدل بدورها على تخليق قاصد، دونما صدفة عمياء، ام ارادة محصورة بلون واحد
من الخلق، ف «خلق السماوات والأرض» بمختلف أشكالهما وأحوالهما، «واختلاف السنتكم
والوانكم» وانتم كلكم مخلوقون من تراب، كل ذلك دليل التصميم الحكيم في كل خلق «ان في
ذلك» الخلق المختلف المؤلف «آيات للعالمين» فطرياً وعقلياً وفكرياً، فلسفياً وتجريبياً، أم أي حقل
من حقول العلم الإنساني، فانه ايأ كان يُستخدم هذه المعرفة الغالية نظراً إلى الخلق ككل بمختلف
اطواره وتطوراته، ونظراً إلى اختلاف الإنسان في الألسنة والألوان «١» وكما ان اختلاف الألسنة
والألوان آية القدرة الحكيمة الرحيمية «للعالمين» المفكرين فيها، كذلك هو آية للتعرف إلى
اصحابها، فقد تشير الألوان والقالات إلى الحالات «للعالمين» «٢» كما وان في معرفة الألوان
والأللسن المختلفة «آيات للعالمين» بها «٣» وقد يعرف العارف بها وحدتها في اصلها.

(١)

(. نور الثقلين ٤ : ١٧٣ في علل الشرايع باسناده الى عبدالله بن يزيد بن سلام انه سأل رسول الله
صلى الله عليه وآله فقال اخبرني عن آدم لم سمي آدم؟ قال : لأنه خلق من طين الأرض وادبهما،
قال : فأدم خلق من الطين كله أو من طين واحد؟ قال صلى الله عليه وآله : بل من الطين كله، ولو
خلق من طين واحد لما عرف الناس بعضهم بعضاً وكانوا على صورة واحدة، قال : فلهم في الدنيا
مَثَل؟ قال : التراب فيه ابيض وفيه اخضر وفيه اشقر وفيه اغبر وفيه احمر وفيه ازرق وفيه عذب وفيه

مالح وفيه خشن وفيه لين وفيه اصهب، فلذلك صار الناس فيهم لين وفيهم خشن وفيهم ابيض وفيهم اصفر واحمر واصهب وأسود على ألوان التراب

(٢). نور الثقلين ٤ : ١٧٤ في أصول الكافي عن ابي عبد الله عليه السلام انه قال : ان الامام إذا ابصر الى الرجل عرفه وعرف لونه وإن سمع كلامه من خلف حائط عرف ما هو ان الله يقول «ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف السنتكم والوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين» وهم العلماء فليس يسمع شيئاً من الأمر ينطق به الا عرفه : ناج أو هالك فلذلك يجيبهم بالذي يجيبهم» وفيه عن توحيد المفضل بن عمر عن الصادق عليه السلام في الرد على الدهرية : تامل يا مفضل ما انعم الله تقديست اسماءه به على الانسان من هذا النطق الذي يعبر عما في ضميره وما يخطر بقلبه ونتيجة فكره، به يفهم غيره ما في نفسه ولولا ذلك لكان بمنزلة البهائم المهملة التي لا تحبر عن نفسها بشيء ولا تفهم عن مخبر شيئاً ... ان الإنسان وان كان له في الأمرين - الكتابة واللغة - جميعاً فعل او حيلة فان الشيء الذي يبلغ به ذلك الفعل والحيلة عطية وهبة من الله عز وجل في خلقه فانه لو لم يكن له لسان مهياً للكلام وذهن يهتدي به للأمر لم يكن ليتكلم ابداً ... فاصل ذلك فطرة الباري جل وعز وما تفضل به على خلقه فمن شكر أثبت ومن كفر فان الله غني عن العالمين

(٣). المصدر في بصائر الدرجات احمد بن محمد بن علي بن الحكم عن حماد بن عبد الله الغرا عن معتب انه اخبره ان ابا الحسن الأول لم يكن يرى له ولد فأتاه يوماً اسحاق ومحمد اخواه وابو الحسن يتكلم بلسان ليس بعربي فجاء غلام سقلابي فكلمه بلسانه فذهب فجاء بعلي ابنه فقال لأخوته : هذا علي ابني فضموه اليه واحداً بعد واحد فقبلوه ثم كلم الغلام بلسانه فذهب به ثم تكلم بلسان غير ذلك اللسان فجاء غلام اسود فكلمه بلسانه فذهب فجاء بابراهيم فقال : هذا ابراهيم ابني فكلمه بكلام فحمله فذهب به فلم يزل يدعو بغلام بعد غلام وبكلمهم حتى جاء بخمسة اولاد والغلمان مختلفون في اجناسهم والسنتهم! «وفيه عن عمار الساباطي قال قال لي ابو عبد الله عليه السلام يا عمار! : «ابو مسلم وظلله وكسا فكسحه مسطوراً» قلت : جعلت فداك ما رأيت نبطياً أفصح منك، فقال : يا عمار وبكل لسان

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٦٥

«ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاءكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون» (١).

هنا «منامكم بالليل والنهار» يعم النوم لهما، كما «وابتغاءكم من فضله يعني بهما تعميماً آخر، وآيات أخرى تختص الليل بالنام والنهار بابتغاء فضل فينا؟ كلا، يا كريم! ولكن شرط «وسلموا تسليماً» وكما سلم لربه تسليماً، فاستحق تلك المنزلة الرفيعة.

فمن آداب الدعاء وشرائط استجابة الدعاء ان تتوسط الصلاة على النبي وآله وكما نراه في صحيفة الامام السجاد عليه السلام : وعن الامام علي عليه السلام «ما من دعاء إلا وبينه وبين السماء حجاب الى ان يدعو لمحمد وآل محمد» «٢».

عرفنا الصلاة عليه، فهل التسليم كما الصلاة ايضاً عليه، ان نقول : السلام عليك؟ ام التسليم له، استسلاماً لأمره ومطابقة لإمرته؟ لا فقط في لفظة القول؟ «٣»

عَلَّه يعنيهما ولا سيما التسليم له وهو الأهم الا تم، «وسلموا تسليماً» لا تحمل لا «له» ولا «عليه» فلتحمل التسليمين معاً، والتسليم له هو الشرط الاصيل للايمان، وشرط اجابة الدعاء، فلو عني التسليم عليه فقط كما الصلاة لقال «صلوا وسلموا عليه تسليماً»!

ومن التسليم له ان نصلي عليه كما امر : «اللهم صل على محمد وآل محمد ..» لا الصلاة البتراء كما نهى : لا تصلوا علي الصلاة البتراء : اللهم صل على محمد! ولقد تواترت الرواية عنه صلى الله عليه وآله ما لا تحصى بزيادة الآل، والاكثرية الساحقة من المسلمين تعودوا ان يصلوا عليه الصلاة البتراء، ام إذا زادوا الآل ردفوا بهم ازواج النبي واصحابه، فهم بين نقيصة بتراء

(١). سورة الأحزاب، الآية : ٢٣

(٢). الديلمي في كتاب الفردوس رواه بسنده عنه عليه السلام ورواه مثله السمعاني في مناقب الصحابة بسنده عن الحارث وعاصم بن حمزة عليه السلام

(٣). نور الثقلين ٤ : ٣٠٥ ح ٢٣٥ في محاسن البرقي عن محمد بن سنان عن ذكره عن ابي عبد الله عليه السلام في الآية : اثنوا عليه وسلموا له

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٦٦

وزيادة بتراء والله منهما والرسول براء!

لقد اخرج الحفاظ والمصنفون والمحدثون والمفسرون ما يصعب احصائه «١» عن عدد كالاتمام علي عليه السلام «٢» وابن عباس «٣» واي سعيده الخديري «٤» واي طالب «٥» وابن ابي مسعود «٦»

وانس بن مالك «٧» وكعب بن عجرة «٨» وطلحة «٩» وعبد الله بن طلحة «١٠» وابراهيم «١١»
وابي هريرة «١٢»

(١). ومن اورده محمد بن ادريس الشافعي في مسنده والبخاري في صحيحه باب كيف نصلي عليه وكذا في تاريخه الكبير ج ١٢ القسم الاول ص ٣٥١ والحاكم في مستدرکه ٣ : ١٤٨ وفي معرفة علوم الحديث ص ٣٢ وابو نعيم الاصفهاني في اخبار اصفهان ١ : ١٣١ ويوسف عبد البر الاندلسي في تجريد التمهيد ص ١٨٥ والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٦ : ٢١٦ والواحدي النيسابوري في اسباب النزول ص ٢٧١ والبغوي في معالم التنزيل والتعلي في تفسيره والحموي في فرائده وابو نعيم في الحلية والديلمي في الفردوس والسمعاني في مناقب الصحابة وابن العربي الاندلسي في احكام القرآن ١ : ١٨٤ والرازي في تفسيره الكبير ٢٥ : ٢٢٦ والذهبي في تلخيص المستدرک والقرطبي في تفسيره ١٤ : ٢٣٣ - ٢٣٤ ومحب الدين الطبري في ذخائر العقبى ص ١٩ ومحي الدين يحيى بن شرف النووي في رياض الصالحين ص ٤٥٥ والطبري في تفسيره ٢٢ : ٢٧ وابن كثير في تفسيره وابو حيان الاندلسي في البحر المحيط ٧ : ٢٤٨ والدشتكى الشيرازي الهروي في روضة الاحباب في باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله ومحمد بن ادريس الهندي الكاند هلوى الحنفي في التعليق الصبيح في شرح المصابيح ١ : ٤٠١ والمحدث السيد ابراهيم نقيب مصر في البيان والتعريف ٣ : ١٣٤ والخازن في تفسيره ٥ : ٣٢٦ وجلال الدين السيوطي الشافعي في بغية الدعاة ص ٤٤٢ وفي الدر المنثور حيث نقلنا الإخراجات عدد المروى عنه عن النبي صلى الله عليه وآله والهيثمي في الصواعق المحرقة ص ١٤٤ والمولى محمد بن بير علي افندي البركوثي في الأربعين حديثاً ص ٢٦٤ والمير محمد صالح الكشفي الترمذي في مناقب مرتضوي ص ٤٥ والشوكاني في فتح الغدير ٤ : ٢٩٣ والالوسي في روح المعاني ٢٢ : ٧٣ وابو بكر العلوي الحضرمي في رشفة الصادي ص ٣٤ و ٢٩ والجاوي في القول الفصل ٣ : ٣٧٢ (ملحقات احقاق الحق ٣ : ٢٥٢ - ٢٧١)

(٢). اخرجه عنه ابن ابي شيبة واحمد وعبد بن حميد والنسائي وابن ماجه وابن مردويه

(٣). اخرجه عنه ابن جرير عن يونس بن خباب قال خطبنا بفارق فقال : ان الله وملائكته الآية قال : أنبأني من سمع ابن عباس يقول هكذا انزل فقالوا يا رسول الله قد علمنا الصلاة السلام عليك فكيف الصلاة فقال قولوا : ..

((٤)). اخرج عنه عبدالرزاق وعبد بن حميد وابن ماجه وابن مردويه

((٥)). اخرج عنه ابن مردويه

((٦)). اخرج عنه - فيمن اخرج - ابن جرير

((٧)). من اخرج عنه ابن جرير وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن ابي حاتم وابن مردويه عن

كعب بن عجرة قال لما نزلت ان الله وملائكته... قلنا يا رسول الله صلى الله عليه وآله قد علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك؟ قال قولوا «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وبارك واخرج مثله عنه عبد الرزاق وابن شيبه واحمد والبخاري ومسلم وابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه

((٨)). اخرج عنه ابن ابي شيبه وعبد بن حميد والنسائي وابن ابي عاصم والهيثم بن كليب الشاشي

وابن مردويه وابن جرير

((٩)). اخرج عنه ابو داود وابن مردويه والبيهقي في سننه وعبد بن حميد والنسائي والبخاري في

الادب المفرد

((١٠)). اخرج عنه ابن سعد واحمد والنسائي وابن مردويه

((١١)). اخرج عنه ابن جرير

((١٢)). اخرج عنه فيمن اخرج ابن جرير عن عبد الرحمن بن كثير عنه ومثله مالك وعبد الرزاق وابن

ابي شيبه وعبد بن حميد وابو داود والترمذي والنسائي وابن مردويه وابن خزيمه والحاكم وصححه والبيهقي في سننه

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٦٧

وبشير بن سعد «١» وابي مسعود الانصاري «٢» وابي حمية الساعدي «٣» وام سلمة «٤» وائمة اهل البيت عليهم السلام كافة عن النبي صلى الله عليه وآله قوله : «تقولون : اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم ثم تسلمون علي» وقد تختلف فيها صيغة النقل مع الحفظ على الأصل : ان الصلاة على آل محمد لزام الصلاة عليه صلى الله عليه وآله.

وقد يلحق وصف الخطاب «يا ايها الذين آمنوا» ان الصلاة عليه والتسليم له من ولو ازم الايمان، اجل وكما الصلاة للههما اختلفت صلاة عن صلاة اختلاف الأحد عن احمد!

ان التسليم له صلى الله عليه وآله مما يجب ان يعيشه المؤمن في حياته الايمانية، ثم الصلاة عليه وآله من واجب التشهد، والتسليم عليه من سنن السلام المندوبة، فلولا الصلاة عليه فلا صلاة، مهما كان التسليم عليه ندباً دون فرض.

وهل تجب الصلاة عليه دائماً دونما انقطاع؟ وهو حرج قاض على كافة الواجبات اللفظية حتى الصلاة! وكيف تربوا الصلاة عليه الصلاة لله! فلتكن لاكثر تقدير مع كل صلاة! ام وكلما ذكر كما في متظافر الروايات «٥» وكلما تدعوا استجابة لدعائك «٦» وكلما تذكر

(١) اخرجه عنه احمد وعبد بن حميد وابن مردويه

(٢) اخرجه عنه مالك واحمد وعبد بن حميد والبخاري ومسلم وابو داود والنسائي وابن ماجه وابن مردويه

(٣) اخرجه عنه مالك واحمد وعبد بن حميد والبخاري ومسلم وابو داود والنسائي وابن ماجه وابن مردويه

(٤). محمد بن ادريس الشافعي في مسنده اخبرنا ابراهيم بن محمد اخبرنا صفوان بن سليم عن ابي سلمة بن عبد الرحمن عن ابي هريرة انه قال : يا رسول الله صلى الله عليه وآله كيف نصلي عليك؟ فقال : تقولون ..

(٥). المصدر اخرج الطبراني وابن مردويه وابن النجار عن الحسن بن علي رضى الله عنه قال : قالوا يا رسول الله أرأيت قول الله : إن الله وملائكته يصلون على النبي؟ قال : ان هذا لمن المكتوم ولولا انكم سألتموني عنه ما اخبرتكم ان الله وكل بي ملكين لا اذكر عند عبد مسلم فيصلي علي الا قال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله وملائكته جواباً لذينك الملكين آمين ولا اذكر عند عبد مسلم فلا يصلني علي الا قال ذلك الملكان لا غفر الله لك وقال الله وملائكته لذينك الملكين آمين، أقول : آمين من الله اخبار عن الاستجابة لادعائها، وفيه اخرج احمد والترمذي عن الحسين بن علي عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال : البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي واخرج ابن ماجه عن ابن عباس والبيهقي في الشعب عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله من نسي الصلاة علي اخطأ طريق الجنة اقول : يعني به التناسي والتساهل.

واخرج البيهقي في الشعب عن انس (رض) قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله اتاني جبرئيل فقال : رغم انف امرئٍ ذكرت عنده فلم يصل عليك واخرج القاضي اسماعيل عن الحسن (رض) قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله كفى به شحاً ان يذكرني قوم فلا يصلون علي .
وفي نور الثقلين ٤ : ٣٠٢ ح ٢٢٠ في من لا يحضره الفقيه روى زرارة عن ابي جعفر عليه السلام انه قال : وصل على النبي صلى الله عليه وآله كلما ذكرته او ذكره ذاكرك عندك في اذان او غيره
(٦) المصدر اخرج عبد الرزاق عن ابن عينية قال اخبرني يعقوب بن زيد التيمي قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله اتاني آت من ربي فقال : لا يصلي عليك عبد الا صلى الله عليه عشراً فقال رجل يا رسول الله صلى الله عليه وآله! ألا أجعل نصف دعائي لك؟ قال : ان شئت قال : الا اجعل كل دعائي لك؟ قال صلى الله عليه وآله : اذن يكفيك الله هم الدنيا والآخرة

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج٤، ص : ٢٦٨

ريك «١» فلتعش ذكر الله «اذكروا الله ذكراً كثيراً» وتعيش على ضوئه الصلاة على رسول الله «٢»
وكما ندرس ذلك القرن الدائب من الشهادتين!
انما الواجب من الصلاة عليه ما في تشهد الصلاة، ولبه على أشرف الواجب كلما ذكر، ثم وسائر الصلاة عليه سنة، فصلوات الله عليه وعلى آله ما طلعت الشمس وغربت»
وواجب التسليم له صلى الله عليه وآله يشمل كل حياة التكليف في حياته صلى الله عليه وآله وبعد مماته صلى الله عليه وآله وكذلك سنة التسليم عليه فانه المجيب ميتاً كما يجيب حياً «٤» ثم الصلاة عليه في صلاة وسواها

(١). المصدر اخرج الترمذي وحسنه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله قال : ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم الا كان عليهم ترة فان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم وفيه اخرج البيهقي في شعب الايمان عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما اجتمع قوم ثم تفرقوا عن غير ذكر الله وصلاة على النبي الا قاموا عن انتن جيفة
(٢). المصدر اخرج الترمذي وحسنه وابن حبان عن ابن مسعود رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال : اولى الناس بي يوم القيامة اكثرهم علي صلاة

(٣). نور الثقلين ٤ : ٣٠١ في عيون الاخبار باب ما كتبه الرضا عليه السلام للمؤمن عن محض الاسلام وشرائع الدين «والصلاة على النبي واجبة في كل موطن وعند العطاس والذبايح وغير ذلك وفي الخصال عن الاعمش عن جعفر بن محمد عليه السلام قال : هذه شرائع الدين- الى ان قال :-
والصلاة على النبي واجبة في كل الموطن وعن العطاس والرياح وغير ذلك، اقول عله يعني من واجبة ثابتة مهما اختلفت الثبوتات فرضاً وندباً، وفي ثواب الاعمال عن ابي المعز قال سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول : من قال في دبر صلاة الصبح وصلاة المغرب قبل ان يثني رجله او يكلم احداً «ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً اللهم صل على محمد وذريته، قضى الله له مائة حاجة سبعين في الدنيا وثلاثين في الآخرة قال قلت ما معنى صلاة الله وصلاة ملائكته وصلاة المؤمن؟ قال : صلاة الله رحمة من الله وصلاة الملائكة تزكية منهم له وصلاة المؤمنين دعاء منهم له

(٤). المصدر اخرج البيهقي في الشعب والخطيب وابن عساكر عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من صلى علي عند قبوري سمعته ومن صلى علي نائياً كفي امر دنياه وآخريته وكنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله : اكثروا الصلاة علي يوم الجمعة فانها معروضة علي

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٦٩

فانه يسمع سلامنا وصلاتنا دون ان تهدر بلا جواب وصواب او ثواب! «١».

ولان الصلاة عليه احسن هدية اليه وهو احق من يُهدى اليه فقالوا : «اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك إمام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة، اللهم ابعثه مقاماً محموداً يغطه به الأولون والآخرون، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد» «٢» وكما قال صلى الله عليه وآله اللهم صل على محمد وبلغه درجة الوسيلة من الجنة اللهم اجعل في المصطفين محبته، وفي المقربين مودته، وفي عليين ذكره وداره، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد»
«٣».

وأخصر صلاةٍ عليه «اللهم صل على محمد وآله» يكتفى بها حال الدعاء كما في الصحيفة السجادية، ثم «وال محمد» كلما ذكر، ثم احسنوا الصلاة عليه حسب المستطاع في سائر الحالات والمجالات وكما في صلاة الجمعة والميت.

ومن اللمحات اللامعة في هذه الآية فرض الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله لما مات، وكما صلى عليه اهل المدينة واهل العوالي «٤» فصلوات الله عليه حياً وصلوات الله عليه حين مات

(١). المصدر أخرج البيهقي في شعب الايمان وابن عساكر وابن المنذر في تاريخه عن أنس بن مالك (رض) قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن أقربكم مني يوم القيامة في كل موطن أكثركم علي صلاة في الدنيا من صل علي يوم الجمعة وليلة الجمعة مائة مرة قضى الله له مائة حاجة سبعين من حوائج الآخرة وثلاثين من حوائج الدنيا ثم يوكل الله بذلك ملكاً يدخله في قبري كما يدخل عليكم الهدايا يخبرني بمن صلى علي باسمه ونسبه الى عشرة فائتبه عندي في صحيفة بيضاء

(٢). الدر المنثور ٥ : ٢١٩ - اخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن ماجه وابن مردويه عن ابن مسعود قال : اذا صليت على النبي صلى الله عليه وآله فاحسنوا الصلاة عليه فانكم لا تدرن لعلى ذلك يعرض عليه قالوا : فعلمنا قال : قولوا ..

(٣). المصدر اخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال قلنا يا رسول الله صلى الله عليه وآله! قد عرفنا كيف السلام عليك فكيف نصلي عليك قال : ..

(٤). نور الثقلين ٤ : ٣٠٣ ح ٢٢٨ في اصول الكافي عن ابي مرجم الانصاري عن ابي جعفر عليه السلام قال قلت له كيف كانت الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله؟ قال : لما غسله امير المؤمنين عليه السلام وكفنه وسجاه ثم ادخل عليه عشرة فداروا حوله ثم وقف امير المؤمنين عليه السلام في وسطهم وقال : «ان الله وملائكته ..» فيقوم القوم كما يقول حتى صلى عليه اهل المدينة واهل العوالي وفيه عن جابر عن ابي جعفر عليه السلام قال : لما قبض النبي صلى الله عليه وآله صلت عليه الملائكة والمهاجرون والانصارى فوجاً فوجاً قال وقال امير المؤمنين عليه السلام سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في صحته وسلامته : انما نزلت هذه الآية علي بعد قبض الله لي «إن الله وملائكته ..» اقول : يعني انها تعني فيما تعني الصلاة علي بعد موتي

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج٤، ص : ٢٧٠

وصلوات الله عليه مدى الدهر، كما ومن التسليم له التسليم لمن وصاه بامر الله «١».

«ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة واعد لهم عذاباً مهيناً» «٢».

ايذاء الله ورسوله لا تحمله إلا هذه الآية، وقرن الرسول في ايذائه، بالله مما يؤذون ان في ايذاء الرسول ايذاء الله، فانه يحمل رسالة الله، فايداه كرسول ايذاء للمرسل، واين ايذاء من ايذاء؟

الذين يؤذون رسول الله ينالون منه ويظلمونه، انتقاصاً من ساحته وتكديراً لقلبه، وتكويراً لنوره، فهو يتغير بما يغيرون ويتأثر بما يتقولون ويفتعلون: «منهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم» «٣».

ف «يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً» «٤».

اترى الواقعة في اهل بيت الرسول (عليهم افضل الصلوات) وشكيمتهم لا تؤذيه؟

او ان سن السباب على اخيه وخليفته علي امير المؤمنين عليه السلام لا يؤذيه؟

ام إن تحريض المؤمنين في حرب الجمل من صاحبة الجمل لا يؤذيه؟

سلوا خال المؤمنين وامهم امن هم من هؤلاء الذين نكلوا بأفلاذ كبده وركلوهم، هل إن هذه تُفرحه

ام تؤذيه ف «لعنهم الله في الدنيا والآخرة واعد لهم عذاباً مهيناً»!

ثم الله ليس ليتأذى كخلقه سواء، اذ لا يتغير بانغيار المخلوقين، فايداه أماذا من هذه المشابهات يجرد

عما للمخلق من تأثر وتغير، ويستخلص كما يناسب ساحة الربوبية في

(١). المصدر ٣٠٥ : ٢٣٤ في كتاب الاحتجاج عن امير المؤمنين عليه السلام فاما ما علمه الجاهل والعالم من فضل رسول الله صلى الله عليه وآله من كتاب الله فهو قول الله سبحانه «ان الله وملائكته ..» ولهذا الآية ظاهر وباطن، فالظاهر قوله «صلوا عليه» والباطن قوله «وسلموا تسليماً» اي سلموا لمن وصاها واستخلفه عليكم فضله وما عهد به اليه تسليماً وهذا مما اخبرتك انه لا يعلم تأويله الا من لطف حسه وصفى ذهنه وصح تمييزه

(٢). سورة الأحزاب، الآية : ٥٧

(٣). ٩ : ٦١

(٤). ٣٣ : ٦٩

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٧١

تحرير خلو عن اي تعبير، فكما ان غضب الله عذابه، كذلك ايداه من موجبات عذابه. وما اشنعة وأبشعه وهم يحاولون اذى ربه وما هم بباليغيه ولو بشق الانفس، وانما ذلك تعبير بصور حساسية مرهفة بايداء الرسول، وكأنما هو ايداء الله، كما وإجاعة المؤمن كأنها إجاعة الله، أماذا من تعابير تصور فضاضة الفعل وهزازته في ميزان الله، وكأنها واصلة الى الله! ثم ومن الرسول صلى الله عليه وآله يستطرد الى المؤمنين :

(١) اهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله لهم حقهم

«فَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (١).

آيتان تاملانه صلى الله عليه وآله بايتاء ذي القربى حقه أولاههما في الأسرى : «وآت ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا» (٢) وقد قدمنا فيها أن «ذا القربى» هو صاحب القرابة الأدنى الى رسول الهدى صلى الله عليه وآله : نسيباً ورسالياً، حقّ المال وحقّ الحال، إمرة للإمام علي وفدكاً لفاطمة عليهما السلام وقد آتاها (٣).

(١). سورة الروم، الآية ٣٨

(٢). سورة الأسرى، الآية : ٢٦

(٣). ومما ورد في شأن نزولها ما ذكره ملا معين الكاشفي في معارج النبوة (١ : ٢٢٧) لما نزل جبرئيل الى رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله «وآت ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ» قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من ذو القربى وما حقه؟ قال : هو فاطمة فاعطاها فدك. وفي مجمع الزوائد عن ابي سعيد قال : لما نزلت دعا النبي صلى الله عليه وآله فاطمة فاعطاها فدك، كما اخرج عنه البزار وابو يعلي وابن ابي حاتم وابن مردويه، ومن وجه عام في القربى اخرج الثعلبي في تفسيره روى عن السدي عن ابي الديلمي عن علي بن الحسين عليهما السلام قال : نحن ذو القربى.

اقول : قد اوردنا احاديث من طرق اخواننا السنة حول قصة فدك في تفسير الآية «ورث سليمان داود» في سورة النمل فلا نعيدها هنا، وانما نذكر نموذجاً مما رواه اصحابنا الإمامية، منها ما في تفسير

القمي حدثني ابي عن ابن ابي عمير عن عثمان بن عيسى وحماد بن عثمان عن ابي عبد الله عليه السلام قال : لما بويح لأبي بكر واستقام له الأمر على جميع المهاجرين والأنصار بعث إلى فذك من أخرج وكيل فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله منها فجاءت عليها السلام الى ابي بكر فقالت : يا ابا بكر منعني ميراثي من رسول الله صلى الله عليه وآله واخرجت وكيلي من فذك وقد جعلها لي رسول الله صلى الله عليه وآله بامر الله عز وجل ؟ فقال لها : هاتي على ذلك شهوداً فجاءت بام ايمن فقالت : لا اشهد حتى احتج يا ابا بكر عليك بما قال رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت : انشدك يا ابا بكر الست تعلم ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال : ام ايمن امرأة من أهل الجنة ؟ قال : بلى قالت : فأشهد بان الله أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله «وأت ذا القرى حقه» فجعل فذك لفاطمة بأمر الله وجاء علي فشهد بمثل ذلك فكتب لها كتاباً ودفعه إليها فدخل عمر فقال : ما هذا الكتاب ؟ فقال ابو بكر : ان فاطمة ادعت في فذك وشهدت لها أم ايمن وعلي فكتبت لها بفذك ، فأخذ عمر الكتاب من فاطمة فمزقه وقال : هذا فيء المسلمين ، وقال : اوس بن الحدثان وعائشة وحفصة يشهدون على رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال : انا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة ، وان علياً زوجها يجر الى نفسه وام ايمن فهي امرأة صالحة لو كان معها غيرها لنظرنا فيه ، فخرجت فاطمة عليها السلام من عندها باكية حزينة فلما كان بعد هذا جاء علي عليه السلام الى ابي بكر وهو في المسجد وحوله المهاجرون والأنصار فقال : يا ابا بكر لم منعت فاطمة من ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله وقد ملكته في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله فقال ابو بكر : هذا فيء المسلمين فان اقامت شهوداً ان رسول الله صلى الله عليه وآله جعل لها والا فلا حق لها فيه ، فقال امير المؤمنين عليه السلام تحكم فينا بخلاف حكم الله في المسلمين ؟ قال : لا ، قال : فان كان في يد المسلمين شيء يملكونه وادعيت انا فيه من تسأل البينة ؟ قال : اياك كنت اسأل البينة على ما تدعيه على المسلمين ، قال : وإذا كان في يدي شيء فادعى فيه المسلمون فتسألني البينة على ما في يدي وقد ملكته في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وبعده ولم تسأل المسلمين البينة على ما ادعوا علي شهوداً كما سألتني على ما ادعيت عليهم شهوداً ؟ فسكت ابو بكر ثم قال عمر : يا علي دعنا من كلامك فانا لا نقوى على حجتك فان اتيت شهوداً عدولاً وإلا فهو فيء المسلمين لا حق لك ولا لفاطمة فيه ، فقال امير المؤمنين عليه السلام يا ابا بكر تقرأ كتاب الله ؟ قال : نعم ، قال : فاخبرني عن قول الله تعالى : انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت يطهركم تطهيراً» فيمن نزلت ،

فينا ام في غيرها؟ قال : بل فيكم، قال : فلو ان شاهدين شهدا على فاطمة بفاحشة ما كنت صانعاً؟ قال : كنت اقيم عليها الحد كما اقيم على سائر المسلمين، قال : كنت إذأ عند الله من الكافرين، قال : ولم؟ قال : لانك رددت شهادة الله لها بالطهارة وقبلت شهادة الناس عليها كما رددت حكم الله وحكم رسوله ان جعل لها فداكاً وقبضته في حياته صلى الله عليه وآله ثم قبلت شهادة اعرابي بائل على عقبه مثل اوس بن الحارث عليها وأخذت منها فداك، وزعمت انه فيء المسلمين وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله البينة على المدعي واليمين على من أدعى عليه، قال : فدمدم الناس وبكى بعضهم فقالوا : صدق والله علي عليه السلام ورجع علي الى منزله قال : فدخلت فاطمة عليها السلام المسجد وطافت بقبر ابيها صلى الله عليه وآله وهي تبكي وتقول :

انا فقدناك فقد الأرض وابلها	واختل قومك فاشهدهم ولا تغب
قد كان بعدك انباء وهنيسة	لو كنت شاهداها لم تكثر الخطب
قد كان جبريل بالآيات يونسنا	فغاب عنا فكل الخير محتجب
وكنت بداراً منيراً يستضاء به	عليك تنزل من ذي العزة الكتب
تهضمتنا رجال واستخف بنا	إذا غبت عنا فنحن اليوم مغتصب
وكل اهل له قرى ومنزلة	عند الإله على الأذنين مقرب
ابدت رجال لنا نجوى صدورهم	لما مضيت وحالت دونك التراب

فقد رزينا بما لم يرزه أحد	من البرية لا عجم ولا عرب
فقد رزنا به محضاً خليقته	صافي الضرائب والأعراق والنسب
فانت خير عباد الله كلهم	واصدق الناس حين الصدق والكذب
سيعلم المتولي الظلم حامتنا	يوم القيامة أنى كيف ينقلب

قال : فرجع ابو بكر الى منزله وبعث الى عمر فدعاه ثم قال : اما رأيت مجلس علي بنا اليوم؟ والله لئن قعد مقعداً مثله ليفسدن علينا امرنا فما الرأي؟ قال عمر : الرأي ان نأمر بقتله، قال : فمن يقتله؟ قال : خالد بن الوليد، فبعثنا الى خالد فأتاهما فقالا : نريد ان نحملك على امر عظيم، قال :

احملائي على ما شئتما ولو قتل علي بن ابي طالب قالا : فهو ذاك، قال خالد : متى اقتله ؟ قال ابو بكر : إذا حضر المسجد فقم بجنبه في الصلاة فإذا انا سلمت فقم اليه فاضرب عنقه، قال : نعم، فسمعت اسماء بنت عميس ذلك وكانت تحت ابي بكر فقالت لجاريتها : اذهبي الى منزل علي وفاطمة فاقريئيهما السلام وقولي لعلي عليه السلام : ان الملائكة يأترون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين. فجاءت الجارية اليهما فقالت لعلي عليه السلام إن اسماء بنت عميس تقرأ عليكما السلام وتقول لك : «ان الملائكة...» فقال علي عليه السلام : ان الله يحول بينهم وبين ما يريدون، ثم قام وتياً للصلاة وحضر المسجد ووقف خلف ابي بكر وصلى لنفسه وخالد بن الوليد بجنبه ومعه السيف فلما جلس ابو بكر في التشهد ندم على ما قال وخاف الفتنة وشدة علي عليه السلام وبأسه فلم يزل متفكراً لا يجسر ان يسلم حتى ظن الناس انه قد سهى ثم التفت الي خالد فقال : يا خالد ما الذي امرك به ؟ قال : امرني بضرب عنقك، قال : اوكنت فاعلاً ؟ قال : اي والله لو لا أنه قال لي لا تفعل لقتلتك بعد التسليم، قال : فأخذه علي فضرب به الأرض واجتمع الناس عليه فقال عمر : يقتله الساعة ورب الكعبة، فقال الناس : يا ابا الحسن الله الله بحق صاحب هذا القبر فخلى عنه، قال : فالتفت إلى عمر فأخذ بتلابيبه وقال : يا ابن صهاك لولا عهد من رسول الله صلى الله عليه وآله وكتاب من الله عز وجل سبق لعلمت أيننا أضعف ناصرأ واكل عدداً»

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٧٣

وتراها كيف تعني الحقين وهما مدينتان وهي مكة ؟ قد تكون هي وصاحبها مكة إعلاناً من قبل ان يؤتي ذا قرباه حقه وقته مهما كان مديناً، ثم نزلت في المدينة ثانية، أم فسرت فيها بالحقين وأضراهما، ام هي مدينية ولا تنافيا مكة السورة ككل، وأمثالها غير قليل.

و «حقه» قد تلمح بحق ثابت لا قبل له، وهو حق القرابة روحية رسالية كالإمرة بعده أم سواها كصدق وسواه من حق لفاطمة عليها السلام ثم «والمسكين وابن السبيل» تعني حقوقهم ايأ كانوا وأيان، ثم ومن واجهة أخرى تأمر الآية كافة المخاطبين بايتاء ذي القرى حقه والمسكين وابن السبيل. و «ذلك» البعيد المدى من إيتاء الحق «خير» قبال الشر وهو ترك الإيتاء «للذين يريدون وجه الله» في الحياة الدنيا، دون وجهها الظاهر الملهي الملغي وجه الله «واولئك هو المفلحون» شقاً لمزرعة الحياة فإنتاجاً منها، كما الفلاح يشقُّ، فأولئك هم الناجون الناجحون، ولأن الإيتاء هنا طليق فليكن كذلك

طليقاً في الوجه العام فيشمل الزكاة كأهم الإيتآت كما في الآية التالية، ترغيباً فيها بأضعاف،
وترهيباً عن الربا بتضعيفه :

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٧٤

اهل بيت الرسول لهم حقهم (٢)

«ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَأَسْأَلَكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي
الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ» (١).

بشارة عظيمة كبرى لعباد الله المؤمنين الصالحين، أترى أن الرسول صلى الله عليه وآله يسألهم
على عنت الدعوة بوعتها وأعباءها والبشارة بعقباها في أولها وعقباها، أسألهم عليه أجراً؟ ...
«قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى»!

وهذه سنة الله الدائبة في رسله ألا يسألوا المرسل إليهم أجراً، ولا جزاءً ولا شكوراً، لا مادياً ولا
معنوياً، فأجرهم مضمون لهم عند الله، وهم ليس لهم أجورهم «أم تسألهم أجراً فهم من مغرم
مثقلون» (٢).

وهكذا نسمع الرسل منذ نوح يواجهون الأمم بأمر الله بالقول: «وما أسألكم عليه من أجر إن
أجري إلا على رب العالمين» (٣)

وهود (١٢٧) وصالح (١٤٥) ولوط (١٦٤) وشعيب (١٨٠) ومن قبلهم وبينهم وبعدهم من
المرسلين: «اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون» (٤)

كعامة المرسلين وحتى يوصل وبأحرى إلى خاتم المرسلين: «قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في
القربى» وليست هذه المودة - أي كان - أجراً وإن كانت بصيغة الأجر: «قل ما سألتكم من أجر فهو
لكم إن أجري إلا على الله وهو على كل شيء شهيد» (٥)

فهو إذاً أجر لا يرجع بفائدة إلا لهم في سبيل الإيمان بربه: «قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء
أن يتخذ إلى ربه سبيلاً» (٦)

بعد قوله: «وما أرسلناك

(١). سورة الشورى، الآية : ٢٣

(٢). ٥٢ : ٤٠

(٣). ٢٦ : ١٠٩

(٤). ٣٦ : ٢١

(٥). ٣٤ : ٤٧

(٦). ٢٥ : ٥٧

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٧٥

إلّا مبشراً ونذيراً» لا تاجراً تتعامل ببلاغ الرسالة، والصيغة المجردة في سلبية الأجر سارية دون تكلف :
«قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين. إن هو إلّا ذكر للعالمين. ولتعلمن نبأه بعد حين»
«١» «أم تسألهم أجراً فهم من مغرم مثقلون» «٢»

؟

«وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلّا ذكر للعالمين» «٣».

آيات ثلاث تنفي عنه صلى الله عليه وآله سؤال الأجر كاستمرارية للسنة الرسالية، وثلاث أخرى تُعالج موقف المودة في القربى أنها ليست في الحق أجراً وإنما «هو لكم» وسبيل إلى ربكم، ودخول إلى مدينة علم الرسول من أبوابها المقررة لكم.

إذاً فلتكن المودة في القربى لصالحهم كمسلمين، وسبيلاً إلى رب العالمين، فلتكن مودة في أبواب مدينة علم الرسول، واستمرارية لرسالة الرسول، لا مودة في أقربائه بسبب القرب سبيلاً أو نسبياً أم ماذا من القربات التي لا يحسب لها حساب في ميزان الله.

ومن المعلوم دون ريب أن وجهة الخطاب هم المؤمنون المبشر لهم بروضات الجنات حيث آمنوا وعملوا الصالحات، دون الظالمين المشفقين مما كسبوا، إذ الناكرون لأصل الرسالة لا يعقل طلب الأجر منهم جزاءً لهذه الدعوة وهم ناكروها حتى يقول «لا أسألكم عليه أجراً» ثم يطلب منهم بدل الأجر مودتهم له صلى الله عليه وآله وهم ألد أعداءه حيث يسب آهنتهم.

ثم هل من المعقول سؤال الرسول صلى الله عليه وآله المؤمنين برسالته أن يودوه في قرابته منهم، وليسوا هم كلهم من قرابته، ولم يكونوا يعادونه بعد الإيمان حتى يطلب وُدّه نفسه لقرابته! أم ماذا من تأويلات عليلة.

إن القربي هنا كما تقول آياتها ليست إلّا القربى التي تقرّبهم المودة فيهم إلى الله زلفى :

«إلّا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً» فإنما هي لهم لا له : «قل ما سألتكم من أجر فهو لكم» إذا فهم الأقربون الى بيت الرسالة المحمدية «علي وفاطمة والحسن والحسين» تنزيلاً «٤»

(١). (٣٨ : ٨٨)

(٢). (٥٢ : ٤٠)

(٣). (١٢ : ١٠٤)

(٤). الدر المنثور ٦ : ٧- اخرج ابن المنذر وابن ابي حاتم والطبراني وابن مردويه من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية قالوا يا رسول الله صلى الله عليه وآله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت مودتهم؟ قال : علي وفاطمة وولدهما ورواه مثله احمد بن حنبل في مسنده عن ابن عباس عنه صلى الله عليه وآله والثعلبي في تفسيره بسند صحيح عنه وابراهيم الحموي من اعيان علماء السنة بسنده عنه وابو نعيم صاحب حلية الابرار بسنده عن الاعمش عن سعيد بن جبير عنه والمالك في كتاب الفصول المهمة عنه وصاحب المناقب الفاخرة في العترة الطاهرة بسنده عنه- كل ذلك يرويه ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

وفي احقاق الحق ج ١٤ : ١٠٦- اخرج مثله جماعة من اعلام القوم منهم العلامة ابن المغازلي في مناقبه ص ١١٢ مخطوط عنه صلى الله عليه وآله ومنهم الحسكاني في شواهد التنزيل ج ١ : ١٣٠ ط بيروت بعدة طرق اخبرنيها الحاكم الوالد ... واخبرنيها ابو بكر السكري ... واخبرناه ابو عبد الله الشيرازي ... وحدثني ابو حازم الحافظ من اصل سماعه ... واخبرنا ابو نصر المفسر ... واخبرناه محمد بن عبد الله الرزجاني ... وحدثنا الحاكم ابو عبد الله الحافظ ... واخبرنا ابو سعيد ابن علي .. ومنهم العلامة الحضرمي في وسيلة المال ص ٦٦ نسخة الظاهرية بدمشق، ومنهم العلامة الشيخ عبد القادر الشافعي السندي في تقريب المرام في شرح تهذيب الأحكام ص ٣٣٢ مطبعة الأمرية ببولاق، كل ذلك عن ابن عباس ام غيره عن رسول الله صلى الله عليه وآله «هم علي وفاطمة وولدهما»!

وفي المصدر عن العلامة الحسكاني في شواهد التنزيل ج ٢ : ١٤٢ باسناد متصل عن علي عليه السلام قال : فينا في «الم حم» آية انه لا يحفظ مودتنا إلا كل مؤمن ثم قرأ «لا اسألكم عليه اجراً الا المودة في القربى» ورواه ايضاً مصبح بن هلقام عن عبد الغفور فاسنده الى النبي صلى الله عليه وآله وروى

مثله العلامة باكثير الحضرمي في وسيلة المآل ص ٦٥ نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق من طريق ابن حيان والواحدى عن علي بعين ما تقدم.

واخرج ابو نعيم والديلمي من طريق مجاهد عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لا اسألكم عليه اجراً إلا المودة في القربى- ان تحفظوني في اهل بيتي وتودوهم بي ، واخرج سعيد بن منصور عن سعيد بن جبير إلا المودة في القربى قال : قربي رسول الله صلى الله عليه وآله وروى ما يعنيه من ان القربى قربي رسول الله وآل محمد صلى الله عليه وآله في الجمع بين الصحاح الستة عن ابن عباس وعلي بن الحسين بن محمد الاصبهاني في كتاب مقاتل الطالبين في خطبة للحسن بن علي عليه السلام بعد استشهاد ابيه عليه السلام انا ابن من فرض الله مودتهم في كتابه حيث قال : ومن يقترب حسنة نزد له فيها حسناً» والحسنة حيننا اهل البيت، والمالكي عن السدي عن ابن مالك عن ابن عباس عنه صلى الله عليه وآله ان الحسنة هنا هي مودة آل محمد صلى الله عليه وآله وابن المغازلي الشافعي في كتاب المناقب بسنده عن الحكم بن طهير غعن السدي مثله، اخرجه كله في علي وفاطمة والحسين وفي قربي رسول الله وآل محمد واهل البيت السيد هاشم البحراني في كفاية الخصاص ص ٣٩٥-٣٩٦- الباب ٧٢، ثم اخرج من طريق اهل البيت عليهم السلام انهم هم والأئمة عليهم السلام كلهم اثنين وعشرين حديثاً وكما المخرج من طريق اخواننا سبعة عشر حديثاً وكما اخرج في البرهان ونور الثقلين احاديث متواترة في هذا المعنى فراجعها.

واخرج ابن جرير عن ابي الديلم قال : لما جاء بعلي بن الحسين عليه السلام اسيراً فاقم على درج دمشق قام رجل من اهل الشام فقال : الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم فقال له علي بن الحسين عليه السلام اقرأت القرآن؟ قال : نعم- قال : اقرأت ألم حم؟ قال : لا- قال : اما قرأت : قل لا أسألكم عليه اجراً إلا المودة في القربى؟ قال : فانكم لأنتم هم؟ قال : نعم ورواه مثله الثعلبي في تفسيره عن ابي الديلم مثله وبسند آخر عن ام سلمى مثله وفي تفسير البرهان ٤ : ١٢٦ ح ٢٥ الثعالبي بسند متصل عن ابي الديلم مثله.

وينقل الألويسي في تفسيره روح المعاني ج ٢٥ ص ٣٢ شعراً في حب آل البيت عن الإمام الشافعي قائلاً : وانا اقول قول الشافعي الشافي العي :

يا راكباً قف بالمحصب من منى واهتف بساكن خيفها والناهض
سحراً إذا فاض الحجيج الى منى فيضاً بساكن خيفها والناهض

وفي مجمع البيان باسناده الى القاسم الحسكاني مرفوعاً الى ابي امامة الباهلي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله تعالى خلق الانبياء من اشجار شتى وخلقت انا وعلي من شجرة واحدة فانا اصلها وعلي فرعها وفاطمة لقاحها والحسن والحسين ثمارها واشياعنا اوراقها فمن تعلق بغصن من أغصانها نجا ومن زاع عنها هوى ولو ان عبداً عبد الله بين الصفا والمروة الف عام ثم الف عام حتى يصير كالشن البالي ثم لم يدرك محبتنا أكبه الله على منخره في النار ثم تلى «قل لا أسألكم عليه اجراً الا المودة في القربى».

وفي الدر المنثور ٦١ : ٧ واخرج الترمذي وحسنه وابن الانباري في المصاحف عن زيد بن ارقم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ابي تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي احدهما اعظم من الآخر كتاب الله جبل ممدود من السماء الى الأرض وعترتي اهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما، وفيه اخرج الترمذي وحسنه والطبراني والحاكم والبيهقي في الشعب عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أحبوا الله لما يغذولكم به من نعمه واحبوني لحب الله واحبوا اهل بيتي لحبي واخرج البخاري عن ابي بكر الصديق قال : ارقبوا محمداً صلى الله عليه وآله في اهل بيته، واخرج ابن عدي عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من ابغضنا اهل البيت فهو منافق.

وينقل الفخر الرازي في تفسيره الكبير عن صاحب الكشاف انه يروى عن النبي صلى الله عليه وآله قوله : «من مات على حب آل محمد مات شهيداً الا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له، الا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً، الا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الايمان، الا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير، الا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان الى الجنة، الا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة، الا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة، الا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله، الا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً، الا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة».

اقول : ثم يعلق الفخر الرازي على هذا الحديث قوله : «ولا شك ان فاطمة وعلياً والحسن والحسين كان التعلق بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله اشد التعلقات وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر فوجب ان يكونوا هم الآل، وايضاً اختلف الناس في الآل قيل هم الأقارب وقيل هم أمته فان حملناه على القرابة فهم الآل وان حملناه على الامة الذين قبلوا دعوته فهم ايضاً آل فثبت ان جميع التقديرات هم الآل واما غيرهم فهل يدخلون تحت لفظ الآل فمختلف فيه

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٧٧

و «التسعة المعصومون من ولد الحسين» تأويلاً، وكما اخرج زهاء اثنين وخمسين من فطاحل إخواننا «١» وكثير من أصحابنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله لأنهم أبواب مدينة علمه وهم الثقل

(١). منهم احمد بن حنبل في صحيحه والطبري في تفسيره بثلاثة اسانيد والحاكم في المستدرک والزخشي في الكشف واخطب خوارزم في مقتل الحسين وابن الاثير في جامع الاصول والرازي في تفسيره وابن بطريق في العمدة وابن طلحة في مطالب السؤل والكنجي في كفاية الطالب بسندين والبيضاوي في تفسيره والطبري في ذخائر العقبى بسندين والنسفي في تفسيره والحموي وصاحب المناقب الفاخرة والنيسابوري في تفسيره وابو حيان في البحر المحيط وابن كثير في التفسير بسندين والهيتمي في مجمع الزوائد والمهاجمي الهندي في تفسير تبصير الرحمان وابن حجر العسقلاني في الكافي الشاف بثلاثة اسانيد وابن صباغ المالكي في فصول المهمة والسيوطي في الدر المنثور بثلاثة اسانيد وفي الاكلیل بتسعة اسانيد وفي احياء الميت باربعة اسانيد وابن همام في حبيب السير وابن حجر في الصواعق المحرقة بثلاثة اسانيد والخطيب الشربيني في السراج المنير والبركزي في الأربعين والمير محمد صالح الترمذي في مناقب مرتضوي والمحلّي في الحدائق الوردية والمولى حسين الكاشفي في روضة الشهداء وفي المواهب والشبراوي في الاتحاف بثلاثة اسانيد والصبان في اسعاف الراغبين من (٣) والشوكاني في فتح الغدير (٦) والألوسي في روح المعاني (٤) وارجح المطالب والقندوزي في ينابيع المودة (٨) والبرزندي والطبراني وابن حنبل في المناقب وابن ابي حاتم في التفسير والحاكم في المناقب والنيسابوري في الوسيط وابن جرير في جامع البيان والحقاني والشبلنجي في نور الابصار والسيد صديق حسن خان في هداية السائل في ادلة المسائل (٢) والحضرمي في رشفة الصادي والتونسي في السيف المسلول والحداد في القول الفصل (١٧) والخوارزمي في مقتل الطبري في ذخائر العقبى

هؤلاء الفطاحل رووا عن رسول الله صلى الله عليه وآله نزول آية ذوي القربى في الخمسة الطاهرة عليهم السلام.

وفي ملحقات الاحقاق ٩ : ٩٢ يستدرك ما اخرجه في ٣ كما هنا بقوله ومنهم الثعلبي في الكشف والبيان والخواجه محمد پارسا البخاري في فصل الخطاب على ما في الينابيع ٣٦٨ والبدهشي في مفتاح النجا ١٣ والقندوزي في ينابيع المودة ١٠٦ والطبراني في المعجم الكبير ١٣١ وابو نعيم الاصبهاني في نزول القرآن مخطوط والزخشي في تفسيره ٣ : ٤٠٣ والامر تسرى في ارجح المطالب ٦٢ والحضرمي في القول الفصل ١ : ٤٨٢.

وعبد الكافي الحسيني في السيف اليماني المسلول ٦٤ والخوارزمي في مقتل الحسين ٥٧ والطبري في ذخائر العقبى ٢٥ وابن تيمية في منهاج السنة ٣ : ٢٥٠ والتفتازاني في شرح المقاصد ٢ : ٢١٩ والقسطلاني في المواهب اللدنية ٧ : ٣ و ١٢٣ والعسقلاني في الكاف الشاف ١٤٥ ومحمد صديق حسن خان ملك بهوبال في فتح البيان ٨ : ٢٧٠ والسيوطي في احياء الميت ١١٠ والمبيدي في شرح ديوان امير المؤمنين مخطوط والحضرمي في رشفة الصادي ٢٢ والشبراوي في الاستحقاق ٥ و ١٣ والشافعي في المناقب ٧٠ مخطوط والامر تسرى في ارجح المطالب ٥٧ والبدهشي في مفتاح النجا ١٢ مخطوط والبلخي في ينابيع المودة ٢٦١ والادريسي في رفع اللبس والشبهات ٨ والقاضي بهجت الافندي في تاريخ آل محمد ٤٤ والنهباني في الشرف المؤيد ٧٢ وفي الانوار الحمدي ٤٣٣ والساعاتي في بلوغ الاماني المطبوع ذيل الفتح الرباني ١٨ : ٢٦٥ وابن حنبل في فضائل الصحابة ٢١٨ مخطوط وفي مسنده على ما في الينابيع والزخشي في تفسيره ٣ : ٤٠٢ والخوارزمي في مقتل الحسين ١ و ٧٥ والرازي في تفسيره ٢٧ : ١٦٦ وابن بطريق الحلبي في العمدة ٢٣ والكنجي في كفاية الطالب والشافعي في مطالب السؤل ٨ والبيضاوي في تفسيره ٤ : ١٢٣ والنسفي في تفسيره ٩٥ والحموي في فرائد السمطين والنيسابوري في تفسيره ٤ : ١١٢ والبيهقي في مجمع الزوائد ٩ : ١٠٣ والكوكبي في تفسيره تبصير الرحمن ٣ : ٢٤٧ والصباغ في الفصول المهمة «والسيوطي في تفسيره ٦ : ٧ وفي اكليله ١٩٠ وفي احياء الميت ١١٠ وخواندمير في حبيب السير والترمذي في المناقب المرتضوية ٤٩ والكاشفي في المواهب ٢ : ٢٤٣ والشبراوي في الاتحاف ٥ والطبراني في المعجم الكبير وابن ابي حاتم في تفسيره والحاكم في المناقب والواحدي في الوسيط وابو نعيم في حلية الأولياء والزرندي في نظم

در السمطين وابن حنبل في المناقب والحقاني في فلك النجاة والطبري في جامع البيان وعبد الكافي الحسيني في السيف المسلول ٩ والحداد في القول الفصل

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج٤، ص : ٢٧٨

الثاني : عترته، وهم خلفاءه في أمته، كما تواترت بذلك الروايات من طريق الفريقين، مهما يهرف المهارفون ويخرف الخارفون في اختلاق روايات تناقضها أو تأويلات، حيث القرآن هو الميزان لا سواه، وهنا «المودة في القربى» لا «للقرى» ولا «مودة القربى» حيث القربى جعلوا مكاناً للمودة، أن تتمكن المودة فيهم كسبل إلى الله، لا مودتهم والمودة لهم

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج٤، ص : ٢٧٩

لكي يتخذوا أصولاً وأهدافاً، لا! وإنما هم السبل إلى الله والأدلاء على مرضات الله، إذ فليس واجب المودة هنا «إلا المودة في القربى» حيث توصلكم إلى الله!

إن «القربى» هي مؤنث الأقرب كما وهي مصدر- وبطبيعة الحال- هي بمعنى الأقربية، ولا تخلوا في سائر القرآن عن كونها فعلى التفضيل او مصدره «١» ولا تجد القربى مجردة عن «ذي- ذوي- أولي» إلا هنا، حيث الأقربية الرسالية هي المعنية دون ذوبها ولذلك قال «في القربى» لا «للقرى» أو «القربى».

فحاصل المعنى من المودة في القربى هو المودة في القربى إلى الرسول كمدينة علم الرسالة، فإلى الله حيث الرسالة تكرر ككل إلى الله : «... إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً» فكانوا هم السبيل إليه والمسلك إلى رضوانه.

فليست القربى إذأ- أقربية الرسول إلى الله ممن سواه وإن كانت تشملها كأصل، ولكننا المودة في القربى إنما تكون لهم كسبيل كاملة إلى الله إذا اتخذوا إلى مدينة علمه سبيلاً هي أبوابها : «ويوم بعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً. يا ويلتي لم اتخذ فلاناً خليلاً. لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً» «٢».

فالرسول صلى الله عليه وآله هو أفضل السبل إلى الله، فالسبيل مع الرسول ليس هو الرسول وإنما سبيل مع الرسول إلى الله، هل لأن الرسول لا يكفي سبيلاً إلى الله حتى يُثنى بسبيل معه؟ أم إن السبيل معه هو القرآن؟ والقائل : «يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً»، لا ينقصه إلا سبيل مع الرسول، وأما الرسول والقرآن فهما توأمان، حيث الإيمان بأحدهما إيمان بالآخر، و القرآن هو الدليل

لرسالته، فكيف يُتخذ الرسول سبيلاً دون القرآن، فالسبيل هنا ليس هو الرسول ولا القرآن، وإنما هو سبيل إلى رسول القرآن. وقرآن الرسول فيألى الله، وليس إلأ «المودة في القربى»: الأقربين إلى الرسالة، فإن مودتهم- لأنهم أبواب مدينة علم

(١). كما في ستة عشر موضعاً من «ذي القربى» و «ذوي القربى» و «اولوا القربى» و «ذا قربى» و «اولى قربى»

(٢). ٢٥ : ٢٩

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج٤، ص : ٢٨٠

الرسول صلى الله عليه وآله- تتبع اتخذهم سبيلاً مع الرسول وكما تواتر عنه صلى الله عليه وآله : «أنا مدينة العلم وعلي بابها».

ثم ولا تعني القربى- وبأحرى- أقربية الرسول إليهم «١» ولا أقربيتهم إليه، لو تعني قرابة نسبية أم ماذا من غير الرسالية، فإنها ليست لهم ولصالحهم في اتخاذها سبيلاً إلى ربه، على أن المخاطبين وهم المؤمنون برسالته آمنوا به لرسالته وهي قربي روحية فهي أقرب وأحرى في المودة من القربى غير الروحية الرسالية.

فالمودة في القربى- التي لها صلة بأجر الرسالة وليست به فإنها لهم، وهي ممن شاء أن يتخذ لى ربه سبيلاً- إنها ليست هي الرسالة حيث صدقوها، وليست أجراً لنفسها، اللهم إلا تعرفاً سليماً إلى الرسالة واستمرارية لها وليس إلأ ب «المودة في القربى» عترته صلى الله عليه وآله الأقربون إليه في معرفة الرسالة وحملها.

هناك مودة في الرسالة تجعلهم يتعلمون من الرسول ويطيعونه كما يستطيعون حسب ما يودون رسالة الله ويجون الله : «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله» «٢»

وهذه المودة تتطلب مودة السبل إلى الرسالة ومدينة علم الرسول، وليست إلأ «المودة في القربى» حيث تقربهم إلى الرسول فيألى الله زلفى، ثم لا نجد قربي إلأ هيه، اللهم إلأ واهية، إلأ قربي الله وليست لغير المعصومين اللهم إلا سبلاً إلى الله، وهم السبيل الأعظم والصرائط الأقوم، وهم أهل بيت النبوة، وموضع الرسالة، ومهبط الوحي، ومعدن الرحمة، وهم الدعوة الحسنى، وحجج الله على

أهل الدنيا والآخرة والأولى، وهم الدعاة إلى الله، والأدلاء على مرضات الله، والمستقرين في أمر الله والتأمين في محبة الله.

في الحق إن المودة في القربى ليست أجراً للرسالة، وإنما هي طلب المزيد من تصديق الرسالة بالمودة في الملاصقين الأولين بالرسالة، وُداً تحملهم على ملازمتهم في الأخذ

(١). كما في الدر المنثور ٦ : ٦ - اخرج ابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله : لا أسألكم عليه أجراً الا ان تودوني في نفسي لقراي منكم وتحفظوا القرابة التي بيني وبينكم - اقول وهذا خلاف الاستفادة من القربى كما عرفناها من الآية وخلاف النقل المتواتر عن ابن عباس نفسه وخلاف اجماع اهل البيت عليهم السلام (٢). ٣ : ٣١

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٨١

عنهم أهل البيت، فأهل البيت أدرى بما في البيت!

فلأن الأجر هو أجر الرسالة لا أجر محمد إلا كرسول، فلتكن المودة في القربى هي في قربى الرسالة : من هو أقرب إليها من بيت الرسالة، ثم وهم لهم كمؤمنين بالرسالة وهو ممن شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً، لا قرب محمد كسائر البشر إليهم ولا قريتهم إليه، فإن المودة في هذا القرب وذاك ليست إسلامية ولا تمتُّ بصلة لرسالة أم ماذا؟

ثم المودة في قريته إليكم ليست إلا له لا لهم «قل ما سألتكم من أجر فهو لكم» كذلك هي المودة في قريته إليهم ليست اتخذ سبيل إلى الرب اللهم إلا قربى الرسالة، سبيلاً إليها في الله وهي الأئمة من عترته صلى الله عليه وآله.

فلئن قلت لا قربى أقرب من قربى الله فلتكن هذه المودة في قربى الله «أن تتقربوا إليه بطاعته» (١)؟ قلنا : كما المودة في طاعة الله تحملكم عليها ثم قربى بها إلى الله، كذلك المودة في الأدلاء إلى الرسول في الله، فلولا معرفة الرسول والرسالة كاملة لم تعرفوا طاعة الله حتى تقربكم إلى الله زلفى «قل لا أسألكم عليه أجراً إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً» فلو كان السبيل إلى الرب هي الطاعة المعروفة لكل أحد فكيف يسألم المودة فيها كأجر الرسالة، فإنما هذه سبيل جديدة يعرفها لهم حيث هم يعلمونهم ما خفي عنهم وعزب عن علمهم فهم أبواب مدينة علم الرسول صلى الله عليه وآله.

«ومن يقترف حسنة» تصديقاً للرسالة الإلهية، وتذرعاً بالموودة في القربى إليها فإلى الله زلفى، أم ماذا من حسنة عقائدية أو عملية؟ «نزد له فيها حسناً» حسناً على حسنة نوراً على نور «إن الله غفور» حيث التقصير والقصور في اقتراف حسنة لمن استغفر وأتاب «شكور» لمن يقترف حسنة، ولمن يتوب بعد السيئة وقد «يبدل الله سيئاتهم حسنات» (٢).

ولقد كانت هذه الآية الغرة اليتيمة تذكرة لهم أمام مشهد روضات الجنات وحرية

(١). الدر المنثور ٦ : ٦ - اخرج احمد وابن ابي حاتم والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه من طريق مجاهد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله في الآية : قل لا اسألكم على ما اتيتكم به من البينات والهدى اجرأ إلا ان تودوا الله وان تتقربوا اليه بطاعته
(٢). (٢٥ : ٧

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٨٢

المشآت فيها، وهي حصيلة الدعوة الرسالية الصعبة المتوترة ليل نهار، ذكرى أنه لا يسألهم على هذا أجرأ إلا الموودة في القربى وهي لهم، وإلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً. لقد كان الإستثناء منقطعاً معنوياً حيث الموودة هذه لم تكن أجرأ، وإن كان متصلماً لفظياً حيث سماها أجرأ وما هي بأجر، ثم وليس مجرد عدم تناول الأجر بل ويتناولون هم أجرأ وزيادة «ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً...!» ثم ومن بعد الأجر وزيادته غفرأ وشكرأ. فخصيصة هذه الموودة أنها ليست أجرأ له، وهي لهم، وهي السبيل إلى ربهم، وليست القربى أشخاصاً، وإنما هي الأقربية إلى الرسول رسالياً وإلى الله بعد الرسول معرفياً وعبودياً، المتمثلة في الأئمة من عترته المعصومين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

أئمة أهل البيت عليهم السلام هم من اصدق الصادقين

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ» (١).

الصادقون هنا هم الصادقون في إيمانهم بأيمانهم وسواها من قالاتهم وحالاتهم وفعالاتهم، ف «من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه...» صدقاً طليقاً حقيقةً بصالح الإيمان.

فالكون مع الصادقين في كينونة الصدق هو من معارض تقوى الله، وهنا مدارج ثلاث : «آمنوا- اتقوا الله- كونوا مع الصادقين» فمن كمال الإيمان هو تقوى الله عملياً كما آمنتم لفظياً وقلبياً، تقوى عن كل ما لا يرضاه الله، ثم من كمال التقوى هو الكون مع الصادقين «٢» وهم أئمة المؤمنين المتقين الصادقين، فهم- لأكمل مصداق- أئمة الدين «٣»

(١) سورة التوبة، الآية : ١١٩

(٢) في الدر المنثور ٣ : ٢٩٠ عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً» وفيه عن أسماء بنت يزيد أن رسول الله صلى الله عليه وآله خطب فقال : ما يملككم على أن تتبايعوا على الكذب كما يتبايع الفرائش في النار كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا رجل كذب في خديعة حرب أو إصلاح بين اثنين أو رجل يحدث امرأته ليرضيها، وعن أبي بكر أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : الكذب بجانب للإيمان، وعن سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وآله قال : يطبع المؤمن على كل شيء إلا الخيانة والكذب، وعن أبي برزة عن النبي صلى الله عليه وآله قال : الكذب يسود الوجه والنميمة عذاب القبر، وعن أسماء بنت عميس قال كنت صاحبة عائشة التي هيأها فأدخلتها على النبي صلى الله عليه وآله في نسوة فما وجدنا عنده قرى الأقداح من لبن فتناوله فشرب منه ثم ناوله عائشة فاستحيت منه فقلت : لا ترد يد رسول الله صلى الله عليه وآله فأخذته فشربته ثم قال : ناولي صواحبك فقلت لا نشتهي فقال : لا تجمعن كذباً وجوعاً فقلت إن قالت إحدانا لشيءٍ تشتهي لا نشتهي أيعد ذلك كذباً فقال : إن الكذب يكتب كذباً حتى الكذبية تكتب كذبية، وعن الحسن بن علي عليهما السلام سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الصدق طمأنينة وإن الكذب ريبة، وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله : في خطبته : إن أعظم الخطيئة عند الله اللسان الكاذب ذلك ومن طرائق الإلتزام بالصدق ما يروي أن واحداً جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وقال : إني رجل أريد أن أؤمن بك إلا أنني أحب الخمر والزنا والسرقه والكذب والناس يقولون إنك تحرم هذه الأشياء ولا طاقة لي على تركها بأسرها فإن قنعت مني تبرك واحد منها آمنت بك

فقال صلى الله عليه وآله : أترك الكذب فقبل ذلك ثم أسلم فلما خرج من عند النبي صلى الله عليه وآله عرضوا عليه الخمر فقال : إن شربت وسألني الرسول صلى الله عليه وآله عن شربها وكذبت فقد نقضت العهد، وإن صدقت أقام الحد علي فتركها ثم عرضوا عليه الزنا فجاء ذلك الخاطر فتركه وكذا السرقة فعاد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وقال : ما أحسن ما فعلت لما منعني عن الكذب انسدت أبواب المعاصي علي وتاب عن الكل

(٣) الدر المنثور ٣ : ٢٩٠ - أخرج ابن مردويه عن ابن عباس في الآية قال : مع علي بن أبي طالب عليه السلام وأخرج ابن عساکر عن أبي جعفر مثله

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٨٣

وكما تظافر به الحديث عن المعصومين عليهم السلام.

ذلك، ولأن «الذين آمنوا» تعم كافة المؤمنين بدرجاتهم، ف «الصادقون» فيهم هم الرعييل الأعلى منهم بطبيعة الحال، وكما يروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله إجابة عن سؤال : يا رسول الله صلى الله عليه وآله أعامة هذه الآية أم خاصة، فقال : أما المأمورون فعامة المؤمنين أمروا بذلك، وأما الصادقون فخاصة لأخي علي وأوصيائي من بعده عليهم السلام إلى يوم القيامة...» (١).

(١) نور الثقلين ٢ : ٢٨٠ في كتاب كمال الدين وتمام النعمة باسناده إلى سليم بن قيس الهلالي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال في اثناء كلام له في جمع من المهاجرين والأنصار في المسجد أيام خلافة عثمان : أسألكم بالله أتعلمون أن الله عزَّ وجلَّ لما أنزل «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين» فقال سلمان يا رسول الله عامة ... قالوا اللهم نعم.

أقول : ومن روى تفسير الصادقين بهم عليهم السلام : الثعلبي في تفسيره (٢١٩) والكنجي في كفاية الطالب (١١١) والسبط ابن الجوزي في التذكرة (٢٠) وصاحب كتاب شرف النبي صلى الله عليه وآله في مناقب الكاشي، والخركوشي في شرف المصطفى بنقل ابن شهر آشوب في كفاية الخصاص (٣٤٨) وأبو يوسف يعقوب بن سفيان في نفس المصدر (٣٤٧) والخطيب الخوارزمي والسيوطي في الدر المنثور ٣ : ٢٩٠ والترمذي في مناقب مرتضوي (٤٣) والشوكافي في تفسيره ٢ : ٢٩٥ والألوسي في روح المعاني ١١ : ٤١ والقندوزي في ينابيع المودة (١١٩)

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٨٤

فقد تعني الصادقون الصديقين في أخرى «ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً» (١) ولأن «الذين آمنوا» يخلق على طول الزمان وعرض المكان فلا بد لهم أن يكونوا مع الصادقين على طول الخط، فهم- إذاً- المعصومون من الأمة، حيث الأمر بالكون مع غير المعصوم إغراء بالجهال، وجمع «الصادقين» دليل عديد المعصومين فلا تختص العصمة- إذاً- في هذه الأمة بشخص الرسول صلى الله عليه وآله ولم يذهب أحد من الأمة إلى عصمة الخلفاء أو الأئمة الأربعة، وقد ذهبت جماعة منهم إلى عصمة الأئمة الإثني عشر، فليكونوا هم المعصومين، وإلا فلا مصداق إذاً للصادقين، ثم ومعيتهم كما المعية مع الرسول صلى الله عليه وآله لا تختص بحضورهم، بل الأصل فيها هي معية سنتهم الثابتة الموافقة لكتاب الله وسنة رسول، وإنما أمر المؤمنون في تقواهم بهذه المعية لأنهم يخطئون ويجهلون فلا بد لهم- إذاً- من سناد يسندهم ومولى يليهم في كل أقوالهم وأحوالهم وأعمالهم، وهؤلاء هم المعصومون الذين لا يجوز عليهم الخطأ، وإلا فلا طائل تحت الكون معهم وهم كأمثالنا يخطئون!، والقول إن «الصادقين» لا يجب أن يكونوا أشخاصاً خصوصاً فإن إجماع الأمة معصوم صادق، هو زخرف من القول وغرر من العرور قضية الدور المصرح أن يكون الراجع والمرجع كلاهما كل الأمة!، وإذا عني من إجماع الأمة الضرورة القطعية الإسلامية، فهو الكاشف قطعياً عن سنة الصادقين المعصومين.

(١)

(٤ : ٦٩)

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٨٥

الأئمة من آل الرسول صلى الله عليه وآله هم اصدق الصديقين

«وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا» (١).

آية وحيدة في القرآن كله تعرّف بالذين أنعم الله عليهم بمواصفات أربع كقمة عليا، حيث نهدي في دعاء الهداية إلى صراطهم «صراط الذين أنعمت عليهم» (٢).

أترى «من يطع الله والرسول» الموعود بهذه المعية المشرفة هو كل من أطاع الله ورسوله مهما كانت قليلة؟ وليست تكفي هكذا طاعة هدي الصراط المستقيم «٣».

«يطع» بالصيغة المضارعة دون «أطاع» تلمح صارحة إلى استمرارية الطاعة، وأنها سنة المطيع في حياته الإيمانية، مهما فلت عنه فالت وابتلي بلمم عن جهالة مغفورة.

وتلك الطاعة محلقة على كافة الحقول الحيوية عقيدية وثقافية وخلقية وعملية أمأهيه «٤»؟.

ذلك، وكما «لو أنهم فعلوا ما يوعظون به .. ولهديناهم صراطاً مستقيماً» تؤكد على تطبيق الإيقاظ بكل وعظ، ف «يوعظون به» و «يطع» متجاوبتان في تداوم الطاعة لله والرسول وتدام الإتعاظ.

وهنا في القواعد الأربع للمنعم عليهم نجد القاعدة السائدة: «النبين» وهم بطبيعة الحال ليسوا ممن تعنيهم «من يطع الله والرسول» حيث الرسل لا يطيعون أنفسهم، ثم الثلاثة الآخرون هم القمة العليا - على درجاتها - ممن «يطع الله والرسول» فهم يتلون تلو الرسول في كونهم من المنعم عليهم المستدعى هدي صراطهم، فهم - إذأ - خارجون عن

(١). سورة النساء، الآية : ٦٩

(٢). نور الثقلين ١ : ٥١٥ في كتاب معاني الأخبار عن الإمام الحسن عليه السلام في قول الله عز وجل : «صراط الذين أنعمت عليهم» أي قولوا : اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم بالتوفيق لدينك وطاعتك وهم الذين قال الله عز وجل : «ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين ...»

(٣). كما فصلناه على ضوء آية الحمد فراجع الفرقان (١ : ١١٧ - ١٣٣)

(٤). كما فصلناه على ضوء آية الحمد فراجع الفرقان (١ : ١١٧ - ١٣٣)

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٨٦

المستدعين وعمن يطع الله ورسوله هنا حيث تعني من دون القمة العليا من المطيعين لله والرسول. صحيح أن الثلاثة الآخرين هم أيضاً ممن يطع الله ورسوله وفي قمتهم، ولكن معية «من يطع الله والرسول» مع هؤلاء بعد النبيين تجعلهم خارجين عن المعنيين هؤلاء المطيعين.

وهنا «الرسول» مفردة تعني محمداً صلى الله عليه وآله و «النبين» تعني اولى الرفعة من الرسل الذين أوتوا الكتاب، و «الرسول» هنا دون «النبي» للتدليل على رسالته إليهم كما إينا، وأن موقف الطاعة هو الرسالة الربانية.

وتعني «من يطع» فيمن عنتهم سائر النبيين المطيعين لله ولهذا الرسول، حيث يصبحون معه كما صدقهم لما آمنوا به من قبل ويؤمنون، ونصروه وينصرون.

و «الصدّيقين» هم من دون النبيين رسلاً وسواهم كخلفاء الرسل والنبيين. والصدّيق صيغة مبالغة من الصدق، صدقاً في كل أقوالهم وأحوالهم وأعمالهم وتصديقاً للنبيين، مبالغين الذروة العليا في الصدق والتصديق.

صحيح أن «الصدّيق» بقول طليق يشمل كل صدّيق، نبياً كإبراهيم (١٩ : ٤١) وإدريس (١٩ : ٥٦) - «إنه كان صدّيقاً نبياً» أم من يجذوا حذوه في أعلى قمم الإيمان كمریم عليها السلام و («أمه صدّيقه» (١) «

كذلك «والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصدّيقون والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم ...» (٢) «.

إلّا أن قرّن «الصدّيقين» هنا بالنبيين والشهداء والصالحين، يجعلهم بعد النبيين، وهو يشمل سائر المرسلين وكافة الخلفاء عنهم المعصومين، أم ومریم الصدّيقة وبأحرى الصدّيقة الكبرى فاطمة الزهراء سلام الله عليهما، فانهما من ذروة الصدّيقين.

ثم «الشهداء» عليهم شهداء الأعمال، الشاملة لغير هؤلاء الصدّيقين من كاملي الإيمان، إذ لم تأت الشهادة في لفظ القرآن بمعنى الإستشهاد في سبيل الله.

(١)

(٥ : ٧٥)

(٢) : (٥٧ : ١٩)

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج٤، ص : ٢٨٧

ذلك ولكن طليق الشهداء يشملهم بما لهم من الزلفى عند الله، الفائقة على سائر الصالحين : «ولا

تحسين الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل هم أحياء عند ربهم يرزقون» (١) «

. فهم - إذأ - فوق الصالحين الذين لم يُقتلوا في سبيل الله، فهم - إذأ - من هؤلاء الشهداء.

وقسم ثالث من «الشهداء» هم شهداء الحق بما لهم من مكانة معرفية وعملية في شرعة الله «إلّا من

شهد بالحق وهم يعلمون» (٢) «

وهم الشفعاء لخصوص وكذلك سائر الشهداء لله : «يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط
شهداء لله» (٣)

– «يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجر منكم شئتان قوم على ألا تعدلوا»
(٤).

فهم سائر المؤمنين العالين في درجات الإيمان قدر ما يصلح كونهم من أصحاب الصراط المستقيم،
الذين تتطلب هدي صراطهم في صلواتنا ليل نهار.

ف «الشهداء» في طليق القول مهما تعم كل شهداء الأعمال والمستشهدين في سبيل الله نبيين أو
صديقين وشهداء الحق ولكنهم هنا غيرهما لقرنهم بهما، وكذلك «الصالحين».

فهذه المقارنة المربعة تجعل كلاً من هؤلاء الأربع على حدّه، مهما اجتمعت كل هذه المواصفات أو
بعضها في البعض من هؤلاء الأكارم.

وطليق «الشهداء» يشمل هؤلاء الثلاث مهما كانوا درجات ثلاث، فالصالحون الذين ليسوا بشهداء
بأي من هذه المعاني الثلاثة هم المعنيون ب «الصالحين» هنا.

فالأنبياء المستشهدون في سبيل الله وهم شهداء الأعمال وشهداء الحق، وهم صديقون عند الله،
وهم صالحون، هؤلاء هم أصدق مصاديق المنعم عليهم، ويرأسهم خاتمهم صلى الله عليه وآله
«مات أو قتل».

والصديقون الشهداء في أبعادها الثلاثة وهم الصالحون القمة بعد النبيين، هؤلاء في الدرجة الثانية،
والشهداء بأبعادها هم بعد هؤلاء الصديقين، ثم الصالحون.

(١)

(٣) : ١٦٩

(٢) : ٤٣ : ٨٦

(٣) : ٤ : ١٣٥

(٤) : ٥ : ٨

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٨٨

والائمة من أهل بيت الرسالة المحمدية هم مجمع الثلاثة الآخر، فإنهم الصديقون والأولون بهذه الرسالة القدسية، وهم الشهداء بعد الرسول صلى الله عليه وآله ووسطاء بينه وبين الأمة :
«وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً» (١)
فانه «هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس» (٢)

وهم المستشهدون في سبيل الله.
ثم وهم أصالح الصالحين بعد الرسول صلى الله عليه وآله، إذ أفهم الذروة العليا بعد الرسول صلى الله عليه وآله وأفضل من كافة النبيين والشهداء والصالحين.
فأول المنعم عليهم من أصحاب الصراط المستقيم هو أول العابدين وقد جمعت له الرسائل الإلهية وهو أفضل الصديقين والشهداء والصالحين، ثم عترته المعصومون الجامعون لهذه المواصفات الثلاث، ثم النبيون والشهداء والصالحون «وحسن اولئك رفيقاً».
ثم الصديقون الذين ليسوا بأنبياء وهم شهداء وصالحون كأفضلهم، ثم الشهداء غير البالغين درجة الصديقين وهم أفضل الصالحين.

ثم الصالحون، وهم ليسوا نبيين ولا في قمة التصديق والشهادة.
فلكل من هؤلاء الأربع درجات اجتمعت كلها في أهل بيت الرسالة المحمدية صلى الله عليه وآله. ولماذا هنا «رفيقاً» بإفراد؟ وقضية الأربع، وكل مع ذلك جمع فهم جموع : «وحسن اولئك رفاقاً»!.
عله أدبياً لأن الرفيق تأتي للجمع كما المفرد، ومن ثم معنوياً لأنهم واحد في أصل النعمة وهي الصراط المستقيم مهما اختلفت درجاتهم، كما الرسل والرسالات واحدة وهم وهي عدة، لأنها سلسلة واحدة موصولة على مدار التاريخ الرسالي.
ولرؤوس الزاوية من مربع المنعم عليهم مكاتبتهم العليا وكما يذكر في الذكر الحكيم عديد منهم هم :
زكريا- يحيى- عيسى- إبراهيم- اسحاق- يعقوب- موسى- اسماعيل

(١). ٢ : ١٤٣

(٢). ٢٢ : ٧٨

وإدريس : «إنه كان صديقاً نبياً ورفعناه مكاناً علياً. أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم ومن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل ومن هدينا واجتبتنا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خرُّوا سجداً وبُكياً» (١).

وطبيعة الحال في التدرج الى نعمة الصراط المستقيم أن يتطلب كلُّ المزيد مما هو عليه، فغير الصالح يتطلب صراط الصالحين، والصالحون يتطلبون صراط الشهداء والشهداء يتطلبون صراط الصديقين والصديقون يتطلبون صراط النبيين والنيبون بسائر اصحاب الصراط والمتطلبين صراطهم يتطلبون صراط أول العابدين وهو نفسه يتطلب الدوام على صراطه والمزيد منه وكما أمره ربه «وقل رب زدني علماً».

فلا وقفة لعجلة التطلب في هدي الصراط المستقيم فإن حق المعرفة والعبودية لا نهاية لهما، والعباد هم دوماً سائرون إلى صراط فصائرون إليه ثم سائرون الى ما فوقه فصائرون، وإلى ما لا حدَّ له. وليس طلب الهدي إلى الصراط المستقيم محددًا بهذه الحياة القصيرة الزائلة، بل هو بأحرى جار متواتر بعد الموت ثم القيامة الكبرى فإنما الدنيا مزرعة للأخرى فكيف تُحرم في الأخرى عما زرعتَه في الأولى.

ثم الصديقون وهم الدرجة الثانية في ذلك المربع هم أهل بيت الرسالة المحمدية كأصدق مصاديقهم (٢) «مهما شملت سائر خلفاء النبيين رسلاً وسواهم، أم وغير الخلفاء

(١). ١٩ : ٥٨

(٢). لقد تواتر الحديث من طريق الفريقين أن علياً عليه السلام هو أول الصديقين ومن طريق اخواننا نذكر زهاء أربعين من الفطاحل الذين نقلوا أو أخرجوا تفسير الصديقين بعلي عليه السلام : منهم أحمد بن حنبل في الفضائل ١٦٥ - عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : الصديقون ثلاثة حبيب البحار وهو مؤمن آل يس وحزقيل وهو مؤمن آل فرعون وعلي بن أبي طالب عليه السلام وهو أفضلهم.

ومنهم الثعلبي في تفسيره كما في العمدة لأبن بطريق ١١٢ عن عبد الله قال سمعت علياً عليه السلام يقول : انا عبد الله وأخو رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا الصديق الأكبر لا يقولها بعدي إلا كلُّ مفتر صليت قبل الناس سبع سنين.

ومنهم ابن المغازلي الواسطي كما في المعدة لأبن بطريق ١١٣، والرازي في تفسيره ٢٧ : ٥٧، وابن حجر الهيتمي في الصواعق ١٢٣ والكشفي الترمذي في مناقب مرتضوي ٥٥ والشيخ سليمان القندوزي في ينابيع المودة ١٢٤، والواحدى في أسباب النزول ٦٤، وأبو نعيم الاصبهاني في «ما نزل في شأن علي» وفي كتابه «منقبة المطهرين» والسيد علي الهمداني في «المودة في القربى» وابن المغازلي وابن فورك وإبراهيم الحموي وصاحب صحائص علوي والماوردي والقشيري والثماني والنقاش والقفال وعبدالله الحسين كلهم على ما في اللوامع والزخشي في الكشاف ١ : ١٦٤ والخازن في تفسيره ١ : ٢٤٩ وابن الأثير في أسد الغابة ٤ : ٢٥ والطبري في ذخائر العقبى ٨٨ وسبط ابن الجوزي في التذكرة ١٧ والكنجي في كفاية الطالب ١٠٨ والرياض النضرة ٢٠٦ والقرطبي في تفسيره ٣ : ٣٤٧ وغيث بن همام في جيب السير ٢ : ١٢ وأبو حيان في البحر المحيط وابن أبي الحديد في شرح النهج ١ : ٧ والهيتمي في مجمع الزوائد ٦ : ٣٢٤ والسيوطي في الدر المنثور ١ : ٣٦٣ وفي لباب النقول في أسباب النزول ٤٢ والشوكاني في فتح القدير ١ : ٢٦٥ والشبلنجي في نور الأبصار ١٠٥ والشافعي في مسنده ٢ : ٩٧ والبخاري في صحيحه ٦ : ١٠٢

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٩٠

كمرم وفاطمة الصديقة الكبرى عليها السلام.

وهذه المعية اللامعة ليست فقط في الحياة الدنيا، بل وبأحرى في جنة المأوى وكما يروى عن رسول الهدى صلى الله عليه وآله «١»، ولا تعني أنهم في درجاتهم، بل هم ملحقون بهم تابعين. ثم الطالبون لهدى صراط المنعم عليهم هم في بداية الأمر معهم ولما يصلوا إلى ما هم واصلون، فإذا وصلوا فهم منهم، فالواصل إلى درجة الصالحين هو منهم ومع الشهداء، فإذا وصلوا إلى هدى الشهداء فهم منهم ومع الصديقين، فإذا وصلوا إلى هديهم فهو منهم ومع النبيين، فإذا أصبحوا منهم فهم منهم ثم يتطلبون صراطاً فوقهم كصراط أول العابدين، كما أنه يتطلب في «إهدنا» الثبات على صراطه والإرتقاء منه إلى ما فوقه فالطرق إلى الله بعدد انفاس الخلائق.

«ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليمًا» «٢».

«ذلك» البعيد المدى، العريق الهدى من هدى الصراط المستقيم ولحوقاً بأهله «الفضل» كل الفضل «من الله» لا سواه إلا كما سعا، فالله هداه كما سعا «وكفى بالله عليمًا» «عليمًا» بموارد فضله قابلية وفاعلية.

و «الفضل» هنا ذو وجهين اثنتين، فهو مشار إليه وذلك معه مبتدئاً و «من الله» خبره، أم هو الخبر والمشار إليه هو المتقدم ذكره من إيمان بشروطه ونعمة الصراط المستقيم والهدي إليه والمعية المشرفة للذين يطيعون الله والرسول صلى الله عليه وآله معهم.

ف «الفضل» محلى باللام يستغرق كل فضل، وهو خبر «ذلك» و «من الله» خبر له ثان أم وصف ل «الفضل».

(١). الدر المنثور ٢ : ١٨٢

(٢). سورة النساء، الآية : ٧٠

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج٤، ص : ٢٩١

محمد صلى الله عليه وآله هو المنذر وعلى وعترته المعصومون هم لكل قوم

هادون

«وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنزَلَ عَلَيْنَا آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتُمْ مُنذِرُونَ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ» (١).

لقد طعنوا في نبوته بنكران الحشر أولاً، وباستعجال عذاب الإستئصال ثانياً، وهنا يستأصلونها- في زعمهم- أن ليست لنبوته آية ثالثاً- وبذلك الثالث المنحوس يظنونهم غالبين! ولم يأتوا فيها بشيء مبين إلا شبهات واهية وادعاءات خاوية!

«لولا أنزل عليه آية» هي مقالة الناكرين لهذه الرسالة السامية، وليست هي من آيات الشرعة التدوينية فهناك القرآن أفضل آية! إذاً فهي آية تكوينية لرسالته كما أوتي رسل الله من قبل : «وإذا جاءهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله أعلم حيث يجعل رسالته...» (٢)

فقد كانت له آيات تكوينية عابرة على ضوء آية القرآن القمة الاصيلية، ولكنهم كانوا يتطلبون منه آية كما أوتي رسل الله، تعذيبية مدمرة، ام ارشادية مقترحة كما يشتهون، وهذه الآيات كأضرارها اجابة قاطعة عما كانوا يقترحون، فعن آيات مستأصلة : «وما معنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الأولون وآتينا الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً» (٣) «٤»

وعن سائر الآيات الحسية العابرة «ولكل قوم هاد» فتلك الآيات الغابرة كانت تهدي من له شرعة عابرة، ولكنما الشرعة الدائبة القرآنية فأيتها دائبة كما هيه، فلا تكون- إذاً- كما ارسل الاولون.

وعن مطلق الآيات المقترحة أياً كانت «إنما انت منذر» دونما اصالة في الاتيان بآية، ام وكالة عن الله في أية آية : «واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها

(١). سورة الرعد، الآية : ٧

(٢). ١٢٤ : ٦.

(٣). ٥٩ : ١٧.

(٤). راجع تفسيرها في «الفرقان» في الاسراء

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٩٢

قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون» (١).

طبيعة آيات الرسالات ان تدل على صادق الوحي تدوينية كانت ام تكوينية، تخوفية أمأهيه، فأنما الغاية المقصودة منها هي الحججة البالغة الإلهية، فليست- اذاً- في كمياتها وكيفياتها، في أمكنتها وأزمنتها، في الرسل الذين يؤتونها، ليست في ذلك كله إلأ كما يراه الله ويرضاه صالحة للتدليل على رسالة الوحي، ف «الله أعلم حيث يجعل رسالته» (٢)

:

رسالة الوحي، ورسالة الآية الدالة على الوحي أمأهيه من كميته وكيفية في ايّ زمان او مكان من رسالته.

ف «لولا انزل عليه آية من ربه» نكراناً لربوبيته له وان كان رباً، اذ ما خوله استتزال آيات كما يريدون، ومنها السيئة التي بها يستعجلون، وكساير الآيات التي ارسل بها النبيون، والجواب كلمة قاطعة قاصعة : «الله اعلم حيث يجعل رسالته» و «إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين. أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون، قل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً...» (٣) «ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل إنما الغيب الله فانتظروا...» (٤)

مما يخص العلم بالآيات المعجزات والقدرة عليها واستصلاحها بالله تعالى شانه العزيز. وهنا نجد في الاجابة عن سؤال «لولا انزل عليه آية من ربه» تعريفاً بكيان الرسول ككل «إنما انت منذر» انذاراً بالوحي «إنما أنذركم بالوحي» (٥)

واما الوحي وآية الوحي فلست منهما في شيء، فانهما- فقط- من الله دون سواه! ثم «ولكل قوم هاد» من رسول كما أنا، ومن وحي كما القرآن، ومن آية للوحي كالقرآن وما قبله من آيات معجزات، ومن ساير ما يدل على رسالة الوحي.

ليس «ولكل قوم هاد» عطفاً على «منذر» اذ لم يكن الرسول بشخصه ولا برسالته هادياً لكل قوم، حيث الاقوام قبله وقبل اقوامه كانت لهم هدايات سواه، ثم الصيغة

(١). ٦ : ١٠٩

(٢). ٦ : ١٢٤

(٣). ٢٩ : ٥٩

(٤). ١٠ : ٢٠

(٥). ٢١ : ٤٥

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٩٣

الصحيحة عن مغزى العطف «انما انت منذر وهاد لكل قوم» حتى لا يلتبس المعني بينه وبين سواه حيث القرآن بيان في قمته، ثم لا رباط في هداية «لكل قوم هاد» كما لا رباط بخصوص الهدات اليه، فلتعم كل هدى لكل قوم اصلية وفرعية، رسالة ام آية لها معجزة تدل عليه.

فانما «انما انت منذر» تسلب عنه سائر المسؤوليات، والمسئلات إلا الانذار، فليس آية الوحي بيده كما الوحي، فانهما من عند الله، ثم الله لا يهدي كل الاقوام بنسق واحد وآية واحدة، وبل «ولكل قوم هاد» إلى رسالة الوحي، «هاد» رسولي ككافة الآيات المعجزة وفقاً لمناسبات الزمن وأهله والحاجيات التي يعيشونها، ووفقاً لصيغة الرسالة وصيغتها وصنيتها، فالرسالة القرآنية في أجواء الفصاحة والبلاغة تتطلب آية خالدة تمشي مع الزمن هادية في كل الزمن حتى آخر الزمن، وهي بمتناول الأيدي في كل مكان وزمان، زمن الرسول وبعده حتى آخر زمن التكليف، اذاً فلا هادي إلى رسالة الوحي الاخير إلا نفس الوحي الأخير في صيغة التعبير، وما يحويه من كل صغير وكبير : «أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم»؟!، مهما كان نفس الرسول قرآناً كما القرآن وفضل، حيث يزيد بياناً وتفسيراً وتعبيراً علمياً وتطبيقاً «إن هو إلا ذكر وقرآن مبين» (١)

فهو والقرآن يهديان الى رسالة وحيه اصالة، ولكنما الهداية المنفصلة عنه الى وحيه وشرعته تتمثل في الهدات معه وبعده، و «لكل قوم» يشملهم ومَن قبلهم من رجالات السماء وخلفائهم، والقرآن آية خالدة تمشي مع الزمن بردح يوازي ردح الرسالة لرسول الزمن محمد صلى الله عليه وآله. فلا تنوب مناب هذه الآية الخالدة آية آية مضت في الرسائل الخالية غير الخالدة، إذ ليست لتهدي الى هذه الرسالة السامية حجة لها بالغة، إلّا عابرة غابرة تخص زمن الرسول. ومن ثم هناك هادٍ رسالي كمن رباه الرسول وصنعه على عينه من هارون لموسى والحواريين للمسيح، ومن علي امير المؤمنين للرسول الاقدس محمد صلى الله عليه وآله فانه هادٍ

(١). ٣٦ : ٦٩

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٩٤

لرسالة وحيه وشاهد منه : «أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهدًا منه ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة أولئك يؤمنون به فمن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده...» (١) «
وقد تلاه شاهدٌ لرسالته منفصل عنه متصل به لانه منه.
فعلي عليه السلام اصدق مصاديق من «لكل قوم هاد» وكما يروى عن الرسول صلى الله عليه وآله فيما تواتر عنه انه وضع صلى الله عليه وآله يده على صدره فقال : أنا المنذر وأوماً بيده الى منكب علي عليه السلام فقال :
انت الهادي يا علي بك يهتدي المهتدون من بعدي» (٢) «إهداء إلى هذه الرسالة السامية دون أية نقيصة أو زيادة.
ليس لعلي عليه السلام دور الهداية مستقلة عن هدي الوحي، فانما هو- على حدّ تعبيره- «فرسول الله صلى الله عليه وآله لمنذور وأنا الهادي الى ما جاء به» (٣)- «فالهادي بعد النبي صلى الله عليه وآله هاد لأمته على ما كان من رسول الله صلى الله عليه وآله «٤» كما وان «كل امام هادي كل قوم في زمانه» (٥)».

(١). ١١ : ١٧

(٢). الدر المنثور ٤ : ٤٥ - اخرج ابن جرير وابن مردويه وابو نعيم في المعرفة والديلمي وابن عساكر وابن النجار قال لما نزلت : انما انت منذر ولكل قوم هاد- وضع رسول الله صلى الله عليه وآله يده ... واخرج مثله ابن مردويه عن ابي برزة الاسلمي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : انما انت منذر ووضع يده على صدره نفسه ثم وضعها على صدر علي ويقول : لكل قوم هاد واخرج عبدالله بن احمد في زوائد المسند وابن ابي حاتم والطبراني في الاوسط والحاكم وصححه وابن مردويه وابن عساكر عن علي بن ابي طالب عليه السلام في الآية قال : رسول الله صلى الله عليه وآله والمنذر وانا الهادي

(٣). نور الثقلين ٣ : ٤٨٢ ج ١٥ امالي الصدوق باسناده الى عباد بن عبدالله قال قال علي عليه السلام ما نزلت من القرآن آية الا وقد علمت اين نزلت وفيمن نزلت وفي اي شيء نزلت وفي سهل نزلت او في جبل نزلت قيل فما نزل فيك؟ قال : لولا انكم سألتموني ما اخبرتكم نزلت في هذه الآية «انما انت منذر ولكل قوم هاد فرسول الله ... وح ١٧ روى الحاكم ابو القاسم الحسكاني في كتاب شواهد التنزيل بالاسناد عن ابي بردة الاسلمي قال : دعا رسول الله صلى الله عليه وآله بالطهور وعنده علي بن ابي طالب فاخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيد علي فالزقها بصدره ثم قال : انما انت منذر ثم ردها الى صدر علي ثم قال : ولكل قوم هاد ثم قال : انك منارة الانام وغاية الهدى وامير القرى اشهد على ذلك انك كذلك

(٤). المصدر ح ١٨ كشف المحجة عن امير المؤمنين عليه السلام حديث طويل وفيه قال الله لنبيه «انما انت منذر ولكل قوم هاد» فالهادي بعد النبي هاد لامتة على ما كان من رسول الله صلى الله عليه وآله و آله فمن عسى ان يكون الهادي الا الذي دعاكم الى الحق وقادكم الى الهدى

(٥). المصدر ح ١٩ وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة باسناده الى محمد بن مسلم قال قلت لابي جعفر في هذه الآية فقال ... ومثله ٢٠ في اصول الكافي باسناده عن الفضيل قال سألت ابا عبدالله عليه السلام عن قول الله عز وجل «ولكل قوم هاد» فقال : كل امام هاد للقرن الذي هو فيهم ومثله ح ٢١ القمي باسناده عن بريد العجلي عن ابي جعفر عليه السلام في الآية قال : رسول الله المنذر ولكل زمان منا هاد يهديهم الى ما جاء به نبي الله صلى الله عليه وآله ثم الهداة من بعده علي والاصياء واحداً بعد واحد وفيه ٢٣ الكافي باسناده عن ابي بصير قال قلت لابي عبدالله عليه السلام «انما انت منذر ولكل قوم هاد» فقال : رسول الله صلى الله عليه وآله المنذر وعلي الهادي يا ابا محمد

هل من هاد اليوم؟ قلت : بلى جعلت فداك ما زال منكم هاد من بعد هاد حتى دفعت اليك فقال :
رحمك الله يا ابا محمد لو كانت اذا نزلت آية على رجل ثم مات ذلك الرجل ماتت الآية مات الكتاب
ولكنه حي يجري فيمن بقي كما جرى فيمن مضى

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٩٥

ف «لا تخلو الارض من قائم بحجة الله إما ظاهر مشهور وإما خائف مغمور لئلا تبطل حجج الله
وبيناته» (١).

ولئن سألنا : من هو الهادي بعد دور الرسول والائمة الحضور زمن الغائب المغمور، القائم الموتور؟
فهل انه العالم العليم الأتقى الأعلم في كل دور وكور، وليست هدايته خالصة كما الرسول صلى الله
عليه وآله والائمة من آل الرسول صلى الله عليه وآله فهذه الهدى غير المعصومة ولا العاصمة
ليست بالتي تصلح خليفة من خلفاء الرسول في «إنما أنت منذر»!

قلنا ان الهادي المعصوم على مر الزمن منذ الرسول صلى الله عليه وآله حتى القيامة الكبرى هو
القرآن العظيم، فكما الرسول كان ينذر بالقرآن كذلك خلفاء المعصومون الهادون إلى ما كان عليه،
وليكن العلماء الربانيون هداة بالقرآن كما يحق ويتمكنون، ثم الاخطاء حينئذ قلة مغفورة، او
مردودة الى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وان «القرآن لم يميت وانه يجري كما
يجري الليل والنهار وكما يجري ...

(١). المصدر ح ٢٤ القمي عن حماد عن ابي بصير عن ابي عبد الله عليه السلام قال : المنذر رسول
الله صلى الله عليه وآله والهادي امير المؤمنين وبعده الائمة عليه السلام وهو قوله «ولكل قوم هاد»
في كل زمان هاد مبين وهو رد على من ينكر ان في كل اوان وزمان اماماً وانه لا تخلو الأرض ..

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٩٦

مثل نوره ... في بيوت هي بيوت ائمة اهل البيت هي من افاضل البيوت التي

اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه

«فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ* رِجَالٌ لَاتُلهِيهِمْ تِجَارَةٌ
وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ» (١).

أترى بماذا تتعلق «في بيوت» ظرفاً؟ هل «اللَّهُ نور»؟ وهو نور السماوات والأرض دون اختصاص بيوت! وإن ذاته النور وصفات ذاته النور لا تحويها السماوات والأرض فضلاً عن بيوت! علّه «ومثل نوره» و «كمشكوة» و «يكاد زيتها يضيء» و «نور على نور» و «يهدي الله لنوره من يشاء» و «يضرب الله الأمثال للناس» و «اللَّهُ بكل شيء عليم» فكلُّ من هذه السبع تصلح متعلقاً به لذلك الظرف الظريف!

فمَثَل نوره في بيوتٍ، كمشكوة في بيوتٍ، يكاد زيتها يضيء في بيوتٍ، نور على نور في بيوتٍ، يهدي الله لنوره من يشاء في بيوتٍ، ويضرب الله الأمثال للناس في بيوتٍ، والله بكل شيء عليم في بيوتٍ أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه...!

وما هي هذه البيوت؟ أهى بيوت الله؟ وهي دون شرعة الله وهدايته ليست تُرفع ويُذكر فيها اسمه، وإن كان المسجد الحرام، إذ كان مجال المشركين، رجال تلهيهم كل شهوة فضلاً عن تجارة أو بيع عن ذكر الله!

أم هي بيوت الرسالات الإلهية وفي قمتها وقلبها بيت الرسالة المحمدية حيث تحوي الأنوار الأربعة عشر؟ أجل! فبيوت الله إنما تُعمر وتُرفع ويذكر فيها اسمه ببيوت

(١). سورة النور، الآيات : ٣٦ - ٣٧

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٩٧

الرسالات، فهي أفضل من المساجد، حيث الشرعة الإلهية تصدر من تلكم البيوت إلى المساجد وسواها، فبيت الرسالة المحمدية أفضل من المسجد الحرام فضلاً عن سائر المساجد، مهما كان المسجد الحرام أفضل من مسجد الرسول صلى الله عليه وآله.

إنها بيوتات الأنبياء والرسل والحكماء الهدى «١» بدرجاتها، وبيت علي وفاطمة عليهما السلام من أفاضلها، وقد يسأل أبو بكر رسول الهدى يا رسول الله! هذا البيت منها لبيت علي وفاطمة؟ فيجيبه : نعم من أفاضلها «٢» أو «أفضلها».

ليس بيت علي وفاطمة وسائر البيت لآل البيت عليهم السلام أدنى من بيوت الأنبياء ولا كبيوت الأنبياء بل من أفاضلها، ولأن الأفضل المطلق هو بيت الرسالة المحمدية - إذاً - فبيت

(١). نور الثقلين ٣ : ٦٠٨ ح ١٨٤ في كتاب كمال الدين وتمام النعمة في باب اتصال الوصية من لدن ادم باسناده الى محمد بن الفضيل عن ابي حمزة الثمالي عن ابي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام حديث طويل يقول فيه عليه السلام : انما الحجة في آل ابراهيم لقول الله عز وجل «ولقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً» والحجة الانبياء واهل بيوتات الانبياء حتى تقوم الساعة لأن كتاب الله ينطق بذلك ووصية الله جرت بذلك في العقب من البيوت التي رفعها الله تبارك وتعالى على الناس فقال : «في بيوت اذن الله ان ترفع فيها اسمه» وهي بيوتات الانبياء

(٢). الدر المنثور ٥ : ٥٠ - اخرج ابن مردويه عن انس بن مالك وبريدة قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله هذه الآية «في بيوت ..» فقام اليه رجل فقال : اي بيوت هذه يا رسول الله صلى الله عليه وآله ! قال : بيوت الأنبياء ، فقام اليه ابو بكر فقال يا رسول الله صلى الله عليه وآله ... واخرجه مثله الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل (ح ١ ص ٤٠٩ ط بيروت) قال حدثني ابو بكر ابن ابي الحسن الحافظ ان عمر بن الحسن بن علي بن مالك اخبرهم قال اخبرنا احمد بن الحسن الخزاز اخبرنا ابي عن حصين بن مخارق عن بحر السلمي عن ابي داود عن ابي برزة قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله «في بيوت ..» وقال : هي بيوت النبي صلى الله عليه وآله قيل : يا رسول الله أبيت علي وفاطمة منها؟ قال : من أفضلها ، وأخرج نص المذكور في الدر المنثور بسندين متصلين عن انس بن مالك وبريدة قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله : ... ومثله العلامة البدهشي في «مفتاح النجا» ص ١٣ مخطوط عنهما قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله : ... وفيه «بيت علي وفاطمة» بدون اللام ، وابن حسويه يروي في در بحر المناقب ١٨ مخطوط عن ابن عباس قال : كنت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وقد قرأ القاري «في بيوت اذن الله ...» فقلت يا رسول الله ما البيوت؟ فقال : بيوت الأنبياء وأوماً بيده إلى منزل فاطمة عليها السلام وروى الثعلبي في الكشف والبيان مخطوط عن أنس وبريدة قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله هذه الآية فقام إليه أبو بكر فقال يا رسول الله هذا البيت منها يعني بيت علي وفاطمة؟ قال : نعم من أفضلها. ورواه مثله الأمرتسري في ارجح المطالب ٧٥.

وفي نور الثقلين ٣ : ٦٠٧ ح ١٨١ عن تفسير القمي عن ابي جعفر عليه السلام في الآية قال : هي بيوت الأنبياء وبيت علي منها ، وفيه ١٨٥ عن روضة الكافي عن ابي عبد الله عليه السلام عن الآية قال : هي بيوت النبي صلى الله عليه وآله ، وفيه عن كتاب المناقب ح ١٨٢ ابو حمزة الثمالي في خبر

«لما كانت السنة التي حج فيها ابو جعفر محمد بن علي عليه السلام ولقيه هشام بن عبد الملك اقبل الناس يتساءلون عليه فقال عكرمة مَن هذا عليه سيماء زهرة العلم؟ لأخزيتَه فلما مثل بين يديه ارتعدت فرائضه وأسقط في أيدي ابي جعفر عليه السلام وقال : يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله لقد جلست مجالس كثيرة بين يدي ابن عباس وغيره فما ادركني ما ادركني آنفاً فقال له ابو جعفر عليه السلام ويلك يا عبيد اهل الشام انك بين يدي بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٩٨

علي وفاطمة من هذا المطلق وكذلك سائر العترة الطاهرة كما يقول عنهم تاسعهم «خلقكم الله أنواراً فجعلكم بعشره محققين حتى من علينا بكم وجعلكم في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه!». ومن ثم بيوت الله على ضوء أنوار الوحي من بيوت الأنبياء، هي ايضاً من «بيوت أذن الله ن ترفع ويذكر فيها اسمه ..» «ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً» «١» «ومن أظلم ممن مَنع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه» «٢» «وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحداً» «٣».

فالبيت هو محل البيتوتة الراححة، إن بديناً فبيت حجر وشجر ومدر «٤» بمن فيه من نساء آمن ذا ممن يساعدون في تلك الراححة، وإن روحياً معنوياً فبيت هداية وتربية، وقد تعنيه «في بيوت» فإنه مثل لنور الهدى، فليس بيت النبي صلى الله عليه وآله كمسكن لأهله من هذه البيوت، ولا أهله النساء اهل بيته إلا من القبيل الأول، فإنما الثاني محال معرفة الله ومنازل سر الله، ومسكن بركة الله، بيوت حل فيها أهل الله، فإنما هم هم أهل الله «٥» وقد أذن الله أن ترفع

(١). ٢٢ : ٤٠

(٢). ٢ : ١١٤

(٣). ٧٣ : ١٨

(٤). نور الثقلين ٣ : ٦٠٨ في اصول الكافي عن ابي عبد الله عليه السلام انه قال : وصل الله طاعة ولي امره بطاعة رسوله وطاعة رسوله بطاعته فمن ترك طاعة ولاية الامر لم يطع الله ولا رسوله وهو الاقرار بما انزل من عند الله عز وجل «خذوا زينتكم عند كل مسجد» والتمسوا البيوت التي اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه فانه اخبركم انهم «رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ..».

وفيه ١٩٠ عن الكافي عن ابي حمزة الثمالي قال قال ابو جعفر عليه السلام لقتادة من انت؟ قال : انا قتادة ابن دعامة البصري فقال له أبو جعفر عليه السلام انت فقيه اهل البصرة؟ قال : نعم- فقال له ابو جعفر عليه السلام : ويحك يا قتادة ان الله خلق خلقاً من خلقه فجعلهم حججاً على خلقه فهم اوتاد في ارضه قوَّام بأمره نجباء في علمه اصطفاهم قبل خلقه، أظلة عن يمين عرشه قال : فسكت قتادة طويلاً ثم قال : اصلحك الله والله لقد جلست بين يدي الفقهاء وقدامهم فما اضطرب قلبي قدام واحد منهم ما اضطرب قدامك فقال له ابو جعفر عليه السلام اتدري اين انت؟ بين يدي بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه» فأنت ثم ونحن اولئك فقال قتادة : صدقت والله جعلني الله فداك والله ما هي بيوت حجارة ولا طين»

(٥). نور الثقلين ٣ : ٦٠٨ في اصول الكافي عن ابي عبد الله عليه السلام انه قال : وصل الله طاعة ولي امره بطاعة رسوله وطاعة رسوله بطاعته فمن ترك طاعة ولاة الامر لم يطع الله ولا رسوله وهو الاقرار بما انزل من عند الله عز وجل «خذوا زينتكم عند كل مسجد» والتمسوا البيوت التي اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه فانه اخبركم انهم «رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ..».

وفيه ١٩٠ عن الكافي عن ابي حمزة الثمالي قال قال ابو جعفر عليه السلام لقتادة من انت؟ قال : انا قتادة ابن دعامة البصري فقال له أبو جعفر عليه السلام انت فقيه اهل البصرة؟ قال : نعم- فقال له ابو جعفر عليه السلام : ويحك يا قتادة ان الله خلق خلقاً من خلقه فجعلهم حججاً على خلقه فهم اوتاد في ارضه قوَّام بأمره نجباء في علمه اصطفاهم قبل خلقه، أظلة عن يمين عرشه قال : فسكت قتادة طويلاً ثم قال : اصلحك الله والله لقد جلست بين يدي الفقهاء وقدامهم فما اضطرب قلبي قدام واحد منهم ما اضطرب قدامك فقال له ابو جعفر عليه السلام اتدري اين انت؟ بين يدي بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه» فأنت ثم ونحن اولئك فقال قتادة : صدقت والله جعلني الله فداك والله ما هي بيوت حجارة ولا طين»

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٢٩٩

ويذكر فيها اسمه من مساجد وبيوت الأنبياء، «يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله!» فهل هم- إذأ- نساء النبي آمنَ ذا من أهل بيت المسكن بدنياً؟ كلا! إنهم هم المعنيون بأية التطهير : «إنما يريد الله ليذهبَ عنكم الرِّجسَ أهل البيت ويطهِّرَكم تطهيراً» (١) وتصديقه في مواصفاته واهله :

«في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه» فمن رَفَع المساجد تعميرها لعبادة الله، وتطهيرها وإبعاد كل قذارة عنها وكل ذكر فيها إلَّا ذكر الله، وإن الصلاة فيها تعدل مضاعفات في غيرها أَمَّا إذا من مميزات؟

ومن رَفَع بيوت الأنبياء أنها تُقصد كقبلة للمقبلين السائلين وقد تعنيه «واجعلوا بيوتكم قبلة» (٢) وكما الكعبة البيت الحرام قبلة المصلين ومطاف الطائفين.

بيوت السكن البدينة لا تحتاج في رفعها إلى إذن، فإنما هي بيوت الهداية لا تُرفع إلَّا بإذن، فليس لاي بيتٍ دعوى الدعوة إلى الله، وأن يُقصد للسؤال عن شرعة الله، إلَّا ما أذن الله، وهي بيوت النبوة والوحي حيث لا تصدر إلَّا عن الله، ولا تدعو إلَّا إلى الله، معصومة عن القصورات والتقصيرات، تلقياً لوحي الله وإلقاءً، وتطبيقاً لشرعة الله، فلذلك «أذن الله أن ترفع» على سائر البيوت رفع النار على المنار والشمس في رابعة النهار، مهما كانت بناياتها متواضعة، و «أذن الله أن ترفع» تلمح أنها بيوتٌ قبل رفعها، فهي ترتفع بشرياً بجهود متواصلة مستطاعة كأفضل ما يمكن، ثم الله ياذن برفعها في عصمة إلهية!

فبيت النبوة رفيعة على بيت الخلافة، وهي رفيعة على سائر بيوت العلم على درجاتها،

(١). ٣٣ : ٣٣

(٢). ١٠ : ٨٧

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٣٠٠

وبيوت العلماء رفيعة على سائر البيوت، رفعة الرتبة والدرجة حيث تُقصد للسائلين عن شرعة الله!. ف «أذن الله أن ترفع» إذنٌ تكويني حيث جعلها معصومة عن الخطأ، ومن ثم تشريعي حيث جعل لها الولاية الشرعية على الآخرين ...

ثم «ويذكر فيها اسمه» كذلك الأمر، فذكر اسم الله زماناً ومكاناً ومكانةً وكيفيةً بحاجة إلى إذنٍ من الله دون فوضى كما يريد الذاكرون الله في مثلث القلب واللسان والأركان، تجمعها شرعة الله في كل دقيق وجليل ف «لا قول ولا عمل ولا نية إلَّا بإصابة السنة».

«يسبح له فيها بالغدو والآصال رجالٌ...» ترى الغدو والآصال هما - فقط - الأصباح والأعصار؟ ولا يخصهما التسيح لا في المساجد ولا في بيوت الأنبياء؟ عليهما - بهما - ركننا النهار - يعنيان ليل

نهار، أم لأن الغدو جمع الغُدوة والغداة تعني من أول النهار، فهي إذاً تسبيحة مستمرة منعاً إلى الآصال، وهي جمع الأصيل : القاعدة، ولأن العصر قاعدة النهار نهايةً وقاعدة الليل بدايةً، فالغدو منذ الأصباح حتى الأعصار؛ والآصال هي منذ الأعصار حتى الأصباح، فالغدو والآصال تعنيان أصلي الاوقات بما بينهما، فالمعنى : ليلَ نهار، تسبيحاً في سائر درجاته.

أو «رجال» هل هم الذكرا فقط دون الأناث؟ وفيهن فاطمة الصديقة ومريم ابنة عمران عليهما السلام! أم يعنيهما تليياً لقبيل الرجال كما في «ليذهب عنكم الرجس أهل البيت» وقد شملت فاطمة الصديقة! فالرجال المصوفون هنا أكثر عددًا وأكل عددًا من نساءهم بأوصافهم، أم تعني رجولة التسبيح بالغدو والآصال رجالًا ونساءً وأطفالًا، فيجى الذي أوتي الحكم صبياً، وصاحب الأمر عليه السلام الذي ولى أمر الأمة وهو ابن خمس، وجده الجواد عليه السلام وهو ابن تسع، هم من «رجال» وأرجلهم تسبيحاً، كما وفاطمة الصديقة ومريم الصديقة وأضراهما هن من «رجال» وأرجلهم تسبيحاً، ف «رجال» تعني رجولة التسبيح لا- فقط- الذكورة!.

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٣٠١

وقد تعني كما تعنيه «فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين» (١)

و «من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نجه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً» (٢) «وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم» (٣).

وقد تعني «رجال»- فقط- هنا وهناك، دون أناس، سنة التستر في النساء مهما كن معصومات، وأن نور الهدى لا تظهر منهن على رؤوس الأشهاد كما يظهر من الرجال؛ فلا نبوة ولا إمامة ولا مرجعية ولا قضاء ولا أي منصب جماهيري يوتى لمن وإن كانت فاطمة الصديقة أمن هي؟.

«لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله» حيث يعيشون ذكر الله، ويتعاملون في ذكر الله، ومهما كانت لهم تجارة أو بيع أمآذا من الأشغال الدينية، فهي ليست لتلهيهم «عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة» فلا يلتفون عن واجبه تجاه الله : «ذكر الله وإقام الصلاة» ولا عن واجبه بأمره تجاه الخلق : «إيتاء الزكاة»، إذ «يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار».

وفي مقابلة «إقام الصلاة» وهي أفضل ذكر الله، و «إيتاء الزكاة» وهو ذكر عملي الله، في مقابلهما ب «ذكر الله» إشعار لموقفهم تجاه الله بذكرين : عام يعم الغدو والآصال على أية حال، في أحوال وأقوال وأفعال، وذكر خاص يعني الصلاة للخالق والزكاة للخلق! ولماذا البيع بعد التجارة وهي

تشملة؟ لأن البيع أربح تجارة، فالربح فيه يقين ناجز، والربح في سائر التجارة- من شراء أماذا- مستقبل قد يجول دونه حاجز، فهو في الإلهاء أدخل، فعدم إلهاء عن ذكر الله أعضل، فقد تعني «لا تلهيهم...» ألا مُلهي لهم في تجارة من سهل وعَضَل، من محتمل الفائدة ولا مقطوعها، فلا مُلهي لهم عن ذكر الله، فهم في شُغْل عن كافة الملهيات، لا يلتفون بها في شغلها أو تركها، فإن كان إلهاءه لزاماً تركوه كخاصة الملهيات،

(١). ٩ : ١٠٨

(٢). ٣٣ : ٢٣

(٣). ٧ : ٤٦

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٣٠٢

وإن لم يكن لزاماً تغلبوه، ف «لا تلهيهم ..» أي مُلِّه عما يتوجب عليهم من ذكر الله، وهم يعيشون ذكره دائبين، ومن إقام الصلاة وإيتاء الزكاة!

فهم هنا يقبلون قلوبهم عما سوى الله إلى الله، وأبصارهم عن الملهيات إلى آيات الله، فلا ترى بصائرهم وأبصارهم إلا ما يذكرهم الله : «ما رأيت شيئاً إلا وقد رأيت الله قبله وبعده ومعه وفيه» ولا تحن قلوبهم إلى شيء، ولا تكن إلا حباً لله ومعرفته، ولأنهم يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار، فهم يقبلونها هنا كيلا تتقلب هناك، فهم وافدون إلى ربهم متقلبين إليه ومتقلبين وكما امروا «موتوا قبل أن تموتوا»!

فالأبصار هي التي تبصر أنوار الهداية الإلهية بصرًا وبصيرة، والقلوب هي التي تتلقى تلك الأنوار، وهؤلاء الرجال هم أصول تلك الأنوار، إذ هم «مثل نوره» فليكونوا دائبين في ذكر الله، حيث أذن الله لبيوتهم أن ترفع ويذكر فيها اسمه!

ولأن القيامة «خافضة رافعة» بروزاً للحقائق كما هي، فقد تعني تقلب القلوب والأبصار- فيما تعنيه- : أن قلوباً فرحة من الكفار تتقلب إلى قرحة، كما قلوب قرحة للمؤمنين تتقلب فرحة، وتتقلب أبصار منفتحة إلى الشهوات، منغمزة عامية، أو شاخصة خاشعة، وأبصار خاشعة من خشية الله، منغمزة عن حرمان الله، تتقلب منفتحة ناظرة ناضرة.

ثم قلوب خاوية عن اليقين تتقلب إلى يقين، إذ تكشف الغطاء عن أبصارها، دونما فائدة إلّا إثبات الحجة وخوض اللُّجة، وأبصار أبصرت إلى الدنيا- دون أن تُبصر بها- فعميت، تتقلب هناك بصيرة تبصر ما عمّيت عليها.

وقلوب المؤمنين تتقلب إلى يقين أعلى، وأبصارهم إلى بصائر أظهر وأسمى، تقلبات وتقلبات «وإن ليس للإنسان إلّا ما سعى»!

فهناك تقلّب لأحوال القلوب من الخوف والرجاء، والسرور والعناء، إشفاقاً من العقاب، ورجاءً للثواب، والأولى صفة أعداء الله، والأخرى صفة أولياء الله.

وكما تقلّب الأبصار من تكرير لحظ الكافرين إلى مطالع العقاب وتكرير لحظ المؤمنين إلى مطالع الثواب.

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص: ٣٠٣

ثم وليست الرجولة ترك البيع والتجارة، إنما هي ألّا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله «وإن للذكر لأهلاً أخذوه من الدنيا بدلاً، فلم يشغلهم تجارة ولا بيع عنه يقطعون به أيام الحياة، ويهتفون بالزواج عن محارم الله في أسمع الغافلين، ويأمرون بالقسط ويأتمرون به، وينهون عن المنكر وينتاهون عنه قطعوا الدنيا إلى الآخرة وهم فيها، فشهدوا ما وراء ذلك، فكأنما اطلعوا غيوب أهل البرزخ في طول الإقامة فيه وحققت القيامة عليهم عذابها فكشفوا غطاء ذلك لأهل الدنيا، حتى كأنهم يرون ما لا يرى الناس ويسمعون ما لا يسمعون» (١).

وكما أن نورهم أضوء الأنوار، كالشمس في رابعة النهار في مثلث الذات والافعال والصفات، كذلك جزاءهم بين العالمين عند رب العالمين هو أحسن الجزاء :

«ليجزئهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب» (٢).

هنالك تقديرات لهم إلهية وبشرية كأحسن ما يمكن، ليجزيهم الله أحسن ما عملوا، ف «مثل نوره كمشكوة ... يهدي الله لنوره نور على نور .. في بيوت أذن الله ... يسبح له فيها بالغدو والأصا لا تلهيهم ... يخافون .. تتقلب (٣) ليجزيهم الله أحسن ما عملوا» ذلك نور أولّ في الجزاء، ثم

«ويزيدهم من فضله» نور ثان، فجزاءهم نور على نور كما هم نور على نور!

وماذا تعني «ليجزئهم الله أحسن ما عملوا»؟ هل هو الجزاء الأحسن مما عملوا؟

«ويزيدهم من فضله» يعنيه! ثم ولا يعنيه إلّا الأحسن مما عملوا لا أحسن ما عملوا، حيث الجزاء بالعمل وليس نفسَ العمل : «اولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا» «٤»
فإنه قبول للعمل الأحسن لا الجزاء فإنه فعل الرب؟ ثم الجزاء يعم الحسن دون اختصاص بالأحسن؟.

(١). نور الثقلين ٣ : ٦١٠ ح ١٩٢ عن نهج البلاغة عند تلاوته عليه السلام «رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع...»

(٢). سورة النور، الآية : ٣٨

(٣). إذا فجزاءهم هو عن ثمانية كعدد أبواب الجنة

(٤). (٤٦ : ١٦)

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٣٠٤

أم يعني أن أعمالهم هي الأحسن وجاه العالمين فإنهم رجال بيت النور، وأحسن ما عملوا هو جزاءهم حيث الجزاء هو العمل بظهور حقيقته «إنما تجزون ما كنتم تعملون» «١»
بفارق أن السوء يظهر قدره عدلاً والحسن بمزيد من فضله رحمة زائدة.

ثم العمل الأحسن قد يكون مطلق الأحسن كما لرجال النور، أم نسبياً كما «الذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون» «٢» «ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يظنون موطناً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدوٍ نيلاً إلّا كتب لهم به عملٌ صالحٌ إن الله لا يضيع أجر المحسنين، ولا ينفقون نفقةً ولا كبيرةً ولا يقطعون وادياً إلّا كتب لهم به عملٌ صالحٌ ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون» «٣».

فجزاء الأحسن هو الأحسن، وجزاء الحَسَن هو الحَسَن «ويزيدهم من فضله» ثم جزاء السيء والأسوء هو دونما زيادة فإنه خلاف فضله وعدله!.

رجعة إلى آية النور

ترى ماذا أراد الله بهذا مثلاً والشمس أمثل الأمثال لأنوار الهدى، فهي أخصر تعبيراً وأشمل تفسيراً
لمدى هذه الأنوار؟

أنوار الهدى في أهلها ولأهلها أنور من الشمس في رابعة النهار، فالشمس آفلة كل يوم ومكورة أخيراً، ونور محمد صلى الله عليه وآله والمحمديون لا أقول لها ولا تكدير ولا تكوير، ونور الشمس محدودة بمنظومتها وتلكم الأنوار تعم كافة المنظومات فإنها هدى للعالمين منذ وجدوا إلى يوم الدين
ف :

«إن الله كان إذ لا كان، فخلق الكان والمكان، وخلق نور الأنوار الذي نورت منه الأنوار، وأجرى فيه من نوره الذي نُورَت منه الأنوار، وهو النور الذي خلق منه محمداً وعلياً عليهما السلام، فلم يزالا نورين أوليين إذ لا شيء كوّن قبلهما، فلم يزالا يجريان طاهرين

(١). إذا فجزاءهم هو عن ثمانية كعدد أبواب الجنة

(٢). ٢٩ : ٧

(٣). ٩ : ١٢١

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٣٠٥

مطهرين في الأصلاب الطاهرة حتى افترقا في أطهرين عبد الله وأبي طالب عليهما السلام (١). وكيف تمثل المشكاة بسراجها، وهي محدودة، تمثل أنوار الهدى أكثر من الشمس في رابعة النهار؟ إن مشكاة كهذه لا وجود لها في الكون إلا مثلها في الهدى، فأين الزجاجة التي كأنها كوكب دري؟ وأين الزيت الذي يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار؟ ثم و «يوقد» المضارعة توحى باستمرارية الإيقاد، ولا استمرار لوقود الشمس ولا اي سراج! و «يكاد» موحية باستمرارية هذه الحالة المشرقة الذاتية، ولا ضوء لأي زيت فضلاً عن أن «يكاد» بالإستمرار، والممثل له هو زيت الزيتون، أهل بيت الرسالة المحمدية، بقلوبهم المنيرة بنور العصمة البشرية لحد استطلبت العصمة الإلهية القمة، فأولاها الزيت الذي يكاد يضيء، وثانيتها نارها «نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء!».

وكما الممثل له هنا منقطع النظير، كذلك المثال إلا في البعض من أمثاله «مشكوة- مصباح- زجاجة- زيت» ولكن أين مشكاة من مشكاة، ومصباح من مصابيح، وزجاجة من زجاجة، وزيت من زيت؟ لذلك لا نجد لمثل نورهم مثلاً خُلق بجنبهم، اللهم إلا تصويراً لهذه بتحوير.

ومن التأويل لذلك المثل ما يروى عن أمير المؤمنين تطبيقاً له بأهل بيت الرسالة المحمدية صلى الله عليه وآله «٢» انهم الأنوار الاربعة عشر، ثم خمسة، ثم واحد هو محمد صلى الله عليه وآله، ولعل

(١). سفينة البحار ٣ : ٦١٦ - الكافي عن احمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن عمر بن علي بن

ابي طالب عن ابي عبد الله عليه السلام قال : ..

(٢). عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال دخلت مسجد الكوفة ورأيت علياً عليه السلام يكتب باصبعه متبسماً، قلت : ما يضحكك يا مولاي؟ قال : تعجباً ممن يتلوا هذه الآية وهو يجهل الحقيقة التي تحويها، قلت : ما هي؟ قال عليه السلام : «اللَّهُ نور السماوات والأرض ...» ف «مشكوة» محمد صلى الله عليه وآله «فيها مصباح» انا في زجاجة «المصباح في زجاجة الزجاج» الحسنان «كأنها كوكب دري» علي بن الحسين عليه السلام «يوقد من شجرة مباركة» محمد بن علي عليه السلام «زيتونة» جعفر بن محمد عليه السلام «لا شرقية» موسى بن جعفر عليه السلام «ولا غربية» علي بن موسى عليه السلام «يكاد زيتها يضيء» محمد بن علي عليه السلام «ولو لم تمسه نار» علي بن محمد عليه السلام «نور على نور» حسن بن علي عليه السلام «يهدى الله لنوره من يشاء» القائم المهدي عليه السلام «ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم».

وفي مدينة المعاجز عنه عليه السلام ان «نور السماوات» محمد صلى الله عليه وآله و «مثل نوره كمشكوة» فاطمة عليها السلام «فيها مصباح» الحسن عليه السلام «المصباح في زجاجة» الحسين عليه السلام «الزجاجة كأنها كوكب» علي بن الحسين «دري» محمد بن علي «يوقد من شجرة مباركة» جعفر بن محمد «زيتونة» موسى بن جعفر «لا شرقية ولا غربية» علي بن موسى «يكاد زيتها يضيء» محمد بن علي «ولو لم تمسه نار» علي بن محمد «نور على نور» حسن بن علي العسكري «يهدى الله لنوره من يشاء» حجة الله المهدي عليه السلام.

أقول : رموز هذه التطبيقات إن صحت عن المعصوم لا يعرفها تماماً إلا المعصوم.

وفي ملحقات إحقاق الحق ١٤ : ٣٦٩ في كتاب مناقب أمير المؤمنين لابن المغازلي الشافعي بسند متصل عن علي بن جعفر قال سألت ابا الحسن عليه السلام عن قول الله عز وجل «كمشكوة فيها مصباح ...» قال عليه السلام :

المشكاة فاطمة عليها السلام والمصباح الحسن، والزجاجة الحسين «كأنها كوكب دري» قال كانت فاطمة كوكباً درياً من نساء العالمين «توقد من شجرة مباركة» الشجرة المباركة ابراهيم «لا شرقية ولا غربية» «لا يهودية ولا نصرانية» «يكاد زيتها يضيء» قال : يكاد العلم ان تنطق منها ولو لم تمسه العلم ان تنطق منها نار «نور على نور» منها إمام بعد إمام «يهدي الله لنوره من يشاء» قال : يهدي الله عز وجل لولايتنا من يشاء

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٣٠٦

خماسية النور في الآية توحى للخمسة الطاهرة، فإنهم القاعدة الوسطى لهذه الأنوار، مهما انتهت في وسطها وأخراها إلى اولها «محمد» صلى الله عليه وآله ف «أولنا محمد- وآخرنا محمد- وأوسطنا محمد- وكلنا محمد صلى الله عليه وآله!».

ولكنما «الله نور السماوات والأرض» تعني فقط نور التكوين والتشريع وهما لله! و «مثل نوره» هم الهداة الذين يمثلون نور الهداية الإلهية في ولاية شرعية، و «نور على نور» هما وحي على قلب، ثم هدى تلو هدى و «يهدي الله لنوره» هو الهدى المتمثلة في رسول الهدى وائمة الهدى، وسائر الهدى كونياً وشرعياً، دلالة وإيضاً أمآذا من درجات الهدى وجناباتها!

رسول الهدى وهو بكله نور يسأل ربه نوراً مما يدل على شاسعة النور وكما يروى عنه صلى الله عليه وآله قوله : «اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي بصري نوراً وفي سمعي نوراً...» و «أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور بصري» «٢».

(١)

(١). في دعوات ٩، م مسافرين ١٨١ - ١٨٧ - ١٨٩. د تطوع ٣٦ مت دعوات ٣٠ حم ١ - ٢٨٤ - ٣٤٣ - ٣٥٢ - ٣٧٣. (المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي)

(٢). نور الثقلين ٣ : ٦٠٥ ح ١٧٩ القمي عن جعفر بن محمد عليه السلام في الآية قال : بدأ بنور نفسه «مثل نوره» : مثل هداه في قلب المؤمن «كمشكوة فيها مصباح» والمشكوة جوف المؤمن والقنديل قلبه والمصباح النور الذي جعله الله في قلبه «يوقد من شجرة مباركة» قال : الشجرة المؤمن «زيتونة لا شرقية ولا غربية» قال : على سواد الجبل لا غربية لا شرق لها ولا شرقية لا غرب لها اذا طلعت الشمس طلعت عليها واذا غربت غربت عليها «يكاد زيتها يضيء» يكاد النور الذي جعله الله

في قلبه يضيء وان لم يتكلم «نور على نور» فريضة على فريضة وسنة على سنة «يهدي الله لنوره من يشاء» يهدي الله لفرائضه وسنته من يشاء «ويضرب الله الأمثال للناس» فهذا مثل ضربه الله للمؤمن ثم قال : فالمؤمن يتقلب في خمسة من النور مدخله نور ومخرجه نور وعلمه نور وكلامه نور ومصيره يوم القيامة الى الجنة نور قلت انهم يقولون مثل نور الرب؟ قال عليه السلام سبحان الله ليس لله مثل قال الله «فلا تضربوا الله الامثال» اقول مواضع من هذا الحديث لا ينطبق على كتاب الله او يخالفه مثل انكار المثل لله «وله المثل الاعلى ...» إلا أن يعني مَثَلِ المِثْلِ!

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٣٠٧

رجال الاعراف هم اعرف رجالات العصمة

«وَيَبِيهَنَّهَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَتَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ» (١).

آيات أربع تبين موقف الأعراف ورجاله، فلنتعرف إلى رجال الإعراف وموقفهم المتميز على ضوء آيات الأعراف، تقريراً لمسيرهم، ولمصير مختلف الروايات في مثلثة التخالقات. هنا نتلمح صراحةً من مقاطع في هذه الآيات أن رجال الأعراف هم أعرف العرفاء بالله وأعبد العابدين لله، حيث يمثلون أمر الله في فاصل الأعراف بين أصحاب الجنة وأصحاب النار، تقريراً لمصير كلٍّ بمسيره، إذاعة من قبل الله في ذلك الموقف المجيد.

ف ١ - «على الأعراف» تعريف أول بأصحاب الأعراف، فإنها أعراف متعالية بين أصحاب الجنة وأصحاب النار، لا يحق أن يكون عليها إلا الحاكمون عليهما المتكلمون بفصل القضاء فيهما من قبل الله، فكيف يكونون هم الأدنون المرجون لأمر الله.

٢ - ثم «رجال» لا تعني رجولة الجنس - فقط - بل هي مجمع كافة الرجولات في كافة حقول الفضائل والفواضل، ولو كانوا هم الأدنون المرجون لأمر الله، فالأكثرية المطلقة منهم نساءً بطبيعة الحال الأنوثة، فكيف يعبر عن هذه المجموعة التي أكثرها نساءً ب «رجال» دون «ناس» أما أشبه؟!.

٣ - ثم «يعرفون كلًّا بسيماهم» تخلق معرفتهم بكل أهل الحشر، جماعياً كأصحاب

(١). سورة الأعراف، الآية : ٤٦

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٣٠٨

الجنة وأصحاب النار، وشخصياً هو معرفة كل فرد فرد من الفريقين بدرجاتهم أم درجاتهم، وليست هذه المعرفة القمة الفائقة إلا لأعرف العارفين بالله وأقرب المقربين إلى الله.

ففي حين أن الرسول صلى الله عليه وآله نفسه ما كان ليعرف المنافقين بسماهم : «ولو نشاء لأريناكمهم فلعرفتهم بسماهم ولتعرفنهم في لحن القول» (١)

كما و «عفى الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين» (٢)

! وهذه قضية الإبتلاء في حياة التكليف! إذا فكيف يمتاز رجال الأعراف- إن كانوا هم الأذنين- بهذه المعرفة التي تزيد على معرفة الرسول يوم الدنيا؟ إلّا أن يكون هم منهم كأفضلهم والباقون هم على هامشه.

أجل، وهذه المعرفة المتميزة عن نشأة التكليف أوّلًا، وعمن هم في المحشر من أصحاب الجنة وأصحاب النار، تبين بوضوح أن رجال الأعراف هم أعرف العارفين بالله، حتى اختصهم الله في ذلك الموقف الحاسم القاصم أن يكونوا مثله وآيته وإذاعته بين أهل المحشر كلهم.

والقول إن «بصرك اليوم حديد» (٣)

تحدد كل الأبصار في ذلك اليوم، مردود بأنه حديد في إبصار أعمال كل حيث «لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرة اليوم حديد» (٤)

، كما القول إن «يعرف المجرمون بسماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام» (٥)

تعمم تلك المعرفة لأهل المحشر؟ فان «فيؤخذ بالنواصي والأقدام» تقرر فاعل المعرفة هذه «بسماهم» أنه الأخذ الرباني بالنواصي والأقدام.

فليس هناك مجال لهذه المعرفة الشاملة كل أهل الجمع إلّا لأقرب المقربين إلى الله.

٤- ثم «ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم» برهان قاطع لا مرد له على أنهم هم الأعلون في المحشر المعشر، حيث يحملون- هم- سلام الله إلى أهل الله، لمكان «سلام قولاً من رب رحيم» ولا يحمل سلام الرب الرحيم إلى عباده الصالحين إلا أصلح

(١). ٤٧ : ٣٠

(٢). ٩ : ٤٣

(٣). ٥٠ : ٢٢

(٤). ٥٠ : ٢٢

(٥). ٥٥ : ٤١

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٣٠٩

الصالحين الذين يمثلون أمره ويحملون القمة العليا من رسالته الربانية، ولو أنهم من المرجوين لأمر الله إذ خلطوا عملاً صالحاً وآخر شيناً، كانت حالهم تشغلهم عن سواهم!

وأما «لم يدخلوها وهم يطمعون» فليست لتعني رجال الأعراف، حيث كونهم على الأعراف يعرفنا أنهم لما يدخلوها، فلا مبرر- إذأ- لذلك التكرار، مع أن أقرب المرجعين المحتملين لضمير الجمع هم «أصحاب الجنة» كما «أدخلوا الجنة» الآتية صارحة صارخة أنهم «لم يدخلوها وهم يطمعون».

كما وأن «ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين» لا تدل على أنهم من الأذنين، فإنها دعاء لأصلح الصالحين إلى من دونهم من سائر الصالحين.

وقد تعني «مع» هنا معية المكان، ألا توقفنا ربنا في هذا الموقف صرفاً لأبصارنا تلقاء أصحاب النار إلا قدر واجب الحوار وتقرير المصير، ومعية الشفاعة منا لمن لا يستحقونها، ونحن غير مأذونين فيها، وأخيراً معيتهم في دخول النار تحذلاً وتذللماً لأنفسهم أمام الله كأنهم لا يستحقون الجنة فإنها قضية فضل الله ورحمته وليست قضية عدله.

٥- ثم «نادى أصحاب الأعراف رجالاً...» في ذلك التأييب العجيب، ليست في ذلك الموقف الرهيب إلا من ممثلين لأمر الله المرسلين من قبل الله، في ذلك الحوار الحاسم وفي تقرير المصير.

٦- وأخيراً «أدخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون» ولا نجد أمراً لأصحاب الجنة بدخول الجنة في القرآن كله إلا من قبل الله إذ «يا عباد... أدخلوا الجنة» «١»

حيث يعني تطبيق الدخول في الجنة برزخاً وفي الآخرة.

ثم ليس إلا من ملائكة الرحمة خطاباً للصالحين إذ يتوفونهم : «سلام عليكم أدخلوا الجنة بما كنتم تعملون» «٢»

وهو خاص بجنة البرزخ، ومن ثم ليس إلأ «وقال لهم

(١). ٤٣ : ٧٠

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٣١٠

خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين» (١)

وقد تعني «خزنتها» ملائكة خصوصاً، أم هم رجال الأعراف، أم وهماً معاً، فمن ثم خطاب وسيط بين المرحلتين هو ثاني الخطابين في المحتد، حيث يعني جنة الآخرة كما هنا :

«أدخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون» فمهما كان «أدخلوا الجنة» الأخرية مشتركة بعد الله بين فريقَي الخزنة، ف «أدخلوا الجنة» ميزة لرجال الأعراف بين كل أهل الجنة.

إذاً فرجال الأعراف هم أعلى موقفاً ومحتداً من ملائكة الله، ومن كل أهل الحشر دونما استثناء.

هذه تعريفات بهم في مواقفهم على الأعراف، ثم لا نجد ولا لحة أنهم بحاجة إلى شفاعة أماهيه من

مكفّرات، إنما هم : «على الأعراف رجال ..» بهذه المواصفات الست، المنقطعة النظير عن كل بشير

ونذير، اللهم إلا لأعرف العارفين بالله، واعبد العابدين لله، وأقرب المقربين إلى الله، فهم الممثلون

أمر الله في حوارهم هناك وفي تقرير المصير، والسلام على أصحاب الجنة وأمرهم بدخولها، فهل

هم- بعد- الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم؟ كلّا ثم كلّا.

ذلك، ولكن جواباً عن سؤال : فأين- إذا- موقف «مرجون لأمر الله إما يعذبهم أو يتوب عليهم»

«٢»

و «آخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم ...» (٣)

؟

نقول : لأنهم- إذا- ليسوا- بعد- لا من أصحاب النار ولا من أصحاب الجنة، فليكونوا في موقع من

الأعراف دان، إذا فأصحاب الأعراف اثنان هما رجال الأعراف وأصحابهم، فالأولون يُذكرون في

هذه الآيات أصلاً لأنهم يحملون أمر الله بجوار وسائر الأمر بين فريقَي الجنة والنار، والآخرون هم

على هامش أصحاب الجنة ينتظرون حيث هم مرجون

(١). ٣٩ : ٧٣

(٢). ٥ : ١

(٣). ٩ : ١٢

لأمر الله فهم- إذأ- راجون، والشافعون لهم بعد كل المكفرات هم رجال الأعراف.
فالأحاديث المفسرة لأصحاب الأعراف بانهم الرفيق الأعلى «١» تعني الأولين، والمفسرة لهم بانهم
الرفيق الأدنى «٢» تعني الآخرين، والمفسرة لهم بانهم الفريقان «٣» تعنيهما

(١) نور الثقلين ٢ : ٣٢ في تفسير القمي قال الصادق عليه السلام كل أمة يجاسبها إمام زمانها
ويعرف الأئمة أوليائهم وأعداءهم بسيماهم وهو قوله «وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم»
فيعطوا أولياء كتابهم يمينهم فيمروا إلى الجنة بلا حساب ويعطوا أعدائهم كتابهم بشماهم فيمروا إلى
النار بلا حساب، وفيه عن معاني الأخبار خطبة لعلي عليه السلام وفيها يقول عليه السلام : ونحن
أصحاب الأعراف أنا وعمي وأخي وابن عمي والله فالق الحب والنوى لا يلج النار لنا محب ويدخل
النار لنا مبغض لقول الله عزَّ وجلَّ «وعلى الأعراف رجال ..» وفيه عن الكافي عن صفوان قال
سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : جاء ابن الكوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : يا أمير
المؤمنين «وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم» فقال : نحن على الأعراف، نعرف أنصارنا
بسيماهم ونحن الأعراف الذين لا يعرف الله عزَّ وجلَّ إلا بسبيل معرفتنا ونحن الأعراف يعرفنا الله
عزَّ وجلَّ يوم القيامة على الصراط فلا يدخل الجنة إلا من عرفنا وعرفناه ولا يدخل النار إلا من
أنكرنا وأنكرناه، وفيه عن كشف الغمة عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل فيه : فالأوصياء
قوأم عليكم بين الجنة والنار، لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النار إلا من أنكرهم
وأنكروه لأنهم عرفاء العباد عرفهم الله أيهم عند أخذ الموائيق عليهم بالطاعة لهم فوصفهم في كتابه
فقال عزَّ وجلَّ : «وعلى الأعراف رجال ...» وهم الشهداء على الناس والنيبون شهدائهم بأخذهم
لهم موائيق العباد بالطاعة، وفي تفسير العياشي عن علي عليه السلام قال : أنا يعسوب المؤمنين وأنا
أول السابقين وخليفة رسول رب العالمين وأنا قسيم الجنة والنار وأنا صاحب الأعراف، وفيه عن
هشام عن أبي جعفر عليه السلام قال : سألته عن قول الله عزَّ وجلَّ «وعلى الأعراف ...» ما يعني
بقوله؟ قال : أستم تعرفون عليكم عرفاً على قبائلكم لتعرفوا من فيها من صالح أو صالح؟ قلت :
بلى، قال : فنحن أولئك الرجال الذين يعرفون كلاً بسيماهم وفيه عن زاذان عن سلمان قال : سمعت
رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي عليه السلام أكثر من عشر مرات : يا علي إنك والأوصياء

من بعدك أعراف بين الجنة والنار، ولا يدخل الجنة إلا من عرفكم وعرفتموه ولا يدخل النار إلا من أنكركم وأنكرتموه، وفيه مثله عن سعد بن طريف عن أبي جعفر عليه السلام وعن الثمالي عنه عليه السلام وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام : ولأهل التواضع سيما يعرفه أهل السماء من الملائكة وأهل الأرض من العارفين قال الله تعالى : «وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم» .
وفي احقاق الحق (٣ : ٥٤٣) حول الآية ممن نقل نزولها في علي عليه السلام الهيثمي في الصواعق المحرقة (١٦٧) والقندوزي في ينابيع المودة (١٠٢) وفي (١٤ : ١٩٦ - ٣٩٨) ومنهم الثعلبي في الكشف والبيان (٣٥٣) وابن طلحة في مطالب السؤل في مناقب آل الرسول (١٧) والذهبي في ميزان الاعتدال (٢ : ٣) والحسكاني في شواهد التنزيل (١ : ١٩٨) والبدخشي في مفتاح النجا (٣٨) والشافعي في المناقب (١٥٦) والحضرمي في وسيلة المآل (١٢٢) والأمر تسري في أرجح المطالب (٨٤) والبدخشي في مفتاح النجا (مخطوط) عن علي كرم الله وجهه في الآية قال : نحن أصحاب الأعراف من عرفناه بسيماه أدخلناه الجنة

(٢) في الدر المنثور ٣ : ٨٧ - أخرج أبو الشيخ وابن مردويه وابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله توضع الميزان يوم القيامة فتوزن الحسنات والسيئات فمن رجحت حسناته على سيئاته مثقال صؤابة دخل الجنة ومن رجحت سيئاته على حسناته مثقال صؤابة دخل النار قيل يا رسول الله صلى الله عليه وآله فممن استوت حسناته وسيئاته؟ قال : أولئك أصحاب الأعراف لم يدخلوها وهم يطمعون، أقول : أقل ما فيه أن حصر أصحاب الأعراف فيهم لا يناسب مواضع من هذه الآيات، ثم وزن السيئات ينافي «فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً» اللهم إلا أن يختص بمن ليست له حسنات، وكذلك الحديث «السيئات خفة الميزان والحسنات ثقل الميزان» وفيه أخرج ابن جرير وابن المنذر عن أبي زرعة عمرو بن جرير قال سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن أصحاب الأعراف فقال : «هم آخر من يفصل بينهم من العباد فإذا فرغ رب العالمين من الفصل بين العباد قال أنتم قوم أخرجتكم حسناتكم من النار ولم تدخلوا الجنة فأنتم عتقائي فارعوا من الجنة حيث شئتم» وفيه أخرج البيهقي في البعث في حذيفة أراه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يجمع الناس يوم القيامة فيؤمر بأهل الجنة إلى الجنة ويؤمر بأهل النار إلى النار ثم يقال لأصحاب الأعراف ما تنتظرون؟ قالوا : ننتظر أمرك، فيقال لهم : «إن حسناتكم تجاوزت بكم النار أن تدخلوها وحالت بينكم وبين الجنة خطاياكم فادخلوا الجنة بمغفرتي ورحمتي» وفيه عن عبد الرحمن

المزني قال سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن أصحاب الأعراف فقال : «هم قوم قتلوا في سبيل الله في معصية آباءهم فمنعهم من النار قتلهم في سبيل الله ومنعهم من الجنة معصية آبائهم» أقول : معصية الآباء في القتل في سبيل الله هي من المكفّرات وكما قال الله : «.. وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات ..» (٣ : ١٩٥)، وهذا إذا لم يكن القتال واجباً معيناً فإن فيه لا عصيان، وفي غير المعين يجبر العصيان بالشهادة. وفيه أخرج الطبراني وابن مردويه بسند ضعيف عن أبي سعيد الخدري قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن أصحاب الأعراف فقال : هم رجال قتلوا في سبيل الله وهم عصاة لآبائهم فمنعتهم الشهادة أن يدخلوا النار ومنعتهم المعصية أن يدخلوا الجنة وهم على سور بين الجنة والنار حتى تذبل لحومهم وشحومهم حتى يفرغ الله من حساب الخلائق فإذا فرغ من حساب خلقه فلم يبق غيرهم تغمدهم منه برحمة فأدخلهم الجنة برحمته، ورواه مثله معنوباً أبو هريرة وعبدالله بن مالك الهلالي عن أبيه وابن عباس وحمد بن المنكدر عن رجل من مزينة عنه صلى الله عليه وآله أن مؤمني الجن لهم ثواب وعليهم عقاب فسألناه عن ثوابهم فقال : «على الأعراف وليسوا في الجنة وليسوا مع أمة محمد صلى الله عليه وآله فسألناه وما الأعراف؟ قال : حائط الجنة تجري فيه الأنهار وتنبت فيه الأشجار والثمار» أقول : هذا خلاف الضرورة القرآنية في عدم التفرقة بين الجنة والناس وسائر المكلفين في الجزاء الوفاق، وعلى أية حال فهذه الأحاديث لا توافق القرآن في مواضيع عدة. ومن طريق أصحابنا في نور الثقلين ٢ : ٣٤ عن أصول الكافي بسند متصل عن حمزة بن الطارق قال لي أبو عبدالله عليه السلام : الناس على ستة أقسام، قال قلت : تأذن لي أن أكتبها؟ قال : نعم قلت : ما أكتب، قال : أكتب : أصحاب الأعراف، قال قلت : وما أصحاب الأعراف؟ قال : «قوم استوت حسنتهم وسيئاتهم فإن أدخلهم النار فيذنوبهم وإن أدخلهم الجنة فبرحمته». أقول : قضية ذلك الإستواء تكفير الذنوب وإن بدخول النار ردحاً من الزمن ثم دخول الجنة بحسنتهم، اللهم إلا أن تعني مكوث الأعراف غفر سيئاتهم دون عذاب. وفيه عن القمي عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال : أقبل علي فقال لي : ما تقول في أصحاب الأعراف؟ فقلت : ما هم إلا مؤمنين أو كافرين، إن دخلوا الجنة فهم مؤمنون وإن دخلوا النار فهم كافرون، فقال : والله ما هم بمؤمنين ولا كافرين، ولو كانوا مؤمنين لدخلوا الجنة كما دخلها المؤمنون ولو كانوا كافرين لدخلوا النار كما دخلها الكافرون ولكنهم قد استوت حسنتهم وسيئاتهم فقصرت بهم الأعمال وانهم لكما قال الله عزَّ وجلَّ، فقلت : أمن أهل الجنة هم أم من أهل النار؟ فقال : أتركهم حيث تركهم الله،

قلت : أفترجنهم؟ قال : نعم أرجئهم كما أرجأهم الله، إن شاء أدخلهم الجنة برحمته وإن شاء ساقهم إلى النار بذنوبهم ولم يظلمهم، فقلت : هل يدخل الجنة كافر؟ قال : لا، قلت : فهل يدخل النار إلا كافر؟ قال : فقال : لا إلا أن يشاء الله، يا زرارة إنني أقول ما شاء الله، وأنت لا تقول ما شاء الله، أما إنك إن كبرت رجعت وتحملت عنك عقلك

(٣) في الجمع قال أبو عبد الله عليه السلام : الأعراف كثنان بين الجنة والنار يوقف عليها كل نبي وكل خليفة مع المذنبين من أهل زمانه كما يقف صاحب الجيش مع الضعفاء من جنده وقد سبق المحسنون إلى الجنة فيقول ذلك الخليفة للمذنبين الواقفين معه : انظروا إلى إخوانكم المحسنين قد سبقوا فيسلم عليهم المذنبون وذلك قوله : ونادى أصحاب الأعراف .. ثم أخبر سبحانه أنهم لم يدخلوها وهم يطمعون، يعني هؤلاء المذنبين لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون أن يدخلهم الله بشفاعة النبي والإمام وينظر هؤلاء المذنبون إلى أهل النار فيقولون ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين- ثم ينادي أصحاب الأعراف وهم الأنبياء والخلفاء رجالاً من أهل النار مقرعين لهم «ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون هؤلاء الذين أقسمتم- يعني هؤلاء المستضعفين كنتم تستضعفونهم وتحقرونهم بفرهم وتستطيون بدنياكم عليهم ثم يقولون هؤلاء المستضعفين عن أمر من الله بذلك لهم : ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون» وروى القمي في تفسيره عنه عليه السلام ما يقرب منه عنه عليه السلام

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٣١٣

تفسيراً للأولين وتأويلاً للآخرين، فقد تصدق هذه الثلاث إلا ما فيها من شطرات لا تلائم القرآن. ذلك، وإلى تفصيل لكل مقاطع الآيات الأربع بشأن رجال الأعراف وأصحاب الجنة والنار : «وبينهما» بين الجنة والنار، أو بين أصحاب الجنة والنار وهو الأظهر قضية ذكرهم من ذي قبل أم هما معنيان معاً.

«وبينهما حجاب» علّه «سور له باب : «يوم يقول المنافقون والمنافقات أنظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب. ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكن...» «١».

ف «الأعراف» هي أعراف الحجاب بينهما، والحجاب هو السور المضروب بينهما، وهو بطبيعة الحال باطنه - وهو جانب أصحاب الجنة - فيه الرحمة، وظاهره - وهو جانب أصحاب النار - من قبله العذاب.

وهنا بجاني السور الحجاب حوار بين أهل الجنة والنار، وحوار لرجال الأعراف مع الفريقين بتقرير المصير بعد بيان المسير.

«ونادوا» رجال الأعراف «أصحاب الجنة أن سلام عليكم» سلاماً قبل دخول الجنة إذ «لم يدخلوها وهم يطمعون»: أن يدخلوها.

وترى كيف «هم يطمعون» دون «يوقنون» وهم «أصحاب الجنة» حسب النص؟.

(١). ٥٧ : ١٤

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٣١٤

إنهم «أصحاب الجنة» حيث هم مسيرهم الجنة بعد عفو الله وغفره وبمنه وحنانه، ف «أصحاب الجنة» بشارة لهم من رب العزة ولما يدخلوها، أم ولما يعلموا أنهم من أصحابها، فلأنهم درجات حسب درجات إيمانهم وعمل الصالحات، فالحالة الهالة العامة لهم هي «وهم يطمعون» رجاء تكفير سيئاتهم دون عذاب، وحتى إذا بشروا بالجنة وهم يعلمون، فهم - بعد - بين الخوف والرجاء، خوف من قصورات لهم وتقصيرات، وأنهم مهما كانوا صالحين دون تقصير فلا يستحقون الجنة بأعمالهم، اللهم إلا برجاء الرحمة الربانية، إذا «وهم يطمعون».

ذلك وقد تأتي «يطمعون» في مورد العلم تذللًا وتظامناً أمام رب العزة وكما قال إبراهيم :

«والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين» (١)

وكذلك الذين اتبعوه من النصارى المؤمنين بهذه الرسالة السامية : «وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين. وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين» (٢).

وكذلك السحرة المؤمنون أفضل إيمان من أعزل كفر وأرذله : «إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن

كنا أول المؤمنين» (٣)

وفي هذه الآية المرحومة : «تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً» (٤).

فالطمع الصالح لدخول الجنة هو للصالحين مهما كانوا من المعصومين كإبراهيم، فضلاً عن كل أصحاب الجنة حيث هم «لم يدخلوها وهم يطمعون» قبل صدور الأمر الذي يحمله رجال الأعراف ب «ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا تحزنون». «وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم

(١). ٢٦ : ٨٢

(٢). ٥ : ٨٤

(٣). ٢٦ : ٥١

(٤). ٣٢ : ١٦

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٣١٥

الظالمين» (١).

هنا «صرفت» دون «صرفوا» تلمح بانصرافهم تلقاء أصحاب النار دون صرف منهم باختيار، فإنما هو صرف رباني وأمرٌ من ساحة العزة أن يصرفوا أبصارهم تلقاء أصحاب النار لواجب تقرير المصير بواجب الحوار.

وهنا حيث يفاجئون برؤية هؤلاء الظالمين إبتدروا بدعاء : «قالوا ربنا» الذي ربانا بهذه التربية القمة العالية المرموقة : «لا تجعلنا مع القوم الظالمين» لا في الجنة ولا في النار، فالظالمون الذين لا يستحقون الجنة، لا تجعلهم فيها معنا، ولا تجعلنا معهم أولاء في النار، ولا تجعلنا مع المحكومين بالنار في شفاعة لهم، ولا تجعلنا معهم قبل دخول الجنة والنار، أكثر من قدر الحوار وتقرير المصير.

فالعية بين رجال الأعراف وأصحاب النار في أية مرحلة- إلا الحاسمة القاسمة بينهم- هي معية بعيدة عن الرحمة، مهما لم تكن فيها زحمة العذاب، فلو دخلنا النار بعذاب لهم ولنا دون عذاب، فحقٌ لك يا رب إذ لا نستحق نحن الثواب مهما لا نستحق العقاب، فيألى المفاصلة التامة الطامة بيننا وبين الظالمين الذين لا يستحقون الجنة، وحتى إذا دخلوا الجنة باستحقاق بعد ذوق عذاب مستحق، متخلصين عن أعباء الظلامات، فقضية مختلف الدرجات ألا تجعلهم معنا في مقامنا في الجنة، مهما «نزعنا ما في صدورهم من غلّ تجري من تحتهم الأنهار»!

ولكن فلنكن في مقامنا كما نستحق، وهم كما يستحقون في أماكن ومكانات، في الأصل ومعرفة أصحاب الجنة.

فقد تطلبوا في «ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين» سد هذه الأبواب السبع من المعيات المعنيات من «مع القوم الظالمين».

ذلك، وقد يلمح ضمير الجمع - الجائز الرجوع هنا إلى أصحاب الجنة لأنهم الأقربون مرجعاً، والرجوع إلى أصحاب الأعراف لأنهم الأقربون موقعاً، فإنهم محور الكلام هنا

(١). سورة الأعراف، الآية : ٤٧

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٣١٦

يلمح بعناية أصحاب الجنة مع أصحاب النار، فلئن كان القصد إلى خصوص أصحاب الأعراف لذكروا كما يذكرون في التالي : ونادى أصحاب الأعراف، وذلك في تفسير الظاهر، ثم في التأويل يعنى معهم الأدنون في الأعراف، فهذا الدعاء هو طبيعة الحال في الفِرَق الثلاث، مهما كان للآخرين رجاءً باحتمال النجاة، وللأوسطين أرجى، ولأصحاب الأعراف فوق الرجاء، ولكل في هذا الدعاء موقع يناسبه، في نفسه وباختلاف دركات المعيات المعنية من «مع القوم الظالمين» ألا تجعلنا معهم، سواءً فيما يجوز عدلاً أما لا يجوز.

فجعلهم كلهم مع القوم الظالمين في عذاب النار أم في مقامات الجنة بعدما ذاقوا عذاب النار فاستحقوا دخول الجنة كبعضهم، ذلك خلاف العدل، فالدعاء بالنسبة لمعيتهم يصبح ك «رب أحكم بالحق» فانه صِرْفُ الإلتجاء في لدعاء، وكما يلحق هنا «وربنا الرحمن المستعان على ما يصفون» (١). وأما جعلهم معهم في المحشر أكثر من تكملة الحساب والحوار، أم بقاء الترائي بعد الدخول في الجنة والنار، أم دخولهم مع أصحاب النار في النار دون أن يشاركوهم في عذابهم، أم دخول هؤلاء معهم في الجنة دون أن يشاركوهم في ثوابهم أماذا من خلاف الفضل، فليس من خلاف العدل.

والدعاء على أية حال لا يعني جواز عدم تحقق المدعو به لولا الدعاء كالحق في «رب أحكم بالحق» بل هو تعلق بالله وتذلل أمام الله، وأن حكمه حق على أية حال وإن كان في ظاهر الأمر غير حق حيث لا يلائمنا.

وذلك أدب الدعاء في كافة الأحوال، وحتى إذا كان الداعي في حال وقوع المدعو به فضلاً عما قبله.
«ونادى أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جميعاً وما كنتم تستكبرون»
أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا

(١). ٢١ : ١١٢

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٣١٧

الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون» (١).

هذه الرسالة الغالية أن يكونوا مذيعين لفصل الحكم من رب العالمين، إنها منقبة لا تسامى بسواها ولا تساوى، ثم «ادخلوا الجنة» هي رسالتهم الأخيرة حيث أمروا بأمر الله أن يخاطبوا أصحاب الجنة بدخولها.

إذاً فمنادات أصحاب الجنة والنار هي قبل الدخول فيهما، وهي مواقف العالين من رجال الأعراف حسب الموقف، ثم هم يدخلون الجنة ومعهم قسم من الأذنين الذين هم معهم «على الأعراف». ذلك وما يؤيد أصالة القصد إلى أعالي رجال الأعراف دون الأداني، أن الآخرين غير محصورين في الرجال، بل ونساءهم أكثر من رجالهم، وأما الأولون فهم بطبيعة الحال رجال كالمعصومين المحمديين عليهم السلام، وأما فاطمة الصديقة فقد تكون منهم كما في «رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله...» أم هي غير مشاركة معهم لمكان أنوثتها، وعلى أية حال فخصوص القصد من رجال الأعراف الأذنين مرفوض.

كما ولا تعني «رجال» الملائكة إذ لا نساء فيهم، وهم يقابلون نساءً من جنسهم، مهما عنت رجالاً من الجن على هامش رجال من الإنس كرسل منهم عالين، حاكمين على قبيلهم، أم لهم بين فريقين أصحاب الجنة وأصحاب النار من الجن.

ثم مكانهم المتميز «الأعراف» ومعرفتهم المتميزة أصحاب الجنة وأصحاب النار لحد يعرفون المستكبرين من أهل النار بينهم، لا فقط معرفة إجمالية بسيماهم المعروف لدى الكل حيث هنا «وجوه يومئذ مسفرة. ضاحكة مستبشرة. ووجوه يومئذ عليها غبرة. ترهقها قفرة» (٢)

، وهناك «يعرفون كلًا بسيماهم» أي كل واحد من آحاد الفريقين، لا - فقط - كلًا من الفريقين، تثبت لهم معرفة قمة متميزة بسيما كل واحد منهم، حيطة معرفية بما عرفهم الله ليحكموا هناك بما يحكم الله.

هذا التمييز وذلك هما مما يميّزهم عن كل أصحاب الجنة، فهم محمد صلى الله عليه وآله

(١). سورة الأعراف، الآيات: ٤٨ - ٤٩

(٢). ٨٠ : ٤١

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص: ٣١٨

والمحمديون من عترته عليهم السلام، المتميزون على كافة السابقين والمقربين وأصحاب اليمين. فرجال الأعراف حيث يكلمون كلا الفريقين بما يكلمون هم الشهداء المخصوصون بالكرامة في مسرح «لا يتكلمون إلّا من أذن له الرحمن وقال صواباً» (١) فهم مأذونون بإذن خاص بكل إخلاص حتى يكلموا أهل الحشر أجمع بما يشاء الله ويرضى، أفهم بعد من الأذنين وليس للعوان بينهم وبين العالمين ذلك النصب المتمم يوم الدين. كل ذلك، إضافة إلى أنا لا نتلمح أية فزعة وهول لهم في أعرافهم، في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم، والهول شامل ذلك اليوم كل أهل الحشر «فإنهم لمحضرون. إلّا عباد الله المخلصين» (٢) - «إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون. لا يسمعون حسيسها وهم فيها إشتتت أنفسهم خالدون. لا يحزنهم الفزع الأكبر وتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون» (٣) !.

إذاً فقد لا تشمل رجال الأعراف في ظاهر التفسير إلّا أقرب المقربين وأسبق السابقين، دون الذين استوت حسناتهم وسيناتهم فلا هم - بالفعل - من أهل الجنة ولا من أهل النار، - اللهم إلا تأويلًا أنهم على هوامشهم - ثم ولا صراحة هنا ولا لمحة أن رجال الأعراف يتطلبون إلى الله السماح، فإنما هو الحكمية بين الفريقين والحكم بدخول أهل الجنة الجنة ودخول أهل النار النار. إذاً فعساكر البراهين القرآنية في آيات الأعراف وسواها تقرر موقفاً حاسماً لرجالها لا يناسب كل المعصومين فضلاً عن الأذنين من المؤمنين، فلا يصغى إلى أحاديث الأذنين تفسيراً، إلا تأويلًا.

«ونادى أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم» معرفة متميزة عن كل أصحاب الجنة فضلاً عن أصحاب النار، و «رجالاً» هنا هم رجال متميزون بسيماهم من أصحاب النار ف «قالوا» لهم «ما أغنى عنكم جمعكم» أموالاً وأولاداً وسائر الجموع المحتشدة

(١). ٧٨ : ٣٨

(٢). ٣٧ : ١٢٨

(٣). ٢١ : ١٠٣

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٣١٩

حصوئاً على العزة والقوة، «و» لا «ما كنتم تستكبرون» بجمعكم على الله وعلى عباد الله ورسله. «أهؤلاء» الأكارم من أصحاب الجنة «الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة» كأنكم أنتم أصحاب الرحمة دونهم، أم هم وإياكم سواء في العذاب؟! كلاً، بل : «ادخلوا» أنتم الصالحاء «الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون».

أجل هؤلاء رجال الأعراف، فمكائهم في المحشر «الأعراف» أعراف الحجاب والسور المضروب بين أصحاب الجنة وأصحاب النار، ومكائهم أنهم رسل من الله في ذلك الموقف الحاسم، رسل شهود في معرفة كل بسيماهم، يشاهدون كل نفس خيرة وشريرة في مقامها الخاص من أعلى عليين إلى أسفل سافلين، ورسل قضات في تعيين المقامات هناك، ثم هم خارجون عن القبيلين إذ لا محاسبة لهم لدخول الجنة، وهم المؤمنون أن يأمرُوا أصحاب الجنة لدخول الجنة كما أن مؤذنبهم يؤمر بذلك الأذان، رسالة ربانية عالية، مما تدل على أنهم هم الأعلون في تلك العرصات.

ذلك «وإنما الأئمة قوام الله على خلقه وعرفاء على عباده ولا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه» (١).

«ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين» الذين اتخذوا دينهم هواً ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننسأهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون» (٢).

حوار بين أهل الجنة والنار في دار القرار، يوم التناد، يخيل فيها إلى أهل النار أن لأهل الجنة أن يفيضوا عليهم من الماء أو مما رزقهم الله كما كانت هناك إفاضة في دار القرار، فإذا هم مفاجئون ب

«إن الله حرمهما على الكافرين» تحريماً بجرم الإضطرار دون اختيار، إذ مضى يوم التكليف الإختيار، ولات حين فرار، وهم «الذين اتخذوا دينهم هوأ ولعباً» :

(١). نهج البلاغة الخطبة ١٤٢ / ٢٥٦ عن أمير المؤمنين عليه السلام

(٢). سورة الأعراف، الآيات : ٥٠ - ٥١

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٣٢٠

اتخذوا طاعتهم الحقة وهي الدين الحق «هوأ» يلتهون به حيث يلهيهم عما يعنى لهم «ولعباً» به يلعبون حيث كانوا به يستهزئون، فاتخذوا دينهم : الطاعة، مخلداً إلى أرض الشهوات، فلا يطيعون - إذاً - إلا هوأ ولعباً «وغرتم الحياة الدنيا» بما انغروا بها حيث أبصروا إليها فأعمتهم ولم يبصروا بها لتبصرهم «فاليوم ننساهم» نعاملهم معاملة الناسي إياهم على علمنا بهم، تحريماً عليهم ما يقدم للضيفان من النعم «كما نسوا لقاء يومهم هذا» عامدين لاهين لاعبين، وك «ما كانوا بآياتنا يجحدون» فنحن نجحدهم كما جحدوا، وننساهم كما نسوا جزاءً وفاقاً.

ذلك كيف لا يشغلهم ما هم فيه من النار عن الماء وسائر رزق الله؟ حيث الماء يخفف عن حر النار وسائر رزق الله يسد عن الجوع، والعطش والجوع هما مما لا ينسيان في أية ملابسات (١). وفي تقدم «الماء» على «ما رزقكم الله» ذكر تقدم له على سائر رزق الله واقعاً حيويماً فللماء دور دائر في الحياة ليس لسائر رزق الله، وقد قال الله تعالى : «وجعلنا من الماء كل شيء حي» وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : «أفضل الصدقة سقي الماء» (٣).

ذلك، ولأن الغرور هو إظهار النصح واستبطن الغش وهما من فعل المختار، فتراه كيف ينسب إلى الحياة الدنيا وليست هي مختارة؟ والجواب أن الحياة الدنيا هي حياة الإنسان

(١). نور الثقلين ٢ : ٣٦ في كتاب الإحتجاج عن عبد الرحمان بن عبد الله الزهري قال : حج هشام

بن عبد الملك فدخل المسجد الحرام متكياً على يد سالم مولاه ومحمد بن علي بن الحسين صلوات الله عليهم جالس في المسجد فقال له سالم : يا أمير المؤمنين هذا محمد بن علي بن الحسين، فقال هشام : المفتون به أهل العراق؟ قال : نعم، قال : اذهب إليه فقل له : يقول لك أمير المؤمنين ما الذي يأكل الناس ويشربون إلى أن يفصل بينهم يوم القيامة؟ فقال أبو جعفر عليه السلام : يحشر الناس على مثل

قرصة النقى فيها أنهار منفجرة يأكلون ويشربون حتى يفرغ الناس من الحساب، قال : فرأى هشام انه قد ظفر به فقال : الله أكبر إذ هب إليه فقل له : ما أشغلهم عن الأكل والشرب يومئذٍ؟ فقال أبو جعفر عليه السلام : هم في النار أشغل ولم يشتغلوا عن أن قالوا : أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله، فسكت هشام لا يرجع كلاماً.

وفيه في تفسير العياشي عن أحدهما عليهما السلام قال : «إن أهل النار يموتون عطاشاً ويدخلون قبورهم عطاشاً ويدخلون جهنم عطاشاً فترفع لهم قراباتهم من الجنة فيقولون : أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله»

(٢). ٢١ : ٣٠

(٣). الدر المنثور ٣ : ٨٩٠ عن ابن عباس انه سئل أي الصدقة أفضل؟ فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ... ألم تسمع إلى أهل النار لما استغاثوا بأهل الجنة قالوا أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٣٢١

فيها دون نفسها، فالغرور- إذأ- هو من فعل الإنسان حيث ينظر إلى الدنيا فينغر بها، ولا ينظر بها فيصّر، فالحياة الدنيا هي بطبيعتها حياة الغرور : «وما الحياة الدنيا إلّا متاع الغرور» (١).

ثم النسيان من الله هو تناسي العارف وكما هم تناسوا عارفين، فلقد تناسوا لقاء يومهم هذا عارفين، فالله يتناساهم عن رحمته عارفاً فلا يفيض عليهم منها إلّا عذاباً مهيناً.

و «دينهم» كما لمحنا لهم الدين الحق فطرياً وعقلياً وشرعياً حيث اتخذوه لهواً يعرضون عنه، ولعباً يلعبون به ويستتهزون، والدين الباطل وهو الشهوة المطاعة، توغلاً في اللهو واللعب : «وذو الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وعزتهم الحياة الدنيا وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع ولا تعدل كل عدل لا يؤخذ منها أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون» (٢).

وهكذا «حيل بينهم وبين ما يشتهون» (٣)

فمهما كانت المشتبهات مشتركة بين قبيلي الإيمان والكفر يوم الدنيا فهي خاصة بالمؤمنين يوم الدين : «قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي الذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة» (٤).

وحقاً أقول «ما الدنيا غرتك، ولكن بها اغتررت، ولقد كاشفتك العِضات، وآذنتك على سواء،
ولهي بما تعدك من نزول البلاء بجسمك، والنقص في قوتك، أصدق وأوفى من أن تكذبك أو تغرّك،
ولرب ناصح لها عندك متهم، وصادقٍ من خبرها مكذب، ولئن تعرّفتها في الديار الخاوية، والربوع
الخالية، لتجدنها من حسن تذكيرك، وبلاغ موعظتك بمحلة الشفيق عليك، والشحيح بك، وأنعم داراً
من لم يرض بها داراً، ومحلٌّ من لم يوطنها محلاً، وإن السعداء بالدنيا غداً هم الهاربون منها اليوم»
(الخطبة ٢١٤).

(١). ٥٧ : ٢٠

(٢). ٦ : ٧٠

(٣). ٣٤ : ٥٤

(٤). ٧ : ٣٢

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٣٢٢

ف «يا أيها الإنسان ما جرّأك على ذنبك، وما غرّك بربك، وما آنسك بهلكة نفسك، أما من داءك
بلول، أم ليس من نومك يقظة، أما ترحم من نفسك ما ترحم به غيرك، فلربما ترى الضاحي من حر
الشمس فتظله، أو ترى المبتلى بألم يضُّ جسده فتبكي رحمة له، فما صبرك على داءك، وجلدك
بمصّابك، وعزّاك عن البكاء على نفسك وهي أعز الأنفس عليك، وكيف لا يوقظك خوف بيات
نقمة وقد تورطت بمعاصيه ...

خلفاء الرسول صلى الله عليه وآله هم ورثة الكتاب

«وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ» (١).

«هو الحق» كله، ثابتاً ما بقي الدهر دون نسخ ولا تحريف، مهما كان ما بين يديه حقاً لردح من
الزمن، ولكنه بطل أولاً بتحريف ومن ثم بنسخ، فهو الترجمة الصحيحة النهائية لحقيقة الكون،
والصحيفة المقروءة من كتاب الكون وهو الصفحة الصامتة!.

«والذي أوحينا ... مصداقاً لما بين يديه» من وحي، دون خليطه بغير وحي، ف «إن الله بعباده خبير بصير» إنهم بحاجة إلى حق لا ينسخ ولا يحرف، وإنهم حرفوا كتابات السماء من قبل، لذلك أوحى إليك «الحق» كله هدى للناس.

«ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُؤْتِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ» (٢).

«الكتاب» هنا هو القرآن لسابق ذكره «والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق» ف «ثم» بعد «ما أوحينا إليك من الكتاب» «أورثنا الكتاب ..».

فمن هو الوارث للكتاب القرآن بعد من أوحى إليه؟ أهم كل المسلمين وكما في بني إسرائيل «لقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بني إسرائيل الكتاب هدى وذكرى لأولى

(١). سورة الفاطر، الآية : ٣١

(٢). سورة فاطر، الآية : ٣٢

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٣٢٣

«الألباب» (١)

وقد تشمل الوارث الشاك! : «وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب» (٢) كما يشمل حملة وحي الكتاب الآخرين : «إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء» (٣). وهنا «أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا» دون من هو في شك مريب، ولا المتوسطين في الإيمان، بل المصطفين، فميراث الكتاب هنا ميراث خاص لمن يحمله كما حمله من أنزل عليه، وهناك عام يعم كل من حمله! صحيح أن «عبادنا» هنا يعم كافة المسلمين من أهل الجنة كما تشهد التالية : «جنات عدن ...» (٢٣) مقابلة لم بأهل النار : «والذين كفروا ...».

ولكن وارث الكتاب هنا ليس «عبادنا» ليعم المسلمين، بل «الذين اصطفينا من عبادنا» إذأ فهم المصطفون من المسلمين منذ ايرائه إلى يوم الدين، لا كلهم.

ولأن الإصطفاء في مصطلح القرآن ليس إلّا للمعصومين، أنبياء وسواهم من المخْلِصين «٤» ف «الذين إصطفينا من عبادنا» لا تعني الا المعصومين بعد الرسول صلى الله عليه وآله من أمته، أورثوا القرآن ليحملوه كما حمّله من أوحى إليه كميّرات خاص. ثم التقسيم الثلاثي ل «عبادنا» إلى ظالم ومقتصد وسابق بالخيرات، ... دليل قاصد قاطع لا مرد له أن ليسوا داخلين في ذلك الإيراث، إلّا ان يسوّى بين «ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات» في أنهم من «الذين اصطفينا من عبادنا» «٥» وتلك إذّا تسوية ضيزى!

(١)

٥٤ : ٤٠ .(

١٤ : ٤٢ .(٢)

٤٤ : ٥ .(٣)

(٤). فأيات الإصطفاء بين نبي مصطفى «ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين» (٣ : ٣٣).

ام وملك مصطفى : «الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس» (٢٢ : ٧٥).

ومعصوم غير نبي «يا مريم ان الله اصطفاك ...» (٣ : ٤٢) وملك عادل مصطفى «قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم» (٢ : ٢٤٧) ام دين مصطفى : «ان الله اصطفى لكم الدين» (٣ : ١٣٢).

فاقل المصطفين في قرينة خاصة هم أعدل العدول!

(٥). الدر المنثور ٥ : ٢٥١ - اخرج الطيالسي واحمد وعبد بن حميد والترمذي وحسنه وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن مردويه والبيهقي عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله في هذه الآية قال : هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم في الجنة وفيه اخرج الطبراني والبيهقي في البعث عن اسامة بن زيد في الآية قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله كلهم من هذه الامة وكلهم في الجنة. أقول : صحيح ان كلهم من هذه الامة كما تلمحناه من الآيات، وكلهم من أهل الجنة على شروط الاهلية، ولكن كيف يكون هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة؟ تنزيلاً للمصطفين الى منزلة الظالمين وترفعاً للظالمين الى منزلة المصطفين؟

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٣٢٤

فحتى ولو عمت «اصطفينا» غير المعصوم، ليست لتعم المأثوم في تلك المقابلة الثلاثية الواضحة. ثم من هذا الذي اصطفى عليه «ظالم لنفسه» وليس للظالم صفاء حتى يفضل في صفاته على سائر الأصفياء وسواهم!

هنا الله تعالى يقتسم عباده إلى هؤلاء الثلاث ليوضح من هم «الذين اصطفينا من عبادنا» وعلى من اصطفاهم؟.

فالمسلمون بين ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات والظالم لغيره هو خارج من «عبادنا» والمصطفى بينهم- بطبيعة الحال- ليس إلا السابق بالخيرات، فهم مفضلون على أصحاب اليمين المقتصدین، فضلاً عن الظالمين : «وكنتم أزواجاً ثلاثة. فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة* وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة* والسابقون السابقون* أولئك المقربون» (١).

إذاً فورثة القرآن بعد نبي القرآن هم المصطفون السابقون المقربون، دون أصحاب اليمين المقتصدین، فضلاً عن الظالمين المسلمين وإن لم يكونوا من اصحاب المشأمة والداخلين في الجحيم!. ذلك المثلث البارع الرائع من مواصفات ورثة القرآن لا نجده في سائر القرآن اللهم إلا لنبي القرآن ثم من أورثوا القرآن من بعده.

وهنا قيد «ظالم» ب «لنفسه» لا خراج الظالمين من المسلمين لغيرهم، فالمعتدون منهم الطغاة على الإسلام والمسلمين ليسوا من أهل الجنة والسلام.

و «منهم مقتصد» لا «ظالم لنفسه» كأصل في حياته، ولا سابق بالخيرات، بل هم عوان

(١). (٥٦ : ٨ - ١١)

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٣٢٥

بين ذلك، فهم المعتدلون من أمة الإسلام عدولاً وسواهم ف «ظالم لنفسه» هم غير العدول الذين قد تنالهم الشفاعة وهم مصيرهم إلى الجنة، من أصحاب الكبائر الصالحة للشفاعة، فأما أمثال يزيد ومعاوية الطاغية وأضرابهم من طغاة هذه الأمة، فخارجون عن هذا التقسيم، داخلون مع الذين كفروا في الجحيم، ف «الظالم يحوم حوم نفسه، والمقتصد يحوم حوم قلبه، والسابق بالخيرات يحوم حوم ربه» (١).

فورثة القرآن العظيم علماً وعملاً وتطبيقاً هم المصطفون السابقون المقربون، فوق المقتصدین العدول فضلاً عن الظالمين! ومن ذا الذي يدعي ذلك الإصطفاء العاصم، المصعوم أهله من كل رين وشين! أهم الخلفاء الثلاث، المعترف بكثير أخطاءهم وخلافاتهم وتخلقاتهم بين أتباعهم؟ أم هم الأئمة الأربعة ومن يجذو محذاهم، المختلفين- في أقل تقدير- في تفهم الكتاب والسنة، والمتخلفين أحياناً عن نص الكتاب والسنة.

أم هم الأئمة الإثني عشر الذين لم يختلفوا فيما بينهم، ولم يتخلفوا قيد شعرة عن الكتاب والسنة، وهم الثقل الأصغر بعد الكتاب: الأكبر؟! وهنا نجد تجاوباً فيهم بين الكتاب والسنة القدسية المحمدية صلى الله عليه وآله «٢».

(١). في معاني الاخبار مسنداً عن الصادق عليه السلام قال: ... وفي الدر المنثور ٥ : ٢٥١ - اخرج جماعة عن ابي الدرداء سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله قال اللّٰه تعالى : «ثم اورثنا الكتاب ..» فاما الذين سبقوا فأولئك يدخلون الجنة بغير حساب واما الذين اقتصدوا فأولئك يجاسون حساباً يسيراً واما الذين ظلموا انفسهم فأولئك يجاسون في طول المحشر ثم هم الذين تلقاهم اللّٰه برحمته فهم الذين يقولون : الحمد لله الي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور ...

اقول وقد تظافر مثله في نفس المصدر عن الرسول صلى الله عليه وآله وهو المستفاد من الآية كما بيناه.

وفيه عن ابن مردويه عن النبي صلى الله عليه وآله في «ومنهم ظالم لنفسه» قال : الكافر وهو خلاف ظاهر الآية كما بيناه

(٢). في تفسير البرهان ٣ : ٣٦٣ عن ابن بابويه القمي بسند عن الريان بن الصلت قال : حضر الرضا عليه السلام مجلس المأمون بمرو وقد اجتمع اليه في مجلسه جماعة من اهل العراق وخراسان فقال مأمون اخبرني عن معنى هذه الآية «ثم اورثنا الكتاب ..»؟ فقال العلماء اراد اللّٰه عز وجل الامة، فقال المأمون : ما تقول يا ابا الحسن عليه السلام فقال الرضا عليه السلام لا اقول كما قالوا ولكن اقول : اراد العترة الطاهرة، فقال المأمون : وكيف اراد العترة الطاهرة؟ فقال له الرضا عليه السلام لو اراد الامة لكانت باجمعها في الجنة لقول اللّٰه تبارك وتعالى «فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد منهم سابق باخيرات باذن اللّٰه ذلك هو الفضل الكبير» ثم جمعهم كلهم في الجنة فقال «جنات عدن يدخلونها ..»

فصارت الوراثة للعترة الطاهرة لا لغيرهم، فقال المأمون، مَنْ العترة الطاهرة؟ فقال الرضا عليه السلام: الذين وصفهم في كتابه فقال عز وجل: «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً» وهم الذين قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنني مخلّف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض انظروا كيف تخلّفوني فيهما، أيها الناس لا تعلموهم فإنهم اعلم منكم

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص: ٣٢٦

وهنا «بأذن الله» يخص «سابق بالخيرات» إذاً تكوينياً وشرعياً لسبقهم سائر الخيّرين في الخيرات وهو العصمة القمة المتعالية، دون «ظالم لنفسه» حيث الظلم غير مأذون في تشريع ولا تكوين، وكذلك «مقتصد» فإن الله لا يقتصر من عباده بالإقتصاد في معرفته وطاعته!

فإذنه تعالى للسابق بالخيرات هو إرادة التطهير وكما في آية التطهير «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً» (١).

هنا «بإذنه» وكما في الدعوة الرسالية: «وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً» (٢) «أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم» (٣)

كما و «ما من شفيح إلّا من بعد إذنه» (٤) «ويعسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه» (٥). فهنا لك للمصطفين السابقين إذن يخصهم، تكويناً في عصمة وتشريعاً في ولاية شرعية، لا يعم سواهم، فكما «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم» كذلك ورثة الكتاب طاعتهم مفروضة على من سواهم: «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم» (٦)

الذين وُلّوا وراثة الكتاب بعد وحيه إلى الرسول، فولوا أزمّة أمور المسلمين كما وُلّي! ولأن «سابق» مطلق غير محدد، فسبقهم - إذأ - مطلق غير محدد، فهم السابقون على كافة المصطفين على مر الزمن في الإصطفاءات، اللهم إلّا من أوحى إليه القرآن!

ولأن «الخيارات» جمعاً محلي باللام تعم كافة الخيرات عدّة وعدّة، فهي الخيرات المعرفية والعقائدية والعملية أما هي، المعنية من «يطهركم تطهيراً» المسبوق ب «إنما» الحاصرة فيهم قمة العصمة الإلهية.

(٢). ٣٣ : ٤٦

(٣). ٤٢ : ٥١

(٤). ١٠ : ٣

(٥). ٢٢ : ٦٥

(٦). ٤ : ٥٩

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٣٢٧

وليس سبق هنا زمنياً - إذ ليس له فضل على اللّاحق الأفضل، بل هو سبق في الرتبة، كما الرسول في كونه «أول العابدين» مهما سبق في علم الله وتقديره سبقهم هذا! فهؤلاء الأكارم الذين أورثوا الكتاب بعد الرسول صلى الله عليه وآله سبقوا بعده كافة السابقين في ميادين الخيرات ومسارحها، فلذلك يفضّلون على سائر النبيين في سباق الخيرات طول الزمان وعرض المكان!

ترى ولماذا يتقدم في هذا العرض العريض ظالم لنفسه على مقتصد وهما على سابق بالخيرات، والأخير متقدم في ناصية الآية «الذين اصطفينا ..»؟

إنه بيان لطرف الإصطفاء، تقدماً للأكثر أفراداً «ظالم لنفسه» حيث تربوا سيئاته لنفسه على حسناته ثم «مقتصد» قد تعادل سيئاته وحسناته، ثم «سابق بالخيرات» المصطفين من بينهم إذ ليست لهم سيئات!

و «ذلك» الوحي للرسول، ثم «ذلك» الايراث لأهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله «هو الفضل الكبير» إذ لا يساوى ولا يسامى في تأريخ الوحي والرسالات والوراثات.

فحصالة البحث عن آية الوراثة أن «عبادنا» هنا هم أصحاب اللجنة من المسلمين في درجاتهم الثلاث أدناها «ظالم لنفسه» دون من يظلم دين الله ويظلم عباد الله، فهم هنا غير موعودين باللجنة، مهما دخلوها بعد حسابات وعقابات أم لم يدخلوها، كما «الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن» يلمح بمدى ظلم الظالم لنفسه، وخروج الظالم لغيره، حيث العفو عنه ظلم بغيره!

فليس «عبادنا» هنا كافة المكلفين، ولا كل المسلمين، وإنما المسلمون الذين مصيرهم الى الجنة.

والمقتصد هو المعتدل المتعادل في حياته، لا ظالم لنفسه حيث يتبنى حياة العدل مهما ابتلى بلمم، والسابق بالخيرات هو الرعيل الأعلى من المقربين المعصومين من أمة محمد صلى الله عليه وآله وهم الأئمة الإثني عشر سلام الله عليهم أجمعين.

فهم ورثة الكتاب روحياً في ولاية مطلقة شرعية، وآخرهم القائم منهم يرث الكتاب زمنياً وروحياً :
«ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٣٢٨

الصالحون. إن في ذلك لبالغاً لقوم عابدين وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» (١) .!

«جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير» وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور» الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يسمنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب» (٢).

علّ حق الفاعل في «يدخلونها يحلون» هم الوارثون للكتاب المصطفون، فإنهم سابق الكلام ومحوره وإنهم «سابق بالخيرات»!

ثم المقتصد الحزين بما قصر أو قصر : «وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن» ثم «ظالم لنفسه : إن ربنا لغفور شكور».

ف «قالوا- إلى- شكور» لا تناسب ساحة السابقين بالخيرات فلا ذنب لهم حتى يغفر، ولا حزن حتى يذهب فانهم من افضل من «لا خوف عليهم ولا هم يحزنون»!.
ثم «الذي أحلنا ...» يناسب الطوائف الثلاث أجمع، حيث الجنة- فقط- هي من فضل الله كما النار هي من عدل الله.

ويحلون من التحلية : التزيين، «من أساور» أعجمية من دستوراه وهي زينة الأيدي، واللؤلؤ معروف كما الحرير و «دار المقامة» هي دار الخلود التي لا حول عنها ولا خروج، والنصب : التعب في جوها، واللغوب هي التعب في طلب الحاجة فيها، خلاف الحياة الدنيا التي هي تعب على تعب، ولغب على نصب.

وبا له من مشهد حنون، فالجو كله يسر وراحة، حتى الجو الموسيقي لجرس الألفاظ كله هادئ ناعم رتيب حتى الحزن بدل الحزن، فضلاً عن «دار المقامة» ... وإلى صفحة أخرى من مسرح الحساب :

«والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضي عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور» وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما

(١). (٢١ : ١٠٦)

(٢). سورة فاطر، الآيات : ٣٣ - ٣٥

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٣٢٩

للظالمين من نصير» (١).

«والذين كفروا» هنا هم الخالدون المؤبدون في النار إذ «لا يخفف عنهم» والخروج عن النار من التخفيف فأين الظالمون لغيرهم مسلمين أم كفاراً غير مؤبدين؟ لا نجد لهم هنا ذكراً ولا هناك قضية التفصيل في مواعده وهنا موقع الإجمال!

«لهم نار جهنم» تحصر حظهم فيها، فلا خروج لهم عنها، إذ فهم أصول الكفر متبوعين وأتباعاً كما يلح له «كل كفور» : غليظ الكفر وحضيضه، دون المزيج الكفر بإيمان، فإن له نصيباً من الرحمة.

«لا يقضى عليهم فيموتوا» في النار، دون أصل الموت ولو مع النار، فإن قضية العدل نهاية العذاب كنهاية الإستحقاق، وأنهى النهاية للعذاب ان يموت المؤبدون مع النار، فلا نار- إذأ- ولا أهل نار! : «ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنك ماكتون» (٢)

في النار- وطبعاً- ما دامت النار.

«ولا يخفف عنهم من عذابها» تخفيفاً في زمن العذاب أن يموتوا قبل تمامة أم يخرجوا، أم تخفيفاً في قدره وهم في النار، أن يتعودوا العذاب، فإنه أشكال متلاحقة فلا تعود فيه يخفف به، و «كذلك نجزي كل كفور» بالغ في الكفر نهايته، فهو بالغ في العذاب نهايته جزاءً وفاقاً.

«وهم يصطرخون فيها» بصوت غليظ مختلط الأصداء، متناوح من شتى الدركات «ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل» وترى أن «صالحاً» لا يصلح تصريحاً ل «غير الذي كنا نعمل»؟ أجل! فلكي يزيحوا كل شبهة عن أمرهم يفسرون «صالحاً» ب «غير الذي كنا نعمل» لكي لا يفسر صالحهم هذا بما كانوا يرونه صالحاً «ويحسبون أنهم يحسنون صنعا»!

لا! وإنما صالحاً في الحق، يختلف عن كل صالح في زعمنا وكل طالح في واقعنا فنصبح من الصالحين حقاً!

(١). سورة فاطر، الآيات : ٣٦ - ٣٧

(٢). ٤٣ : ٧٧

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٣٣٠

«رب ارجعون لعلي اعمل صالحاً فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون» (١)

وهنا الجواب الحاسم يحمل تنديداً صارماً صارخاً بالمصطرخين في الجحيم «أو لم نعمركم...»؟. وهنا الواو تقتضي معطوفاً عليه محذوفاً مثل «ألم نذكركم بكل حجة صارحة وبينه صارخة» أو لم نعمركم...؟ فقطاع العذر ليس إلا امران اثنيان : «نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر - وجاءكم النذير» فان جاء النذير ولم يفسح مجالاً للتفكير كمن عاش حين النذارة ساعات او إياماً لا تكفي للتذكير، فقد اعذر.

ام عاش حياة الذكر ولم يأتته نذير فقد اعذر فضلاً عن فقد النذير وفسحة التذكير فهو اعذر واعذر!. وعلى هذا الاساس فكلما كانت النذارة اقوى وفرصة التذكر اكثر واندى، فالعذاب اوفر واشجى، وكلما كان قاطع العذر اضعف فالعذاب اخف ام يعفى عنه كما في «المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً».

فمن عاش جو الغفلة والتغافل، بمظاهر الشهوات وجواذب الزوات يخفف عنه حسب خفة الحجة، ومن عاش جو الذكرى بمديد العمر ولم يتذكر فلا يخفف عنه العذاب.

«أو لم نعمركم ما يتذكر فيه» المكلف العاقل ك «من تذكر» من المؤمنين «وجاءكم النذير» زيادة للتذكير «فذوقوا» عذاب السعير «فما للظالمين» بحق الله وخلقهم «من نصير» (٢). هناك «عبادنا» في اقسامهم الثلاثة، وهنا «الذين كفروا» بنا وعبادتنا لحد «الكفور»

(١). ٢٣ : ١٠٠

(٢). تفسير البرهان ٣ : ٣٦٦ - ابن بابويه عن ابيه عن سعد بن عبدالله عن احمد بن ابي عبدالله البرقي باسناده رفعه الى ابي عبدالله عليه السلام في قول الله عز وجل «او لم نعمركم ..» تويخ لابن ثماني عشر سنة أقول وعله أول تويخ قارع حيث مضت عليه سنون ثلاث، وليس هذا القدر كضابطة، فقد لا يوجد ظرف الذكرى في ثلاثين وقد يوجد في يوم واحد، وهذا الحديث ناظر إلى الحالة الاكثرية في جو الذكرى.

وفيه بسند له عن ابي بصير قال قال الصادق عليه السلام ان العبد لفي فسحة من امره ما بينه وبين اربعين سنة واذا بلغ اربعين سنة اوحى الله الى ملكية اني قد عمرت عبدي عمراً فغلظا وشددا وتحفظا عليه قليل عمله وكثيره وصغيره وكبيره»

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ٤، ص : ٣٣١

وبينهما عوان لم يذكروا، وانهما صورتان متقابلتان، فهناك مسرح لكل عناية وتبجيل، وهنا كل نكاية وتبجيل، وكل ذلك بعلم الملك الجليل :

«ان الله عالم غيب السماوات والأرض إنه عليم بذات الصدور» «١».

«يعلم خائنه الأعين وما تخفي الصدور» علم شامل دقيق لطيف، يحيط بكتابي التكوين والتدوين وما في الصدور وتحتاه الصدور، وبذلك العلم الشامل يجري كل الأمور.